

144
145

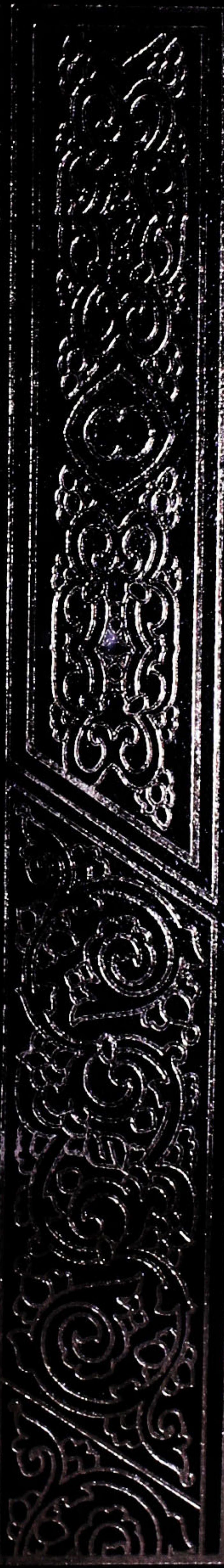
146
147

148
149

150
151

152
153

154
155



**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





الخطبة في أخبار غزواتها

لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب



حق لسه ووضع مقلته وحواميه

محمد عبد الله عينا

المجلد الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

131966

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1974

ء

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » نقدمه إلى القراء والباحثين، بعد أن تم بحمد الله، تحقيقه، وتزويده بمختلف الحواشي التفسيرية، وبعد أن تم كذلك إخراج الطبعة الثانية من المجلد الأول، من هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى.

ونود أن نبدأ هنا بالإشارة إلى بعض حقائق تتعلق بالأصول المخطوطة، التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة ». فقد رجعنا في ذلك إلى الأصول الآتية :

أولاً - مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد (مخطوط العلامة جاينجوس) المحفوظ بها برقم CXLII.

ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم 8135
ثالثاً - مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال برقم ١٦٦٨ الغزيري، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور.

رابعاً - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم 1840

وقد اتخذنا مخطوط جاينجوس، حسبنا فعلنا بالنسبة للمجلد الأول، أساساً. لتدوين نص المجلد الثاني ومقارنته. والواقع أنه لا يوجد بين هذه الأصول المخطوطة، ما يتضمن المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بصورة مستقلة. سوى مخطوط جامع الزيتونة، الذي يقدم إلينا كتاب الإحاطة في ثلاثة أجزاء متتالية، والذي يوصف خطأ. بأنه هو النسخة الوحيدة الكاملة من الإحاطة في العالم. وقد سبق أن وصفنا هذا المخطوط وخصائصه وأحجام أجزائه بإفاضة، في مقدمة المجلد

الأول . وبيننا بوضوح ما يعتوره من ضرورب النقص والتصحيح . وكيف أن القول بأنه هو النسخة الكاملة الوحيدة من الإحاطة ، لا يطابق الواقع ، ذلا حاجة بنا هنا إلى التكرار .

هذا ، وقد سلكنا في تنظيم محتويات هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » وتبويبه مسلكاً جديداً ، راعينا فيه نظام « الأسفار » التي جعلها ابن الخطيب أساساً لتبويب كتابه ، ومن ثم فإننا لم نتخذ مخطوط جامع الزيتونة ، بالرغم من وصفه المتقدم ، أساساً وحياداً لتصنيف هذا المجلد الثاني من الإحاطة . ذلك أن الجزء الثاني من مخطوط الزيتونة ، يتضمن عقب نهاية ترجمة (محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي) ابن زمرك - الإشارة الآتية : (انتهى السفر السادس هنا ، والحمد لله رب العالمين)

ويتضمن مخطوط جاينجوس ، عقب ترجمة محمد بن يوسف الصريحي - ابن زمرك المذكور - نفس هذه العبارة .

ويتضمن مخطوط الإسكوريال السالف الذكر ، رقم ١٦٧٣ ديرنبور ، في رأس صفحة العنوان العبارة الآتية :

(تملك هذا السفر الثاني من مختصر الإحاطة .. بن جعفر بن محمد القيت لطف الله بهم ونفعهم) .

ومن الواضح أن « السفر الثاني » يقصد بها هنا « الجزء الثاني » . ذلك لأنه قد وردت في الصفحة التالية في بداية المخطوط هذه الإشارة :

(ومن السفر السابع المفتوح بقوله : ومن الطارين منهم في هذا الباب) . وإذا فإن مخطوط الإسكوريال ، يبدأ وفقاً لترتيب نظام الأسفار الذي اتخذ أساساً لتبويب كتاب « الإحاطة » ، عقب انتهاء السفر السادس من المخطوطين السابقين ، مخطوط الزيتونة ، ومخطوط جاينجوس ، بالسفر السابع . وعلى ذلك وبعد دراسة مقارنة عميقة ، لمختلف المخطوطات التي بين أيدينا ، رأينا أن نتخذ نظام الأسفار قاعدة لتبويب « الإحاطة » ، وأن نبداً بعد نهاية السفر السادس من مخطوطي الزيتونة وجاينجوس ، في تدوين تراجم السفر السابع الذي يفتح به مخطوط الإسكوريال .

●
ويجب أن نعلم بهذه المناسبة ، أن كتاب «الإحاطة» يشغل وفقاً لنظام الأسفار المشار إليه ، والذي اتخذ المؤلف قاعدة لتقسيمه وتبويبه ، إثني عشر سفرأ. يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار ، من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر ، وبلى هذا السفر الأخير ، ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه . وهذه الأسفار فيما يبدو - عدا السفر الأخير - متقاربة الأحجام ، يحتوى كل منها على نحو أربعين ترجمة ، وهذا عدا السفر الأخير الذي يضم ثمان تراجم فقط . ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال يمثل بحجمه وعدد أسفاره . نصف المؤلف الأصلي ، وتكون نسخة الإسكوريال هذه ، مكونة من جزئين كبيرين ، وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثاني ، الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه (السفر الثاني) من مختصر الإحاطة، وهو من محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة، التي استولى عليها الإسبان في عرض البحر في أوائل القرن السابع عشر ، وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال ، وذلك حسبما فصلناه في مقدمة المجلد الأول .

هذا وقد رأينا أن نفتح المجلد الثاني ، بترجمة السلطان محمد بن يوسف ابن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الحزرجي (السلطان محمد الغني بالله) سلطان ابن الخطيب . هذا في حين أن النصف الأول من ترجمة هذا السلطان، يرد في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة ، في اللوحات الخمس عشرة الأخيرة (ص ٣٠٦ - ٣٣٥) . ونحن قد وقفنا بالمجلد الأول عند ترجمة السلطان (محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري الحزرجي) ثاني الملوك النصريين .

وقد أحصينا التراجم التي وردت بالمجلد الثاني من مخطوط الزيتونة عقب الانتهاء من (السفر السادس) حتى نهايته ، فوجدناها سبعة وأربعين ترجمة . تبدأ بترجمة (محمد بن أحمد بن عبد الله الإستجى) وتنتهى بترجمة (محمد بن علي بن عبد الله اللخمي) وهي آخر التراجم الواردة بالمجلد المذكور ، وكانها من حرف الميم (المحمدون) . ووجدنا بالمراجعة الدقيقة أنه قد ورد منها في مخطوط الإسكوريال سبع وثلاثون ترجمة ، وردت متباعدة تتخللها تراجم كثيرة أخرى من (المحمدين) أيضاً ، وتنتهى بترجمة ، محمد بن علي بن عبد الله اللخمي في اللوحة رقم 146 .

ونود أن ننوه بأنه إلى جانب البواعث النظامية والفنية ، التي حملتنا على انتهاج هذه الخطة ، توجد ثمة بواعث علمية هامة ، تلخص في أن مخطوط الإسكوريال ، يتناول كثيراً من التراجم المذكورة بتوسع وإفاضة ، ويقرنها بكثير من مختارات المنظوم والمنثور ، التي لم ترد في مخطوط الزيتونة ، ومنها تراجم كثيرة لشخصيات أدبية بارزة ، أمثال ابن الحداد الوادي آشى ، وابن مرج الكحل ، وابن الجنان ، وابن أبي الحصال ، وذى الوزارتين ابن الحكيم ، وابن طفيل ، ومحمد بن عبد العزيز التجيبي البرشاني ، وابن قزمان ، وابن القصيرة ، وابن خميس الحجري ، وابن جزى ، وغيرهم . وقد وردت معظم هذه التراجم في مخطوط الزيتونة في نصوص موجزة ، ينقصها الكثير من مختارات الشعر والنثر ، التي يوردها مخطوط الإسكوريال ، وهو ما يحملنا على الاعتقاد بأن مخطوط الإسكوريال ، هو أقرب المخطوطات التي انتهت إلينا ، إلى نص كتاب الإحاطة المطول ، وهذا بالرغم من كونه يوصف في صفحة العنوان ، وفي نهايته بأنه «مختصر الإحاطة» . وهذا كله إلى أن نص مخطوط الإسكوريال ، يمتاز بسلامته ، وخلوه من كثير من الأخطاء وضروب التصحيف ، التي ترد خلال نص مخطوط جامع الزيتونة .

وهناك إلى جانب ما تقدم فارق التاريخ . ذلك أن مخطوط الإسكوريال قد نص في نهايته ، على أنه قد تم نسخه في أوائل شهر ربيع الآخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة ، وذلك بمدينة غرناطة ، هذا في حين أن مخطوط الزيتونة قد تم نسخه حسبما ورد في نهاية الجزء الثالث منه ، في شهر جمادى الثانية عام 1273 ، فهو إذن مخطوط حديث . وميزة القدم بالنسبة لمخطوط الإسكوريال ، وكونه قد كتب في غرناطة موطن مؤلف «الإحاطة» ، وبعد وفاته بنحو قرن وربع فقط ، تسبغ عليه أهمية خاصة ، من حيث الاطمئنان إلى سلامة النص ، وإلى أنه قد نقل من أصول معتبرة يعول عليها .

ولسنا بحاجة إلى أن نعيد هنا شيئاً مما ورد في مقدمتنا للمجلد الأول ، من البيانات والشروح عن كتاب «الإحاطة» ، وعن مصادره وتاريخ تأليفه ، أو عن مؤلفه ابن الخطيب ، وعن حياته ، وخلالها الفكرية والأدبية اللامعة ، فكل ذلك قد استوفيناه في مقدمتنا بإفاضة . يرجع إليها في المجلد الأول .

ويحتوي المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على إحدى وثمانين ترجمة ، ويضم طائفة من الرسائل الهامة ، التي دمجها ابن الخطيب بلسان سلطانه ، في الحث على الجهاد ، وجمع كلمة الأمة في الذود عن الدين والوطن ، كما يضم طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس ، مثل المعتمد بن عباد ، والمتوكل ابن هود ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق ، والمنصور بن أبي عامر ، ومحمد بن الأحمر الكبير ، مؤسس مملكة غرناطة ، ومحمد الغني بالله ، سلطان ابن الخطيب . ومن أكابر الكتاب والأدباء والشعراء ، مثل ابن جبير ، وابن زمرك . وابن مرج الكحل ، وابن شلبطور ، وابن أبي الحصال ، وأبي عبد الله بن الحكيم ، وابن غالب الرصافي . وأبي بكر بن القصيرة ، وابن قزمان . وابن خميس الحجري ، وغير هؤلاء وهؤلاء .

وتتضمن هذه التراجم كثيرا من الحقائق والتفاصيل التاريخية والأدبية الهامة . لذا فضلا عما تقرن به من مختار المنثور والمنظوم .

وقد عينا في هذا المجلد أسوة بالمجلد الأول ، بشرح وتحقيق الأعلام التاريخية والجغرافية ، في حواشي خاصة ، وربما حدث خلال ذلك بعض تكرار في التعريف بأعلام أو بلاد سبق التعريف بها في المجلد الأول . ولكن ذلك لا ينتقص من أهميتها . لأنها في مكانها أقرب إلى التناول والإفادة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المجلد الثاني من « الإحاطة » سوف يصدر بعون الله ، في ربيع أو صيف هذا العام - سنة ١٩٧٤ . وتوافق هذه السنة الذكرى الستمائة لوفاة ابن الخطيب ، وتقع هذه الذكرى في خريف العام المذكور . وقد أشرنا في ختام مقدمة المجلد الأول ، إلى أهمية إحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها . وأهنا بالدوائر العلمية والأدبية في مختلف البلاد العربية ، ولاسيما المغرب ، الذي قضى فيه ابن الخطيب أخصب فترات حياته ، وما زال يشوي الثواء الأخير بأرضه ، أن تقوم بتنظيم الاحتفاء بهذه الذكرى العلية الحليلة ، وقد علمنا مع الغبطة أن الحكومة المغربية . تعنى الآن بالعمل لإحياء هذه الذكرى في موعدها . ونحن نرجو لها من الله العون والتوفيق في تحقيق هذه الأمنية النبيلة .

محمد عبد عنان

القاهرة في غرة المحرم سنة ١٣٩٤
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٧٤

رموز المخطوطات

وأينا وفقاً لما تم في المجلد الأول ، أن نرمر إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة » على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد (مخطوط جاينجوس) بحرف «ج» .
- ٢ - مخطوط جامع الزيتونة بتونس بكلمة « الزيتونة » .
- ٣ - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط بكلمة « الملكية » .
- ٤ - مخطوط مكتبة الإسكوريال بكلمة « الإسكوريال » .
- ٥ - وجرينا في التعبير عن مخطوطي جاينجوس والزيتونة ، بكلمة « المخطوطين » .
- ٦ - وفي التعبير عن جاينجوس والزيتونة والملكية « بالمخطوطات الثلاثة » .

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page area.

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page area.

الإحاطة
في أخبار غرناطة

—
المجلد الثاني

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج

ابن يوسف بن نصر الخزرجي^(١)

أميرُ المسلمين لهذا العهد بالأندلس ، صدرُ الصدور ، وعلمُ الأعلام ، وخليفةُ
الله ، وعمادُ الإسلام ، وقدوةُ هذا البيت الأصيل ، ونيرُ هذا البيت الكريم ،
ولُبابُ هذا المجدِ العظيم ، ومعنى الكمال ، وصورَةُ الفضل ، وعنوانُ السعدِ ،
وطائرُ اليُمن ، ومحولُ الصُّنع ، الذي لا تبلغ الأوصاف مداه ، ولا تُوفى العبارة
حقه ، ولا يَجْرِي النظم [والنثر]^(٢) في ميدانِ ثنائه ، ولا تنتهي المدائحُ إلى
عَلْيائه .

أوليتيه

أشهرُ من إمتاع الضُّحى ، مستوليةٌ على المدا ، بالغةٌ بالسَّعةِ بالانتساب^(٣) إلى
مَعْد بن عبادة عَنان السماء ، مُبْتَجِحَةٌ^(٤) في جِهادِ العِدا ؛ بحالةٍ من مَلَك جزيرة
الأندلس ، وحَسْبُك بها ، وهي بها في أمني^(٥) المَزَاينِ والحَلِي ، وقدُماً فيه بحسب
لمن سمع ورأى .

(١) وردت في الزيتونة إزاء اسم هذا السلطان العبارة الآتية في الهامش الأيسر (ترجمة سلطان المصنف) . هذا وقد وردت بداية هذه الترجمة في نهاية الجزء الأول من مخطوط الزيتونة، فرأينا أن نبدأ منها بالمراجعة عليه .

(٢) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٣) هذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (عل الانتساب) .

(٤) هكذا في «ج» و «الملكية» من ابتجع ، أى افتخر وتباهى .

(٥) في الملكية ، والزيتونة ، أبهى .

حاله

هذا السلطان أيمن أهل بيته تقيية ، وأسعدهم ميلاداً وولاية ، قد جمع الله له بين حسن الصورة ، واستقامة البنية ، واعتدال الخلق ، وصحة الفكر ، وثقوب الذهن ، ونفوذ الإدراك . ولطافة المسائل ، وحسن التأني ، [وجمع له من الظرف]^(١) ما لم يجمع لغيره ، إلى الحلم ، والأناة اللذين يحبهما^(٢) الله ، وسلامة الصدر ، التي هي من علامة الإيمان ، ورقة الحاشية ، وسرعة العبرة ، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة ، إلى ضخامة التنجيد ، واستجادة الآلات ، والكلف بالجهاد ، وثبات القدم ، وقوة الجأش ، ومشهور البسالة ، وإيثار الرفق ، وتوخي السداد ، ونجح المحاولة . زاده الله من فضله ، وأبقى أمره في ولده ، وأمتع المسلمين بعمره . ساق الله [إليه] الملك طواعية واختياراً ، إثر صلاة عيد الفطر على بعتة^(٣) وفاة المقدس أبيه ، من عام خمسة وخمسين وسبعائة ، لخايل الخير ، ومزية السن ، ومظنة البركة ، وهو يافع ، قريب العهد بالمرأته ، فأنبت الله النبات الحسن ، وسدل^(٤) به الستر ، وسوغ العافية ، وهنأ العيش ، فلم تشح في مدته السماء ، ولا كلب^(٥) الأعداء ، ولا تبدلت الألقاب ، ولا عونيت الشدائد ، ولا عرف الخوف ، ولا فورق الخصب ، إلى أن كانت عليه الحادثة ، ونابه التمحيص ، الذي أكسبه الحنكة ، وأفاده العبرة ، فشهد بعناية الله في كف الأيدي العادية ، وأخطأ [ألم]^(٦) السهام الراشقة ، وتخيب الآمال

(١) وردت في «ج» (وجمال الظرف) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة ، يحجم . والتصويب لازم لاستقامة السياق .

(٣) كذا في «ج» و «الملكية» والزيتونة .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة ، وسبل .

(٥) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٦) الزيادة من «الملكية» ، والزيتونة .

المكايده ، وانسداد أزوقه السُّتر والعِصمة ، ثم العودة ، الذي عرّف الإسلام ، [بدار الإسلام] (١) قدرها ، وتملاً عزها ، ورجح (٢) وزنها ، كما اختبر ضدها فرصة الملك ، وشاع العدل ، وبعث الصيت ، وانتشر الذِّكر ، وفاض الخير ، وغزرت القطر ، فظهرت البركات ، وتوالت الفتوح ، وتخلدت الآثار . وسيرد من بيان هذه الجمل ، ما يسهه الترتيب بحول الله .

ترتيب دولته الأولى

إذ هو ذو دولتين ، ومُسوغ ولايتين ، عززها الله ، بملك الآخرة ، بعد العمر الذي يملأ صحايف البرِّ ، ويخلد حُسن الذِّكر ، ويُعرف إلى الوسيلة ، ويرفع في الرفيق الأعلى الدرجة ، عند الله خيراً وأبقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون .

وزراؤه وحجابه

انتدب إلى النيابة عنه ، والتشهير إلى الحجابة ببابه ، الشيخ القايده المعتمد بالتجلة ، المتحول من الخدام النبهاء ، المتسود الأبوة ، المخصوص بالفدح المعلى من المزية ، المسلم له في خصوصية الملك والتربية ، ظهير العلم (٣) والأدب ، وأمين الجِد ، ومولى السلف ، ومُفرغِ الرأي إلى هذا العهد ، وعقد سفره (٤) السلطان ، وبقية رجال الكمال من مشيخة الماليك ، وخيار الموالي ، أبا النعيم رضوان رحمة الله ، فحمد الكل ، وخلف السلطان ، وأبقى الرُتب ، وحفظ الألقاب ، وبذل الإنصاف ، وأوسع السكَنف ، وامتدعى النصيحة ، ولم يأل جهداً في حُسن

(١) هكذا وردت في الزيتونة ، وفي «ج» و «الملكية» (هذه الاسلام) .

(٢) هكذا في «الملكية» والزيتونة ، وفي «ج» واسترجع . والأولى أفضل .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» ، العمر ، والتصويب أرجح .

() هكذا في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» سرفاً .

السيرة ، وتظاهر المحض ، وأفردني بالمزية^(١) وعاملني بما يرتدُّ عنه جسرُ أطرفِ
الموالاتة والصُّحبة ، ووفى لي الكيل الذي لا يقتضيه السن ، والقربة من الاشتراك
في الرتبة^(٢) ، والتزحُّح عن الهضبة ، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر
والغيبية ، والمحافظة على التشيع والقدمة ، بلغ في ذلك أقصى الغايات . مدارج
التخلق المأثور عن الجلة ، والتودد إلى [المرّة بعد المرّة]^(٣) ، واختصتُ بفوت
المدة بالسلطان ، فكنتُ المفرد بسرّه دونه ، ومفضي همّه ، وشفاء نفسه ، فيما
يُنكره من فتنه تقع في سيرته . أو تصير توجيه السداجة في معاملاته ، وصلاح
ما يتغير عليه من قلبه ، إلى أن لحق بربه .

شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه ، أبا زكريا يحيى بن عمر بن وحو بن
عبد الله بن عبد الحق ، مطمّح الطواف^(٤) ، وموفى الاختيار ، ولباب القوم ،
وبقية السلف . حزه أودهاء ، وتجربة [وحركة وجداً وإدراكاً]^(٥) [ناهيك]^(٦)
من رجل فذ المنارع ، غريبها ، مستحقّ التقديم ، شجاعة وأصالة ، ورأياً
ومباحثة ، نسيابة قبيله ، وأضحى قسهم ، وكسرى ماسمهم ، إلى لطف السجية ،
وحسن التأني ، لغرض السلطان ، وطرق التنزل للحاجات . ورقة غزل الشفقات .
وإمتاع المجلس ، وثقوب الذهن والفهم ، وحسن الهيئة . وزاده خصوصية ملازمته

(١) وردت في «ج» و «الملكية» بالزبدة ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» وفي «الملكية» بالزينة ، والتصويب أرجح .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (المدة بعد المدة) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «الزيتونة» ، وفي «ج» و «الملكية» (الطرف) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (وحركة وجداً) .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، ويقتضها السياق .

مجلس الرّفاع المروضة . والرّسل الواردة . وسيأتي ذكره في موضعه بحول
الله تعالى .

كاتب سره

قمتُ لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها^(١) إليّ أبوه المولى المقدس ،
رحمه الله . من الوقوف على رأسه . والإمساك في التهاني والمبايعة بيده . والكتابة
والإنشاء والعرض والجواب . والخيلة والمجالسة ، جاهماً بين خدمة القلم . ولقب
الوزارة ، معززاً الخَطَط برسم القيادة . مخصوصاً بالنيابة عنه في الغيبة . على كل
ما اشتمل عليه سورُ القلعة والحضرة . مطلقاً أمور الإيالة . محكماً في أشناته تحكيم
الأمانة . مُطلق الجراية . ظاهر الجاه والنعمة . ثم تضاعف العز . وتأكد
الرعى . وتمحّض القرب . فنقلني من جلسة المواجهة ، إلى صفّ الوزارة ،
وعاملني بما لا مزيد عليه من العناية . وأحلّني المحل الذي لا فوقه في الخصوصيّة .
كافاً الله فضله . وشكر رعيه . وأعلى محله عنده .

وأصدر لي هذا الظهير لثاني يوم ولايته : هذا ظهير كريم . صفي شربته .
وسفرني في الرسالة عنه ، إلى السلطان ، الخليفة الإمام ، ملك المغرب ، وما إليه
من البلاد الإفريقية ، أبي عنان ، حسبما يأتي ذكره . ثم أعفاني في هذه المدة
الأولى ، عن كثير من الخدمة ، ونوّه بي عن مباشرة العَرْض بين يديه بالجملة ،
فاخترت للكُلّ والبِدلة ، وما صان عنه في سبيل التجلّة ، وإن كان منتهى أطوار
الرّفعة ، الفقيه أبو محمد بن عطية ، مُستنزلاً عن قضاء وادي آش وخدّاتها ،
فكان يتولى ما يُكتب بنظري ، وراجماً لحكمي ، ومتردّداً لبالي ، مُكفني

(١) وردت في «ج» والملكية ، اسند . والتصويب أفضل .

المؤنة في سبيل^(١) الحمل الكلى ، إلى وقوع الحادثة ، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

قضاته

جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضى أبيه الشيخ الأستاذ الشريف ، نسيج وحده ، وفريد دهره^(٢) ، إغراباً^(٣) في الوقار ، وحسن السمّت^(٤) وأصالة البيت ، وتبحراً في علوم اللسان ، وإجهازاً في فصل القضايا ، وانفراداً ببلاغة الخطابة ، وسبقاً في ميدان الدهاء والرّجاحة ، أبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى ، الجناح إلى الإيالة النّصيرية من مدينة سبّنة . وسيأتى التعريف به في مكانه إن شاء الله . وتوفى رحمه الله بين يديّ حدوث الحادثة ، فأرجىء الأمر بمكانه ، إلى قدوم متلقّف الكُرة ، ومتعاور تلك الخطّة . الشيخ الفقيه القاضى ، أبى البركات قاضى أبيه . ووليها الأحقّ بها بعده ، إذ كان غائباً في السفارة عنه ، فوقع التّمحيص قبل إبرام الأمر على حال الإستنابة .

الملوك على عهده

وأولّهم بالمغرب ، السلطان ، [الإمام]^(٥) ، أمير المسلمين ، أبو عنان ابن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ، البعيد الشّأو فى ميدان السّعادة ، والمضى أغراض السّداد ، ومُعظّم الظفر ، ومُخَوّل الموهبة ، المستولى على آماد الكمال ،

(١) وردت فى الزيتونة بعد هذه الكلمة عبارة (المؤمنة فى) وهى عبارة لا معنى لها هنا ، ومن

ثم فقد أغفلناها .

(٢) هكذا فى « ج » ووردت فى « الملكية » ، عصره .

(٣) وردت فى « ج » إغراباً . والتصويب من « الملكية » والزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى « الملكية » والزيتونة . وفى « ج » السمة ، والأولى أرجح .

(٥) الزيادة من الزيتونة .

عقلاً وفضلاً وأبهةً ورؤاءاً . وخطاً وبلاغاً ، | وحفظاً وذكاءً |^(١) وفيها وإقداماً ، تَعَمُّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ . بَعَثَنِي إِلَىٰ أَبِيهِ رَسُولاً عَلَىٰ إِثْرِ بَيْعَتِهِ . وَتَمَامِ أَمْرِهِ ، وَخَاطِباً إِتْرَهُ وَوُدَّهُ ، مُسْتَرَفِداً^(٢) مِنْ مَنِيحَةِ قَبُولِهِ . فَالْفَيْتُ بَشِراً مَبْدُولاً . وَرَفِداً مَمْنوحاً . وَعِزّاً بِإِخْتِا ، يَضِيقُ الزَّمَانَ عَنْ جَلَالَتِهِ . وَتَقْضُرُ الْأَلْسِنَةَ عَنْ كُنْهِ وَصْفِهِ ، فَكَانَ دَخُولِي عَلَيْهِ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي قَعْدَةِ عَامِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ الْمَذْكُورِ ، وَأَنْشَدْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخَاطَبَةِ . وَمُضْمِنِ الرَّسَالَةِ :

خليفةُ الله ساعدَ القدرَ علاك ملاح في الدُّجَا قمرُ

فأَحْسَبُ وَكُنِي ، وَاحْتَفَلُ وَاحْتَفِي ، وَأَفْضَتُ بَيْنَ يَدَيِ كَرَمَتِهِ^(٣) ، إِلَى الْحُضُورِ مَعَهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الْمَطْلَةِ عَلَى مَوْرِدِ رَحْبٍ . هَاجَ بِهِ اخْتِدَامُ أَسَدًا ، أَرْوَدُ ، شَتْنُ الْكُفَيْنِ مُشْعَرُ^(٤) اللَّبْدَةِ ، حَتَّى مَرَّقَ عَنْ تَابُوتِ خَشْبِي كَانَ مَسْجُونًا بِهِ ، مِنْ بَعْدِ إِقْلَاعِهِ ، مِنْ بَعْضِ كَوَاهِ ، وَأَثَارَتِهِ مِنْ خَلْفِهِ ، وَاسْتِشْاطِ وَتَوَقَّدَ بِأَسَا . وَجَلْبُ^(٥) ثَوْرُ عَيْلِ الشَّوِيِّ ، مِنْتَصِبُ الْمَرْوِيِّ ، يَقْدَمُهُ صَوَارُ^(٦) مِنْ الْجَوَامِيسِ ، فَقَرُبْتُ الْخَطَا ، وَحَمِيَتِ الْوَعْيُ ، وَبَلَغَ الزَّيْبِرُ وَالْجَوَارُ مَا شَاءَ ، فِي مَوْقِفٍ مِنْ مِيْلَادِ الشِّيمِ الْعَلِيِّ [يَخْشَى]^(٧) الْجَبَانَ مُقَارَعَةَ الْعِدَا ، وَيُوطِنُ نَفْسَهُ الشُّجَاعُ عَلَى مَلَاقَةِ الرَّدِيِّ ، وَخَارَ الْأَسَدُ عَنْ الْمُبَارَزَةِ ، لَمَّا بَلَغَ مِنْهُ ثِقَافًا عَنْ رَدِ الْمُنَاوِشَةِ ، وَمُضْطَلَمًا بِأَعْبَاءِ الْمُحَامِلَةِ ، فَتَخَطَّاهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الرَّجَالَةِ ، أُولَى عُدَّةٍ ،

(١) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» إدراكاً .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» مستزيداً .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) وردت في «ج» مقشعراً . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وجلبت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (صواراً) فاقتضى التصويب .

(٧) هذه الإضافة أو ما في معناها لازمة لاستقامة السياق .

وذوى ذُرْبَةٍ^(١)، حمل نفسه متطارحا كشهاب الرّجم، وسرك الدُّجاء، وأخذته
وماحهم بإبادته^(٢)، بعد أن أزدى بعضهم، وجُدِّل بين يدي السلطان، متخبطا
في دمه. وعرض بعض الحاضرين، وأغرى بالنظم في ذلك، فأشدته:

أنعامُ أرضِك تُقهرُ الآسادا طبعا كسا الأرواح والأجسادا
وخصايصُ اللهُ بث ضروبها في الخلق ساد لأجلها من سادا
إن الفضائل في حماك بضايِعُ لم تخش من بعد النفاق كسادا
كان المزيبرُ محاربا فجزيته بجزاء من في الأرض وام فسادا
فابغ المزيدي من آلايه بشكره وأرغم بما خولته الحسادا

فاستحسن تأتي القريجة، وإمكان البديهة، مع قيد الصفة، وهيبة المجلس.
وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفير، من واد^(٣) أصيل، وإمداد مؤهوب،
ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب، وصامت محمول، وطعمة مسوعة. وكان الوصول
في وسط محرم من عام ست وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السعي، وأتم الجهد،
وصدقت الخيلة، وقد تضمن رحلي الوجهة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله
الذي له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفي زعموا بحيلة، وقيل حتف أنفه، لما نهك
المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى باب الأبناء. وخاف
مدبر أمره، عايده ملامته، على توقع برئه، وكان سيفه^(٤) يسبق على سوطه،
والقبر أقرب إلى من تعرض لعتبه من سجنه، فقضى موضع هذا السبيل خاتمة
الملك الجلّة، من أهل بيته. جدّد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب،

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (ذرية). والتصويب أرجح.

(٢) في «ج» و«الملكية» ببارته، والتصويب من «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» ود.

(٤) في «ج» و«الملكية» فيه. والتصويب من «الزيتونة».

وأغلظ العقاب ، وصير إيلته أضيّق من الخلد^(١) . وأمدّ الأندلس ، وهزم الأضداد ، وخذل الأتار ، وبني المدارس والزوايا ، واستجلب الأعلام . وتحرك إلى تلمسان فاستضافها إلى إيلته ، ثم ألحق بها قسنطينة وبجاية ، وجيز أسغوله إلى تونس ، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائه ، واستمرت بها دعوته إلى ذى قعدة من العام ، ورحمة الله عليه . وكانت وفاته في الرابع عشر لذي حجة من عام تسع وخمسين وسبعمائه . وصار الأمر إلى ولده المسعى بالسعيد ، المكني بأبي بكر ، مختار وزيره ابن عمر الفدوى^(٢) . ورام ضبط الإيالة^(٣) المشرقية فأعياه ذلك ، وباع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان ، ولجأ الوزير وسلطانه إلى البلد الجديد ، مثنى الخلافة المرينية ، فكان أملك بها . ونازله منصور بن سليمان ، ثم استغضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته . وغادر^(٤) السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن أخو الهالك السلطان أبي عنان [الأندلس]^(٥) ، وقد كان استقر بها بإزعاج أخيه إيتاد عن المغرب ، كما تقدم في اسمه ، فطلع على الوطن الغربي بإعانة من ملك النصارى ، عانى فيها هولا كثيرا ، واستقر بأخرة بعد إخفاق شيعته^(٦) المرأكشية ، بساحل طنجة ، مستدعى من بيجال غمارة ، ودخلت سبتة وطنجة في طاعته . وفر الناس عن منصور بن سليمان ، ضربة لازب ، وتقبض عليه وعلى ابنه ، فقتلا صبورا ،

(١) في المخطوطات الثلاثة (الحد) والتصويب أرجح .

(٢) وردت في «ج» الفدوى . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٣) وردت في «ج» والزيتونة «الأبالي» . والتصويب من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (ونعص) . وفي «الملكية» والزيتونة (وبعض) . وهي كلمة لا معنى لها هنا . وقد أضفنا كلمة (وغادر) ليستقيم السياق .

(٥) ساقطة في المخطوطين . ولازمة للسياق .

(٦) وردت في «ج» سعية . والتصويب من الزيتونة ، وبه يستقيم المعنى ، لأن السلطان

أبا سالم نزل أولا بساحل دكالة على مقربة من منطقة مراکش ، ثم تحول عنها بعد فشله إلى الشمال .

نفعهما الله . وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر شعبان عام ستين وسبعمئة ، بزول الوزير وسلطانها عنها إليه . ثم دالت الدولة . وكان من لحاق السلطان برُندة ، واستعانتِه على ردِّ ملكه ما يأتي في محله ، والبقاء لله سبحانه .

وبتلمسان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمُراس بن زيان ، قريب العهد باسترجاعها ، لأول أيام السعيد .

وتونس الأمير إبراهيم بن الأمير أبي بكر بن الأمير أبي حفص بن الأمير أبي بكر بن أبي حفص بن إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد ، لنظر الشيخ رأس الدولة ، وبقية الفضلاء ، الشهير الذكر ، الشائع الفضل ، المعروف السياسة ، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن تافراكين^(٢) . تحت مضايقة من عرب الوطن .

ومن ملوك النصارى بقشتالة ، بطرُه بن ألنشة بن هراندة بن شانجه بن ألفنش بن هراندة ، إلى الأربعين . وهو كما اجتمع وجهه ، تولى^(٣) الملك على أخريات أيام أبيه في محرم عام أحد وخمسين وسبعمئة . وعقد معه سلم على بلاد المسلمين . ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به ، وغمرت الرُوم . وألقت العصا ، وأغضت القضاء ، وأجالت على الكثير من الكبار^(٤) الردي ، بما كان من إخافته ساير إخوانه لأبيه ، من خاصته ، العجالة الغالبة على هواه ، فنبذوه على سوء^(٥) بعد قتلهم أمهم ، وانزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته برعية أمهم . وسلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكايه لمنصبه ،

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (أبو عمران) . وهو كنية السلطان المشار إليه

(٢) هكذا رسمت في «ج» . وترسم أحيانا بالكاف : تافراكين .

(٣) وردت مكانها في «ج» ، وكأولى . والتصويب من الملكية والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (كبار) . والتصويب لازم للسياق .

(٥) وردت في «ج» سوا . والتصويب من «الملكية» .

إلى اختصاص عجلة ، أنف بحراه كبار قومه ، من أجل ضياع بذره وانقراض عقبه ، فالخوارج عليه ، ودبروا القبض عليه ، وتحصل في أنشودة ، يقضى أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع ، لولا أنه أفلت وتخلص من شرارها . فاضطره ذلك إلى صلة السلم ، وهو الآن بالحالة الموصوفة .

الأحداث في أيامه

لم يحدث^(١) في أيامه حدث إلا العافية المسحة^(٢) والهدنة المتصلة ، والأفراح المتجددة ، والأمنة المستحكمة ، والسلم المنعقدة . وفي آخر جمادى عام ست وخمسين وسبعمئة لحق بجبل الفتح فشمم شعبته ، وأبرمتبوتته^(٣) . كان على ثغره العزيز على المسلمين ، من لدن افتتاحه ، الموسوم الخطة ، المخصوص بمنزلة تشييده ، عيسى [بن] الحسن بن أبي مندبل ، بنية الشيوخ أولى الأصالة والدهاء ، والزي بنى الخير ، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة ، والإغراق في سوء العقبي . والله غالب على أمره . فكان أملاك بمصاهه ، وقر عينه بلقاء ولده ، والتمتع منه بجواد عتيق . ملئ من خلال السياسة ، أرداه سوء الحظ ، وشؤم النصبه^(٤) . واظلم ما بينه وبين سلطانه ، مسوغه برداء العافية على تفه صغر ، وملبسه رداء العفة على قدح الأمور ، أبدى منها الخوف على ولده . وعرض ديسم عزمه ، على ذوبان الجبل ، فأنحسوا في هواه ، وغرثوه بكاذب عصبه^(٥) ، فأظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور ، واتصلت الأخبار . وساعت

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة ، تحدث . فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» ، المسبحة . والتصويب من الزيتونة .

(٣) أعنى قام بتعليق أسواره وأصلاح أجزائه الحربة الهالكة .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» ، النصفة ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» عصب التصويب من « . الملكية » والزيتونة .

الظنون ، وضاعت الصدور . ونكست الرؤوس لتوقع الفاقة . بانسداد باب
العريخ . وانبتات سبب النعرة . وانبعث طمع العدو [وانحمت الأطماع]^(١)
في استرجاعه واستقالته ، لمكان حصانته ، وسمو الذروة ، ووفور العدة . ووجود
الأممة ، وأخذته بتلاشي الفرصة . ثم ردت الأخبار بخروج جيشه^(٢) صحبة ولده إلى
منازلة أشتبونة^(٣) ، وإخفاق أمه فيها . وامتسك أهلها بالدعوة . وانتصافهم
من العائفة العادية ؛ فبودر إليها من مائة بالعدد . وخوطب السلطان [من]^(٤)
. لك المغرب أيده الله . بالجلية . فتحقت المناينة ؛ واستقرت الظنون . وفي الخامس
والعشرين من شهر [ذي قعدة]^(٥) ، ثار به أهل الجبل . وتبرأ منه أتباعه . وخذله
بالفرار ، فأخذت شعابته ونقابه ، فكرّ راجماً أدواجه إلى القاعدة^(٦) الكبيرة .
وقد أعجبه الأمر ، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها . وكثر^(٧) فالتقى به ،
وقد لحق به^(٨) بعض الأساطيل بسببته . لداعي تسور توطى^(٩) على إمارته ، فقيده
هو وأبنته . وخيض بهما البحر للدين . ولم ينتطح فيها عتران ، رحمه الله . سنام
فئة ألت بر كها^(١٠) ، وأناخت بكل كها . وقته قدر أنها واقعة . ليس لها من
دون الله كاشفة . فقد كان من بالجبل برهوا على إيالة ذينك المرتسين^(١١) .

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (وركمت الأطباع) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في «ج» والزيتونة بعدها كلمة ، إلى ، وهي حشو لا دخل له .

(٣) أشتبونة ، وبالإسبانية Estpona ، ثغر أندلسي صغير ، يقع جنوبي إسبانيا ، وشمال
جبل طارق في منتصف المسافة بينه وبين ثغر مريلة .

(٤) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٥) مكانها بياض في المخطوطات الثلاثة . ونعتقد صحة ما أثبتناه ، وهو متفق مع ما سياتي

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (القاهرة) . وهو تحريف ظاهر . والتصويب أرجح .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وقد تعنى كثرة خصومه .

(٨) وردت بعدها في المخطوطات الثلاثة كلمة (الأسطول) ، ووجودها هنا يغفل بالسياق

والأغلب أنه من باب السهو .

(٩) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (سور تولهي) .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة ، بر كها .

(١١) وردت محرفة في «ج» ، المرتسين . والتصويب من «الملكية» .

وَأَلْقُوا أَجْوَارَهَا ، وَأَعْدَوْهَا الصَّفَقَةَ . بِمَا أَطْمَعَهُمَا فِي الثَّوْرَةِ ^(١) . وَاسْكُلْ أَجَلَ كِتَابٍ . وَاحْتَمِلْ إِلَى الْبَابِ السَّلْطَانِي بِمَدِينَةِ فَاسٍ ، وَبِرَّازِ النَّاسِ إِلَى مَبَاشِرَةِ إِيْصَالِهَا مَجْلُوبِينَ فِي مَنْصَةِ الشَّجَرَةِ . مَرْفُوعِينَ فِي هَضْبَةِ الْمَثَلَةِ . ثُمَّ أَهَضَى السَّلْطَانُ فِيهَا حُكْمَ الْفَسَادِ . بَعْدَ أَيَّامِ الْحَرَابَةِ . فَقَتَلَ الشَّيْخَ بَخَّارِجَ بَابِ الدَّهَّارِينَ مِنَ الْبَلَدِ الْجَدِيدِ . بِأَيْدِي قَرَابَتِهِ . فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَضْحَتْ ^(٢) رِمَاحُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ اللَّهُ أَرْحَمُ هُنَاكَ تُشَقُّقُ

وَقُطِعَتْ رِجْلُ الْوَلَدِ وَيَدُهُ . بَعْدَ طَوْلِ عَمَلٍ وَسُوءِ تَنَاوُلٍ . وَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ اسْتَنْفَذَهُ حِمَامُهُ فَأَضْحَى عِبْرَةً فِي سُرْعَةِ انْتِزَابِ حَالِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ . حُسْنُ طَاعَةٍ . وَذِيَاءِ مُحَمَّدٍ ، وَفَضْلِ شَهْرَةِ . وَاسْتِفَاضَةِ خَيْرِيَّةٍ ، وَنِبَاهَةِ بَيْتٍ . وَأَصَالَةِ عِزٍّ . إِلَى ضِدِّ هَذِهِ الْإِخْلَالِ . وَقَانَا اللَّهُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَلَا سَلَبَ عَنَا جِلْبَابِ السُّتْرِ وَالْعَافِيَةِ .

وَسَدَّ السَّلْطَانُ ثَغْرَ الْجَبَلِ بِآخِرِ ^(٣) مِنْ وَلَدِهِ اسْمُهُ السَّمِيدُ . وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَلَحِقَ بِهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ بَعَائِنَتَهُ . وَقَدَّرَ لَهُ أَمْرَهُ . وَسَوَّغَهُ رِزْقًا رَغْدًا . وَعَيْشًا خَفْضًا . وَبَادَرَ السَّلْطَانُ الْمُرْتَجِمَ لَهُ . إِلَى تَوْجِيهِ وَسُؤْلِهِ . قَاضِيًا حَقَّهُ . مَقَرَّرَ السَّرُورَ بِجَوَارِهِ ، وَأَتْبَعَ ذَلِكَ مَا يَلِيْقُ مِنَ الْحَالِ مِنْ بَرٍّ وَمَهَادَاةٍ وَنَزَلَ . وَتَعَقَّبَتْ بَعْدَ أَيَّامِ الْمَكَافَاتِ ^(٤) ، فَاسْتَحْكَمَ الْوُدَّ . وَتَحَسَّنَتْ الْأَلْفَةُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيْقِهِمْ ^(٥) وَمُسْنَى الْخَيْرِ وَالْخَيْرَةِ ^(٦) عَلَى أَيْدِيهِمْ .

(١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةَ (الثَّوْرَةُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الزَّيْتُونَةِ ، ظَلَّتْ .

(٣) وَرَدَتْ فِي «ج» بِأَمْرٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَلِكِيَّةِ» .

(٤) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ . وَفِي «ج» الْمَكَافَاةُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَعُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي «ج» تَفْوِيقَهُمْ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَّيْتُونَةِ .

(٦) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي «ج» . وَفِي الْمَلِكِيَّةِ وَالزَّيْتُونَةِ ، الْحَيْرَاتُ . وَالْأَوَّلَى أَرْجَعُ .

الحادثة التي جرت عليه

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول ، خفضُ عيش^(١) . وتوالى خِصب ، وشياعُ أمن . إلا أن شيخ الدولة القايد أبا النعمان رحمه الله ، أضع الحزم . وإذا أراد الله إنفاذ [قضايه وقدره]^(٢) . سلب ذوى العقول عقولهم ، بما كان من أمنه جنب التصر^(٣) الملزم دار سكناه . من علية فيها أخو السلطان ، بتهاونه يحيل أمه المداخلة في تحويل الأمر إليه . جملة من الأشرار ، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأَخلاف . وإبراهيم بن أبي الفتح . والدليل المورورى^(٤) . وأمدته بالمال . فداخل القوم جملة من فرسان القيود ، وعمرة الشجون . وقلاميد الأسوار . وكانت تتردد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث ، المنزوع العصمة . خارج القلعة حتى تم يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام . اجتمعوا وقد خفي أمرهم . وقد تألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخل من وادي هداؤه الى البلد ، اصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء ، وكان بسورها ثلم ، لم يتم ما شرعوا فيه من إصلاحه . فنصبوا سلما أعد لذلك ، وصعدوا منه . ولما استوفوا . قصدوا الباب المضاع المسلحة ، للثقة بما قبله . فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح . واستغلظوا بالتهويل . وداعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء ، فتصدت طائفة منهم دار الشيخ القايد أبي النعمان ،

(١) وردت في «ج» عيشة . وقد آثرنا لفظة «الملكية» والزيتونة .

(٢) هذا ما ورد في «ج» . وفي «الملكية» ، والزيتونة (أمر من أوامره) . والمزدى واحد .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الصبر) وهو تحريف . ونعتقد أن المعنى يستقيم بالتصويب

(٤) المورورى أو الدليل المورورى ، هو أحد الزعماء الذين اشتركوا مع الرئيس محمد بن

إسماعيل بن فرج في تدبير الثورة ، التي نشبت في رمضان سنة ٧٦٠ هـ ، وانتهت بعزل محمد الغنى بالله ،

وإجلاس أخيه إسماعيل بن يوسف مكانه على العرش . وقد ولاه هذا السلطان وزارته ، وجعله حافظ

الباب وأمين السدة . راجع الإحاطة (١٩٧٣) ج ١ ص ٤٠١ و ٥٢٤ . والملحة البدرية ص ١١٦ .

فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه ، وقتلته في مضجعه ، وبين أهله وولده ، وانتهبت ما وجدت به . وقصدت الأخرى دار الأمير ، الذي قامت بدعوته . فاستنجزته واستولت على الأمر . وكان السلطان متحولاً بأهله^(١) الى مكنى « جنة العريف »^(٢) خارج القلعة ، فلما طرقة النبأ ، وقرعت سمعه الطبول مدده الله ، وساند^(٣) أمره في حال الحيرة ، إلى امتلاء جواد كان مرتباً عنده في ثياب تبذله ومصاحباً لأفراد من ناسه . وطار على وجهه ، فلحق بوادي آش قبل سبق نكبته ، وطرق مكانه بأثر ذلك ، فلم يلبث فيه ، وأتبع فأعيا المتبع . ومن الغد ، استقام الأمر لأولى الثورة ، واستكلوا لصاحبهم أمر البيعة ، وخاطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالأزمة ، وأرسلوا [إلى]^(٤) ملك النصارى في عقد الصلح . وشرعوا في منازلة وادي آش ، بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها ، فلازمته المحلات وولى عليه التضييق . وخيف فوات البدر ونفاد القوة ، فشرع السلطان في النظر لنفسه ، وخاطب السلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه ، فتلقاه بالقبول وبعث من يهد الحديث في شأنه ، فتم ذلك ثانياً يوم عيد النحر من العام . وكنت عند الحادثة على السلطان ، ساكناً بجنتي المنسوبة إلى من الحضرة ، منتقلاً إليها بجملتي ، عادة المترفين . إذ ذاك من مثلي ، فتخطاني الحتف ، ونالتني النكبة ،

(١) هكذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (بأمره) .

(٢) هو قصر صغير أنيق يقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من شمال شرق فصة الحمراء . وقد كان فيما يبدو بموقعه الجميل وروعة المناظر الطبيعية التي تحيط به ، مصيفاً لسلطين غرناطة ، ويعرف بالإسبانية El Generalife . وقد كان الوقت الذي وقع فيه الانقلاب الذي يرويه ابن الخطيب وهو أواخر رمضان سنة ٧٦٠ هـ يوافق أوائل سبتمبر سنة ١٣٥٧ ، أعنى أوائل فصل الحريف .

(٣) هكذا في «ج» ، وفي «الملكية» والزيتونة (وسواس) وهو تحريف .

(٤) ساقطة في المخطوطات الثلاثة ويقتضها السياق .

فامتأصلت النعمة العريضة ، والجدة الشبيرة ، فما ابتقت طارفاً ولا تليداً ، ولا ذرت قديماً ولا حديثاً ، والحمد لله يُخفف الحساب ، وموقظ أولى الألباب ، ولطف الله بأن^(١) تمطف السلطان بالمغرب إلى شفاعتي بي بخذته ، وجعل أمرى من فصول قصده . [ففككت عنى]^(٢) أصابع الأعداء ، واستخلصت من أنيابهم ، ولحقت بالسلطان بوادى آش . فذهب البأس ، واجتمع الشمل . وكان رحيل الجميع ثانى عيد النحر المذكور . فكان النزول بفحص ألفت . ثم الانتقال إلى لوشة ، ثم إلى أنتقيره ، ثم إلى ذكوان . ثم إلى مربلة^(٣) يضم أهل [كل]^(٤) محل من هذه [ماتماً للحسرة ، ومناحة للفرقة]^(٥) . وكان ركوب البحر صحوة الرابع والعشرين من الشهر ، والاستقرار بمدينة سبتة ، وكفى بالسلامة غمماً ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل إلى باب السلطان ، تحت بر لا تسعه العبارة ، ولقاؤنا إياه بظاهر البلد الجديد لإمام ألم عاقه عن الإصحار^(٦) والتغنى على البعد ، يوم الخميس السادس لمحرم من عام أحد وستين بعده . فى مر كب هايل ، هو احتفال رابع رايق . فعورض فيه النزول عن الصهوات ، والبرش اللايق بمنصب الملوك . والوصول إلى الدار السلطانية^(٧) . والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبيل . ووقت يومئذ فوق رأس السلطان وبين يدي مؤمله ، فأشدته مغرباً بنصره ، كالوسيلة بقولى :

(١) وردت فى «ج» . ولم ترد فى الملكية . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت فى «ج» والزيتونة (فككت عن) . والتصويب أفضل للسياق .

(٣) إن هذه البلاد كلها تقع فى الطريق من وادى آش إلى لوشة أولاً ، ثم جوبا بغرب إلى

أنتقيرة ، ثم إلى ذكوان ، ثم إلى مربلة على شاطئ البحر المتوسط . وقد كانت بعد سقوط الجزيرة الخضراء وجبل طارق فيما بعد من أهم ثغور العبور بين الأندلس والمغرب .

(٤) ساقطة فى المخطوطات الثلاثة ، وبها يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى «الملكية» والزيتونة كالآتى : (ماتم

الحسرة ومناحة الفرقة) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى الملكية والزيتونة (الإحصار) وهو تحريف .

(٧) هكذا فى «ج» . ووردت فى الملكية والزيتونة (الإمامية) .

سلاهل لديها من مخبّرة ذِ كُرُ وهل أعشَب الوادى ونمّ به الزهر
 فهاج الامتعاظ^(١)، وسالت العبرّات . وكان يوماً مشهوداً . وموقفاً مشهوراً ،
 طال به الحديث . وعمّرت به النوادي . وتوزعتنا^(٢) النزاييل على الأمل .
 شكر الله ذلك وكتبه لأهله . يوم الافتقار إلى رحمة . واستمرت الأيام ، ودالت
 الدولة للرئيس بالأندلس . والسلطان تغلبه المواعيد . وتونسه الآمال . والأسبابُ
 تتوفّر . والبواعث تتأكّد . وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه . واستقرت
 بي الدارُ بمدينة سلا . مرابطاً . مُستمتعاً بالغيبية . تحت نعمة كبيرة ، وإعفاء
 من التكليف .

وفي اليوم السابع لشوال من عام التاريخ . [قعدَ السلطان بقبة العرض]^(٣)
 بظاهر جنة المصارّة لتشييعه^(٤) . بعد اتخاذ ما يصلح لذلك . من آلة وحيلة^(٥) ،
 وقد برز الخلق . لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع . الباعث للرفقة . المتبع
 بالدعوات ، لما قدّف الله في القلوب من الرحمة . وصحبه به في التغرّب من العناية ،
 فلم تذب عنه عين . ولا تخمل له موكب . ولا تقلصت عنه هيبة ، ولا فارقت
 حشمة ، كان الله له في الدنيا الآخرة . وأجاز . واضطربت الأحوال . بما
 كان من هلاك معينه السلطان أبي سالم . وغدر الخبيث المؤمن على قلعه
 به ، عمر^(٦) بن عبد الله بن علي ، صعر الله حزبه^(٧) . وخلد خزيه . وسقط

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : الامتعاظ .

(٢) وردت في المخطوطين (وتوزعتنا) ، وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هذه العبارة ساقطة في المخطوطين . ونقلناها من «اللمحة البدرية» و «الفتح» .

(٤) وردت في «ج» وتشيعه . وفي «الملكية» والزيتونة وتشيعه وهو تحريف . والمقصود

هنا هو تشيع سلطان غرناطة المخلوع .

(٥) وردت في «ج» وحيلة . وهو تحريف .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة محرفة (عامر) . والصواب ما أثبتناه .

(٧) وردت في «ج» خزيه . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

في يده ، إلا أنه ثبتت في رُنْدَة من إيالة الأندلس ، الراجعة إلى إيالة المغرب^(١) ،
 قدمه ، فتعلل بها . وارتاش بسببها ، إلى أن فتح الله عليه ، ومدد عزمه ،
 وأراه لما ضعفت الحيل صنعه ، فتحرك إلى بر مالقة . وقد فغر عليها العدو فده .
 ثم أقبل على مالقة . مستميتاً دونها ، فسهل الله الصعب ، وأنجح القصد ، واستولى
 عليها . وانتألت عاياه حينها البلاد . وبدأ الرئيس المتوثب على الحضرة ،
 بعد أن استوعب الذخيرة والعدة . في جناية ضخمة ممن خاف على نفسه . لو وقي
 بذمة الغادر وعهده ، واستقر بنادي^(٢) صاحب قشتالة ، فأخذه بجزيرته^(٣) ،
 وحكم الحيلة في جنائته وغدره ، وألحق به من شاركه في التسور من شيعته ،
 ووجه إلى السلطان برؤوسهم تبع رأسه . وحث السلطان أسعده الله خطاه إلى
 الحضرة ، يتلقاه الناس ، مستبشرين . وتزاحم عليه أفواجهم مستقبلين مستغفرين ،
 وأحق الله الحق بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

وكان دخول السلطان دار ملكه ، وعوده إلى أريكة سلطانه ، وحلوله بمجلس
 أبيه وجدّه ، زوال يوم السبت المؤفي عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين
 وسبعائة ، جعلنا الله من هم الدنيا على حذر ، وألهمنا لما يخلص عنده من قول وعمل .
 وتخلّف الأمير وولده بكره ، أسعده الله ، بمدينة فاس فيمن معه من جملة ، وخلفه
 من حاشية . [ولد المستولى^(٤) على ملك المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رُنْدَة
 في معارضة هدفه . ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله ، وتم المقاصد بما عمه من سعده .
 وكان وصولي إليه معه . في محمل البين^(٥) والعافية ، وعلى كسر التيسير من الله

(١) كانت رُنْدَة يومئذ ضمن القواعد التي نزل عنها ملوك غرناطة للملك المغرب (بنى مرين)

لتكون لجيوشهم قواعد للنزول والرباط عند عبورها إلى الأندلس لإنجادها .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بنا) والتصويب لازم لاستقامة المعنى .

(٣) وردت في «ج» بجزيرة . وفي «الملكية» (في جزيرة) وهو تحريف .

(٤) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (المتوثب) (٥) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (اليسر) .

والعناية [١] يوم السبت المُوفى عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور

إلى بيعة الكور

هَذَا الْمُسْلِمِينَ بِيْرَ كَتْبِهَا الْوَافِرَةِ . وَمَزَايِهَا الْمُسْكَاثِرَةِ . السَّاطِئَانَ أَيْدِي اللَّهِ
قَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ ، وَيَسِّرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا تَيْسَّرُ .

وزراؤه

اقتضى حَزْمُهُ إِغْفَالَ هَذَا الرَّسْمِ بُجْلَةً ، مَعَ ضَرُورَتِهِ فِي السِّيَاسَةِ . وَعَظْمُ
الدَّخُولِ ، حَذْرًا (٢) مِنْ انْبِعَاثِ الْمَكْرُوهِ لَهُ مِنْ قِبَلِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدَمٌ (٣) بِهَذَا اللَّقْبِ
فِي طَرِيقِ (٤) مُنْصَرَفِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ . وَإِيَّامًا مِنْ مُقَامِهِ بِرُنْدَةَ ، فَمُنْحَلَهُ عَنْ كُرْهِهِ ،
عَلَى بْنِ يَوْسُفَ بْنِ كُأَشَةَ ، مِنْ عِتَاقِ (٥) خِدْمَتِهِ وَخِدْمَاتِ أَبِيهِ . مُسْتَصْحَبًا إِيَّاهُ ،
مَسْدُولِ التَّجْمُلِ عَلَى بَاطِنِ نَفْرَةٍ ، مَخْتَوْمِ الْجُرْمِ ، عَلَى شَوْكِهِ ، فِي حَصْبِهِ فِي حَبْلِ
الْمَتَغَلَبِ ، وَإِقْرَاضِهِ السَّيْنَةَ مِنَ الْحَسَنَةِ ، وَالْمَنْزِلِ الْخَشِينِ ، إِلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ عَلَى
الْخِلَالِ الذَّمِيمَةِ ، تَرَأْسَهَا خَاصَّةُ الشُّومِ ، عَلَاوَةَ عَلَى كَمَلِ الشَّيْخِ الْغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ،
وَالطَّمَعِ فِي أَرْزَاقِ الدُّورِ (٦) ، وَالْإِسْتِرَابَةِ بِمُودَّةِ الْأَبِ ، وَضَيْقِ الْعَطَنِ (٧) ، وَقِصَرِ

(١) وردت في «الملكية» مقابل هذه الفقرة التي بين الخاصرتين ، فقرة أخرى لا تمت إليها
بأية صلة ، وذلك على النحو الآتي : (يصل فيها اليتيم والأرملة ، فيفرح الضعيف ، وينتظر حصول
الزمن ، يعتمد ويعاقب الوزعة في الأغلاط إلى أحسن الملكة في الأمر عن سعد . وكان ...
في ترك الحظ ، والتبري من سجية الانتقام ، والكلف بما تيسر من الله والعناية ، يوم السبت ...)

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : حوزا . والتصويب أرجح .

(٣) وردت في «ج» والملكية (قدمه) . وفي الزيتونة (قدمه) . والتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطتين : طريقه .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة : عقاق . والتصويب يستقيم السياق .

(٦) هكذا وردت في الزيتونة . وفي «ج» والملكية (الدر) .

(٧) وردت في المخطوطات الثلاثة : (الطن) . وهو تحريف .

الباب ، وعىّ الأسان ، ومشهور الجبن . ولما وقع القَبْضُ ، وساء الظن ، بعثه من رُندة إلى الباب المريني ليخلى منه جُندَه ، ويجسّ مرض الأيام . بعد أن نقل من الخُطّة كعبه ، فتيسر بعد مُنصرفه الأمر ، وتَسبّي الفتح . وحامد الجشعُ الفاضح ، والهوى المتبّع ، تلى التشطُّط لنفسه ، والسكّاحُ لخويصته بما أقطعه الجفوة ، وعسر عليه العودة على السلطان بولده ، إلى أن بلغ الخبرُ برجوع أمره . ودخول البلاد في طاعته . فالتقى ماتعّين إليه ، وأهوى به الطمعُ البالغُ في عرش الدولة ، ويرتاشُ في ريق انتقامها . وتحرك ورايةُ الإخفاق خافقةً على رأسه ، قُطِبَ مَخْلَصه ، وجُجوة عَوْدَه ، من شيخ تدور بين فَتْكهِ رَحَى جَعْبَعَة ، وتثور بين أضلاعهِ (١) حَيّة مكبدة . ويندَمَقُ (٢) فوق مساعيه غرابُ شومٍ وطيرة . وحدث حرفاؤه صَرَفاً من مداخلة سلطان قشتالة ، أيام هذه المجاورة ، فبلغ أمنيته من ضربٍ وعدٍ ، واقتناء عهدٍ ، واتخاذ مددٍ ، وترصيد دار قرارٍ ، موهاً نفسه البقاء والتعميرَ والتملّي ، وانفساح المدّة والأمرِ ، وقيادة الدَجَن (٣) عند تحوّل الموطنِ لِلْمَلَّة (٤) الكُفْرِ ، يَسْمَحُ (٥) لذلك . لنقصان عقله ، وقِلّة حَيَاةِهُ وضعف غَيْرَتِهِ . وطوى المراحل ، وقبض حُمَى تَزَلُّز (٦) لها فكاكهُ . أضلّها الحسرة . وانتراها (٧) الخبائث . وتلقاه بمالقة ، إيعازُ السلطان بالإقامة بها ، لما يتصل به من سوء تصرّيفه ، ثم أطلع شافع الحياء في استقامة وطنه طوق عتبه ، وصرفه إلى منزله ، ناظراً في علاج مرضه . ثم لما أفاق

(١) في «ج» أغلاطه . والتصويب من الملكية .

(٢) وردت في «ج» ويلحق . والتصويب من الملكية وهو أرجح .

(٣) الدجن من تدجن أى بقى بأرض الوطن بعد سقوطها في أيدي النصارى . والمدجنون

هم المسلمون الأندلسيون الذين كانوا يبقون في الأرض التي يفتتحها النصارى .

(٤) وردت في «ج» الملكة ، وفي «الملكية» ملكة . ونعتقد أنه تحريف . وبالتصويب

يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (ينجح) والأولى أرجح .

(٦) وردت في «ج» تولول . وفي «الملكية» تزلزلول . وهو تحريف .

(٧) وردت في المخطوطين : انترام . ونعتقد أن التصويب أرجح .

وقفه دون حده ، ولم يستد إليه شيئاً من أموره ، فشرع في ديدنه من الفساد عليه ، وتمرس سلطان قشتالة ، شاكياً إليه بثه ، وأضجر لسكنى باديته بالثغر ، فراب السلطان أمره ، وأهمه شأنه ، فتقبض عليه وعلى ولده ، وصرفاً في جملة من دائرة السوء من ثقلت^(١) وطأته ، فغربوا إلى تونس ، أوائل شهر رمضان من عام ثلاثة وستين . ثم لما قفل من الحج ، واستقر ببجاية يريد المغرب ، حن إلى جوار النصرانية ، التي ريم سلفه العبودية إليها ، فعبر البحر إلى برجلونه ، ينفذ عناء طريق الحج على الصلبان ، ويقفوا على آثار تقبيل الحجر الأسود ، تقبيل أيدي الكفار . ثم قصد باب المغرب رسولاً عن طاغية^(٢) برجلونه في سبيل فساد على المسلمين ، فلم ينجح فيه قصده ، فتقاعد لما خسر فيه ضمانه ، وصرف وكره إلى الاتصال بصاحب قشتالة ، وعن على كتب إليه بخطه ، يتفق عنده ويغريه المسلمين ، فتقبض عليه ، وسجن بفاس مع أرباب الجرائم . وعلى ذلك استقر حاله إلى اليوم ، وأبرأ إلى الله من التجاوز في أمره . ومن يضل الله فما له من هاد .

ولما وفدت على السلطان بولده ، وقرت عيني بلقايه ، نحت مداده وعزه ، وفوق أريكة ملكه ، وأذيت ما يجب من حقه ، عرضت عليه غرضي ، ونفقت له خزانة سرى ، وكاشفته ضميري بما عقدت مع الله عهدى ، وصرفت إلى التشريق^(٣) وجهي ، فعلقت بي لركومه علوق الكرامة ، ولاطفتي بما عاملت البر بين الدعر والضنائة ، ويضرب الأمام^(٤) [وخرج لي عن الضرورة ، وأراني أن مؤازرته أبر القرب ، ووا كنى إلى عهد بخذه ، فسح فيه لعامين أمد النواء ،

(١) وردت في «ج» والزيتونة ثقلة . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : طا - فقط . والتصويب ضروري لإستقامة السياق .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها السفر إلى المشرق لقضاء فريضة

الحج .

واقْتدى بِشُعَيْبِ صَلَواتِ اللهِ عَلَيْهِ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَى تِلْكَ النُّسْبَةِ ، وَأَشْهَدُ مِنْ حَضْرٍ مِنَ الْعِلْمِيَّةِ ، ثُمَّ رَمَى إِلَى بَعْدِ ذَلِكَ بِمُقَالِيدِ رَأْيِهِ ، وَحَكْمِ عَقْلِي فِي اخْتِيَارِ عَقْلِهِ ، وَغَطَى مِنْ جَفَائِي بِحُلْمِيهِ ، وَحَثَانِي وَجْوهَ شَهْواتِهِ تَرَابَ زَجْرِي ، وَوَقَفَ الْقَبُولَ عَلَى وَعْظِي ، وَصَرَفَ هَوَاهُ فِي التَّحْوِيلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي ، وَاعْتَرَفَ بِقَبُولِ نَصْحِي ، فَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ ، وَعَامَلَتْ وَجْهَهُ فِيهِ [(١)] . وَصَادَقَنِي مُقَارَضَةَ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ ، وَرَمَى إِلَى بَدُنِيَاهُ ، وَحَكَمَنِي فِيهَا مَا كُنْتُ يَدَاهُ ، وَغَلَبَنِي عَلَى أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . فَأَكَلُ الْمَقَامُ بِيَابَهُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ مُدَّةً أُجْرِي اللهُ فِيهَا ، مِنْ يَمِينِ النُّقِيْبَةِ ، وَأَطْرَادِ السُّدَادِ ، وَطَرْدِ (٢) الْهَوَى ، وَرَفْضِ الزُّورِ (٣) ، وَاسْتِشْعارِ الْجَدِّ ، وَنُصْحِ الدِّينِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَصَوْنِ الْجَبَايَةِ ، وَإِنْصَافِ الْمُرْتَزِقَةِ ، وَمُحَاوَلَةِ الْعَدُوِّ ، وَقَرَعِ الْأَسْمَاعِ بِلِسَانِ الصُّدُقِ ، وَإِيقَاطِ الْعَيْونِ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ ، وَقَدْحِ زِنَادِ الرَّجُولَةِ ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ ، يُعْضِدُ دَعْوَاهُ ، وَاللَّهُ الْمُنَّةُ ، سَجِيَّةُ السُّدَاجَةِ ، وَرَفْعُ التَّسْمِتِ (٤) ، وَتَكْوِيرِ الْمِنْسَاءِ ، وَتَقْوِيَةِ الْعَقَارِ فِي سَبِيلِ الْقُرْبَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الزُّبْرِجِ ، وَبَثِّ حِبَالِ الْأَمَالِ ، وَالتَّعْزِيزِ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيْمَةِ ، وَجَعْلِ الثَّوْبِ غَطَاءَ اللَّيْلِ ، وَمَقْعَدِ الْمَطَالَعَةِ فِرَاشِ النَّوْمِ ، وَالشُّغْلِ لِمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ ، لِرَيْمِ الْأَنْفَاسِ ، فَائِزِ هَذَا الْكِرْخِ (٥) ، وَأُثْبِجِ هَذَا الْمَسْعَى مِنْ أَمْرِ الدَّوْلَةِ ، بَلِغْتَ أَعْنَانَ (٦) ، وَأَثَارًا خَالِدَةً ، مَا بَقِيَتْ الْخَضْرَاءُ عَلَى الْغَبْرَاءِ ، وَأَخْبَارًا تُنْقَلُ وَتُرَوَّى ، إِنْ عَانَدَهَا الْحَامِدُ ، فَضَحَهُ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ ، وَكَأَثَرَهُ الْقَطْرُ الْمُنْتَالِ ، وَأَعْيَاهُ السَّبِيلُ الْمُتَدَفِّعُ :

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤١) ولم ترد في «ج» ولا في «الملكية» والزيتونة .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (أطراد) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الملكية» (الدور) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي الزيتونة (التسمية) .

(٥) هكذا وردت في الملكية والزيتونة ، وفي «ج» (الكرج) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

فما يختص من ذلك بالسلطان ، فخامة الرتبة ، ونباهة الألقاب ، وتجميلُ
الرياش ، وتربع^(١) الشريعة ، وارتفاعُ التشاجرِ ببابه . والمنافسةُ والاعتباطُ منه ،
بمجالس التنبيه والمذاكرة ، ویدارُ الدموع في حال الرقة . والإشادةُ باحتقار الدنيا
بين الخاصة ، وتعيينُ الصدقات في الأوقات العديدة . والقعودُ لمباشرة المظالم ستة
عشر يوماً في كل شهر من شهور الأهلّة ، يصلُ إليه فيها اليتيمُ والأرملّة ، فيفرحُ
الضعيف ، وينتظر حضور^(٢) الزمن ، ويتعمدُ هفوة الجاهل . ويتأثر لشكوى
المصاب ، ويعاقب الوزعة على الأغلاط . إلى إحسان^(٣) الملكة في الأسرى ،
والإغراب في باب الحلم . والإعياء في ترك الحظ . والتبرّي من سجيّة الانتقام ،
والسكف بارتباط الخيل ، واقتناء أنواع السلاح ، ومباشرة الجهاد ، والوقار
في الهيئات ، وإرسال سجيّة الإيمان ، وكسادِ سوقِ المكيدة ، والتصاممُ عن
السعي . هذا مع الشباب الغضّ ، والفاحم الجعد ، وتعدّد^(٤) حبائل الشيطان
في مسالك العُمر ، ومطاردة قانص اللذات في ظلّ السّلم . ومغازلة عيونِ الشبهوات
من ثنایا الملوك . وأيمُ الله الذي [به]^(٥) تُستخلص الحقوق ، وتيسر الشُور ،
وتُستوثق العهود [ولا]^(٥) تطامن القلوب إلا به ، ما كاذبته . ولا راضيتُ
في الهوادة طوله ، ولا ساحتته في تقيض هذه الخلال . ولقد كنتُ أعجبُ من
نفاق أسواق الذّكرى لديه ، وانتظام أقيسة النصح عنده ، وإيقاع نبات الرشد
فيه نصيحة ، وأقول بارك الله فيها من سجيّة ، وهنأ المسلمين بها من نفس زكّية .
وسياتى بيانُ هذه النتائج ، وتفسيرُ مجملِ هذه الفضائل بحول من لا حول إلا به .

- (١) وردت في «ج» (فسوبج) وفي الملكية (فهوبج) . و نعتقد أن السياق يستقيم بالتصويب .
(٢) وردت في «ج» (حصوا) وفي «الملكية» والزيتونة (حصو) وهو تحريف .
(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي الملكية (أحسن) . والأولى أرجح .
(٤) وردت في «ج» التعدد . والتصويب من الملكية والزيتونة .
(٥) ساقطة في المخطوطين ولازمة للسياق .

سبحانه . والحال متصلة على عهده الوثير من إعانتة بالوسوع (١) ، والخروج له عن هذه العهدة ، والنسليم له في البقية ، إرهافاً لسيف جهاده ، وجلالاً لمرآة نصحه ، ونسوية لميزان عدله ، وإهابة [لمحمد رُشده ، شدّ العُقدة ، عقدةً وغيره على حُرمة ماله وعِرْضه] (٢) ، ورعايةً للسان العلم المنبئ عن شأنه ، ونيابةً عنه في معقل مُلكه ، ومُستودع ماله وذخيرته ، ومحافظةً على سيره وعلايته (٣) لحرمة وولده ، وعُمراناً للجوانح بتفضيله وحبّه ، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه ، وأتمحضها من أجله ، ترفعه عن جِراية [وحل هلالها ، وإقطاع تنجّع قدرته ، أو فِصلة تعبثُ البنان بنشيرها ، وخُطّة تشد إليه على منشورها] (٤) . والله يُرجح ميزاني عنده ، ويحظى وسيلتي لديه ، ويمجرك مكافأة سعي في خواطر حجّه ، وينبئه لتبليغ أملي من حج بيت الله ، وزيارة رسول الله ، بمنه وكرمه ، فما على استحثاث الأجل من قرار ولا بعد الشيب من إعدار ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أولاده ،

كُلُّ له في هذا الوقت من الوالد أربعة : ثلاثهم ذكورٌ ، يوسف بكره ، وأواه يتلوه سعد ، ثم نصر ، غلّة رُوقة ، قد أفرغهم الله في قالب الكمال ، إذا وأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً ، فسَحَّ الله لهم أمد السعادة ، وجعل مساعيم جانحةً إلى حُسنِي (٥) العُقبِي ، سالكاً [بهم] (٦) سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

(١) هكذا في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» (بالوسع) .

(٢) هذه الفقرة واردة في «ج» و«الملكية» . وساقطة في الزيتونة .

(٣) وردت في «ج» وعناية . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٤) ما بين الجاصرتين ساقط في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» نعم . والمؤدى واحد .

(٦) ساقطة في «ج» . ووردت في «الملكية» والزيتونة ، على . وبالتصويب يستقيم السياق .

قضائته

قدم لأول قدمه . الفقيه القاضي . الحسين . الخبير ، أبا جعفر بن أحمد بن جزي . شاكراً بلاءه بمالقة . إذ كان قد ألقاه قاضياً بها للمتغلب ، فلم يأل جهداً في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها . والتحريض على امتيازهم . فاتخذ زلفاً لديه . فأجرى الأحكام . وتوخي السداد . ثم قدم إليها^(١) الفقيه القاضي الحسين ، أبا الحسن علي بن عبد الله بن الحسن . عين الأعيان ببلده مالقة . والمخصوص برسم التجلة . والقيام بوظيفة العقد والحل بها في الدولة الأولى . وأصالة البيت ، والانقطاع^(٢) إليه . ومصاحبة ركابه في طلب الملك^(٣) . ومُتسور المشاق من أجله . وأولى الناس باستدرار خلف دولته . فسدد وقارب . وحمل الكف . وأحسن فصاحة [الخطابة]^(٤) والخطبة . وأكرم المشيخة وأرضى . واستشعر النزاهة . ولم يقف في حُسن التأني عند غاية . واشتمل معها لفق الخطابة ، فأبرز وأعلم ، تسمياً وحفظاً وجمهورياً . فاتفق في ذلك على رجاحته^(٥) ، واستصحب^(٦) نظره على الأحباس . فلم يقف في النصيح عند غاية . أعانه الله .

كتابه

أسند الكتابة إلى الفقيه المدرك . المبرز في كثير من الخلال^(٧) . ملازمه

- (١) ساقطة في «ج» . وواردة في الملكية والزيتونة .
- (٢) وردت في «ج» والزيتونة (الإقطاع) . وبالتصويب يستقيم السياق .
- (٣) ساقطة في المخطوطين ، وإثباتها لازم السياق .
- (٤) هذه الزيادة من الزيتونة .
- (٥) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . وفي «ج» رجحانه . والأولى أنسب للسياق .
- (٦) هكذا في الملكية والزيتونة ووردت محرفة في «ج» . واستحب .
- (٧) وردت في «ج» الحلل . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

أَيْضاً فِي طَلَبِ الْمَلِكِ . [وَمَطَارِدَةٌ قَنْصُ الْحِظِّ]^(١) أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْرَكٍ ، وَيَأْتِي
التعريف بجمعهم .

شيخ غزاته

مُتَوَلَّى ذَلِكَ فِي الدَّوْلَةِ الْأُولَى ، الشَّيْخُ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ رَحُو بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، قَدَّمَهُ إِلَيْهَا مُعْتَبِراً بِإِيَّاهُ ، طَاوِيئاً بِسَاطِ الْعَدُوِّ بِالْجَمَلَةِ ،
قَدَّمَهَا بِابْنِهِ عُمَانَ [عَلِيٌّ]^(٢) الْخَاصَّةَ يَوْمَئِذٍ ، لِمَظَاهِرَتِهِ فِي الْوُجْهِةِ ، وَسَعِيهِ
فِي عَوْدَةِ الدَّوْلَةِ . وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالُ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ
أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَكَانَ الْقَبْضُ عَلَى بُجْمَتِهِمْ ، وَأَجَلِي^(٣) هَذَا الْبَيْتِ مِنْ
سُفْرَةِ السِّيَاسَةِ مَدَّةً . مَجْتَمِئاً فِيهِ بِنَظَرِهِ عَلَى رُؤْمِهِ فِي الْوَزَاةِ مِنْ قَبِيلِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ
إِلَيْهَا مَوْعُودَهُ بِهَا الْقَدِيمَ الْخِدْمَةَ ، وَسَالَفَ الْأُدْمَةَ ، لَمَّا لَجَأَ إِلَى وَادِي آشٍ مَفْلَتاً
مِنْ وَبَقَةِ^(٤) الْحَادِثَةِ . الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ مُوسَى بْنِ رَحُو بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ . حَلَفَ السَّدَادَ أَيَّامَهُ^(٥) ، وَالْمَقَارِبَةَ وَالْفَضْلَ وَالذَّمَامَةَ ،
الْمَخْصُوصَ عَلَى اخْتِصَارِ بَيْتِ الْمُنْقِيبَةِ ، وَاسْتَمَرَّتْ أَيَّامَهُ إِلَى نَقْبَةِ الْقَفُولِ عَنْ
غَزْوَةِ جَبَّانِ أَخْرِيَاتٍ مُحْرَمٍ مِنْ عَامِ تِسْعَةٍ وَسِتِينَ . وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ حَتْفَ أَنْفِهِ ،
فَاحْتَفَلَ لِمَوَارَاتِهِ ، وَإِقْرَابِهِ مِنْ تَأْبِيهِ ، وَاسْتِغْفَارِهِ . وَالاعْتِرَافِ بِصَدَقِ مَوَالَاتِهِ ،
وَتَفْجِيعِهِ لِفَقْدِهِ . وَمَا أَعْرَبَ بِهِ مِنْ وِفَاءِ نَجْدِهِ ، وَقَدَّمَ لَهَا عَهْداً طُرْفَ اخْتِيَارِهِ ،
الْأَمِينِ^(٦) ، الشَّهْمِ . الْبُهْمَةَ . خِذْنَ الشُّهْرَةَ ، وَالْمِشَارَ إِلَيْهِ بِالْبَسَالَةِ ، وَفَرَعَ الْمُلْكَ

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت مقابلها في «الملكية» (ومطارحة الحظ) وفي الزيتونة (ومطاردة الحظ) .

(٢) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . ويقتضها السياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة وأحلى . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في «ج» والملكية (وثبة) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) وردت في «ج» الأمير . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

والأصالة ، عبد الرحمن بن الأمير أبي الحسن علي بن السلطان أبي علي عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، إذ كان قد لحق به ، بعد ظهور أتيح^(١) له بوطنه من المغرب ، استقر مبايعاً بجملة سبجلماسة وما إليها ، وطن جدّه ، وميراث سلفه . ففسح له جانب قبوله ، وأحلّه من قرّبه محل^(٢) مثله ، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونحره . ثم استظهر به على هذا الأمر ، فأحسن الاختيار . وأعزّ الخطة . وهو القائم عليها لهذا العهد . وإلى الله أسباب توفيقه .

ظرفُ السلطان وحسن توقيعه

بَدَأَ في هذا الباب من تقدّمه ، وكثرة وقوعه . بحيث لا [يعدّ نادره] (٣) ، وقليلُ الشيء يدلُّ على كثيره . مرّ بي يوماً ومعي ولدُه . يروم اتخاذ حنق القرآن . فقلتُ له أيّدك الله . الأميرُ يريد كذا . ولا يدّ له من ذلك ، وأنا وكيله عليك في هذا ، فقال حسبنا الله ونعم الوكيل . ولا خفاء ببراءة هذا التوقيع . وغرابة مقاصده . ومجالسه على الأيام معمورة بهذا ومثله (٤) .

الملك على عهده

بالمغرب السلطان الجليل إبراهيم [بن السلطان] أبي الحسن ، بن السلطان أبي سعيد بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق . تولى ملك المغرب حسبما تقدم في اسمه (٥) ، وألقى إليه بالمقاليد ، واستوسقت له الطاعة ، وبحسب ما بثّ الله من

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : (أبيح) . والتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في «ج» و «الملكية» (بعد نادك) . وفي الزيتونة (يعددك) . والتصويب يستقيم المعنى

(٤) وردت في «ج» ولمثله . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (اسم أبيه) . وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، لأن

انقصود هنا هو الإشارة إلى اسم السلطان إبراهيم أبي سالم . وقد مرت ترجمته في المجلد الأول ص ٣٠٣ .

إشرباب^(١) الخلق إليه ، وتعطشهم إلى لقاية ، وورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه ، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال ، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته ، وولعاً باغتيابه وتربصاً لمكروه به ، إذ أخفقت فيه الآمال ، واستولت الأيدي من خُدَامه على مُلكه . وقبض الله لإبادة أمره ، وتغيّر حاله وهدّ ركنه ، الخائن الغادر نسمةُ السوء وقذار ناقةِ الملك ، وصاعقة الوطن [وحرّد السيد]^(٢) عمرُ بن عبد الله بن علي مؤتمنة^(٣) على البلد الجديد . دارِ ملكه ومستودع ماله وذخيرته ، فسدّ الباب دونه . وجهرَ بخلعانه . وفض في أتباع الناعق المشثوم سورَ ماله ، وأقام الدّعوة باسم أخيه أبي عمر ، ذى اللّوثة الميئوس من إفاقته ، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعمائه . وبادر السلطان أبو سالم البيعة من متحول سكنناه بقصر البلد القديم^(٤) ، وصابر الأمر عامة اليوم . ولما جنّ الليل ، فرّ لوجهة ، وأسلم وزراءه وخاصّته ، وقيدت خطاه الخيرية ، فأوى الى بعض البيوت ، وبه تلاحق متبوعه ، ف قيد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده ، وحزّ رأسه ، وأوتى به إلى الغادر . وكان ما بين انفصال السلطان عنه مؤدعاً إلى الأندلس بإعانتته ، ومطوق فضل تلقيه وقفوله وحسن كفالاته ، ثمانية أشهر ويوم واحد . واستمرت دعوة أخيه الممّوء به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعمائه ، واستدعى من باب قشتالة الأمير محمد أبو زيّان بن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن بن السلطان المعظم أبي الحسن . وقد استقر نازعاً إليه أيام عمه السلطان أبي سالم ، وقع عليه اختيارُ

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (أشر) وهو تحريف . والاشرباب هو الحبة والميل .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة والملكية . وفي «ج» (جرد السيد) .

(٣) وردت في «ج» ويتمنه . وهي املاء قديمة .

(٤) أي مدينة فاس القديمة أوفاس البالي حسبها تسمى . وذلك بعكس البلد الجديد ، وهو الضاحية الملوكية التي أنشأها بنو مرين بجوار فاس .

هذا الوزير الغادر ، أذ وافق شئ تغلبه طبق ضعفه . وأعمل الحيلة في استجلابه ، فوصل حسب غرضه ، وأجريت الأمور باسمه ، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه ، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوباً عليه ، ففرى بالشراب على فيه [وبين الصَّحْب] (١) إلى أن ساءت حاله ، وامتلات بالموجدة على الوزير نفسه ، فعاجله بحتفه ، وبأثر اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه ، وطرحه بحاله في بعض سواقى قصره ، مُتَبِعاً ببعض أواني خمره ، يومئذ بذلك قاتله ، ترديه سكرًا ، وهوى به طفوحًا . ووقف عليه بالعدول عند استخراجِه ، وندب النَّاس إلى مواراته ، وباع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن ، المنفرد به ، وخاطب الجهات بدعوته ، وهو صبي ظاهرُ النبل والإدراك ، مشهورُ الصَّوْن . وأعمل الحيلة لأول أمره ، على هذا الوزير مخيف أريكة مُدْك ، ومظنة البِدا في أمره ، فدوَّقَه الحمام [واستأصل مازراه] (٢) من مال وذخيرة . شكر الله على الدولة صنيعة وفي ذلك يقول :

لقد كان كالحجاج في فتكاته تحاذره البراء دوماً وتخشاه
تغداً به عبد العزيز مبادراً وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليه الحق وانصيره لا إله إلا هو . وهو اليوم ملك المغرب ، مزاحماً بابن أخيه ، السلطان أبي سالم ، المعقود البيعة بمرأ كش وما إليها ، جمع الله شتات الإسلام ، ورفع عن البلاد والعباد مضرَّة الفتنَة .

وبتلمسان السلطان أبو حمو موسى بن الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان . حسباً كان في الدولة الأولى ، متفقها (٣) منه على خلال الكرم [والحزم] (٤) . مضطماً بأمره (٥) والقيام على ما بيده .

(١) وردت في المخطوطين (وبين العصب) . وهي ساقطة في الزيتونة . ونعتقد أن المعنى يستقيم بهذا التصويب .

(٢) وردت في «ج» (واستأصل ما رناده) . وفي «الملكية» والزيتونة (واستأزر مازراه) . ولقد اخترنا الصحيح من العبارتين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . (٤) الزيادة من الزيتونة

(٥) وردت في «ج» (بدجا أمره) . والتصويب من «الملكية» والزيتونة .

وبتولس ، الأمير أبو سالم إبراهيم بن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص ، حسباً
تقدم ذكره .

ومن ملوك النصارى

فبمقتتالة سلطانها المتقدم المذكور في الدولة الأولى ، بطرؤه بن السلطان أهنشة بن
هراندة بن شامجه بن أهنشة بن هراندة ، متأكدة بينهما السلم الجملة ، والمهدنة
المبرمة ، بما سلف من مظاهرتة إياه ، والحرص على [ما استحقاقه]^(١) من المغرب
في أسطوله ، وبعثه إليه برأس عدوّه المتوثب على ملكه ، وروؤوس أشياعه ،
الظالمين الغدرة ، وأتباعه^(٢) الفجرة ، مستمرة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة وستين ،
صارفاً وجهه إلى محاربة صاحب برجلونة ، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة ،
وقلاء المنيعه ، لما أسلفه به من إجازته^(٣) أخيه أندريق المدعو بالقند^(٤) ،
ومظاهرتة حتى ساءت أحواله وأحوال عدوّه ، وأوهنت الحركات قوى جيشه ،
وأضعف الاحتشاد عمرة أرضه ، وأشرأبت القلوب إلى الانحراف عن دعوتة ،
ومالت النفوس إلى أخيه ، وقامت البلاد بدعوتة ، وتلاحقت الوجوه بجهته ، ورام
التمسك بإشيلية دار ملكه ، فثار أهلها به في عام سبعة وستين . فخرج طاراً
عنها...^(٥) به والسلاح يهش إليه ، وبعد أن استظهر بخويصته ، وأحمل ما قدر عليه
من ذخيرة ، ورفع من له من ولدٍ وحرمة ، رأى سحنة العين من انتهاب قصوره ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» بحرفة (هل
اسخاته) . وقد تعنى هنا ما وعده به من إجازته في أسطوله .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» والزيتونة . ووردت في «ج» (أشياعه) مرة أخرى .

(٣) هكذا في «ج» . وفي الملكية والزيتونة (إجازة) .

(٤) الإشارة هنا إلى الكونت هنرى دى ترانسمارا أخى بيدرو غير الشرعى ، ومنافسه
في انتزاع العرش . وقد استجار بملك فرنسا فحشد له جيشاً من المرتزقة وحارب أخاه بيدرو
وانتصر عليه (سنة ١٣٦٦) .

(٥) هنا بياض في المخطوطات الثلاثة .

وَتَشْمِثُ مَنْزَلَهُ ، وَعِيَاثُ الْأَيْدِي فِي خَزَائِنِهِ ، وَأَسْمَعَهُ النَّاسُ مِنْ مَحْضِ التَّائِيْبِ (١) وَأَعْرَاضُ الشَّمَاتِ ، مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَلَا ذِ بِصَاحِبِ بُرْتَقَالِ ، فَنَأَى عَنْهُ جَانِبَهُ لِمَا يَجْنِيهِ أَبْوَاهُ مِنْ مَخَالَفَةِ رَأْيِ الْأُمَّةِ فِيهِ ، فَقَصَدَ بِلَادَ غَلِيْسِيَّةِ ، وَتَلَاحَقَ أَخُوهُ أَنْدَرِيْقَ بِمَحْضَرَةِ إِشْبِيلِيَّةِ ، فَاسْتَوَى عَلَى الْمَلِكِ وَطَاعَتِ لِأَمْرِهِ الْبِلَادِ ، وَعَاجَلَهُ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ أَمْرِهِ ، فَاسْتَوْلُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الثُّغُورِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَمَا تَوَسَّدَ لَهُ الْأَمْرَ تَحْوِيلَ لِاسْتِئْصَالِ شَافَةِ الْمَخْلُوعِ . فَاجْلَى عَنْ غَلِيْسِيَّةِ فِي الْبَحْرِ ، وَاسْتَقَرَّ بِيْلِدَ بِيُونَةَ (٢) . مِمَّا وَرَاءَ دُرُوبِ قَشْتَالَةَ ، وَانْتَبَذَ عَنْ الْخِطَّةِ الْقَشْتَالِيَّةِ وَأَمَرَ نَفْسَهُ ، وَجَأَ إِلَى ابْنِ صَاحِبِ الْأَنْتَكِيْرَةِ (٣) ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِبِرَقْسِيْنِ أَبِي الْأَمِيرِ ، وَبَيْنَ أَوَّلِ أَرْضِهِ وَبَيْنَ قَشْتَالَةَ : ثَمَانِيَّةُ أَيَّامٍ . فَقَبِلَهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ ، السَّاكِنِ بِأَوَّلِ مَا تَلْقَاهُ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَسَفَّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ . فَأَنْكَرَ الْأَبُ اسْتِئْذَانَهُ إِيَّاهُ ، وَالْمَرَاجِعَةَ فِي نَصْرِهِ ، حَمِيَّةً لَهُ ؛ وَامْتَعَاضًا لِلْوَاقِعِ . وَحَالُ هَذِهِ الْأُمَّةِ غَرِيْبَةٌ فِي الْحَمَايَةِ الْمَمْرُوجَةِ بِالْوَفَاءِ وَالرَّقَّةِ . وَالِاسْتِهَانَةَ بِالنَّفُوسِ فِي سَبِيلِ الْحَمْدِ ، وَبَيْنَ يَدِي الْعَشَائِقِ ، عَادَةُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ . وَأَخْبَارُهُمْ فِي الْقِتَالِ غَرِيْبَةٌ ، مِنْ الْإِسْتِرْجَالِ وَالزَّحْفِ عَلَى الْأَقْدَامِ ، أَمِيرُهُمْ وَمَأْمُورُهُمْ ، وَالْجُئُورُ فِي الْأَرْضِ ، أَوْ دَفْنِ بَعْضِ الْأَرْضِ فِي الثُّرَابِ . وَالِاسْتِظْهَارِ فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ بِيَعْضِ الْأَلْحَانِ الْمُهَيَّبَةِ ، وَرِمَاتِهِمْ

(١) وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ (التَّائِيْبِ) ، وَحِكْمَةُ التَّصْوِيْبِ وَاضِحَةٌ .

(٢) بِيُونَةُ Bayonne ، هِيَ ثَغْرٌ وَوَلَايَةٌ غَسْقُونِيَّةٌ الْفَرَنْسِيَّةُ الْوَاقِعُ فِي زَاوِيَةِ خَلِيْجِ بَسْكَوْنِيَّةِ بَيْنَ حُدُودِ فَرَنْسَا وَإِسْبَانِيَا . وَالِإِشَارَةُ هُنَا إِلَى هَذَا الْقِسْمِ مِنْ جَنُوبِ فَرَنْسَا الَّذِي يُشْمَلُ وَوَلَايَتِي أَكُوتِيْنِ وَجُويِيْنِ .

(٣) صَاحِبُ الْأَنْتَكِيْرَةِ أَيُّ مَلِكِ أَنْجَلْتَرَا ، وَهُوَ يَوْمُنَا الْمَلِكُ إِدْوَارْدُ الثَّلَاثِ . وَابْنُهُ وَوَلِيُّ الْعَهْدِ ، وَاسْمُهُ أَيْضًا إِدْوَارْدُ (الْأَمِيرُ الْأَسْوَدُ) . وَقَدْ كَانَ يُحْكَمُ بِاسْمِهِ وَوَلَايَتِي أَكُوتِيْنِ وَجُويِيْنِ ، اللَّذِيْنِ انْتَزَعَهُمَا أَبُوهُ مِنْ مَلِكِ فَرَنْسَا . عَلَى أَثَرِ هَزِيْمَتِهِ إِيَّاهُ فِي مَوْقِعَةِ يُوَاتِيْبِهِ (سَنَةِ ١٣٥٥) وَذَلِكَ ثَمَنًا لِتَنَازُلِهِ عَنْ دَعْوَاهُ فِي عَرْشِ فَرَنْسَا (بَطْرِيْقِ الْمِيْرَاثِ عَنْ أُمِّهِ الْفَرَنْسِيَّةِ) .

قِسْمُهُمْ غَرِيبَةٌ جَافِيَةٌ ، وَكُلُّهُمْ [فِي] (١) دَرُوعٌ ، وَالْإِحْجَامُ عِنْدَهُمْ ، وَالتَّقَرُّرُ
مَقْدَارُ الشُّبْرِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ . وَعَارٌ شَدِيدٌ ، وَرِمَاهُمْ يَنْبُتُونَ لِلخَيْلِ فِي الدَّارِ أَدَا . وَحَالُهُمْ
فِي بَابِ التَّحْلِىُّ بِالْجَوَاهِرِ ، وَكَثْرَةُ آلَاتِ الْفِضَّةِ ، غَرِيبٌ . وَبَعْدَ انْقِضَاءِ سَبْعَةِ
عَشْرٍ يَوْمًا كَانَ رَجُوعُهُ وَرَجُوعُ الْبَرَنْسِ (٢) الْمَذْكُورِ مَعَهُ مُصَاحِبًا بِأَمْرَاءِ كَثِيرِينَ
مِنْ خُتْرَانِهِ (٣) وَقَرَابَتِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَفُوهُ مَالًا كَثِيرًا ، وَاخْتَصَّ مِنْهُ
صَاحِبُ الْأَنْتَكِيرَةِ ، بِمِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ إِلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
وَارْتَهَنُوا فِيهِ وِلْدَهُ وَذَخِيرَتَهُ . وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَيْشِهِ بِحَسَبِ دِينَارٍ وَاحِدٍ
مِنَ الذَّهَبِ لِلْفَارِسِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَكَانَ تَأْلِيفُ الْجِيُوشِ فِي بَنْبِلُونَةَ فِي أَرْبَعِينَ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَعَسُرَ عَلَيْهِمُ الْمَجَازُ عَلَى فَحْصِ أَحْدُونِيهِ ، لِبِلَادِ تُمْسِكِ لَطَاعَةِ الْقُنْدِ
أَخِيهِ (٤) ، فَصَالِحُ الْقَوْمِ صَاحِبُ نَبَارَةَ (٥) عَلَى الْإِفْرَاجِ لَمْ ، وَنَزَلَتْ الْمَحَلَّاتُ فِي فَحْصِ
نَبَارَةَ ، مَا بَيْنَ حُدُودِ أَرْضِ نَبَارَةَ وَقَشْتَالَةَ ، وَنَزَلَ الْمُتَصَيِّرُ إِلَيْهِ أَمْرٌ قَشْتَالَةَ ،
الْقُنْدُ بِأَزَايِمِهَا فِي جُمُوعٍ لَمْ تَنْتَظِمْ لِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَشَهَامَتِهِ وَاغْتِرَارِهِ . أَجَازَ خَنْدَقًا كَانَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَبَرَ جِسْرًا نَشِبَ فِيهِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ . وَكَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ
السَّبْتِ سَادِسَ إِبْرَيْلِ الْعَجْمِيِّ ، وَبِمُوَافَقَةِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَسْتِينَ . وَكَانَ هَذَا
الْجَمْعُ الْإِفْرَنْجِيُّ الْآتِي مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ (٦) فِي صَفُوفِ ثَلَاثَةِ ، مَرْتَبَةِ بَعْضِهَا

(١) وَارِدَةٌ فِي «الْمَلِكِيَّةِ» وَالزَيْتُونَةَ . وَسَاقِطَةٌ فِي «ج» .

(٢) نَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَقْصِدُ هُنَا بِكَلِمَةِ (الْبَرَنْسِ) - وَسَوْفَ تَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى - الْأَمِيرَ إِدْوَارِدَ

وَلِيَّ الْعَهْدِ

(٣) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْمَخْطُوطَاتِ الثَّلَاثَةِ . وَمَعْنَاهَا مَخَادِعِيهِ أَوْ الْأَمْرَاءَ الَّذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِنَصْرَتِهِ .

(٤) يَقْصِدُ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى الْكُونْتِ هَنْرِي دِي تْرَاسْتَارَا أَخِي الْمَلِكِ بِيدِرُو .

(٥) نَبَارَةَ - وَفِي الْإِسْتِمَالِ الشَّائِعِ نَبْرَه - هِيَ مَمْلَكَةُ Navarra أَوْ بِلَادِ الْبَشْكَنْسِ الْوَاقِعَةُ

غَرْبِيَّ جِبَالِ الْبَرْنِيهِ ، وَجَنُوبَ شَرْقِيِّ خَلِيجِ بَسْكَونِيَّةِ ، وَعَاصِمَتُهَا مَدِينَةُ بَنْبِلُونَةَ .

(٦) الْأَرْضُ الْكَبِيرَةُ تَعْنِي فِي الْجُغْرَافِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فَرَنْسَا . وَيَعْرِفُ جَنُوبَ فَرَنْسَا

كَذَلِكَ بِغَالِيَسِ La Gaule .

خلف بعض ، ليس فيهم فارس واحد ، إنما هم رجالة ، سواء^(١) أميرهم ومأمورهم .
 في أيديهم هصى^(٢) جافية في غلظ المعاصم . يشرعونها أمامهم ، بعد إثبات
 زجاجها^(٣) فيما خلفهم من الأرض ، يستقبلون منها وجوه عدوهم ، ونحور خيله ،
 ويجعلونها دعائم وتكآت لبناء مصافهم ، فلم تقلقهم^(٤) المحلات . وبين أيديهم
 من الرماة الناشبة الدارعة ، مالا يخصصهم إلا الله عز وجل . وسائرهم السلطان .
 مستدعى نصرهم راجلاً أميلاً برأيهم : إلى أن أعيأ بعد ميلين منها فارس كبوه بغلة
 تحلوه بينهم عليها ، إلى موقف اللقاء والقند^(٥) . وكان على مقدمة القوم الدك^(٦) أخو
 البرنس ، والبرنس^(٧) مع السلطان مستجيره في القلب ، والقند المعروف بقندار
 مانيان ، وكثير من الأمراء ، رداً وسيفه دونهم ، ومن خلف الجميع الخيل
 يجنبها مساستهم وغلماهم وخدامهم ، ووراءها دواب الظهر وأبقالهم ، وفي أثناء هذه
 العبية من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره . وكان
 في مقدمة القند المستائر بملك قشتالة ، أخوه شائجه في رجل قشتالة ، قد ملأ السهل
 والجبل ، ومن خلفهم أولو الخيل الجافية القبيلية ، المسبغة الدروع ، من رأس إلى
 حافر ، في نحو ألف وخمسمائة ، وفي القلب أخوه الآخر دنطية^(٨) في جمهور الزعماء
 والفرسان والدوق ، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم ، ومن ورائهم السلطان
 أندرتق^(٩) في ليف من الناس . ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماة الفرنج ، ثقة

(١) وردت في «ج» سوى ، والتصويب أرجح .

(٢) وردت في المخطوطين (عصا) وهو تحريف .

(٣) ومفردها (الزج) وهو عبارة عن الحديد المثبتة أسفل الرمح .

(٤) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . وفي «ج» (تقلقهم) والأولى أرجح .

(٥) أي الكونت هنري دي ترستارا السالف الذكر .

(٦) يقصد هنا أن يشير إلى أخى ولي العهد إدوارد ، دوق لانكستر Duke of Lancaster

وكان من قواد الحملة المذكورة .

(٧) وردت في «ج» والزيتونة (والبرقي) . وهو تحريف .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (أخوه دنطية) .

(٩) هو كما تقدم الكونت هنري دي ترستارا .

بدرُوعهم، فَعُظْمُ أُنْرَمٍ فِيمَنْ يَأْزَايِهِمْ مِنْ رِمَاةِ عَدُوِّهِمْ وَرِجَالِهِمْ، [لِكُونِهِمْ كَشْفَاءُ، فَكَشَفُوا إِيَّاهُمْ]^(١). وَحَمَلَتْ خَيْلُ قَشْتَالَةَ الدَّارِعَةِ، فَزَحَزَحَتْ كَرَّ المِصَافِ الإِفْرَنْجِيِّ، وَاتَّصَلَ الحَرْبُ بِالبَرَنْسِ، وَهُوَ مِطَالٌ عَلَيْهِمْ فِي رَبُوعَةٍ. فَصَاحَ بِهِمْ بِمِثْثِ أَسْمَعٍ، وَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ التَّرَابِ فَاسْتَفَعَهُ، وَكَسَرَ ثَلَاثَ عِصِيٍّ^(٢)، وَفَعَلَ مِنْ مَعَهُ [مِثْلُ]^(٣) فَعَلِهِ، وَهِيَ عَادَتُهُمْ عِنْدَ الغَضَبِ. وَعَلَامَةُ الإِقْدَامِ الَّتِي لَا نَكُوصَ بَعْدَهُ. وَوَجَّهَ إِلَى أُخِيهِ فِي المَقْدِمَةِ. يَقُولُ لَهُ. إِنْ وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ ضَعْفًا. فَاذْكُرْ أَنَّكَ وَلَدٌ صَاحِبِ الأَنْتِكَيرَةِ. وَحَمَلَ الكُلَّ حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَلَمْ تَجِدِ الخَيْلُ الدَّارِعَةَ سَبِيلًا. وَقَامَتْ فِي نَحْوِهَا تِلْكَ الأُسْنَةُ، فَوَلَوْا مِنْهَزِمِينَ. وَلَمَّا رَأَى القُنْدُ هَزِيمَةَ أُخِيهِ. تَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ^(٤) بِمَنْ مَعَهُ مِنْ مَدَدِ الأُمَّةِ الرَّغُونِيَّةِ^(٥). وَهُوَ يَنَادِي. يَا أَهْلَ قَشْتَالَةَ. يَا مَوَالِي. إِيَّاكُمْ وَالْعَارَ. هَآنَذَا. فَلَمْ يَثْبُتْ أَمْرُهُ^(٦). وَتَرَاجَعَ فُلَّهُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ فَرَّ فِي أَرْبَعَةٍ مِنْ أَوْلَى ثِقَّتِهِ. وَاسْتَوْلَى القَتْلُ وَالأَسْرُ عَلَى خَاصَّتِهِ. وَتَرَدَّى المَنْهَزِمُونَ فِي الوَادِي خَلْفَهُمْ. فَكَانَ [ذَلِكَ]^(٧) أَعْوَنَ الأَسْبَابِ عَلَى هَلْكَتِهِمْ، فَأَنَافَ عَدَدٌ مِنْ هَلْكَتِهِ فِي هَذِهِ الوَقِيعَةِ، حَسْبًا اشْتَهَرَ، خَمْسِينَ أَلْفًا. وَامْتَلَأَتْ أَيْدِي هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الأَسْلِحَةِ وَالأَمْوَالِ وَالأَمْتَعَةِ وَالأَسْرَى الدِّينِ يُفَادُونَهِمْ [بِمَالٍ عَظِيمٍ]^(٨)، وَاتَّصَلَ القُنْدُ المَنْهَزِمَ بِأَرْضِ رَغُونِ^(٩).

(١) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (لكونهم كشفاء فكشفوا). وفي الزيتونة (لكونهم كتناف فكشفوا إياهم).

(٢) وردت في المخطوطين: عصاة - عصات. والتصويب أفضل.

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة.

(٤) وردت في المخطوطات (في نفسه). والتصويب أنسب للسياق.

(٥) هكذا في «الملكية» والزيتونة. وفي «ج» (هذه) وهو تحريف.

(٦) أي الأمة الأرجونية.

(٧) وردت بعدها في المخطوطين كلمة (ولا) ووجودها هنا سهو لا يستقيم معه السياق.

(٨) أثبتنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٩) هكذا وردت هذه العبارة في «الملكية». ومكانها في «ج» (العظيمة) وهو تحريف.

(١٠) رغون هي مملكة أراجون.

ثم نَجَمَ من البلاد الفرنسية . ودخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفاً بحميد^(١) سعيهم ، وعزیز نصرهم . وقد رابه استيلاؤهم ، وأوجسه تغلبهم . [وساءه في الأرض الرّعادة عيانهم]^(٢) فاستأذنتهم في اللّحوق بقواعد أرضه . وقبض الأموال التي تجب^(٣) منها نفقاتهم . وقبض منها ديونهم قبّله . وحثّ الشير . فوصل طليطلة . لا يصدق بالنجاة . وخاطب السلطان المترجم به . وقد روده^(٤) . وحذره سورة هذه الأمة . التي فاض بحرّها وأعيا أمرها . وأنهى إليه شرّها ، وشره إلى استيصال المسلمين . وحدّ له مواعيدّها التي جعلت لذلك . ووصل إشبيلية ، وانثالت البلاد عليه . وعادت الإيالة إلى حكمه . ثم شرع في جعل الضرايب . وفرض الأموال ، وأخاف الناس [بالطلب والتبعات]^(٥) فعاد نفورهم عنه جرّعاً . وامتنعوا من الغرم ، وطرّدوا^(٦) العيال . وأحسّ بالشّر ، فتحصّن بإشبيلية ، وجهاتها على نفسه ، وطال على الأمة الواصلة في [سبيل]^(٧) نصره الأمر . فرجعت إلى بلادها ، ووقيت نفرة الفرسان ، وأولى الأتباع . وأظهروا الخلاف ، وكشفت جيان وجهها في خلعاته ، والرّجوع إلى دعوة أخيه المتصرّف . فتحرّك إليها السلطان المترجم به ، بعد أن احتشد المسلمين ، فكان من دخولها عنوة ، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها ، ما هو المذكور في موضعه . ثم ألقت بها مدينة

(١) وردت في «ج» والزيتونة (بمحمد) . والتصويب أرجح .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الملكية والزيتونة .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» يجرى . والأولى أنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الملكية (وقرر رده) وفي «ج» (و قرر رده) والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» والزيتونة (والطلب بالتبعات) والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا في «ج» والزيتونة . وفي «الملكية» و طرحوا . والأولى أرجح .

(٧) هذه الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

أبْدَةٌ ، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله . وخالفت عليه قرطبة ، واستقر بها من الكيبارُ جُملة ، كاتبوا أخاه ، واستعجلوا ، فتمرّف في هذه الأيام ، أنه قد بلغ أرض بُرغش ، ونازُ الفتنة بينهم ، ويدُ الإسلام لهذا العهد ، والمنية^(١) لله ، وحده غالبة^(٢) .

وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرُّومية ، لغرابة تاريخها ، وليُسْتَشعر الحذرُ ، ويؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها ، والله ولي نصر المؤمنين بفضله^(٣) .
وبأرض رَغُون سلطانيها الكابن على الدولة الأولى .

بعض مناقب الدولة لهذا العهد

وأولا ما يَرْجِع إلى مناقب الحِلْمِ والكَطْمِ من مآزق^(٤) الجهاد الأكبر ، وهو جهادُ النفس .

فمن ذلك أن السلطان لما جَرَت الحادثة ، وَعَظَه^(٥) التمحيص ، وأجأ إلى وادي آش لا يملك إلا نفسه في خبر طويل ، بادر إلى مخاطبة ثقته بقصبة ألمرية ، قلعة الملك ، ومَظَنَّة الامتناع ، ومِهَاد السَّلامة ، ومَخْزَن الجباية والعُدَّة ، وقد أصبح محلُّ استقراره ، بينها ، وبين المنتزى سداً ، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرعُ منها حُكماً يناشده الله في رَمَقه ، ويتملقه في رَعَى ذِمَّته ، والوفاء له ، وإبراء غُرْبته ،

(١) كذا في «ج» والملكية ، وفي الزيتونة (واهيبة) .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» عالية . والأولى أنسب للمعنى .

(٣) يبدى ابن الخطيب في سرد حوادث الحرب الأهلية في قشتالة ، وما تخللها من تدخل ملك فرنسا ، ثم ولي عهد إنجلترا أوصاحب إمارة أكويتين وجوين لهذا العهد ، كل إلى جانب فريق من الفريقين المتحاربين - يبدى في ذلك كله دقة واضحة ، وحسن معرفة بأطوار المارك المختلفة ونتائجها ، وكذلك بالأوضاع الجغرافية لاسبانيا وفرنسا في ذلك العصر .

(٤) راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - الطبعة الثالثة - ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٥) هكذا في المخطوطين . وفي الزيتونة (مداق) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الملكية (وعظمه) .

وتمسكك من أمانته ، فردّ عليه أسوأ الرد . وسجن رسوله في المُطَبَّق ، وخرج منها لعدوّه (١) ، وناصح بعد في البني عليه . فلما ردّ الله الأمر ، وجبر الحق ، أعتب وأجرى عليه الرّزق . ولما ثار في الدولة الثانية الدليل البركي (٢) ، هاتفاً بالدعوة لبعض القرابة ، وأكذبه الله ، وعتقه الشيطان بعد نشر راية الخلاف ، وجعل للدولة ، علو اليد ، وحسن العاقبة . وتمكّن من المذكور ، أبقى عليه ، وغلب حكم المصلحة العامة في استحيائه ، وهو من مغرّبات الحلم المبني على أساس الدين ، وابتغاء وجه الله .

ولما أجلي عن الترشيح من القرابة ، بعد تقرب (٣) التهمة ، ونمّس الأيدي في المعصية ، صُرفوا إلى المغرب صرف العافية ، وأجرى على من تخفّوه عوايد الأرزاق ، ومرافق المواسم ، ووعد (٤) ضعفاءهم بالإرقاد ، وتجوّفى عما يرجع للجميع من عتّ وورباع ، وأستعت (٥) آمالمهم في لحاق [ذويهم] (٦) من أهل وولد . ومما يرجع إلى عوايد الرّفق ، ومرافق العدل من مازق (٧) في جهاد النفس ، وقوف وكيل الدولة ، مع من يجاور مُستخلص السلطان (٨) من العامرين (٩) ومما ولى الفلاحة ، وقد ادعوا أضراراً ، يجرّه الحوار بين يدي القاضي بالحضرة ، حتى بعد منقطع الحق على ما يخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف . ولا كقضية التاجر المعروف بالحاج اللباس ، من أهل مدينة وادي آش ،

(١) هكذا وردت في الملكية والزيتونة . ووردت مكها في «ج» (لدرى لعدوه) .

(٢) سوف نشير إليه في حاشية قادمة .

(٣) هكذا في «الملكية» . والزيتونة . وفي «ج» قرب .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (توعد) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (واستعت) وهو تحريف .

(٦) هذه الكلمة لم ترد في المخطوطين . وقد أثبتناها لاستقامة المعنى .

(٧) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٨) مستخلص السلطان هو كما سبق شرحه الأماك السلطانية الخاصة .

(٩) العامرين أى الذين يعمرون الأرض ويفلحونها .

وقد [تحصلت في] (١) داره ، من قِبَل التاجر المذكور جاريةً من بنات الروم ، في سبيل تفويت الذم ، ومُسْتَهْلِك المتولات (٢) ، وترقت إلى تربية ولدّه ، وأصبحت بعض الأظار لأمرائه واتصل بها كَفَه ، وزاد هيامه ، وغرّى مدافن (٣) الصالحين من أجلها ، وأتتهت إليه خبره وبثّه . وقررت عنده شجوه ، وألمت بما يُنقل في هذا الباب عن الملوك قبّاه ، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه ، وانتزاعها من أيدي الغبطة ، وانتزاع القهر . بحاله في جميل الزى ، فمكنت منها يدُ عاشقها الذاهل ، وقد خفت (٤) نفسه ، وسكن حسّه . وكاد لقاؤه إياها أن يقضى عليه . ونظائر هذا الباب متعددة .

ومن مواقف الصّدق والإحسان من خارق جهاد النفس . بناءً المارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القُصوى . ومزية المدينة الفضلى . لم يهتد إليه غيره [من] (٥) الفتح الأول . مع توفر الضرورة ، وظهور الحاجة ، فأغرى به همّة الدّين . ونفسُ التقوى ، فأبرزه موقفُ الأخدان (٦) . ورحلة الأندلس . وفذلكة (٧) الحسنات ، فخامة بيّت ، وتعدّد مساكن ، ورحب ساحة ، ودرور مياه ، وصحة هواء ، وتعدّد خزائن ومتوضّات . وانطلاق جراية وحسن ترتيب ، أبرّ على مارستان مصر (٨) ، بالسّاحة العريضة ، والأهوية الطيبة ، وتدقّ المياه

(١) ورد مكانها في المخطوطات الثلاثة (تخلصت من) وهو تحريف . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٣) وردت في «ج» مدفن . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» والزيتونة (خافت) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الملكية» والزيتونة .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٨) يلوح لنا أن ابن الخطيب يشير هنا إلى المارستان المنصوري الكبير ، الذي أنشاه

السلطان المنصور بن قلاوون سنة (٦٨٣ هـ) بميدان بين القصرين بالقاهرة ، وهو أقرب المارستانات القاهرية عهداً بمصر ابن الخطيب .

من فورات الرمل ، وأُسُود الصخر ، وتموُّج البحر . وانسداد الأشجار . إلى موافقته إياي ، وتسويغه ما اخترعته^(١) بإذنه . وأجريتته^(٢) بطيب نفسه ، من اتخاذ المدرسة والزاوية . وتعيين التربة . مُغيراً | في ذلك كله |^(٣) على مقاصد الملوك ، نقشاً عليه ، بطيب اسمه في المزيد . وتخليد في الجُدُرات للذِّكر^(٤) ، وصوناً للمدافن غير المعتادة ، في قلب بلده بالمقاصر والأصوثة ، وترتيل التلاوة . آناء الليل ، [وأطراف]^(٥) النهار . وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدقاته ، وعلوِّ همته . ويشهد بما ينبه الحسَّ إلى المنقبة العظمى . في هذا الباب ، من إمداد جبل الفتح ، مع كونه في إيالة غيره ، وخارج عن مُلكة حُكمه ، وما كان من إعادته ، وسدِّ ثغره ، فانهار إليه على خطر السرى ، والظهر البعيد المسمى ، ما ملأ الأهواء ، وقطع طمع العُداة ، أنفقت عليه الأموال ، ما إن مفاطمه لتنوء بالعُصبة أولى القوة . بُوَدِرَ بذلك . بين يدي التفاؤل ، بتزول العدو وإياه . فكان الكرى^(٦) على إيصال الطعام إليه ، بحساب درهم واحد وربيع درهم للرَّطل من الطعام . منفعة فذة ، وحسنة كبرى ، وبدعاً من بدع الفتوى .

وفي موقف الاستعداد لعدوِّ الإسلام ، من خارق جهاد النفس ، اطلاق البنى^(٧) ، للمدة القريبة ، والزمان الضيق ، باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو ، والمشاركة الحدود ، مع أراضيه ، المترامية النيران تقرب جوابه . منها ثغر

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة : اخترعه ، والماضى هنا أنسب للسياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة : وأجرات . وقد لزم التصويب لاستقامة السياق .

(٣) هذه الزيادة واردة في «الملكية» والزيتونة .

(٤) وردت في «ج» الذكر ، فلزم التصويب .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «ج» وواردة في «الملكية» والزيتونة .

(٦) الكرى هنا يقصد بها الكراء أو الأجر .

(٧) البنى هنا جمع بناء .

أرجدونة^(١) ، المستولى عليه الخراب . أنفق في تجديد قصبته . واتخاذ جبهه . ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب ، وفي اليوم شجى العدو ، ومعتصم المساهين . وحصن أشر ، وما كان من تحصين جبهه بالأسوار والأبراج . على بعد أقطاره . واتخاذ جباب الماء به . واحتفار السانية^(٢) الهايلة برأضه . ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله . والعناية بالإسلام . ثم ختم ذلك بتديد حصن الحمراء . رأس الحضرة ، ومعتل الإسلام . ومفزع الملك . ومعتد^(٣) الأيدي . وصوان المال والذخيرة . بعد أن صار قاعاً صفضاً . وخراباً بقلعاً . فهو اليوم عروس يملئ المهضب . ويفازل الشهب ، سكن لمكانه الإرجاف . وذوت نجوم الأطماع . ونقل إليه مال الجبايه . المتفضل لهذا العهد . بحسب التدبير . ونقد الخراج . وصور الألقاب . وقمع الخزانة بما لم يتقدم به عهد . من ثمانين سنة . والحمد لله . وتجدد أساطيل الإسلام ، وإزاحة علل جيوش المريج . وعساكر البحر . فهي لهذا العهد ، مكس الأديم . شارع الشبا ، منقضة جفاتها إلى مساواة الأعداء . رابكة ظهور المحاسن . قلقة الموافق ، قدماً إلى الجهاد ، قد تعدد إنجازها ، وجاست البحر سوابجها . وتعرفت بركتها والحمد لله ، وأنصاب جيش الجهاد ، استغرق الشهور المستقبلية . لرود^(٤) الصفراء والبيضاء الأهلة إلى أكف أهلها ، على الدوام . بعد أن كانت يتحيفها المطل ، وينقصها المطال ، والحمد لله .

وفي^(٥) مواقف الجهاد الحسى . وبيع النفوس من الله . وهو ثمرة الجهاد الأول ،

(١) أرشدونة وأرجدونة Archlidona . هي بلدة حصينة تقع شمال مالقة على مقربة من

حدود قشتالة في هذا العصر .

(٢) السانية هي الكلمة الأندلسية لآلة الرى المعروفة بالساقية .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة هنا (معقل) مرة أخرى . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» والزيتونة (لدور) .

(٥) هنا يبدأ الجزء الثاني من كتاب «الإحاطة» بمخطوطة جامع الزيتونة بتونس . وسوف

نوالى المراجعة عليه إلى جانب مخطوطي جاينجوس والخزانة الملكية . وسوف نرمر له بكلمة (الزيتونة) .

ما لا يحتاج عليه إلى دليل . من الجوف^(١) إلى حصن أشر . قبل الثغر . والجراحُ
المطلُّ على الإسلام ، والعزم على افتتاحه . وقد غاب الناس من مساورته . وأُعِي
عليهم فتحه . فلزمه السلطان بنفسه . بياض يوم القيظ . مُحْرَضاً^(٢) . للمقاتلة .
مُؤاسياً لهم^(٣) . خالطاً نفسه بالمُستَنفِرة . يصابر لهيب النار . ووقع السلاح ،
وتعميم الدخان ، مُقدياً للكلمات . مُحْرَضاً لذوى الجراح . [مباشرة الصلاة على
الشهداء]^(٤) إلى أن فتحه الله [على يده]^(٥) . بهزمه وصبره . فباشر رمَّ
سوره بيده ، وتحصين عورته بنفسه ، ينقل إليه الصخر ، وينال الدين . ويخالط
الفعلة ، لقرب محل الطاغية ، وتوقع المفاجأة . ثم كان هذا العمل قانوناً مُطَرِّداً
في غيره ، ودَيْدَناً في سواه ، حسبما نذكر في باب الجهاد .

وفي باب النصيحة للمسلمين من مآزق^(٦) الجهاد الأكبر . ما صدر في هذه
الدولة ، من مخاطبة الكافة . بلسان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،
صَدَعَتْ بذلك الخطباء [من فوق أعواد المنابر . وأُثْمَعَتْ آذان المحافل . ما لم
يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر]^(٧) .

نص الكتاب

ولما صَحَّتْ الأخبار بخروج الأمة الإفرنسية إلى استئصال هذه البقية^(٨) ،

- (١) وردت في المخطوطين (الخوف) . ونعتقد أن التصويب أرجح .
- (٢) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» متحرصاً .
- (٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الأول) . بالتصويب يستقيم السياق .
- (٤) وردت هذه الزيادة فقط في «ج» .
- (٥) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» و «الملكية» .
- (٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
- (٧) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» ، وساقط في «الزيتونة» .
- (٨) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت في «ج» البقعة .

والله متم نوره ، ولو كره الكافرون ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصه :

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ، بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر ، أيده الله ونصره ، وأوى^(١) أمره ، وخلد ما أثره . إلى أوليائنا الذين نوقظ من الغفلة أحلامهم ، وندعوهم لما يطهر من الارتباب إيمانهم ، ويخلص لله أسرارهم وإعلانهم ، يرثي لعدم إحسانهم ، وخيبة قيامهم ، ويغار من استيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم ، ونسأل الله لهم ولنا إقالة العثرات ، وتخفيض الشدائد المعتورات ، وكف أ كف العوادي المبتدوات . إلى أهل فلاة ، دافع الله عن فئتهم الغريبة^(٢) ، وعرفهم في الدراري ، والحرم ، عوارف اللثائف التريية^(٣) وتداركهم بالصنایع العجيبة ، سلام عليكم أجمعين ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لا نشارك به أحداً . ولا نجد من دونه ملتحداً . مبتلى قلوب المؤمنين أيها أقوى جلياً . وأبعد في الصبر مداً ، ليزيد الذين اهتموا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي أنقذ من الردى . وتكفل بالشفاعة لمن^(٤) غداً ضارباً هام العدا . ومجاهداً من اتخذ مع الله ولداً . والرضى عن آله الذين كانوا لسما ملته عمداً ، فلم ترعهم الكتياب الوافرة ، وكانوا لهم أقل عدداً ، ولا هالتهم أمم الكفر . وإن كانت أظهر جمعاً . وأكثر عدداً^(٥) صلاة لاتنقطع أبداً ، ورضى ، لا يبلغ مداً . فإننا كتبنا إليكم ، كتبكم

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الزيتونة (واوى)

(٢) وردت في «ج» (الغري) وفي «الملكية» (الغري) . والتصويب أنسب للسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (الغريبة) . والتصويب أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت هذه الجملة في «الزيتونة» . وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (أكثر

جمعاً وأظهر عدداً) .

الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لأعدائه^(١) ورحمة^(٢)، ورمى بفكره غرض الشداد ، فلم يُخط منه هدفاً ولا رمية . وقد اتصل بنا الخبر ، الذي يوجب نصح الإسلام ، ورعى الجوار والذمام^(٣) ، وما جعل الله للأُموم على الإمام ، فوجب علينا إيقاظكم من مراقبكم المُستغرقة ، وجمع أهوايكم المُفترقة . وتهيبكم إلى مصادمة الشدايد المرعدة المُبرقة ، وهو أن كبير النصرانية . الذي إليه ينقادون ، وفي مريضاته يصادقون^(٤) ويمادون ، وعند رؤية صليبه يبكون ويسجدون ، لما رأى الفتن قد أكلتهم خضاً وقغماً . وأوسعهم هضماً فلم تُبقي لهم^(٥) عصباً ولا عظماً ، ونثرت ما كان نظماً ، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق . ويرفع ما طرّق . ويرفي^(٦) ما مزق الشتات وخرق . فرمى الإسلام بأمة عددها كاتنطار المُنثال ، والجراد الذي تضرب به الأمتال . وعاهدكم وقد حضر التمثال . وأمرهم وشأنهم الامتثال ، أن يدمنوا لمن ارتضاه الطاعة ، ويجمعوا من ملته الجماعة ، ويبلغُ الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة . بغتة^(٧) كقيام الساعة وأقطعهم ، قطع الله بهم . | العباد والبلاد |^(٨) . والسارف والتلاد ، وسوخهم الحريم المستضعف والأولاد ، وبالله نَسُدُّ ما لا نظيقه . ومنه نسال عادة الفرج . فما سُدت لديه طريقه ، إلا أنا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنةً بالبورار . وأشققنا للذين من وراء البحار ، وقد أصبح معظمهم في لهوات الكفار ، وأردنا أن نهزهم بالموعظة . التي^(٩) تكحل البصائر بعيل الاستبصار . وتلميحكم الاستنصار بالله . عند عدم الانتصار .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (ش) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» الذمار .

(٣) هكذا في الزيتونة والملكية . وفي ج (يضافون) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة والملكية .

(٥) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي الزيتونة (يرمى) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (سقية) . والتصويب أنسب للسياق .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (البلاد والعباد) .

(٨) هكذا في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» الذي ، وهو تحريف .

فإن جَبَرَ اللهُ الخواطر بالضمراعة إليه، والانكسار . ونسخ الإعسار بالإيسار، وأنجد
 اليمين بانتهاء اليسار، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظُّ الخسار^(١) فإن من ظهر عليه
 عدو دينه، وهو عن الله معزوف، وبالباطل مشغوف، وبغير^(٢) العرف معروف .
 وعلى الحطام المسلوب ملهوف، فقد تله^(٣) الشيطان للعجيبين، وخسر الدنيا والآخرة .
 وذلك هو الخسران المبين . ومن نفذ فيه قدرُ الله عن أداء الواجب وبذل المجهود .
 وآجر بالعبودية وجه الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن الشهوات الموبقة
 [في] ^(٤) دار الخلود، العايدة بالحياة الدائمة والوجود . أو الظهور على عدوه
 المحشود إليه صبرا^(٥) على المقام المحمود وبيعاً تكون الملائكة فيه من الشهود،
 حتى تعيث يد الله في ذلك البناء المهذوم . بقوة الله المحمود، والسواد الأعظم
 الممدود، كان على أمر ربه بالحياة المردود «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين
 ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا
 معكم متربصون»^(٦) . فالله الله في المهم، فقد خبت ريحها . والله الله في العقائد .
 فقد خفتت مصابيحها . والله الله في الرجولة فقد فلَّ حدُّها . والله الله في الغيرة .
 فقد نَعَسَ حدُّها . والله الله في الدين . فقد طمع العدو في تحويله . والله الله في
 الحريم . فقد مدَّ إلى استرقاقه يدُ تأميله . والله الله في المساكن التي زحف لسكنائها

(١) وردت في «ج» و «الملكية» (الخسران) . والتصويب أنسب لسياق السجع .

(٢) وردت في «ج» (ويعير) . ونعتقد أن هذا تحريف . والتصويب أنسب للمعنى .

(٣) تله أى صرعه .

(٤) ساقطة في «ج» والملكية، وإثباتها أنسب للمعنى .

(٥) واردة في «ج» . وساقطة في الملكية .

(٦) يقول لنا المقرئ في نفع الخطيب ، إن هذه الرسالة أو الموعدة التي تبدأ من هنا، وتنتهى فيها بعد
 بعبارة (والسلام الكريم يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته) كتبها على بن الخطيب (وليس
 الدوم لسان الدين) على لسان السلطان في نداء إلى الأمة، واستنهاضاً لها، على مثل رسائل عديدة
 وجهها إليها ابن الخطيب نفسه (راجع نفع الخطيب ج ٤ ص ٤١٥ - ٤١٨) .

والله الله في الملة التي يريد إطفاء نورها وسنّها | وقد كُفِرَ فضائها وتناهى | (١) .
 والله الله في القرآن العظيم . والله الله في الجيران . والله الله في الطّارف والتّالذ .
 والله الله في الوطن الذي توارثه الولد عن الوالد . اليوم تستأسد النفوس المهينة .
 اليوم يُستنزَل الصبرُ والسكينة . اليوم تحتاج الهِمَمُ | أن | (٢) ترعى هذه النفوس
 الكريمة الذّم . | اليوم يُسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشّم | (٣) اليوم يرجع
 إلى الله تعالى المصرون اليوم يفيق من نومه الغافلون والمفترون . قبل أن يتفاقم
 الهول ، ويحقّ القول . ويُسد الباب ، ويحقيق (٤) العذاب . ويُسترق بالكفر
 والرّقاب . | فالنساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار | (٥) . والضيور ترفرف لتحمي
 الأوكار ، إذا أحست العياث بأفراخها والإضرار . تمر الأيام عليكم مرّ السحاب
 وذهب الليالي لكم ذهاب | (٦) . فلا خبر يفضى إلى العين ، ولا حديث في الله (٧)
 تعالى يُسمع بين اثنين ، ولا كدّ (٨) إلا لزينة يُحلى بها نحر وجيد ، ولا سمى إلا
 في (٩) . متاع لا يبغي في الشدائد ولا يفيد . وبالأمس ندبتم إلى التماس | رَحْمِي
 أَوْ رَضِي | (١٠) مُسَخَّرُ السحاب ، واستقالة كثف العذاب ، وسؤال مرسل الدّيمة ،
 ومُحْيِي البشّر والبهيمة ، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء ، واغبرت جوانبكم المخضرة
 احتياجا إلى بلالة الماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون . وإيها الأَكْفَ تمدون .

(١) هذه الزيادة من نفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطات الثلاثة ، وإثباتها لازم للسيق .

(٣) هذه الزيادة واردة في نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» والملكية . وفي «الزيتونة» (ويحق) والمؤدى احد .

(٥) هذه الزيادة واردة في نفع الطيب .

(٦) هذه الجملة ساقطة في المخطوطات الثلاثة وواردة في النفع .

(٧) هكذا في «ج» . وفي الملكية (بالله) .

(٨) وردت في المخطوطات الثلاثة (تقد . تعد) والتصويب من النفع .

(٩) واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في المخطوطتين .

(١٠) هذه الزيادة من نفع الطيب .

وأبوابها بالدعاء تقصدون ، فلم يَصْحَرَ^(١) منكم عددٌ معتبر ، ولا ظهر للإنابة
| ولا للصدقة^(٢) | خبر ، وتتوقفون^(٣) عن إعادة الرغبة إلى الغنى الحميد ، والولى
الذى إن شاء يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد . وأيم الله لو كان لهموا لارتقبت
الساعات | وضاقت المتسعات^(٤) . وتزاحمت على جماله وغضت الجماعات^(٥) .
أعزراً على الله وهو القوى العزيز ، وتابيساً على الله ، وهو الذى يُميز
الخبث من الطيب ، والشبه من الإبريز ، أمنا بذة والنواصي بيده ، أغروراً
فى الشدايد بالأمل | والرجوع بعد إليه^(٦) . من يبدأ الخلق ثم يعيده ،
ثم ينزل الرزق ويقيده ، من يُرجع إليه فى الملمات ، من يُرجى فى الشدايد
والأزمات ، من يوجد فى الحيا والمات ، أفى الله شك يختلج القلوب ، أم غيرُ
الله يدفعُ المكروه ، ويُسِّرُ المغلوب^(٧) . تفضلون على اللجأ إليه فى الشدايد ،
| بواسمِ الجهل ، وثرّة الأهل^(٨) | وطائفة منكم قد بررت إلى استسقاء رحمة ،
تمدُّ إليه الأيدى والرقاب . وتستكشف بالخضوع لعزّة^(٩) العتاب^(١٠) ، وتستعجل
إلى مراعده إجابة الارتقاب ، وكأنكم أنتم ، وعن كرمه قد استغنيتم ، أو على

(١) وردت فى «ج» (بضجر) . وفى الملكية و«الزيتونة» (بضجر) والتصويب من النفع .
(٢) الزودة من نفع الطيب .
(٣) وردت فى المخطوطين (وقترض) والتصويب من النفع .
(٤) وردت فى «ج» و«الملكية» . (المساعات) والتصويب من النفع .
(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» . ووردت فى النفع كالاتى (وتزاحمت على
أسية الجماعات) .
(٦) هذه الزيادة من النفع .
(٧) واردة فى «ج» والنفع . وساقطة فى «الزيتونة» .
(٨) هكذا وردت فى «ج» و«الملكة» . وساقطة فى الزيتونة . ووردت فى النفع كالاتى
(برئت بفضل وثرّة الجهل) .
(٩) كذا فى «ج» والملكة . وفى النفع (لعظته) .
(١٠) هكذا وردت فى «ج» والنفع . وفى «الزيتونة» و«الملكية» (العذاب) . والأولى
أنسب لسياق .

الامتناع من الرجوع إليه بِنَيْتِم . أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبليغ باليسير ، والاستعداد إلى (دار الرحيل)^(١) الحق والمسير ، ومداومة الجوع ، وهجر الهجوع ، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع . دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَبِيَدِهَا كَسْرَةٌ شَعِيرٌ ، فَقَالَ مَا هَذِهِ يَا فَاطِمَةُ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ، خَبِرْتِ^(٢) قَرْصَةً ، وَأُحْبِبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا ، فَقَالَ يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ جَوْفَ أَبِيكَ مِنْذُ ثَلَاثٍ . وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِسْتِغْفَرٍ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً . يَلْتَمِسُ رَحْمَاهُ ، وَيَقُومُ وَهُوَ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، حَتَّى تَوَرَّعَتْ قَدَمَاهُ ، وَكَانَ شَأْنُهُ الْجِهَادَ ، وَدَأْبُهُ الْجِدُّ وَالْاجْتِهَادَ وَمَوَاقِفَ صَبْرِهِ تَعْرِفُهَا الرَّبِّيُّ وَالْوَهَادُ . فَإِذَا لَمْ تَقْتَدُوا بِهِ فَبِمَنْ تَقْتَدُونَ . وَإِذَا لَمْ تَهْتَدُوا بِهِ فَبِمَنْ تَهْتَدُونَ . وَإِذَا لَمْ تُرْضِهِ بِاتِّبَاعِكُمْ ، فَكَيْفَ تَعْتَرُونَ إِلَيْهِ وَتَنْتَسِبُونَ ، وَإِذَا لَمْ تَرْغَبُوا فِي الْإِتِّصَافِ بِصِفَاتِهِ غَضِبًا لِلَّهِ (تَعَالَى)^(٣) وَجِهَادًا ، وَتَقْلَامًا مِنَ الْعَرَضِ^(٤) الْأَدْنَى [وَمُسْهَادًا فَعِيمٌ تَرْغَبُونَ ، فَابْتَرُوا حِبَالَ الْأَمَالِ ، فَكُلَّ آتٍ قَرِيبٌ ، وَاعْتَبَرُوا بِثُلَاثٍ]^(٥) مَا دَهَمَ مِنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ وَالْقَوَاعِدِ ، فَذَهَبَ لَكُمْ عَنْهَا غَرِيبٌ ، وَتَفَكَّرُوا فِي مَنَابِرِهَا الَّتِي كَانَ يعلوها وَاعْظُ أَوْ خَطِيبٌ ، وَمَطِيلٌ وَمَطِيبٌ . وَمَسَاجِدُهَا الْمُتَعَدَّدَةُ الصَّفُوفِ ، وَالْجَمَاعَاتُ الْمَعْمُورَةُ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ، وَكَيْفَ أَخَذَ اللهُ فِيهَا بِذَنْبِ الْمُتَرْفِعِينَ مِنْ دُونِهِمْ . وَعَاقِبَ الْجُمْهُورَ بِمَا أُنْغَمَضُوا عِيُونَهُمْ ، وَمَسَاعَتْ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللهِ عُقْبَى جَمِيعِهِمْ . وَذَهَبَتْ النِّقْمَاتُ^(٦)

(١) وردت في «ج» للرحيل . وما أثبتناه عن النسخ .

(٢) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (أخبرته) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

(٤) هكذا في «ج» . وفي النسخ وفي «الملكية» (العرض) .

(٥) الزيادة من نفع الطيب .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (المنقحات) . والتصويب من النسخ .

بماصيهم . ومن داهن في أمره من مطيعهم . وأصبحت مساجدهم [مناصب]^(١) للصلبان . واستبدلت ماآذنهم بالنواقيس من الأذان . هذا والناس ناس ، والرمضان زمان . (فما)^(٢) هذه الغفلة عن من إليه الرجعى وإليه المصير [وإلى متى التساهل في حقوقه ، وهو السميع البصير ، وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير]^(٣) وإلى متى نسيان اللجأ إلى الولى النصير . قد تداعت الصلبان مجلبة عليكم ، وتحركت الطواغيت من [كل]^(٤) جهة اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، لم تمح سطورها ، ولا احتجب نورها ، وأتم بقايا من افتتحها من عدد قليل ، وصابر فيها كل خطب جليل ، فوالله لو تمحض الإيمان ورضى الرحمن ، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد ، ولا عديم الإسلام فيها عزم التأيد . ولكن شمل الداء ، ووصم النداء ، وعميت الأبصار ، فكيف الاهتداء . والباب مفتوح ، والفضل ممنوح ، فتعالوا نستغفر الله جميعاً ، فهو الغفور الرحيم ، ونستقبل مقبل العثرات ، فهو الرؤوف الحليم ، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدمت أيدينا ، فقبول المعاذير من شأن الكريم . سدّت الأبواب . وضعفت الأسباب ، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم [يا فتاح]^(٥) ، يا وهاب . يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم . ويثبت أقدامكم [يا أيها الذين آمنوا]^(٦) قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدا فيكم غلظة . واعلموا أن الله مع المتقين . ولا تهينوا ولا تحزنوا . وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل

-
- (١) الزيادة من النفع .
(٢) الزيادة من النفع .
(٣) الزيادة من النفع .
(٤) الزيادة من النفع .
(٥) الزيادة من «الزيتونة» والنفع .
(٦) الزيادة من النفع .

وارتبطوها ، وروضوا النفوس على الشهادة واغبطوها ، فمن خاف الموت رضى
بالدنية ، ولا بد على كل حال من المنية ، والحياة مع الذل ليست من شيم أهل
العقول والنفوس السنية . واقتنوا السلاح والعدّة ، وتعرفوا إلى الله في الرخاء
يمرفكم في الشدة ، واستشعروا القوة بالله | تعالى | ^(١) على أعدايه وأعدايكم ،
واستميتوا من دون أنبايكم . وكونوا كالبنّيان ^(٢) | المرصوص | ^(٣) لحملات العدو
النازل بفنايكم . وحطّوا بالتعويل على الله وحنّة بلادكم . واشتروا من الله جل
جلاله أبناءكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها . وشكّت إلى بعض الصالحين . فأشار
عليها بالصدقة [فتصدّقت] ^(٤) ، برغيف . فأطلق السبع ولدها . وممّعت النداء
[يا هذه] ^(٥) لقمّة بلقمة ، وإنّما استودعناه لحافظون . أهجروا الشهوات ،
وامتدّر كوا الباقيات ^(٦) من قبل الفوات . وأفضّلوا لمساكينكم من الأوقات ،
واخشعوا لما أنزل الله | تعالى | ^(٧) من الآيات . وخذوا نفوسكم ^(٨) بالصبر على الأزمات ،
والمواساة في المهمّات ، وأيقظوا جفونكم من السّنات . واعلموا أنكم رُضع ^(٩)
ثدى كلمة التوحيد ، وجيران البلد الغريب ، والدّين الوحيد . وحزب التمحيص ،

(١) الزيادة من نفع الطيب .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» وفي النفع (كالبناء)

والأولى أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . ووردت بالملكية» محرقة (المرسوس) .

(٤) الزيادة من النفع .

(٥) الزيادة من النفع .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» والنفع (البقية) .

(٧) الزيادة من النفع .

(٨) وردت في «ج» و «الملكية» (من لكم) . والتصويب من النفع .

(٩) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» والنفع (رضعاً) .

ونَفَرَ [المرام]^(١) العَوِيص ، فَتَفَقَّدُوا مُعَامَلَتَكُمْ مَعَ اللَّهِ | تَعَالَى |^(٢) ، فَمَهْمَا
 وَأَيْتِمَ الصَّدَقَ غَالِبًا . وَالْقَلْبَ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ . مِرَاقِبًا^(٣) وَشَهَابَ الْيَقِينِ
 ثَاقِبًا ، فَتَقَاتُوا بِعِنَايَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَغْلِبُكُمْ مَعَهَا^(٤) غَالِبٌ ، وَلَا يَنْالُكُمْ | مِنْ
 أَجْلِهَا |^(٥) عَدُوٌّ مُطَالِبٌ ، وَأَنْكُمْ فِي السُّتْرِ الْكَثِيفِ . وَعَصْمَةُ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ .
 وَمَهْمَا رَأَيْتُمُ الْخَوَاطِرَ مُتَبَدِّدَةً . وَالظَّانُونَ بِاللَّهِ مَتَرُدَّةً ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَخَافُ ،
 وَتُرْجَى مَتَعَدَّةً ، وَالغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ . وَلَا يُسْهَأُ مُتَجَدِّدَةً . وَعَادَةُ [دَوَاعِي]^(٦) الْخِلْدَانِ
 دَائِمَةٌ . وَأَسْوَاقُ الشَّهَوَاتِ قَائِمَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَنَّذٌ فِيكُمْ [وَعَدَهُ]^(٧) وَوَعِيدَهُ
 فِي الْأُمَمِ الْغَافِلِينَ ، وَأَنْكُمْ قَدْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . وَلَا عِدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ . وَالتَّوْبَةُ
 تَرُدُّ الشَّارِدَ . وَاللَّهُ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ ، وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . وَهُوَ التَّائِلُ : « إِنْ الْحَسَنَاتِ
 يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ . ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ » . وَمَا أَقْرَبُ صِلَاحِ الْأَحْوَالِ ،
 إِذَا صَلَحَتِ الْعَزَائِمُ ، وَتَوَالَتْ عَلَى حِزْبِ الشَّيْطَانِ الْهَزَائِمُ ، وَخَمَلَتِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ
 فِي الْعُيُونِ ، وَصَدَقَتْ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ الظُّنُونُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ،
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » . وَتَوَبُوا سِرَاعًا إِلَى طَهَارَةِ
 الْقُلُوبِ ، وَإِزَالَةِ الشُّوبِ ، وَاقْصِدُوا أَبْوَابَ غَافِرِ الذُّنُوبِ^(٨) ، وَقَابِلِ التَّوْبِ .
 وَاعْلَمُوا أَنَّ سُوءَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ ، يَفْتَحُ أَبْوَابَ الشَّدَايِدِ ، وَيَسُدُّ طَرِيقَ^(٩) الْعَوَايِدِ ،
 فَلَا تَمْتَلُوا بِالتَّوْبَةِ أَرْمَانَكُمْ ، وَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَتَغْشَوْا إِيْمَانَكُمْ ، وَلَا تَمْلِكُوا

(١) و (٢) الزيادة من النفع .

(٣) هكذا وردت في «ج» والنفع . ووردت في «الملكية» و الزيتونة (راغباً وراقباً) .

(٤) هكذا في الزيتونة و «النفع» . وفي «ج» عليها .

(٥) هكذا وردت في الزيتونة و «الملكية» . وفي «ج» لأجلها .

(٦) الزيادة من النفع .

(٧) الزيادة من النفع .

(٨) هكذا في الزيتونة . وفي «ج» و النفع (الذنب) والأولى أنسب للسياق .

(٩) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي النفع (طرق) .

متابكم بالصراير^(١). فهو علام السراير، وإنما عليا معاشر الأولياء أن ننصحكم،
 وإن كنا أولى بالنصيحة. ونعميدكم بالموعظة المريححة، الصادرة عليم الله عن صدق
 القريحة. وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم^(٢) إلى الاسترجاع والاستغفار،
 وإنما لكم الدنيا نفس مبدولة في جهاد الكفار. وتقدم إلى ربكم العزيز الغفار،
 وتقدم لديكم إلى موافق الصبر. التي لا ترتضى، بتوفيق الله الفرار، واجتهاد
 فيما يعود بالحسن وعقبى الدار. والاحتيار لله ولي الاختيار. ومنصرف الأقدار.
 وهانحن نسرع في الخروج إلى مدافعه هذا العدو. [ونفدى بنفوسنا]^(٣) البلاد
 والعباد. والحريم [المستضعف]^(٤) والأولاد. ونصلى من دونهم [نار]^(٥)
 الجلال. ونستوهب منكم الدعاء إلى من وعد بإجابته. وتقبل من صرف إليه وجه
 إنابته. اللهم كن لنا في هذا الانقطاع نصيراً. وعلى أعدائك ظهيراً. ومن
 انتقام عبدة الأصنام مجيراً، [اللهم]^(٦) قو من ضعفت حيلته، فأنت القوى
 المعين، وانصر من لانصير له إلا أنت، إيك نعبد، وإيك نستعين. اللهم ثبت
 أقدامنا [وانصرنا]^(٧) عند تزلزل الأقدام، ولا تسلعنا عند لقاء عدو الإسلام،
 فقد ألقينا إليك يد الاستسلام، اللهم دافع ببلايتك^(٨) المسومين، [عن ضيقت
 أرجاؤه، وانقطع إلا منك رجاؤه]^(٩). اللهم هي لضعفائنا، وكلنا ضعيف فقير

(١) هكذا في الزيتونة و « النفع ». ووردت محرفة في « الملكية » وفي « ج » (الغرايز
 الفراير).

(٢) هكذا في المخطوطين. وفي النفع (سبقناكم).

(٣) وردت في « ج » والملكية (ونفدى بنفسنا). وفي الزيتونة (ونفد بنفسنا). والتصويب
 من النفع.

(٤) الزيادة من النفع. (٥) الزيادة من النفع.

(٦) الزيادة من النفع.

(٧) الزيادة من النفع.

(٨) وردت في المخطوطين (بلايتك) والتصويب من النفع.

(٩) وردت في المخطوطات الثلاثة (رجاؤنا) والتصويب من النفع.

[إليك] (١) . ذليلٌ بين يديك حقيرٌ . [رحمةٌ تُروى بالأزمة وتشبع ، وقوةٌ
 تطرد وتُسْتَتَبِع ، ياغِلاب الغُلاب . يهازم الأحزاب . يا كريم العوايد . يا مُفْرَج
 الشدايد . ربَّنَا أفرِغ علينا صبراً ، وثبَّت أقدامنا . وانصُرنا على القوم
 الكافرين] (٢) . اللهم اجعلنا ممن تيقظ [فتيقظ] (٣) ، وذَكَرَ فَتَذَكَّرَ ، ومن قال
 لهم الناسُ إن الناسَ قد جمَعُوا لكم فاحشوم . فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله
 ونعم الوكيل . فأنقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ . لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان
 الله . والله ذو فضلٍ عظيمٍ . وقد وَرَدَتْ علينا المخاطبات من قِبَل إخواننا
 المسلمين . الذين عرَّفنا في القديم والحديث اجتهادهم . وشكرنا في ذات الله [تعالى] (٤)
 جهادهم ، بني مَرِين . أولى الامتِعاض الله والحمية . والمخصوصين بين القبائل
 الكريمة بهذه المزية ، بعزْمهم على الامتِعاض لحقِّ الجوار . والمصارخة التي تليق
 [بالأحرار] (٥) | والنفرة لانتهاك ذِمارة بيتهم المختار . وحرارة سدايهم] (٦) محلُّ
 أخينا بمن له من الأولياء والأَنْصار ، إلى الإعانة على هؤلاء الكُفَّار ، ومدافعة
 أحزاب الشيطان وأهل النار . [فأملوا الله تعالى] (٧) إعانتهم على هذا المقصد
 الكريم الآثار . والسعي الضمير (٨) للعزِّ والأجر والفخار . والسلام الكريم
 يخصكم أيها الأولياء ورحمة الله وبركاته . في الثاني عشر من شهر رمضان المعظم
 من عام سبع وستين وسبعمائة . عرَّفنا الله خيره . صحَّ هذا . فكان دفاعُ الله
 أقوى . وعصمته أكنفى . والحمد لله على عوايده الحسني .

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) ما بين القوسين إبتداء من (عمن ضيقت) ساقط كله في النسخ . وما بين القوسين

إبتداء من (رحمة تروى) ساقطة في الزيتونة . (٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) الزيادة من النسخ . (٥) الزيادة من «الزيتونة» والنسخ .

(٦) ما بين القوسين ساقط في الزيتونة .

(٧) ما بين الحاصرتين وارد في النسخ . ووردت في «ج» و «الملكية» (فاسل . فارسل) .

(٨) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» و «الزيتونة» (الضامن) .

ومن الغيرة على الدين ، وتغيّر أحوال الملحدّين ، من مآزق جهاد النفس ، ما وقع به العمل من إخماد البِدَع . وإذهاب الآراء المضلّة . والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة . وقد أضاعت^(١) أبواب هذه الأضاليل الشريعة ، وسُدّت مضرّهم في الكفاة . فيسلّط عليهم الحُكّام . واستدعيت الشهادات . وأخذهم التّشريد ، فهل يُحسّ منهم أحداً . أو تسمع لهم ركزاً .

وقيد في ذلك عنى مقالات أخرى . منها رسالة « الغيرة على أهل الخيرة » ، ورسالة « حمل الجمهور على الشنن المشهور » . ورسالة « أُلشِدّت على أهل الرّد » . فارتفع الخوض . وكسدت تلك الأسواق الخبيثة . وضم^(٢) منها الصّدا . ووضع نار الهدى . والحمد لله . ولو تتبعت مناقب الهدا . لأخرج ذلك عن الغرض .

الأحداث

وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشنّعاء . المُجحفة بالدولة . وقد كان السلطان أنذر بطائفة ، تُداخل بعض القرابة ، فعاجله بالقبض عليه ، وهو في محل ولايته ، فصعد وأُحِل إلى قصبة المريّة . وخاف أبواب المكيدة افتضح الأمر ، فتمجّلوا إبراز الكامن ، وإظهار الخبيث . وتولّى ذلك بجملة من بني غرون ذنابي بيت الإديار ، وقد عابهم من بني مطرون ، يدور أمرهم على الدليل البركي^(٣) ، فأكذب الله دَعْوَتهم ، بعد أن أركبوا الشيخ عليّاً بن نصر ، ونصبوه تلقاء القلعة بباب البنود^(٤) ، ودَعَوْا الناس إلى بيعته . وأخذ السلطان حذرهم ، وناصرهم

(١) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (أضيقّت) .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» وفي «الملكية» وضم .

(٣) الدليل البركي يشير به إلى أحد وزراء الغنى بالله ، وهو الذي قام بتدبير تلك الثورة

التي نشبت في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) .

(٤) باب البنود هو من أبواب حى القصبة الجديدة من غرناطة . وكان يقع قبالة الحمراء

وقباله القصبة القديمة ، يفصله عن قصبة الحمراء نهر حدره .

القتال ، وأشاع العطا ، واستركب الجيش ، وعمر الأسوار . فأخفق القصد ، وفرَّ الدليلُ البركي ، وتقبَّض على الرئيس المذكور . وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان .

وكان مما أمليته يومئذ بين يدي السلطان . من الكلام المرسل . ما هو نصه ،
 بعد الصدر : وإلى هذا فيما أفادته الفِدرُ السليمة . والحلم والتَّضاً بالشرعية ،
 والنَّقلِ الشرعي والسُّننِ المرعى ، أن مُغالِب الحقِّ مغلوب ، ومزاحمَ الله مهزوم ،
 ومكابِرَ البرُّهانِ بالجهلِ موموم ، ومرتع الغيِّ مهجور ، وسيفَ العُدوانِ منلول ،
 وحظَّ الشيطانِ مؤكوس . وحزبَ السلطانِ منصور . ولا خفاءَ بنعمة الله علينا ،
 التي أطردَها^(١) في المواطنِ العديدة : والهَضْبَاتِ البعيدة . والشُّبُهَاتِ غيرِ المُبينَةِ ،
 والظُّلُمَاتِ الكثيفة . معلنٌ بوُفورِ الحُظِّ من رحمته ، وإبراز^(٢) القِداحِ في مجالِ
 كرامته : والاختصاصِ بسيا اختياره . فجعلَ العصمةَ ليلةَ الحادثِ علينا من دونِ
 مضجعِ أماننا ، ونهَجَ لنا سبيلَ النِّجاةِ بين يدي كسبه علينا ، وسخرَ لنا ظهري
 الطَّريقِ والطَّريقِ . بعد أن فرَّق لنا بحرَ الليلِ ، وأوضح لنا خفيَ المسلكِ . وعبدَ
 لنا عاصيَ الحزْمِ ، ودمَّتْ غمرُ الشُّعراءِ^(٣) ، وأوطأنا صهوةَ المنعة . وضربَ وجودِ
 الشُّرذمةِ المتَّبعةِ ، بعد أن ركضوا قنِيب^(٤) البراذنِ البادية ، من خزائنِ إهدائنا ،
 المتجَمِّلةِ بجَلَى رَكبنا ، وتحملوا السلاحَ والرِّيشَ المُختارَ من أثيرِ صلاتنا ،
 وأبهرُوا الأنفاسَ التي طال ما رَفَعها إيناسُنَا وأبلغها الريقُ تأميننا ، وصبَّبوا العرقَ
 الذي أفضله طعامنا ، شرَّهين إلى دَمِنَا ، المَحْظُورِ بالكتابِ والسُّنةِ ، المحوِّطِ
 بِسِيَّاجِ البَيْعةِ ، المحصَّنِ عنهم بتقديمِ النِّعمةِ ، وحرمةِ الأبِ ومُتعدِّدِ الأذمةِ ، فجعلَ

(١) وردت في «ج» اطرادها ، وفي «الملكية» اطردها . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» وبراز . وفي «الملكية» (وبواز) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) الشعراء هي الأرض الكثيرة الشجر .

(٤) قنيب أي الجمع المتكاثف .

الله بيننا وبينهم حاجزاً ، ومددً لياجوجهم [من]^(١) المرادة^(٢) مانعاً . وانقلبوا
يعضون الأنامل الغضة من سريط جفاننا ، ويقلبون الأ كُفَّ التي أجدها الدهر ،
ترفيعاً من المهن المترتبة^(٣) [في]^(٤) خدمتنا . قد حالهم صغار القدر . وذلك
الخبية ، وكبح^(٥) الله جماعتهم عن التنفق بتلك الوسيلة . واحتلنا قسبة وادي
آش ، لأنك إلا أنفسا ، لم يشبها غش العيلة ، ولا كياذ الأمة . ولا دئسها والحمد
لله عار الفاحشة . ولا وممها الشوم في الولاية ، [ولا]^(٦) أحبط عمل نجابتها^(٧)
دخل العقيدة ، ولا مرض السريرة ، منذ سلمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب ،
وصير إلينا ملك أيننا من غير حول ولا حيلة . نرى أنها أملاك لحرمتنا . وأعلم
بما كنا^(٨) . وأرحم بنا . فتشبت بها القدم . وحجيت لنا من أهلها . وعاهم الله المحم ،
وصدقت في الذب عنا العزائم . وحاصرنا جيش العدو . وأولياء الشياطين ،
وظهر^(٩) الباطل ، فبان الظفر والاستقبال ، وظهرت الفية القليلة ، والله مع
الصابرين ، فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين . ومع ما لنا من الضيق . وأهمننا من
الأمر ، فلم نطلق^(١٠) به غارة . ولا شرهنا إلى تغيير^(١١) نعمة ، ولا سرحننا عنا
اكتساح على^(١٢) هجمة ، ولا شغنا لبسا في بيت ولا حلة ، وأمسكنا الأرماق

(١) الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (المودة) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (الترتبة) .

(٤) وضعناها ليستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . وفي «ج» (و جمع) . والأولى أنسب للسياق

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (نجاتها) .

(٨) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (بسالنا) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وطهر) .

(١٠) وردت في «ج» (نطق) والتصويب من «الزيتونة» .

(١١) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (تغير) والمؤدى واحد .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» وفي «ج» (إلى) .

بَيْسِيرِ الْحَلَالِ^(١) الَّذِي اشْتَمَلَتْهُ خَزَائِنُنَا مِنْ أَعْشَارِ وَزَكَوَاتٍ ، وَحِظْوِظٍ مِنْ زِرَاعَاتٍ ، وَارْتَقَبْنَا الْفَرَجَ مِنْ مَحْصٍ بِالشَّدَةِ ، وَالْإِقَالَةَ مِنْ نَبْءٍ مِنَ الْغَنَلَةِ ، وَالْأَهَمَّ الْإِقْلَاعَ وَالتَّوْبَةَ . ثُمَّ وَفَّقْنَا^(٢) سُبْحَانَهُ ، وَأَلْهَمْنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ، وَسَلَكْنَا طَرِيقًا فِي بَحْرِ الْفِتْنَةِ يَبِيسًا ، فِدَنَاهُ بِمَحْمَنِ الدَّمَاءِ ، وَتَأْمِينَ الْأَرْجَاءِ ، وَشَكَرْنَا عَلَى الْبَلَاءِ ، كَشُكْرِنَا إِيَّاهُ [عَلَى] ^(٣) الْآلَاءِ . وَخَرَجْنَا عَنِ الْأَنْدَلُسِ . وَلَقَدْ كَادَ ، لَوْلَا عَمِيَّتُهُ ، بَأَن نَهَبَ [مَذَاهِبَ الزُّورَاءِ] ^(٤) ، وَتَسْتَأْمِلَ الشَّافَةَ ، وَنَسْتَأْمِلَ الْعَرِصَةَ ، سُبْحَانَهُ مَا أَكَلَ صُنْعَهُ ، وَأَجْمَلَ عَلَيْنَا سِتْرَهُ ، إِلَى أَنْ جُزْنَا الْبَحْرَ ، وَلِحَقْنَا بِجَوَارِ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ ، لَمْ تَذُبْ عَنَّا عَيْنٌ ، وَلَا شَمَخَ عَلَيْنَا أَنْفٌ . وَلَا حَمَلَ عَلَيْنَا بَرَكَبٌ ^(٥) ، وَلَا هَتَفَتْ ^(٦) حَوْلَنَا غَاشِيَةٌ ^(٧) ، وَلَا نُزِعَ عَنَّا [التَّقْوَى وَالْعَفَافُ] ^(٨) مِثْرٌ ، بَلْ كَانَ النَّاسُ يُوجِبُونَ لَنَا الْحَقَّ الَّذِي أُغْفِلَهُ الْأَوْغَادُ ^(٩) مِنْ أَبْنَاءِ دَوْلَتِنَا ، وَالضُّفَادِعَ بِبِرْكَتِنَا نَعْمَتِنَا ، حَتَّى إِذَا النَّاسُ عَافُوا الصَّبِيحَةَ ^(١٠) ، وَتَمَلَّوْا ^(١١) الْحَسْرَةَ ، وَسَيِّمُوا الْخُسَارَ وَالْخِيَةَ ، وَسَامَهُمْ ^(١٢) الطُّغَامُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَلَا يَأْلُونَ لَشَعَائِرِهِ الْمَعْظَمَةَ احْتِقَارًا ، كَلَابُ الْأَطْمَاعِ ، وَعَبِيدَةُ الطَّاغُوتِ ، وَمُدْبِرُو

(١) وردت في «ج» (الحال) والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا في «ج» . ووردت محرفة في «الزيتونة» و «الملكية» (أوقفنا . وقفنا) .

(٣) الزيادة من الزيتونة .

(٤) في المخطوطين (مذاهب ندمت الزوراء) . ونعتقد أن التصويب أفضل للسياق .

(٥) الركب - الجماعة من عشرة إلى ما فوق .

(٦) وردت في «ج» (خفت) وفي الملكية (حفت) . وفي الزيتونة (هتف) . والتصويب

أوجع .

(٧) وردت في «ج» غايشة . والتصويب من الملكية .

(٨) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» (العفاف والتقوى) .

(٩) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (الأعوان) والأولى أنسب للسياق .

(١٠) هكذا في «ج» . وفي الملكية (المهجة) .

(١١) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (وملوا) . والأولى أنسب للسياق .

(١٢) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (وساسهم) .

حُبُونُ الْجَهْلِ . وَمِيَا سَيْسِ اسْوَاقِ الْبُعْدِ عَنِ الرَّبِّ . وَعَرَايِسُ مَحْرَمِ الزَّيْنَةِ ، وَوُدُودِ الْقَرْزِ ، وَتَغَارِ النَّهْمِ . الْأَعْزَّةُ (١) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَاطِلِ . الْأُذَلَّةُ (٢) فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْحَقِّ ، مَنْ لَا يُحْسِنُ الْمَحَاوَلَةَ . وَلَا يَلْزِمُ الصُّهُوَةَ . وَلَا يَحْمِلُ السَّلَاحَ . وَلَا يُنْزِعُهُ مَجْتَمَعُ الْحِشْمَةِ عَنِ الْفَحْشَاءِ . وَلَا يُطْعِمُ الْمَسْكِينَ . وَلَا يَشْعُرُ بِوُجُودِ اللَّهِ . جَارُوا (٣) مَنْ شَقِيهِمْ (٤) [الْمَحْرُومِ] (٥) . عَلَى مَضْعُوفٍ مُلْتَفٍ فِي الْحَرَمِ الْمَحْصُورِ ، مُخْتَفٍ بِالطَّفِ الْمَهْدِ . مُعَلِّئًا بِالْخِدَاعِ . مَسْلُوبًا الْجُرْأَةَ بِأَيْدِي انْتِهَازِهِمْ ، شَوْمٍ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَمَعْرِئًا فِي وَجْهِ الدِّينِ ، أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ حَقَّ الشَّرِيعَةِ . وَأَنْصَفَ أَيْمَةَ الْمَلَّةِ . فَلَمْ يَنْشَبُوا أَنْ تَهَارَشُوا ، فَعُضُّ بَعْضُهُمْ ، وَاسْتَأْصَلَهُمُ الْبَغْيُ ، وَأُلْحِمَ لِلْسَيْفِ ، وَتَقَنَّ الْقَتْلَ ، فَمَنْ بَيْنَ مُجَدَّلٍ ، يُوَارِي بِأَحْلَاسِ الدَّوَابِ الْوَابِرَةِ (٦) . وَغَرِيقٍ يُزْفُ (٧) بِهِ إِنْ سَاءَ الْمَيْتَةُ ، وَاسْتُيْنِتَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، وَاسْتُضِيمَ الدِّينَ ، وَاسْتُبِيحَتِ الْمَحْرَمَاتُ ، وَاسْتُبِيحَتِ الْفُرُوجُ فِي غَيْرِ الرَّشْدَةِ . وَمَاعَتِ فِي عَدُوِّ الدِّينِ الْحَيْلَةَ . فَتَحَرَ كِنَاعِنِ اتِّفَاقٍ مِنْ أَرْبَابِ الْفُتْيَا ، وَعَزَمَ مِنْ أَوْلَى الْحَرِيَّةِ . وَنَحْرِيضٍ مِنْ أَوْلَى الْخَفِيفَةِ وَالْهَمَّةِ ، وَتَدَاخِرٍ (٨) مِنَ الشُّوكَةِ ، وَتَحْرِيكِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَكَانَ مَا قَدِ عَلِمْتَ مِنْ تَسْكِينِ الثَّائِرَةِ [وَإِشْكََا الْعَدِيمِ] (٩) . وَإِصْمَاتِ الصَّارِخِ ، وَشَعْبِ الثَّأْيِ ، وَمَعَالِجَةِ (١٠) الْبَلَوَى . وَتَدَارِكِ الْقَطْرِ ، وَقَدْ أَشْفَى ، وَكَشَفِ الضَّرِّ وَالْبَاسَا [أَمَّا

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة (العزة) . وفي الملكية (الغرة) . والأولى سبب السياق .
 (٢) وردت في «ج» (الأقلة) . والتصويب من «الملكية» .
 (٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» داروا .
 (٤) وردت في «ج» سقيهم . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٥) الزيادة من «الزيتونة» .
 (٦) وردت في «ج» الدبرة . والتصويب من «الملكية» و «الزيتونة» .
 (٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يروف) والأولى أنسب السياق .
 (٨) هكذا في «ج» و «الملكية» . والتداخر تعني هنا الدفع .
 (٩) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .
 (١٠) وردت في «ج» (معالجة) والتصويب من «الزيتونة» .

الخبوة فالتسبها . وجَلَّ الرَّبُّ . واستشاط عليها جوُّ السماء [١] . وأما مرافق
البحر ومرافدُهُ . فسَدَّتْ طرقها أساطيلُ الأعداء . وأما الحِمِيَّة فبدَّدتها [٢] فسادُ
السيرة ، وغَمَطَ الحقُّ . وتفضيل الأذى . وأما المال فاصْطَمَّ السَّفَهَ بيضاءه وصفراءه ،
وكبس خزائنه حتى وقع الإِدْقَاعُ والإِعدامُ . وأقوى العامر . وافْتَقَرَتِ المجابى
والمغابن ، واغْتَرَبَتِ جفون السيوف من حُلاها . وجرَّدتموه الآلة إلى أعلاها [٣] ،
والدَّغْلُ المُسْتَبْطَنُ [الفاضح] [٤] . ويمحض الحين . وأسلمت للنواء
العَرِصَةُ ، وتخرَّبت الثغور من غير مُدافعة ، واكتسحت الجهات فلم يُترك بها
نافع ، ووقع القول ، وحقَّ البُهْتُ ، وخُذِلَ الناصر ، وتبرَّأت الأواصر ،
فما كنا العدو إلى النَّصْفَةِ . ولم نقره على الدُّنْيَةِ ، وبأيناه أُحوجَ ما كنا إلى
كُدْحِهِ ، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرته على الكفار مثله ، اعترازاً بالله ، وثقةً
به ، ولجأً إليه وتوكلاً عليه ، سبحانه ما أبهرَ قدرته ، وأسرع نُصْرته ، وأوجى
أمره ، وأشدَّ قهره . ورَكَ كِبِنَا ببحر الخطر ، بجيش [من التجربة] [٥] ونَهَدْنَا
قُدْمًا ، لانهاب [٦] الهول ولا نراقبه ، وأطللنا على أحواز رِيهِ [٧] في الجمع القليل ،
إلا من مدد الصبر المفرد ، إلا من مظاهره الله الغفل : إلا من زينة الحق المظلل جناح
عقابه يمتاحُ الروح ، تُسدُّ جِيادُهُ بصهيل العزِّ ، المطالعة غُرُره بطليعة النصر . فلما أحسن
بنا المؤمنون المُطَهَّرُونَ [٨] بساحتهم . اتزوا من عِقَالِ الإيالة الظالمة ، والدُّعْوَةِ الفاجرة ،

(١) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» و «الملكية» . وساقط في الزيتونة .

(٢) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و «الملكية» (فشدّها) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» علاها .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» . ولكن قد وردت كلمة (الفاضح) في «ج» بعد كلمة (الحين) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة» . وفي «ج» (من تجاربه) .

(٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (سهب) والتصويب أرجح .

(٧) وردت في «ج» و «الملكية» (أحواز أريه) وهو تحريف . وولاية ريه المذكورة هنا هي

الولاية الأندلسية التي تقع بها مالقة وأحوازها من الشمال والغرب .

(٨) وردت في «ج» (المضطهدون) . والتصويب من «الملكية» وهو أرجح .

وتبرأوا من الشرذمة الغاوية . والطائفة المناصبة لله المحاربة . وأقبلوا ثنيتات
وأفراداً، وزرافات ووحداناً. ينظرون بعيون لم تُرو من غيبتنا. من مُحيارحة،
ولا اكتحلت بمنظر رافة . ووجوه عليها قسوة الخسف . وإبشار عليها بوس
الجهد ، يتعلقون بأذيالنا تعلق الغريق : يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى ،
ويجهشون بالبكاء، ويعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرّفناهم الأمان من الأعداء ،
وأول عارفة جعلونا عليهم . وصرفنا وجه التأمين والتأنيس . وجميل الود إليهم،
وخارطناهم^(١) الإجهاش والرقة . ووثبنا^(٢) لهم من الذلة . واستولينا على دار
الملك ببلادهم^(٣) . فأنزلنا منها أخايث كان الأشقياء مخلّفوم بها . من أخلاف
لا يزال تضا إبشارهم الحدود ، وتأنف من استكفائهم اليهود . وانشأت علينا
البلاد . وشمر العاغية ذيله عن الجهات ، وراجع الإسلام رمق^(٤) الحياة . وحثنا
السير إلى دار الملك . وقد فر عنها الشقي الغاصب . بشوكة بفيه . التي أمدهته
في النقي . وأجرته على حرمة الله . وقصد دار قشالة . بكل ماصانت الحقاق
من ذخيرة ، [وحجبت الأمهاء من خرزة ثمينة]^(٥) يتوعدون المساهين بإدالة
الكفر من الإيمان ، واقتياد جيوش الصلبان ، وشد الحيازيم إلى تبديل الأرض
غير الأرض . وسوم الدين . وطمس معالم الحق . كباداً لرسول الله في أمته ،
ومناصبة [له]^(٦) في حنيفيته . وتبديلا لنعمة الله كُفراً . ولمعروف الحق نُكراً،
أصبح^(٧) له الناس على مثل الرُضف . يرتقبون إطلال الكريهة . وسقوط الظلة ،

(١) وخارطناهم (هكذا في ج والمملكية) معناها وبكينا بكاء شديداً .

(٢) وثبنا بالتشديد معناها ، أكرمناهم وأقلناهم من الذلة .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و«المملكية» . وفي «ج» ببلادهم .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«المملكية» (الى) والأولى أرجح للسياق .

(٥) هذه العبارة واردة في «ج» و«المملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (الله) ، وفي «المملكية» (لرسول الله) مرة أخرى . والتصويب أنسب للسياق

(٧) وردت في «ج» (أصبح) والتصويب من «المملكية» .

وعودة السكرّة ، وعُقبى المعرّة ، والله من ورائهم مُحيط ، وبما يعملون مُحيط ،
 ولدعاء للمستضعفين من المؤمنين مُجيب ، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض
 قريب . ولم نُقدم [مذ] ^(١) حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره ،
 نناشدُه العَهْد ، ونُطرى له الوفاء ، ونُناجزه إلى الحق . وتثوده إلى حُسن التلطف ،
 إلى الذي نشاء من الأمن ، فحسم الداء ، واجتث الأعداء ، وناصح الإسلام وهو
 أهدأ عدُوّه ، وحزَم الدين ، وهو المعطل ^(٢) من أدوايه ، وصارت صُغرى عناية الله
 بنا . التي كانت العُظمى ، واندرجت أولها في الأخرى ، وأتت ركائب اليُمن
 واليَمين ، تترى ، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصُّع سدى ولا هباء عبثاً ،
 وأن له فينا خبيثةً غيب ، وسرُّ عناية ، يبلِّغنا إياها ، ويَطوِّقنا طوقها ، لآمانع
 لعطايه ، ولا مُعدِّد لآلايه ، له الحمد مليء أرضه وسمايه .

فمن اضطردت له هذه العجائب ، فحملته ^(٣) عوايق الاستقامة مزية جيوب
 التقوى ، كيف لا يتمنى ، ويدين لله بمناصحته ، ويحذر عناد الله بمخالفته ، ويخشى
 عاقبة أمره ، إنها لا تعى الأبصار ، ولكن تعى القلوب التي في الصدور . قللنا
 أظفار اللذائبة [وأغضينا عن البقية] ^(٤) وسوغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة
 الإبقاء ، وأقطعنا رَحِم من قطع طاعتنا جانب الصُّفح ، وأذررنا لكثير ممن شحَّ
 عنا ولو بالكلمة الطيبة جوروة ^(٥) الرزق ، ووهنا ما وجب لنا من الحق ، ودنا له
 بكظم الفيظ ، وعمرنا الرُتب بأربابها ، وجردنا الألقاب بعد خرابها ، وقبضنا

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة وبإثباتها يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت محرفة في «ج» (المفضل) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (فحمله) . والتصويب أنسب للمعنى .

(٤) وردت في «الزيتونة» و «الملكية» (واغضينا على البقية) . وفي «ج» (واغضينا طرف

التبيرة) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة والمقصود بها (الجرارية) .

الجباية مُحَمَّلة كَتَد العادة ، مقودة بزمام الرُّفق . مَسوحاً عَظْفُها بِكف^(١) الطواعية .
فبَلَّنا صَداً الجِيش المَمتَول بالأمانى . المَعَلل بالكذب ، المُستَخدم في الذبُّ عن
مَجامع الفَحشاء . ومراقَد المَهْر ، ودارينا الأعداء . وحسبنا الداء ، وظَهَرَ أمر الله
وهم كارهون . إلا أن تلك الشُرذمة الخبيثة . أبقت جرائم نفاق . رَكبها الحجارة
الغَدْر ، وبَدَرَ بها حصيدُ الشُر . وأخلمطوا الحقايب اللامنة من ساء ظنه . وخبث
فكره ، وظن أن العقاب لا يفلته . والحق لا يذره ، والسياسة لا تحفزه ، فدبت
عقاربهم ، وتدارت طوافاتهم ، وتآبَت^(٢) فسادهم ، فدبروا أمراً تبره الله تَبيراً .
وأوسعه خزيًا وبيلاً . وجفلوا يرتادون من أذيال القراية ، من استخلفه الشيطان
وأصعبه الخذلان . من لا يصلح^(٣) لشيء من الوظائف . ولا يستقل ببعض الكلف .
فخرخوا منهم زاهق^(٤) زمانه . من شر الدواب الذين لا يسمعون ، فأجرهم رسنه ،
وتوقف^(٥) وقفة العين بين الورد والصدر . بخلال ما أطاعنا الله طلع نيتته . وما جلناه
بالتبض ، واستودعناه مَصْفِداً ببعض الأطباق البعيدة ، والأجباب^(٦) العميقة ،
فخرج أمرهم ، وخافوا أن نحترش السعايات ، صباب مكرهم ، وتتبع نفاقهم ، فأقدموا
إقدام العير على الأسد ، استعجالاً للحين ، ورجعاً لحكم الخيار ، وإقداماً على التي هي
أشدُّ ، تولى كبرها ، وكشف وجهه في معصيتها الخبيث البركى^(٧) حلف التهور
والخرق ، المموه بالبسالة وهو الكذوب النكوث الفلول ، تحمانا هفوته ، وتغمدنا

(١) وردت في المخطوطين (الكف) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» و«الملكية» (وتبات) . والأولى انسب

الاسم

(٣) وردت في «ج» و«الملكية» (يصح) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الملكية» وفي الزيتونة (زهو) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ووقف) .

(٦) وردت في «ج» (والأجبال) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٧) البركى . وقد سبق أن عرفنا بصاحب هذا الاسم .

بالعفو قديماً وحديثاً زلته ، وأعرضنا فيه عن التصيحة ، وأبقينا له حكم الولاية ،
وأنسنا من نقرته ، وتمعنا عن غيرته . وسوغنا الجرائم التي سبقت ، والجراير
التي سلفت ، من إفساد العهد وأسر المسلمين ، والافتيات على الشرع ، والصدوع
بدعوى الجاهلية ، فلم يفده . إلا بطراً ، ولم يزد إلا مكرأ ، والخير في غير أهله
يستحيل شراً ، والنفع ينقلب ضرراً . والثقت عليه طائفة من الخلائق ^(١) بنوغرون
قرناء الجبل والمشامة . وأذئاب بيت الإديبار . ونفاية الشرار ، عرك جراتهم . وكان
صهرهم البائس . ابن بطرون ^(٢) . الضعيف المنة السقيط الهمة ، الخامل التفصيل
والجملة . وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخييب سعيهم ، فاقحموا البلد صبيحة
يهتفون بالناس أن قد طرق حمامهم ، وأن العدو قد دكهمهم ، ملتفتين يرون أنهم في
أذيالهم ، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم ، وسرعانهم ترهقهم ، كأنهم سقطوا من السماء ،
أوثاروا من بين الحصباء . ثم جالوا في أزقة البلد يتدفون في الصفاح نار الجباحب ^(٣)
ركضاً فوق الصخر المرصوف ، وخوضاً في الماء غير المرهوف . ثم قصدوا دار الشيخ
البائس على بن أحمد بن نصر ، نفاية البيت ، ودردى القوم ، ممسوخ ^(٤) الشكل . قبيح اللثغ
ظاهر الكدر ، لإدمان المعاقرة ، مزنون ^(٥) بالمعاقرة والزبت على الكبرة ساقط
الهمة . عديم الدين والحشمة . منتمت ^(٦) في البخل والهلح ، إلى أقصى درجات
الخصه ، مثل في الكذب والنيمة ، معيب ^(٧) المائة . لا يرق بوله ، ولا يجف
سلسه ^(٨) ، فاستخرجوه مبايماً في الخلافة . منصوباً بأعلى كرسى الإمامة ، مدعوماً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الخلاف) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ابن بطون .

(٣) نار الجباحب ، أعنى ما تطاير من شرر النار في الهواء من تصادم حجارة أو نحو ذلك .

(٤) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (من شيوخ) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (موقون) . والمزنون ، المحقون البول .

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (منتجة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (ميب) وفي «الملكية» معيب .

(٨) في «ج» (سلسلة) والتصويب من «الزيتونة» .

بالأيدي لكونه قلقاً لا يثبت على الصهوة مختاراً لحماية البيضة. والعدل في الأمة،
مفتياً للذب عن الحنيفة السمحة، وسعدوا به إلى ريوه بإزاء قلمتنا، مُنتترا باب
البنود^(١)، مستندا إلى الرّيض. مطلاً على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة ابن
مطرون^(٢) الكاري، الكسح الدروب برسم المسومة، الحرْد، المهين الحجة،
فحل^(٣) طاحونة الغدر، وقدر الشوق والحياة. واليهودي الشكل والنحل،
وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آله. ونشرت
عليه راية قال رأياها، وخاب سعيها، ودارت به زعنفة من طعام من لا يملى ولا
يزيد المكا والصغير من حيله، وأنبث في سكك البلد مناديه. وهتف أولياء
باطله باسمه وكُنيتته. وانتجزوا مواعيد الشيطان فأخلفت، ودعوا سماسير الغرور
فصمت، وقدحوا زناد الفتنة فصلدت وما أوارت. ولحين شعرنا بالحادثة،
ونظرنا إلى مرج الناس. واتصل بنا ریح الخلاف. وجهير الخلمان. استعنا بالله وتوكلنا
عليه، وفوضنا أمرنا إلى خير الناصرين، وقلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق،
وأنت خير الفاتحين، واستركبنا الجند. وأذعنا خبر العطاء، وأطلقنا بريح الجهاد،
ونقير الجلال. وملأنا الأكف بالسلاح، وعمرنا الأبراج بالرجال. وقرعنا طبول
الملك، ونشرنا ألوية الحق؛ واستظهرنا [بخالصة الأمراء]^(٤) أولياء الدعوة،
وخاطبنا فقيه الرّيض، نخب مخبره، ونسبر غوره، فألفينا متوارياً في وكره،
مرعياً على دينه. مُشققاً من الإخطار برُمه، مشيراً كُمه. وتفقدا البلد. فلم ترتب
بأحد من أهله. فلما كملت البيعة. وفحمت الجملة، أنهدنا الجيش، ولى أمرنا،

(١) هو أحد أبواب غرناطة القديمة، وقد سبق التعريف به.

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية». ووردت في «ج» ابن بكرون.

(٣) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (بل). ونعتقد أن

الأولى أرجح.

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في «الملكية» (بمخالصة الأمر). والأولى

أنسب للسياق.

الذي اتخذناه ظهيراً ، واستنبطناه مشيراً ، والزمناء جليساً وصهيراً^(١) . ولم ندخر عنه محلاً أثيراً ، الشيخ الأجل ، أبا سعيد عمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو ، مُهد الرعب بقدومه ، والسعد في خدمتنا بخدمه ، في جيش كثيف الجملة ، سابع العدة ، مزاح^(٢) العلة ، وافر الناشئة ، أخذ بياب الرَبَضِ وشُعابه ، ولفَّ عليه أطنابه ، وشرع إليه أمله . ولم يكن إلا كلاً ولا . حتى داسه بالسناكب ، وتخلّفه بحرُ العوالي ، وبحرى السوابق . وهو الحمى الذي لا يتوعد ، والمجدُ الذي لا يغرب ، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السلم ؛ واستظلاله بظلال العافية ، لَحَثَ^(٣) الفاقرة ، ووقعت به الرزية^(٤) . وفر الأعداء لأول وهلة ، وأسلموا شقيهم أذلَّ من وتد في قاع ، وسلحفة في أعلى يقاع ، فتقبَّض عليه . وأخذت الخليلُ أعقاب الغدرة أشياعه ، وقيد إلينا برسف في قيد المهزم . ثعلبان مكيدة ، وشكبة ضلال ومظنة فضيحة ، وأضحوكة سمر . فتضرع بين أيدينا ، وأخذته الملامة ، وعلاه^(٥) الخزي ، وثُلَّ إلى المطبق ، حتى نستدعى حكم الله في جرْمه ، وتقتضى الفتيا في جريته ، ونختار في أقسام ما عرضه الوحي من قتلته . وهدأت النائرة ، والحمد لله من يومها ، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها ، فالحمد لله الذي أتم نوره ولو كره الكافرون « إن هؤلاء مُتبرِّ ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون » . وماذا رابهم مناً ، أصفر الله مُنقلبهم ، وأخزي مرْدَمهم ، واستأصل فُلُككم . أولاً يتبني أمر وارثه . ثم عوده إلينا طواعية ، ثم رفعنا وطأة العدو وحرَّبه ، ومددنا ظلال

(١) هكذا في «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت بحرفة في «ج» (وسهرا) .

(٢) وردت في «ج» (قداح) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (المرتبة) وفي «الملكية» (المرينه) .

والأولى متفقة مع السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و«الملكية» (وجلاه) والأولى أنسب

السياق .

الأمن دفعة ، وأنفأنا^(١) رَمَقَ الثُّغُورَ، حين لم يجدوا حيلة إلا ما عرفوا من أمنه،
 وبلوا من حَيْطَتِهِ^(٢) وتَسَوَّغًا من هُدْنِهِ، وانسجبت فوق آمالهم وحرِيمِهِم من عِفَّةٍ .
 وأظهر الله علينا من نعمة . ربنا أنك تعلم ما نخفي وما نعلن . وما يخفى على الله من
 شيء في الأرض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا . وعاملنا بدخلتنا فيهم ، وإن
 كنا أردنا لجماعتهم شرًا ، وفي دينهم إغماضا ، وعن العدل فيهم عدولا ، فعاملنا
 بحسب ما تبلوه من عقيدنا^(٣) ، وتستكشفه من خبيثتنا ، وإن كنت تعلم صحة
 مُناصحتنا لسوادهم ؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم ، ورعى^(٤) صلاحهم ،
 وتكيف^(٥) آمالهم ، فصل لنا عادة صنعتك فيهم ، ومسلنا طاعتهم ، واهد بنا
 جماعتهم ، وارفع بنظرنا إطاعتهم ، يا أرحم الراحمين .

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حُسن العفو، وأستقر على التي هي أركى، وظهر
 لنا لا تخاف بالله دوكا ولا تخشى، وأن سبيل الحق أنجبى ومحجته أحجى،
 خاطبنا كم نجلو^(٦) نعم الله قبلنا^(٧) عليكم، ونُشيد بتقوى الله بناديكم، وعنايته
 لدينا ولديكم، ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتبارا،
 فزجوا الله وقارا، وتزيدوا يقيناً واستبصارا، وتصفوا العين من اختار لكم
 اختيارا . وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم . كتب
 في كذا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . صح هنا

(١) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» (حيطه) . والأولى

أنسب للسياق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عقدنا) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وروم) والمزوى واحد .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلف) . والأولى أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بجلو) وهو تحريف .

(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (قبلكم) .

الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة

اقتضى نظر الحزم ، ورأى الاجتهاد للإسلام ، إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين ، فعظم الأثر ، وشهرُ الذكر ، واكتسحت الماشية ، وألم السيف . وكان ثغر برُغَة^(١) ، الفائزةُ به يدُ الكفرة ، لهذه السنين القريبة ، قد أهدم القلوب ، وشغل النفوس ، وأضاق الصدور ، لانبات^(٢) مدينة رُنْدَة ، بحيث لا يخلص الضيف ، ولا تبلغ الرسالة من الطير وغيرها إلى ناحية العدو^(٣) . فوقع العمل على قصده ، واستعانة الله عليه ، واستنفر لِمنازلته أهل الجبال الغربية من مالقة ورندة ، وما بينهما ، ويسر الله في فتحه ، بعد قتال شديد ، وحرب عظيمة^(٤) ، وجهاد شهير ، واستولى المسلمون عليه ، فامتألت أيديهم أثاناً وسلاحاً ورباشاً وآلة ، وطهرت للحين مساجده ، وزيدت بكلمة الله مشاهده | وأنت بالمؤمنين معاهده [٥] ورُتبت فيه الحمأة والرماة ، والفرسان الكجاة ، واتصلت بفتح الأيدي ، وارتفعت العوايق . وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السبل ، والحمد لله . وتوجهت بفتح الرسايل ، وعظمت المنن الجلائل ، وفر العدو لهذا العهد عن حصن السهابة ، من حصون الحفرة اللويشية ، وسد الطريق المائة ، وذلك كله في العشر الأوسط^(٦) لشعبان من هذا العام . ثم أجلب^(٧) المسلمون في رُنْدَة في أخرياته

(١) هكذا في «ج» . وفي الزيتونة» (بغرة) . وهو تحريف . وبرغة بالإسبانية Burgo ، وهي تقع شرق رُنْدَة .
(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (لانتباب) . وبالتصويب يستقيم المعنى . والانبات معناها الانقطاع .
(٣) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (وابه من الاعانة مسلما بها للاستباحة) وقد رأينا الاغضاء منها نظرا لاعتطرابها وغموضها .
(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (عظيم) . فاقتضى التصويب .
(٥) الزيادة من «الزيتونة» .
(٦) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (الأول) .
(٧) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . ومعناها احتشدوا .

وقصدوا^(١) [باغة وجيرة]^(٢) فاستنزلوا أهلها ، وافتتحوها ، فعظمت النعمة ، واطرد الفتح ، واتسعت الجهة .

وكانت مما خوطبت به | الجهة المرينية^(٣) | من إملاني :

المقام الذي نبشره بالفتح ونحييه ، ونعیده له خبر المسرة بعد أن نبديه . ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهضه من أشعان | الزهور ونجنيه^(٤) ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه ، وإعانتهم أهم ما يعنيه . مقام محل أحننا الذي نعظم قدره ، ونلتزم بره . ونعلم سره في مساهمة المساهين وجهره ؛ السلطان الكذا ، الذي أبقاد | الله^(٥) في عمل الجهاد ونيته ، متكفلة بنشر كلمة الله طويته ، متممة من ظهور الدين الحنيف أمنيته . معظّم جلاله . ومجزّل ثنائه ، ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادي واعتنايه . أيد الله أمره ، وأعز نصره . سلام | كريم^(٦) عليكم ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله ، وأصل سبب الفتوح ، ومجزّل مواهب النصر المنوح . ومؤيد الفية القليلة بالملايكة والروح . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبينا ، الآتي بنور الهدى بين الوضوح . داعي من قبوله ورصوانه إلى المنهل المورود والباب المفتوح ، والرضا

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٢) ورد مكانها في «ج» (باعة وعارجير) وفي «الملكية» (باعه وعار واجره) وفي «الزيتونة» (باعث وعار وجيره) . وهذا كله تحريف شديد . والصحيح ما أثبتناه وهو (باغة وحيرة) . وهما حصنان يقعان بين رندة ومالقة . وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة السلطان الفتي بالله في شعبان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . (راجع كتابي نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (الطبعة الثالثة) ص ١٤٨ .

(٣) المقصود هنا بالجهة المرينية هو بلاط فاس . وكان ملك المغرب يومئذ هو السلطان أبو زيان محمد حفيد السلطان أبي الحسن المريني ، وقد حكم من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٦٨ هـ .

(٤) وردت في «ج» (الظهور ونجنيه) . والتصويب من «الملكية» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

عن آله وأصحابه . أسود الشروح . وحماة^(١) الشروح ، والمقتفين نهجه في جهاد
عدو الله بالعين القارة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالعز الرفيع الصروح
فإنا كتبناه إليكم . كتب الله لكم سُبُوح المواهب . ووضوح المذاهب ،
وعزة الجانب . وظفرة الكتايب . من حمراء غرناطة حرسها الله ، ونعم الله
وا كفة السحايب ، كفيمة بذيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف ،
ويجمل الشهيد دليلاً على الغايب . وإلى هذا وصل الله إءزازكم ، وحرس أحوازكم
وعمر بالحقيقة من أمراد مجازنا ومجازكم . فإننا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من
الثغر العزيز على الإسلام ، العايد رزوه الفادح على عبادة الأصنام ، وكاب الغارات ،
وممكن حياة المضمرات ، ومخيف الطريق السابلة ، والمسارح الآهية ، حصن برغبة^(٢)
ويسر الله في استرجاعه مع شهرة امتناعه ، وتطهر من دنس الكفار [وأنيرت
مئذنته]^(٣) بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار ، وعجلنا^(٤) ذلك على حين وضعت
الحرب فيه أوزارها . ووفت الأوتار أوبارها^(٥) ، فسار الكتاب إليكم ، وأجير
الأجر لم يجف عرقه ، وعذر الاستعجال لاجبة طرقه . ولما عدنا إلى حضرتنا ، بعد
ما حصناه وعمرناه . وأجزلنا نظر^(٦) الحزم له وفرقناه . لم تكد البنود لمسرة فتحه
أن تعاد إلى أما كن صونها ، مرتقية عادة الله في عونها . حتى طرقت الأنباء السارة
بتوالى الصنع وانفراده بتشفيح أفراده . وذلك أن أهل رندة حرسها الله ، نافسوا
جيرانهم من أهل مالقة ، كان الله لجميعهم ، وتولى شكر صديقهم ، فيما كان من امتيازهم

(١) هكذا في «ج» و «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (حملة) .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (حصن أشر) . ولكن من الواضح هنا أنه يقصد حصن

(برغة) الذي افتتح في هذه الغزوة . أما حصن أشر فقد افتتح في الغزوة التالية حسبما يجيء .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وإنارة مأذنته) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (وجعلنا) . والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (أوتارها) . والتصويب من «الملكية» .

(٦) وردت في «ج» (نصر) . والتصويب من «الملكية» .

بمحسن برغبة ، الجار المُصَاقب لها ، فحُميت همهم السنية . وهانت في الله موارد المنية .
وتضافر العمل والنية - وظهر نُجج المقصد الدينية في إتاحة الفتوح - المنية ، فوجهوا
نحو حصن وحبر^(١) ، وهو الداين صحر^(٢) المدينة ونحرها . والعدو الذي لا يتر عن
ضرها ، والحية المذكور التي هي مروان^(٣) أمرها ، فتمحوه بعون الله وقوته ، وتهنؤوا
بعده سلوك الطريق ، وإشاعة الريق ، ومراصد الحرس . ومجلو الجرس ، وأنصفوا ،
وانصرفوا إلى حصن باغة ، من مشاهد تلك الحفرة^(٤) ، فثابؤوا القتال . وأذاقوه
الوبال . وفوقوا إليه النبال ، ففتحة الله فتحاً هيناً . لم تفت فيه للمسلمين نفس
ولا تطرق لنصر التيسير لبس ، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليه . والمنن
المتقدمة والسالية . وأعدنا الأعلام إلى مرا كرها المشرفة^(٥) المراقب ، والعيزل إلى
قرعها عملاً من الإشارة بالواجب ، وشكرنا الله على اتصال المواهب ، ووضوح
المذاهب ، وخاطبنا مقامكم الذي ترى الصنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده ،
ويُعتد في الحرب والسلم بمجده ، علماً بأن هذه المسرات ، نصيبكم منها النصيب
الأوفى ؛ وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى . ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكليات ،
التي تفتت كبد العدو تنالها ، وتروع أحوازه وما يليها ، ولا بد له من امتعاض
يروم به صرع المعرّة ، ويأبى الله أن ذلك يأتي بالكثرة ، والله يجعلها محركات
لحنفه المرقوب ، وحينه المجلوب ، ويحقق حق^(٦) القلوب . في نصرة المظلوم ،
عرفناكم بما تريدون عملاً^(٧) بواجب برؤكم ، ومعرفة بقدركم . وما يتزايد نعرفكم
به . ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه والسلام .

(١) هكذا ورد اسمه في «ج» . وفي «الزيتونة» (وصبر) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وحير) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (مراوات) .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (الخصرة) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» (المشرقة) والأولى أرجح .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٧) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (علماً) والأولى أرجح .

الغزاة إلى حصن أشر^(۱)

وفي أوائل شهر رمضان بعده - عمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشر .
وهو قفل^(۲) الثغر الذي فضّه الطاغية ، وسورها الذي فرغه^(۳) الكفر . وجارحُه
المخلّق على البلاد . والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد . فتأذن الله برد
مُغتصِبِه ، والشفا من وَصْبِه ، وأحاط به وناصبه الحرب . ففتحة الله على يده عَنَوَةٌ .
على سمو ذروته ، وبعد صيته وشهرته ، واختيار^(۴) الطاغية في حاميته بعد حرب
لم يسمع بمثله ، فاز بمزية الحمد فيها السلطان ، لمباشرتة إيها بنفسه ، وحمل كَلِّها فوق
كاهله ، واتقاد ما أخذ من الحمية بتحريره . ثم لما كان بعد الفتح من [استخلاص
القَصَبَة]^(۵) وسدّ ثَلَمِها بيده ، ومصابرة جو القيظ عامة يومه ، فحاز ذكراً جليلاً
وحلّ من القلوب محلاً أثيراً ، ورحل منها ، بعد أن أسكن بها من الفرسان وابلة
مُتَخَيِرَة ، ومن الرّماد جُملة ، وتخلّف سلاحاً وعدّة . فكان الفتح على المسلمين .
في هذا المَعْقِلِ العزيز عليهم جليلاً . والمنّ من الله جزيلاً ، والصنع كثيراً ،
وصدوت المخاطبة للمغرب بذلك . على الأسلوب المرسل الخلى من السجع الغنى .

الغزاة المَعْمَلَة إلى أطرية

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة ، كانت الحركة إلى مدينة أطرية^(۶)

(۱) وردت في كل من «ج» و «الزيتونة» (آش) . وهو تحريف . وحصن أشر يقع
على مقربة من أطرية شرقي إشبيلية . وقد وقع غزو أطرية عقب ذلك حسبما يجيء . واستولى
المسلمون بقيادة السلطان الغنى بالله على حصن أشر في رمضان سنة ۷۶۷ هـ وقاموا بتحصينه .
(۲) في الزيتونه (قبل) .

(۳) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» .

(۴) وردت في «ج» وفي «الملكية» (اختبار) . ومنتقد أن التصويب أرجح .

(۵) وردت مكان هذه العبارة في «ج» (مواساة الفعلة) . ووردت في «الزيتونة»

و «الملكية» (مواسات الفتح) . وهي عبارات لا معنى لها . وبالعبارة الموضوعية يستقيم المعنى والسياق .

(۶) أطرية وبالإسبانية Utrera هي مدينة صغيرة تقع جنوب شرقي إشبيلية ، وشرقي

نهر الوادي الكبير .

بنت إشبيلية. و بلدة تلك الناحية الآمنة. مهاد الهدنة البعيدة عن الصرمة. حرك إليها بعد المدى. وآثرها بمحض الردى، من بين بلاد العدا. ما أسلف به أهلها المسلمين. من قتل أسراهم في العام قبله. فنازلها السلطان أول رمضان. وناشبهها الحرب واستباح المدينة وربضها عنوة. ولجأ أهلها إلى قصبها المنيع. ذات الأبراج المشيدة، وأخذ القتال بمخنقهم، وأعان الزحام على استنزاهم، فاستنزوا على حكم المسلمين، فيما يناهز خمسة، بما لم يتقدمه عهد. ولا اكتحلت به في هذه المدة عين. ولا تلقته عنها أذن، وامتلات أيدي المسلمين، بما لم يعلمه إلا الله. من شقى الغنائم، وأنواع الفوايد، واقتسم الناس السبي رُما على الأكفال والظهور، وتقديرا بقدر الرجال. وحلأ فوق الظهور للفرسان. وعمرانا للسروج والأعضاء بالصبية، وبرز الناس إلى ملاقة^(١) السلطان في هول من العز شهير من الفخر. وبعيد من الصيت. قرّت له أعينهم، وقعد لبيعتهم أياما تباعا، وولأ بهم البلاد هدايا وتحنا والحمد لله [وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي^(٢)].

الغزاة إلى فتح جيان

وفي آخر محرم من عام تسعة^(٣) وستين وسبعمائة. كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان، إحدى دور الملك، ومدن المعمود، وكرسیة^(٤) الإمارة، ولوان المدن الشهيرة، افتتحها الله عنوة، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والأسلح، ومكّنهم من قتل المقاتلة. ومسي الذرية، وتخریب الديار، ومحو الآثار، واستنساف النعم، وقطع الأشجار. وهذا الفتح

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» (ققول). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هذه الجملة واردة في «الزيتونة» وفي «الملكية». وساقطة في «ج».

(٣) وردت في «الزيتونة» (سبعة) وهو تحريف.

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة.

خارق . تعالى أن يحيط به النظم والنثر . فذكره أطير . وفخره أشهر . وصدوت في ذلك المخاطبة من إملأني إلى ملك المغرب . وأصاب الخلق عتب القبول في هذه الغزاة . مرض وافد . فشا في الناس كافة ، وكانت عاقبته السلامة ، وتدارك الله بانفقه . فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء . ومواقف الإطراء . إلى شغل عن ذلك^(١) .

الغزاة إلى [مدينة]^(٢) أبدة

وفي أول ربيع الأول من هذا العام ، كان الغزو إلى مدينة أبدة ، واحتل بظاها جيش المسلمين ، وأبلى السلطان في قتالها ، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أهبة . واستعدت بما في الوسع والقوة ، وكانت^(٣) الحرب بها مشهورة . وافتتحها المسلمون فانهبوا . وأعفوا مساكنها العظيمة البناء . وكنايسها العجيبة المرأى ، وأصتوا أسوارها بالثرى ، ورأوا من سعة ساحتها ، وبعد أقطارها ، وضخامة بناها . ما يكذب الخبر فيه المرأى ، ويبلد الأفكار ، ويحير النهى . والله الحمد على آلايه التي لا تحصى . وقفل المسلمون عنها ، وقد أخربوها ، بحيث لا تعمّر وباعها ، ولا تأتلف حجورها وجموعها . وصدت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشأى بما نصه :

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة ، بطرّه بن أدفونش بن هراندة بن شانجه ، وهو الذي تهبأ به الكثير من الصنع للمسلمين ، بمزاحمة أخيه أندريق^(٤)

(١) وردت بعد ذلك في «ج» العبارة الآتية (العدو إلى مدينة أبدة) . وهي عبارة لا محل

لها هنا .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وكان) وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) سبق أن أوضحنا أن هذا الاسم يقصد به الدوق هنرى دى تراسمارا الأخ غير الشرعى

الملك بيدرو الثالث (بطرّه) ملك قشتالة .

في الملك وتضييقه عليه ، [وحيار سبعة]^(١) من كبار أصحابه ، وأهل ملته إليه ، وافتقار بطره المذكور إلى إغاثة المسلمين ، وإجلابهم على من آثر طاعته ضده ، فانهزم بظاهر حصن مُنتيل ، ومعه عدد من فرسان المسلمين ، ولجأ إلى الحصن على غير أهبة ولا استعداد . فأخذ أخوه الذي هزمه بمُخَنَّقَه ، وأدار على الحصن البنا ، وفرّ جيشُ المحصور ، فاجتمع فله بأحوال أبدية ، وراسلوا المسلمين في مظاهرهم على استنقاذهم ، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك . ووقع الاستنفار والاحتشاد حرصاً على تخليصه ، ليسبب بقاءه بقاء الفتنة تستأصل الكفر ، ونشغل^(٢) بعض العدو ببعضه .

وفي أثناء هذه المحاولة تباطن^(٣) الحائز المحصور بمن معه ، وبعد عليه الخلاص من ورطته . ومساهمة المسلمين إياه في محنته ، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته ، فداخل بعض أمراء أخيه وظهريه ، ممن يباشرون حصاره . وكان قوماً شهيراً من المدد الذي ظاهره . من أهل إفريقية ، ووعدوه بكل ما يطمع من مال ومهيد . وتوفية عهد . فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة . ولما نزل إليه . سجنه ومن لحق به من الأدلاء [وأولى الحرّة بالأرض]^(٤) وأمسكه ، وقد طير الخبر إلى أخيه ، فأقبل في شزيمة من خواصه وخدّامه ، فهجم عليه وقتله ، وأوسع العفو من [كان]^(٥) محصوراً معه ، وطير إلى البلاد برأسه ، وأوغر الثبن^(٦) في جثته . ولبس ثياب

(١) وردت في الزيتونة (وحيار من السبعة) وفي «الملكية» (وحيار من أسد) . وفي «ج» (من أسط) . وبالنسبة يستقيم السياق .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاث (واستغل . واشتغل) فاقضى التصويب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٤) هذه العبارة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) وردت مكسها في «الزيتونة» (وهو) وفي «الملكية» (من هو) . والتصويب أنسب

لسياق .

(٦) وردت في «ج» (واوغر تبر) وفي «الزيتونة» (واوغر تبن) وفي «الملكية» (واوغر تبن)

والتصويب يستقيم السياق .

الحزن من أجله . وإن كان معترفاً بالصواب في قتله . وخاطب البلاد التي كانت
 [على] (١) مثل الجمر من طاعة ، الجاهر (٢) بظاهرة المسلمين . وما جرّ ذلك من
 افتتاح بلادهم ، وتخريب كنائسهم ، والإتيان على نعمهم ، فأجابته ضربة ، وانفتحت
 على طاعته . فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة . واجتمعت
 كلمة النصارى ، ووقع ارتفاع شتاتهم ، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين ، وشاع
 استدعائهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل بمرجلونه (٣) . وعدو الأشبونة ،
 والعدو الثقيل الوطاة بإفرانسية . وقد كان الله جل جلاله ، ألهم أهل البصائر النظر
 في العواقب ، والفكر فيما بعد اليوم أعمل . ووقع لي إذن السلطان . المخلى بيني
 وبين النصارى ، في مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد . فأشرت عليه
 بالاحتراز من قومه . والتفطن لمساكيد من يحطّب في حبل أخيه ، وأرئته اتخاذ
 معقل يحرز ولده وذخيرته . ويكون له به الخيار على دهره (٤) ، واستظهرت (٥) له
 على ذلك بالحكايات المتداولة . والتواريخ المعروفة . لتتصل الفتنة بأرضهم . فقبل
 الإشارة وشكر النصيحة ، واختار لذلك مدينة قرمونة . المختصة بالجوار المكتب ،
 من دار ملكهم إشبيلية ، فشيّد هضابها . وحصّن أسوارها ، وملاها بالمخازن طعاماً
 وعدّة ، واستكثر من الآلات ، واستظهر عليها بالنقات ، ونقل إليها المال والذخيرة ،
 وسجن بهارها ن أكابر إشبيلية ، وأسرى المسلمين ، وبالغ في ذلك ، فيما لا غاية
 وراءه ولا مطمع . ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه ، حتى تركها عدّة
 خلفه . وأودع بها ولده وأهله ، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهادنة (٦)

(١) هذه الكلمة لازمة لاستقامة السياق .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (الجدير) . والتصويب أرجح .

(٣) هي مدينة برشاونة خاصة بملكة أراجون وقتئذ .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . وفي «الزيتونة» (ظهريه) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (استظرت) . والتصويب أنسب للسياق .

(٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وردت في «ج» وفي «الملكية» (مصدنة) والأولى

أنسب للسياق .

ضده. ولا يُقرُّ أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالنحل على شهبه، ولجأوا إلى المسلمين، فبَغَضَ عليهم الكربة والفتح بقاء هذا الشجى. المعترض في حلقة، وأهمه تغيير أمره. وجمع به المسلمون لأجله. وأظهروا لمن انحاز بقرمونة. الاتساک بعهد. فعظم الخرق، وأظهر الله نَجْحَ الحيلة. وصدق [بها] (١) المخيلة، وتفتر الأمر. وخذت (٢) نار ذلك الإرجاف. واشتغل الطاغية بقرمونة. بخلال ماخو طب به صاحب الأرض الكبيرة (٣). فطمعه في المظاهرة. وتحطّب له مُلْكُ قشتالة. وعقد السلم مع صاحب برطغال (٤) والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم. وخرجت عليهم الخوارج. فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة. وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أخوازها. وجعل الخمص موجهة قرمونة وانصرف إلى سدّ الفتوق التي عليه بلطف الحياة. ببواطن أرضه وأحشاء عمالته. وصار في ملكه أشغل من ذات التّحيين. [فساغ الرّيق] (٥). وأمكن العذر. واتهمز الغرّة. واسترّفت الحركة (٦). فكانت إلى حصن مُنتيل والحويز. ففتحها الله في رمضان من عام سبعين وبعماتة. ثم إلى ثغر رُوطة. ففتحها الله [عن] (٧) جهده كبير، واتصل به حصن زمرة (٨). فأمن الإسلام عادية العدو بملك الناحية، وكبس أهل رُنْدَة. بإيعاز من السلطان إليها. وإلى من بالجبل. جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشور. فيسر الله فتحها في رمضان أيضاً.

(١) الزيادة من الزيتونة.

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وخمد). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٣) الأرض الكبيرة هي فرنسا.

(٤) هكذا وردت في «ج»، وفي «الملكية» و«الزيتونة» (برتقال).

(٥) واردة في «ج» و«الملكية»، وساقطة في «الزيتونة».

(٦) وردت في «ج» وفي «الملكية» (الحركات) والتصويب أنسب السياق.

(٧) الزيادة من «الزيتونة».

(٨) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و«الملكية» (حصن مرة).

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء . باب الأندلس . وبكرُ الفتح الأول ، فكانت الحركة إليها شهر ذى الحجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصه :

«عاشر المسلمين المجاهدين وأولى الكفاية عن ذوى الأعدار من القاعدين .
أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين . وجعلكم فى سبوى الأجر والفخر من الزاهدين .
إعادوا رحمكم الله . أن الإعلام بالأندلس . ساكن دار . والجزيرة الخضراء بابهُ ،
ومُبعد مَغار ، والجزيرة الخضراء رِكابه . فمن جهتها اتصلت فى القديم والحديث
أسبابه . ونصرتة على أعدائه وأعداء الله أحببهُ . ولم يشك العدو الكافر الذى
استباحها . وطمس بظلمة الكفر صباحها^(١) . على أثر اغتصابها . واسوداد الوجوه
المؤمنة لمصابها ، وتبديل محاربها . وعلوق أصله الخبيث فى طيب ثرائها . أن صريح
الدين الخفيف بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يفوم . بعد أن فرى الخلقوم .
وأن الباقى رمق يذهب . وقد سُدَّ إلى التدارك المذهب . لولا أن الله دفع الفارقة
ووقاها . وحفظ المسكنة^(٢) واستبقاها . وإزكان الجبل^(٣) عصمه الله نعم البقية .
وبمكانه حفت التنية . فحسبك من مصراع باب بُجع بثانيه . ومضايق جوارحيل
بينه وبين أمانيه . والآن يا عباد الله قد أمكنكم الاتهاز ، فلا تضيعوا الفرصة ،
وفتر المَخنق فلا [تسوغه غصّة]^(٤) . واعمروا البواطن بحموية الأحرار .
وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار . وانظروا للعون من الذرارى والأبكار .
والنشأة الصغار ، زغب الحواصل فى الأكوار ، والدين المنتشر بهذه الأقطار ،

(١) وردت فى المخطوطات الثلاث (صاحبها) وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٣) الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح أو جبل طارق .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «هج» وفى «الملكية» (تسوها) .

واعملوا للعواقب، تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضماير، يُبَيِّنْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَمَلَكُمْ،
فَاعُذِرْ مِنْ سَلَمٍ فِي بَابٍ وَكُرْهُ. وماذا ينتظر من أذعن الكيد عدوّه ومكره. من
هذه الفُرْضَة. دخل الإسلام تروّع أسوده. ومن هذه الجهة طلع | الفتح الأول |^(١)
تَخَفُّقٌ بِنُورِهِ، ومنها تقتحم الدير الغريب. إذا وامت الجواز وفُوده، فيبصر
بها صافات والدليل يقوده. البابُ المسدود يا عباد الله فافتحوه، وَجْهُ النَّصْرِ تَجَلَّى
يا عباد الله فالمحور، الداء العُضال يا عباد الله فاستأصلوه، حَبْلُ اللَّهِ يَارْجَالِ اللَّهِ قَدْ
انقطع فصوله. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تُخْتَبِرُ الهِمَمُ العالِيَة،
في مثلها تُشْبِرُ^(٢) العقائد الوثيقة، وتُدَسُّ الأحباس العريقة، فنضّر الله وجهه من
نظر إلى قلبه، وقد امتلأته^(٣) حَمِيَّةُ الدِّينِ، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا
مُهَيَّأً لِلْجَبِينِ.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي
الذي أوفدت^(٤) من خصوص الرّحمت وأجزلت، وبكل نبي^(٥) ركب لوجهك
الكريم وسجد، وبكل ولى | سدّه من إمدادك كما وجد |^(٦). ألا ما ردّدت
علينا ضالتنا الشاردة. وهنأتنا بفتحها | من |^(٧) نعمك الواردة، يا مسبل المآرب
العسرة، يا جابر القلوب المنكسرة، يا ولى الأمة الغريبة. يا منزل الآيات القريبة،
اجعل لنا من ملايكة نصرك مدداً، وانجز لنا من تمام نورك الحق موعداً. ربنا
آتينا من لدك رحمةً، وهيء لنا من أمرنا رشداً.

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الملكية» (الفتح الأول).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» و «الملكية» (تشعر) وهو تحريف.

(٣) هكذا في «ج» و «الزيتونة». ووردت في الملكية (أمنه).

(٤) وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و (فدت). والتصويب أرجح.

(٥) هكذا في «ج». وفي الملكية (ولى).

(٦) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الملكية» و «الزيتونة».

(٧) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

فوق الانفعال ، وانتشرت الحمية ، وجُهزت الأساطيل . وكانت مُنازلاتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور ، وعاطاها المسلمون الحرب ، فدُخلت البنية^(١) وهي المدينة الملاصقة لها عنوة ، قتل بها من الفرسان الدائرة عدّة . ومُرفت الغنائم إلى المدينة الكبرى . فأوا من أمر الله ، ما لا طاقة لهم به ، وخذلهم الله جلّ جلاله ، على مَنمة الأسرار | وبعد مهاوى الأغوار ، وكثرة المدّ والمُدَد [٢] . وطلبوا الأمان لأنفسهم . وكان خروجهم عنها يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور . السعيد على المسلمين ، في العيد^(٣) والسرور ، [برُد الدين]^(٤) . والله الحمد على آلايه ، وتوالى نعمه وإرغام أعدايه .

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة . أُعْمِل الحركة إلى أحواز إشبيلية دار الملك ، ومحل الشوكة الحاذة ، وبها نايبُ سلطان النصارى . في الجمع الخشن من أمجاد فرسانهم ، وقد عظم التضيق ببلدة قرمونة ، المنفردة بالانزواء على ملك النصارى ، والانحياز إلى خدمة المسلمين ، فنازل المسلمون مدينة أشونة^(٥) ، ودخلوا جفنها عنوة ، واعتصم أهلها بالقصبة ، فتعاصت ، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات . فكان الانتقال تَدُمًا إلى مدينة مرشانة^(٦) [وقد أُحدقوا بها]^(٧) . وبها المُدَّة والعديد من الفرسان الصناديد ففتحها الله سبحانه ، إلا

(١) البنية وبالإسبانية La Pena هي بلدة صغيرة تقع على المحيط غربي مدينة الجزيرة الخضراء وشمال مدينة طريف .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (العيدين) .

(٤) هاتان الكلمتان واردتان فقط في «ج» .

(٥) أشونة وبالإسبانية Osona بلدة تقع جنوب شرق إشبيلية ، على مقربة من شرق مدينة

مورور .

(٦) مرشنة وبالإسبانية Marchena بلدة تقع جنوب شرق قرمونة وإشبيلية . وشمال

مورور .

(٧) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وقد أحدث إينها) . وهو فيما يبدو تحريف . وبالتصويب

يستقيم السياق .

القَصْبَة . واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها من الدواب والآلات على ما [لا] (١) يأخذه الحَصْر . وقتل الكثير من مقاتلتها . وعمَّ جميعها العَدَم والإحراق . ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها . ما نُقِلَهُ أَظْهَرَ (٢) . مراكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التَّوسُّعَ . وانحطاط الأَسعار . وأوجب الغلاء في أرض الكفار ، وقفل والحمد لله في عزٍّ وظهور . وفرح وسرور .

مولده السعيد النَّشِيَّة (٣) ، الميمون الطلوع والحيية

المقترن بالعاوية . منتولاً من تهليل نشأته المباركة . وحرز طفولته السعيدة ، في نحو ثلث ليلة الإثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة . قُلْتُ . وواتقه من التاريخ الأعجمي [رابع يناير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين] (٤) لتاريخ الصفر . واقتضت صناعة التعديل بحسب قيودا وبطليموس . أن يكون الطالع بـبرج (د) القمر ، لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة . وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الإثنين المذكورة . والطلع من بُرج الشُّبُلَة ، خمس عشرة درجة . وثمان وأربعون دقيقة من درجة . كان الله له في الدنيا والآخرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لاستقامة السياق .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظهور) .

(٣) وردت في «ج» . و «الملكية» (النشبة) ونعتقد أن كلمة (النشبة) ومعناها النشأة

أنسب للتوافق .

(٤) إن هذا التاريخ الميلادي الذي يورده ابن الخطيب (وهو ٤ يناير سنة ١٣٧٧ م مقابل التاريخ الهجري لمولد السلطان الغني بالله وهو (٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٧٣٩) ينطوي على خطأ حسابي بين . والحقيقة أن مقابل التاريخ الهجري المذكور بالميلادي هو ٢١ يناير سنة ١٣٢٨ م .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (بدرج) والأولى أرجح .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس
ابن نصر بن قيس الخرزجي الأنصاري

من ولد سعد بن عبادة - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابن سليمان
ابن حارثة [بن خليفة] (١) بن ثعلبة (٢) بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هميم بن يمن بن نبت بن إسماعيل
ابن إبراهيم ، صلى الله عليه وعلى محمد الكريم . أمير المسلمين بالأندلس ودايلها
[وخدمة النضرين بها] (٣) ، يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله .

أوليته

وقد اشتهر عند كثير ممن عني بالأخبار أن هذا البيت النضري من ذرية
سعد بن عبادة سيد الخزرج . وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصنف الناس
في اتصال نسبهم [بقيس بن سعد بن عبادة] (٣) غير ما تصنيف . وأقوى ما ذكر .
قول الرازي : دخل الأندلس [من ذرية] (٤) سعد بن عبادة وجلان . نزل أحدهما
أرض تاكرونا (٥) [ونزل] (٦) الآخر قرية من قرى (٧) سقرسطونة (٨) تعرف بقرية

(١) وردت هذه الزيادة في «ج» وفي «الملكية» ، ولم ترد في «الزيتونة» .

(٢) وردت هذه العبارة في «ج» فقط . (وخدم . . الخ) وهي تؤدي معناها بتصحيح الكلمة

الأولى . والخدمة هي الحلقة المشككة .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» (بسعد بن عبادة) .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) يطلق هذا الاسم أحياناً على منطقة رندة . (٦) الزيادة من «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (نظر) .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (سرقسطة) . ونحن نعتقد

أنه لا مجال هنا لذكر سرقسطة التي تقع بعيداً في الشمال ، وما يلي يدل على أن سقرسطونة - وإن لم نعر
على مكان بهذا الاسم - إنما يقصد بها مكان يقع في منطقة جيان .

الخرزج ، وتشأ بأحواز أرجونة^(١) من كنبانية^(٢) قرطبة ، أطيب البلاد مدرة ، وأوفرها غلة ، وهو بلد ، وبلد جدّه ، في ظل نعمة ، وعلاج فلاحية ، وبين يدي نعمة وشهرة ، بحيث اقتضى ذلك ، أن يفيض شريان الرياضة ، وانطوت أفكاره على نيل الإمارة | وراه مرتادوا كفاء الدول أهلاً . فقدحوا رغبته ، وأثاروا طمعه [٣] .

حدث شيخنا الكاتب الشاعر محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي السحبي ، وقد أخبرني | أنه كان يوجد | بمدينة جيان | رجل | من أهل المالية^(٤) ، وكان له فرس أنثى من عتاق الخيل . على عادة أولى المالية . وكان له من أهل الثغور ، من ارتباط الخيل ، والتنافس في إعداد القوة . وشهرت هذه الفرس . في تلك الناحية ، وبعث الطاغية ملك الروم في ابتياعها ، فعلمت بها كفت هذا الرجل ، وآثر بها نفسه ، وازداد غبطة بها لديه . ورأى في النوم قايلاً يقول له . سر إلى أرجونة بفرسك ، وابحث عن رجل اسمه كذا . وصفته^(٥) كذا . فاعطاه إياها^(٦) . فإنه سيملك جياناً وسواها . ينتفع بها عقيبك . وأرجى الأمر . فعرض عليه ثانية ، وحث في ذلك في الثالثة . فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية وأهلها . فقال له المخبر ، وكان يعرف بابن يعيش ، فوصفه له . فتوجه الفقيه إلى أرجونة ، ونزل بها ، وتسو مع به ،

(١) أرجونة بلدة من بلاد ولاية جيان تقع ، في جنوب غربي أندوجر ، على مقربة من الوادي الكبير وبالإسبانية Arjona .

(٢) يقصد بكلمة كنبانية هنا ، السهل المنبسط من الأرض ، وهي مأخوذة من كلمة Campo الإسبانية ومعناها الحقل .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد فقط في «ج» .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المانية) والأولى أنسب للسياق . ويبدو أنه قد شطبت من هذه العبارة بعض كلمات . وربما كان تركيب العبارة كلها كآلاتي (وقد أخبرني أنه كان يوجد بمدينة جيان رجل من أهل المالية) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (ونعته) والمؤدى واحد .

(٦) وردت في «ج» و «الملكية» (إياه) . فلزم التصويب .

وأقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه . فذكر غرضه فيه . وأظهر العجز عن الثمن . وسأل منه تأخير بعضه . فأسعفه . واشترى منه الفرس . بمال له خَطَر . فلما كمل له القصد . طلب منه الخلوّة به في المسجد من الحصن . وخرج له عن الأمر . وأعداه بيّعه . وحرف عليه الثمن . واستكتمه السلطان خيفةً على نفسه وانصرف إلى بلده .

قال : وفي العام بعده . دعا إلى نفسه بأرجوثة ، وتملك مدينة جيان . واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فقيل إن بعض العمال ، أساء معاملته في حق مخزني ، وقيل غير ذلك .

حاله

هذا الرجل كان آيةً من آيات الله في السّاجة والسلامة والخبورية ، جندياً ، ثغرياً شهماً ، أيّداً ، عظيم الثّجلد ، رافضاً للدّعة والراحة ، مؤثراً للتشف ، والاجترار باليسير ، متبلفاً بالقليل . بعيداً عن التصنع ، جافٍ السلاح ، شديد العزم . مرّهوب الإقدام ، عظيم الثّشّير ، [مقرّباً لضيّفه]^(١) . مُصْطَنماً لأهل بيته ، فظلاً في طلب حظّه . مُحْمِيّاً لقرابته وأقرانه وجيرانه . مباشراً للحروب بنفسه ، تتغالي الحكاة في سلاحه . وزينة دُبُوره^(٢) . يَخْصِفُ النعل ، ويلبس الخشن ، ويؤثر البداوة ، ويستشعر الجدّ في أموره . سَعِدَ بيوم الجمعة . وكان فيه تملكه جيان ، ثم حضرة الملك غرناطة ، وقيل يوم قيامه ، شرع فيه الصّدقة الجارية على ضُعناء الحضرة ، ومينايهم إلى اليوم . وتملك مدينة إشبيلية في أخريات وبيع الأول من عام ظهوره ، وهو عام تسعة وعشرين وستاية نحواً من ثلاثين يوماً . وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور ، وكلاهما عاد إلى ملك ابن هود .

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساق في «أنزيتونة» و «الملكية» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

ولما تم له القصد من تلك البيضة، والحصول على العمال مباشرة للحسابات بنفسه، فتوفر ماله، وغضت بالصامت خزائنه، وعقد السلم الكبير، وتهناً أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم (١) الأهواء. وملاً (٢) بطن الجبل المتصل بالقاعة حبوباً مختلفة. وخزائن درّة. وملاً وسلاحاً وارية (٣) ظهراً. وكراماً. فوجد فائدة استعداده، ولجأ إلى ما أذخره من عتاده.

سـ سيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالمدوة وإفريقية، يخطب لهم زماناً سيراً. وتوصل بسبب ذلك إلى أمدادٍ منهم وإعانة. [ولقب ما] (٤) افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حذو سميح ابن هود، للهج العامة في وقته. بتقاد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً، يومين في كل أسبوع. فترفع إليه الظالمات. ويشفه طالب الحاجات. وتنشده الشعراء. وتدخل إليه الوفود، ويشافه أرباب النصاب في مجلس اختص به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة. وأولى الرتب النبوية في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصحيحين. ويختم بأعشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره (٥) فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك. ويؤا كل بالعشيات خاصته من القرابة؛ ومن (٦) يليهم من نهباء القواد.

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور، محمداً ولي عهده، وأمير المسلمين على أثره، والأميرين

- (١) كذا في «ج» و «الزيتونة». ومعناها هنا: سكن.
- (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (وملك) وهو تحريف. والتصويب يستقيم السياق.
- (٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (وراية) والتصويب من «الملكية».
- (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. ومعناها هنا، وقبل ذلك.
- (٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أمره) والتصويب يستقيم السياق.
- (٦) وردت في «ج» و «الزيتونة» (ما). والتصويب أرجح.

أبا سعيد فرج . وأبا الحجاج يوسف . توفيا على حياته . حسبما يتقرر بعد
إن شاء الله .

وزراء دولته

وزر له جماعة . الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد^(١) الزعيم قاعدة
جيان . وهو الذي مكّنه من ناصية جيان المذكورة . واستوزر علي بن إبراهيم
الشيباني من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى المائة والوقار . واستوزر
الريس أبا عبد الله بن الريس أبي عبد الله الرميمي . واستوزر الوزير أبا يحيى
ابن السكائب من أهل حضرته . وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغاً فيهم .

كُتّابه

كتب له من الجماعة جماعة . كالكتاب المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد
ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشى . ولما توفى ، كتب عنه ولده . أبو بكر بن محمد .
هؤلاء . شاهير كُتّابه . ومن المرءوسين^(٢) أعلام كتابي بكر بن خطاب وغيره .

قضائه

ولى له قضاء^(٣) الجماعة . القاضي العالم الشير . أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن
ابن ربيع الأشعري . من جلة أهل الأندلس في كبر البيت . وجلالة المنصب ،
وغزارة العلم . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل
ابن غالب الأنصاري الخرزجي . ثم ولى بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (ابن صنادين) وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المدرسين) وهو تحريف .

(٣) وردت في «ج» (قاضي) والتصويب من «الزيتونة» .

ابن عبد السلام التميمي . وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة ، وآخر قضاة العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده [الفقيه]^(١) القاضي الحسين أبو عبد الله بن أضحى ، وبينه شهير ، [ولم تطل مدته]^(٢) . وولى بعده آخر قضاة أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي الملقب بالأشبرون .

الملوك على عهده

بمرا كش المأمون إدريس ، مأمون الموحدين . مزاحماً بأبي زكريا يحيى ابن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل . ولما توفي المأمون ولي الرشيد ، أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستماية . وولى بعده أبو حفص عمر بن إسحاق المرتضى ، إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دُبُوس في عام خمسة وستين . وولى بعده يسيراً بنو عامر بن علي بمرا كش^(٣) ، وتعاقب منهم على عهده جلاء : كالأمير عثمان وابنه حمو ، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق . واستمر الملك في أسن أملاكهم ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو إلى آخر أيامه .

وبتلسان . شبيهه يغمراسن بن زيان أول ملوكهم . وتقدمه أخوه أكبر منه برهة . ويغمراسن [أول من]^(٤) أثل الملك . وحاز الذكر . واستحق الشهرة . وبتونس ، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص . وخاطبه السلطان المترجم به . والتمس رِفْدَه . وقد حصل على إعانته . وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله . ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين .

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٢) واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (مراکش) .

(٤) هذه العبارة ساقطة في «ج» وفي «الزيتونة» . ويثبتها يستقيم السياق .

وبقشتالة هِرَانْدَة^(١) بن ألْمُنْشَة بن شَانِجِه الْإِنْبِرَاطُور . وهِرَانْدَة هَذَا هُوَ الَّذِي
مَلِك قَرطِبَة وَإِشْبِيلِيَة ، وَلَمَّا هَلَكَ وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْفُونْشُ^(٢) وَوَلَدَهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ،
وَاسْتَمَرَ مَلِكَهُ مَدَّةَ وِلَايَتِهِ . وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ وَوَلَدَهُ بَعْدَهُ .
وَبِرَغُون جَايْمِش ابْن بَطْرُه ابْن الْفُونْشُ قَطُّ بَرَجَلُونَهُ . وَجَايْمِش هَذَا هُوَ
الَّذِي مَلِك بَلَنْسِيَة^(٣) ، وَصَيَّرَهَا دَار مَلِكِهِ^(٤) مِنْ يَدِ أَبِي جَمِيل زِيَان
ابْن مَرْدَنِيَش .

لمع من أخباره

قَامَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ بِدَعْوَتِهِ بِفَرْنَاطَةَ ، كَمَا ذَكَرَ فِي اسْمِهِ ، وَدَعَاهُ وَهُوَ بِجِيَانِ - فَبَادَرَ
إِلَيْهَا فِي أُخْرِيَاتِ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ ، بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِ
الْمَلَأُ مِنْ أَهْلِهَا بِبَيْعَتِهِمْ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ مَشِيخَتِهِمْ . أَبِي بَكْرٍ الْكَاتِبِ ، وَأَبِي
جَعْفَرِ التَّنِيزِيِّ وَوَلِي .

قَالَ ابْنُ عَدَّارٍ فِي تَارِيخِهِ : أَقْبَلَ وَمَا زِيَهُ بِفَاخِرٍ ، وَنَزَلَ عَشَى الْيَوْمِ الَّذِي
وَصَلَ بِخَارِجِ غَرْنَاطَةَ . عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الْغَدِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَدْخُلُهَا عِنْدَ غُرُوبِ
الشَّمْسِ ، نَظْرًا لِلْحَزْمِ .

(١) الْمَقْصُودُ بِهِرَانْدَةِ هُنَا ، هُوَ فَرَنْدَانُو الثَّلَاثُ مَلِكُ قَشْتَالَةَ وَلِيُون (١٢١٧ - ١٢٥٢ م) .
وَهُوَ الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى قَرطِبَةِ فِي سَنَةِ ٦٢٣ هـ (١٢٣٦ م) وَإِشْبِيلِيَةَ سَنَةَ ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) ، وَاسْتَوْلَى
كَذَلِكَ عَلَى سَبْتَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ التَّوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِيَةِ . وَهُوَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَعْظَمِ مَلُوكِ اسْبَانِيَا النَّصْرَانِيَةِ . وَوَقَدْ
أَسْبَغَتْ عَلَيْهِ صِفَةُ الْقِدَاسَةِ ، وَلَقِبَ بِفَرْنَاندُو الْمَقْدِسِ (سَانِ فَرْنَاندُو) .

(٢) هُوَ الْفُونْشُو الْعَاشِرُ الْمُنْقَبُ بِالْعِلْمِ أَوْ الْحَكِيمُ El Sabio . حَكَمَ قَشْتَالَةَ عَقِبَ وَفَاةِ أَبِيهِ
فَرْنَاندُو فِي سَنَةِ ١٢٥٢ م ، وَاسْتَمَرَ فِي حَكْمِهَا حَتَّى سَنَةِ ١٢٨٢ م ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ وَوَلَدَهُ سَانْشُو وَانْتَزَعَ مِنْهُ
الْعَرْشَ ، وَتَوَفَّى مَخْلُوعًا مَتَبُودًا فِي سَنَةِ ١٢٨٤ م .

(٣) جَايْمِشُ الْمَشَارِ إِلَى هُنَا ، هُوَ خَايْمِيُّ الْأَوَّلُ ابْنُ بِيدْرُو الثَّانِي مَلِكِ أَرَاغُونِ . تَوَلَّى الْمَلِكَ
بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ حَدَثًا فِي سَنَةِ ١٢١٣ م . وَهُوَ الَّذِي افْتَتَحَ الْجَزَائِرَ الشَّرْقِيَّةَ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ (١٢٣٢ م) .
ثُمَّ افْتَتَحَ ثَغْرَ بَلَنْسِيَةِ فِي سَنَةِ ٦٢٦ هـ (١٢٣٨ م) وَمَرْسِيَةَ سَنَةَ ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وَتَوَفَّى بَعْدَ حَكْمِ
طَوِيلٍ سَنَةَ ١٢٧٦ م . وَيَلْقَبُ بِخَايْمِيِّ الْفَاتِحِ .

(٤) هَكَذَا فِي «ج» . وَفِي «الْمَلِكِيَّةِ» (سُلْطَانِهِ) . وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

وحدث أبو محمد البسطي قال . طابته يوم دخوله وعليه شاشية^(١) ملف^٢ مضلعة أكتافها مخرقة ، وعند ما نزل بباب جامع القصبة . كان مؤذن المغرب في الخيعة . وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب . فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب . وصلى بهم . على هيئته تلك ، بفاتحة الكتاب . « وإذا جاء نصر الله والفتح » . والثانية بقل هو الله أحد . ثم وصل قصر باديس . والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستماية ، صالح طاغية الروم . وعقد معه السلم . الذي طاحت^(٢) في شروطه جيان . [وكان]^(٣) واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته . المختص بمحصن بليش^(٤) على بريد من الحضرة . وكان الفتح عظيما . ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيعابه . وفي حدود اثنين وستين وستماية | صالح طاغية الروم . وعقد معه السلم^(٥) . وعقد البيعة لولي عهده ، واستدعى القبائل للجهاد .

مولده

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأرجونة ، عام الأرك^(٦) .

- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (شاية) فلزم التصويب .
- (٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (طاحت) . والتصويب أنسب لاستقامة السياق .
- (٣) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .
- (٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» بليش .
- (٥) وردت هذه العبارة في «الملكية» فقط .
- (٦) وردت (الأركة) في «ج» و «الملكية» . وهو تحريف ظاهر . وقد وهم ابن الخطيب في ذكر تاريخ موقعة الأرك ، إذ ذكر أنه سنة ٥٩٥ هـ . والحقيقة أن معركة الأرك وقعت في سنة ٥٩١ هـ (١٩٥م) بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة يعقوب المنصور . والجيوش القشتالية بقيادة ألفونسو الثامن . وأحرز فيها الموحدون نصرهم الباهر . والأرك بالإسبانية Alarcos . وهي تقع على مقربة من مدينة (ثيوداد ريال) . وسرى فيما بعد أن هذا التاريخ سوف يصحح وذلك بتصحيح تاريخ مولد ابن الأحمر وهو سنة ٥٩١ هـ .

وفاته

في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستمائة ، وَرَدَ عَلَيْهِ وَقَدْ
 سَنَّ . جَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِ ^(١) الرُّعَايِمِ ، يَقُودُونَ جَيْشًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ ، فَبَرَزَ إِلَى لِقَائِهِمْ
 بِظَاهِرِ حَضْرَتِهِ ، وَلَمَّا كَرَّ آيًّا إِلَى قَصْرِهِ . سَقَطَ بِبَعْضِ طَرِيقِهِ ، وَخَامَرَهُ خَصْرٌ ،
 | وَهُوَ | ^(٢) رَاكِبٌ ، وَأُردِفُهُ بَعْضُ مَمَالِيكِهِ ، وَاسْمُهُ صَابِرُ الْكَبِيرِ ، وَكَانَتْ
 وَفَاتُهُ لِيَاثَةِ الْجُمُعَةِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ لِجَمَادَى الثَّانِيَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَوَدْفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ الْجَامِعَةِ
 الْعَتِيقَةِ بِسَنَامِ السَّبِيكَةِ ^(٣) ، وَعَلَى قَبْرِهِ الْيَوْمَ مَنَاقِشٌ :

« هَذَا قَبْرُ السُّلْطَانِ الْأَعْمَى ، عَزَّ الْإِسْلَامَ . جَمَالَ الْأَنْامَ ، فُخِرَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ ،
 غِيَاثَ الْأُمَّةِ . غِيَاثَ الرَّحْمَةِ ، قُطْبَ الْمَلَّةِ . نُورَ الشَّرِيعَةِ . حَامِيَ السَّنَةِ ، سَيْفَ
 الْحَقِّ . كَافِلَ الْخَلْقِ ، أَسَدَ الْهَيْجَاءِ ، حِمَامَ الْأَعْدَاءِ . قَوَامَ الْأُمُورِ ، ضَابِطَ الثُّغُورِ ،
 كَاسِرَ الْجِيُوشِ ، قَامِعَ الطُّغَاةِ . قَاهِرَ الْكُفْرَةَ وَالْبَغَاةَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) ، عِلْمَ
 الْمُهْتَدِينَ . قُدُوةَ الْمُتَّقِينَ ، عِصْمَةَ الدِّينِ . شَرَفَ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، الْغَالِبَ بِاللَّهِ ،
 الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ نَصْرِ
 الْأَنْدَلُسِيِّ ، رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ . وَأَلْحَقَهُ بِالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصُّدُقِيِّينَ . وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ . وَلِدْرَضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَأَتَاهُ رَحْمَةٌ مِنْ لَدُنْهِ . عَامَ
 أَحَدٍ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ^(٥) ، وَبَوَيْعَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ | مِنْ رَمَضَانَ

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) أثبتناها ليستقيم السياق .

(٣) هو السهل المبسط الذي تشرف عليه الحمراء من الناحية الشرقية .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (المسلمين) ، وهو لقب

يقصد به هنا التكريم فقط . ويلاحظ كذلك أنه يرد لقب (أمير المسلمين) فيما بعد .

(٥) هذا هو التاريخ الحقيقي لمولد محمد بن الأحمر ، وليس ما ذكره ابن الخطيب من قبل

وهو سنة ٥٩٥ هـ . وهذا التاريخ الصحيح لمولد ابن الأحمر ، يوافق تاريخ موقعة الأرك .

عام خمسة وثلاثين^(١) وستاية ، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعمين وستاية ، فسبحان من لا يفنى سلطانه ولا يبديد ملكه ، ولا ينتفى زمانه ، لا آله الا هو الرحمن الرحيم .

ومن جهة أخرى :

هذا محل العلى والمجد والكرم
 لله ما ضم هذا اللحد من شرف
 بالجلود والباس ما تحوى صفايحه
 معنى الكرامة والرضوان يمهده
 مقامه في كلا يومى ندى ووغى
 ماثر تليت آثارها سوراً
 كأنه لم يسر في محفل جب
 ولم يباد^(٢) العدا منه ببادرة
 ولم يجهز لهم خيلاً^(٣) مضرة
 ولم يقم حكم عدل في سياسته
 من كان يجبل ما أولاه^(٤) من نعم
 فتلك آثاره في كل مكرمة
 لا زال شهى على قبر تضمته
 قبر الإمام الظاهر العلم
 ومن شيم علوية الشيم
 لا بس عنتره ولا ندى هرم
 فخر الملوك الكريم الذات والشيم
 كالغيث في مجد وكالغيث في أجم
 تقر بالحق فيها جملة الأمم
 تضيق عنه بلاد العرب والعجم
 يفتر منها الهدى عن نغم مبيتهم
 لا تشرب الماء إلا من قليب دم
 تأوى رعيته منه إلى حرم
 وما حواه لدين لله من حرم
 أبدى وأوضح من نار على علم
 سحائب الرحمة الواكفة^(٥) الذي

(١) أضفنا هذه العبارة من عندنا ليستقيم السبيل .

(٢) وردت في «ج» و «زيتونة» (يقاد) و «سحاب» لا «سحابة» في .

(٣) وردت في «ج» وفي «زيتونة» (جيش) . وبالضرب يستقيم السياق .

(٤) وردت في «ج» (لواده) . وهو تحريف .

(٥) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» الواكفة ، وهو لا يستقيم مع الوزن

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن
 أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ، المنصور بن أبي عامر
 معظّم الظفر ، وخِدين السعد ، وِماتى عُدِيّ الجِدْ . وجوُّ رِياح^(١) الشَّهْرَة ،
 وديوان فنون السياسة ، وحجاجُ الدولة العبْشِيَّة^(٢) . في النُخوم المَغْرِبِيَّة ،
 المَزِي^(٣) بِالظَّرْفِ وَكَمالِ السَّجِيَّة ، والجِهادِ العَظِيمِ ، العَرِيْق^(٤) في بَجْوَحَة بلاد
 الكُفَّار ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

أوليتَه

دخل جَدُّه عبد الملك الأنداس مع طارق [مولى]^(٥) موسى بن نصير
 في أول الداخلين من المغرب ، وكان له في فتحها أثرا جميلا . وإلى ذلك أشار
 مادحه محمد بن حسان :

وكل عدو أنت تهزم^(٦) عرشه وكل فتوح عنك يفتح بابها
 برأيك عبد المليك الذي له حلا فتح قرطبة وانتهابها

ونزل عبد الملك الجريرة الخضراء لأول الفتح ، فساد أهلها . وكثر عقبه
 بها ، وتكررت فيهم النباهة . وجاوروا الخلفاء بقرطبة . وكان والد محمد هذا .

(١) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (رناج) وهو تحريف .
 (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأوية) . والعبشية من أوصاف الدولة
 الأموية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمزى أى الفائق اللامع .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (العريق) وهو تحريف .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (تهدم) . والتصويب من «الزيتونة» .

من أهل الدين والعفاف والزهد في [الدنيا]^(١) والقعود عن السلطان . سمع الحديث . وأدى الفريضة . ومات منصرفاً عن الحج بإطرابلس .

حاله

كان هذا الرجل بكر الدهر . وفايدة الأيام . وبيضة العمر ، وفرد الخلق في اضطراد السعد . وتكلم العاجل من الخطب . حازماً ، داهية ، شتملاً على أقطار السؤدد ، هويّاً^(٢) إلى الأقباس ، وطموحاً ، سوساً حياً . مُضْطَمّاً للرجال ، جالباً للأشراف . مستمياً^(٣) للقلوب . مُطَبِّقاً للمفاصل . مُزِيحاً للعالم . مستبصراً في الاستبداد ، خاتماً جميل الذكر ، عظيم الصبر ، رقيب الذرع ، طموح الطرف ، جشع السيف ، مُهَادِي جِياد العقاب والشوبة ، مهيباً . جزلاً . مُنْكَسِفَ اللون ، مُصْفِرَ الكف ، آية الله جل جلاله في النصر على الأعداء ومصاحبة الظفر^(٤) . وتوالي الصنع .

نباهته

قال المؤرخ ، سلك سبيل القضاء في أوليته ، مقتفياً آثار عمومته وخؤولته ، يطلب الحديث في حديثه ، وكتب منه كثيراً . ولقى الجلة من رجاله ، ثم صحب الخليفة الحكم متحزباً^(٥) في زمرته . وولى له الأعمال من القضاء والإمامة . ثم استكفاه ، فعدل عن سبيله . وصار في أهل الخدمة . ثم اختصه بخدمة أم ولد هشام ، فزاد بمخاسته لولي العهد ، عزاً ومكانةً من الدولة . فاحتاج الناس إليه . وغشراً بابيه ، وبلغ

(١) أضفنا هذه الكلمة لاستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملك» (عدي) والأولى أنسب لتسياق .

(٣) وردت في «ج» (مستليماً) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» الصفر . وفي «الزيتونة» السفر . والتصويب من «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» وفي «الملكية» متخرجاً . وهو تحريف .

الغاية من أصحاب السلطان معه^(١) - إسعافٌ ، وكرم لقاء ، وسهولة حجاب ، وحسن أخلاق . فاستطار ذكره . وعمر بابه ، وساعد الجد . ولما صار أمر المسلمين إليه ، فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة .

الثناء عليه

قال ، وفي الدولة العامرية ، وأعين محمد علي أمره ، مع قوة سمعه ، بخصال مؤلفه^(٢) لم تجتمع لمن قبله ، منها الجود ، والوقار ، والجِدُّ والذميمة ، والعدل والأمن ، وحب العمارة ، وتثمين المال ، والضبط والرعية ، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغب . من [غير]^(٣) وَهَنَ فِي دِينِهِ ، وَصَحَّةَ الْبَاطِنِ ، وَشَرَحَ كُلَّ فَضْلٍ ، وَجَلَّبَ كُلَّ مَا يُوْجِبُ عَنِ الْمَنْصُورِ فِيهِ .

غزواته وظهوره على أعدائه

واصل رحمه الله الغزو بنفسه ، فيما يناهز خمسين غزوة ، وفتح فيها البلاد ، وخضد شوكة الكفر ، وأذل الطواغيت [وفضَّ مضاف الكفار]^(٤) ، وبلغ الأعماق ، وضرب على العدو الضرايب ، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه [وأتحفه بآيئته]^(٥) في سبيل الرغبة في صِهْرِهِ ، فكانت أحظى عقايله ، وأبرت في الدين والفضل على ساير أزواجه ، وعقد اثني عشر بروزاً إلى تلقى ملوك الروم القادمين عليه [مُصْطَهْرِينَ بِالْحَاحِ سَيْفِهِ]^(٦) منكبين على لثم سريره .

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا في «و» وفي التلخيص .

(٣) أنشد هذه الكلمة ليستقيم المعنى والمعيار .

(٤) هذه العبارة واردة فقط في «ج» . وساقطة في المخطوطتين الآخرين .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (والتلخيص) وهو تعبير غامض . وبالجموبيل يتضح المعنى

ويبدو أن «و» والإشارة هنا إلى نزول حلاله صوره التسمية نسبة إلى ملك نازار . وقد أعدها

للمنصور زوجة له ، فاعتنقت الإسلام . وسُميت (عبد) . وأنجب منها المنصور ولده عبد الرحمن

الملك سنجول أي سانسو الصغير نسبة لجدده ملك نازار . وكانت عبيده أحظى نساء المنصور وأحبهم لديه .

(٦) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطتين الآخرين .

شعره

ومما يؤثر من شعره :

دميتُ بنفسى هَوَلٍ كل عزيمة
وما صاحبي إلا جنانٌ مُشيعٌ
ومن شيمتي أنى على طالب
وإنى لزجاء الجيوش إلى الوغى
فسدتُ بنفسى أهل كل سيادة
وما شدتُ بنيانا ولكن زيادةً
رفعنا العلى بالعوالى سيادةً^(٢)
وخاطرتُ والحر الكريم يخاطر
وأسمرُ خطى وأبيضُ باتر
أجود بال لا تقيده المماذر
أسردُ تلاقيا أسودُ خوادر
وكانتُ حتى لم أجدهن أكانر^(١)
على ما بنى عبد الملك وعامر
وأورثناها في القديم معافر

وبلغ في ملكه أقطار المغرب ، إلى حدود القبلة^(٣) ، وبمدينة فارس ، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار ، ونهد أوليك الملوك الكبار .

دخوله غرناطة

قال صاحب الديوان في الدولة العمارية ، وقد مر ذكر المنصور ، قومس الفرنجة بمدينة برشلونة : وهذه الأمة أكثر النصرانية تجمعا ، وأوسعها ، وأوفرها من الاستعداد . وما أوطىء من الممالك والبلاد ، وفتح من القواعد ، وهزم من الجيوش . وقتل المنصور عنها ، وهو أطمع الناس في استيصالها ، ثم خصم بصايفة سنة خمس وسبعين . وهي المائة عشر لغزواته ؛ وقد احتفل لذلك .

(١) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات السابقة . وفي نسخة أخرى : (ب) أسمر خطى وأبيض باتر . (من أفاخر) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات السابقة . وفي نسخة أخرى : (ب) رفعنا العلى بالعوالى . (مثلها) .

(٣) بلاد القبلة تقع في جنوب المغرب على مشارف الصحراء الكبرى شمال شرق موريتانيا ، وتسكنها قبائل صنهاجة الكبرى .

واستبلغ في النفير . واستوفى أتم الأبهة . وأكمل العُدَّة . فجعل طريقه على شرفي الأندلس . لاستكمال ما هنالك من الأطعمة . فسلك طريق البيرة . إلى بسطة . إلى تدمير ؛ وهزم في هذه الغزوات بُريل ملك فرنجية^(١) ونازل مدينة برجاونة ؛ فدخلها عنوة يوم الإثنين النصف من صفر . سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها .

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد البيرة . ما يحق دعوى من ادعى دخول المعتمدين من^(٢) أهل الأندلس^(٣) لذلك العهد ؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة ، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر ؛ فضلا عن ساير الأصناف على تدارة هذا الصنف من الخدام ؛ بالنسبة للبحر ازاخر من غيرهم .

والذي صح أنه حضر ذلك ، أبو عبد الله محمد بن حسين الطائفي^(٤) . أبو القاسم حسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف . أبو الوضاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد . أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي^(٥) . أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن العميني . عمر بن المنجم البغدادي . أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي . عبدالعزيز بن الخليل المحرود . أبو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى بن أبي طالب . مروان [بن عبد الحكم]^(٦) بن عبد الرحمن . يحيى بن هذيل بن

(١) غير الكائنات بوريل أمير بدمشق قاطرية وقت أن نزل المنصور . ولم تكن قاطرية قاطرية بل كانت ملكا لراجل .

(٢) وردت مكها في المخطوطات المرفقة كناية (هل) . ونعتقد أنه بهذا التصويب يستقيم السياق .

(٣) وردت في نسخة بعد هذه الكلمة كناية (كنا) ، وهي كلمة لا محل لها هنا .

(٤) وردت معرفة في المخطوطات (الطبي) . والدواب ما كان الطيبي من أثر

شعراء المنصور لديه . والباقي نسبة إلى طبقة من أرض الزاب بمغرب .

(٥) وردت في المخطوطات ثلاثة ، وقد كانت الكلمة من ألقاب فهي خطأ وصحتها

(بغدادي) . وإن كانت وسفا فهي صحيحة لأن أبا العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ، كان شاعرا ولغويا

في نفس الوقت .

(٦) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

عبد الملك بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاضي . ابن عمرو القرشي المرواني .
 علي النقاش البغدادي . أبو بكر يحيى بن أمية بن وهب . محمد بن إسماعيل الزبيدي
 صاحب المختصر في اللغة . أحمد بن درّاج التَّسْطَلِيُّ مُتَنَبِّهِ الأندلس . أبو الفرج
 مُنِيل بن مُنِيل الأشجعي . محمد بن عبد البصير . الوزير أحمد بن عبد الملك بن
 شهيد . محمد بن عبد الملك بن جهور^(١) . محمد بن الحسن القرشي من أهل
 المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني . طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنْد .
 محمد بن مُنَرَّف بن شَخِيص سعيد بن عبد الله الشنتريني . وليد بن مَسْلَمَة المرادي .
 أغلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . أحمد بن أبي غالب الرُّصَافِي .
 محمد بن مسعود البلخي ، عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن بن أبي الفيد
 الإبيري . أبو الحسن بن المضيء البجلي الكاتب . عبد الملك بن سهل .
 الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري . قاسم بن محمد الجباني .
 قال المؤرخ ، هؤلاء [مَنْ]^(٢) حفظته منهم . وهم أكثر من أن يحصوا ،
 فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك ، وانفساح هذا العز .

وفاته

توفي رحمه الله منصوراً من غزواته المسماة بقنالش والرَّيد ، وقد دوَّخ أقدار
 قَشْتَالَة ، ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة ، وقد
 عهد أن يُدفن^(٣) ببلد وفاته ، بعد وصية شهيرة صدرت عنه ، إلى المظفر ولده ،
 فدفن بمدينة سالم ، التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة ، وبقصرها . وقبره

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (هجور) وهو تحريف . وآل جهور من بيوت الوزارة

المشاهير .

(٢) وضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت مكانها في المخطوطات كلمة (يعرف) . وحكمة التصويب ظاهرة .

معروف إلى اليوم . وكان قد أخذ له من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد . وعاء
كبيراً بحمدية رحمه الله . وكتب على قبره هذا الشعر :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحى الثغور سواه

محمد بن عباد بن [محمد بن] ^(۱) إسماعيل [بن محمد بن إسماعيل] ^(۱) بن قريش
ابن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم ، نحمى النسب

أوليته

دخل الأندلس جدّه عطف مع بلج بن بشر القشيري . من أشرف الطالعة
الباجية ، وهم من عرب حمص من أرض الشام ، وموضعه بها يعرف بالعريش
في آخر الجفار بين مصر والشام . ونزل عطف بقريه تعرف بيومين من إقليم
طشانة ^(۲) على ضفة النهر الأعظم ^(۳) من أرض إشبيلية . ولما هلك قريش ، وورث ^(۴)
السيادة إسماعيل بن قريش ، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء ^(۵) ، يكنى
أبا الوليد . وولى السرطنة الوسطى طشام بن الحكم ، وخدّمة الإمامة إلى صلاة
الجمعة . ثم خلفه أبو القاسم المنفرد برعاية إشبيلية ، المتوفى فيها بمخطّط الوزارتين
والقضاء والمظالم . وعز جهته ، وكثرت حاشيته ، وتمدّدت ^(۶) غلمانه ، وأذعن

(۱) نقلاً عن الزبير في النسخة من «السير» لابن الأثير (مطبوعة ۱۹۶۵) ج ۲ ص ۲۴

(۲) إقليم ، أو بلدة طشانة ، بولاية إشبيلية Tucina ، تقع شمال شرقي إشبيلية ، وشمال غربي

قرطبة ، على مقربة من حوض نهر الوادي الكبير .

(۳) نهر الأندلس هو نهر الوادي الكبير .

(۴) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، ملك ، والمؤدّي واحد .

(۵) وردت في «ج» و «الزيتونة» كلمة (والده) . ونعتقد أنها تحريف لكلمة (الدهاء) .

(۶) هكذا في «الزيتونة» وفي «ج» (وتقدّمت) . والأولى أرجح .

له عُداته . ثم خلفه الأمير المعتضد ولده ، وكان خيراً حازماً ، شديد الرأي ، مَصْنُوعاً له في الأعداء ، فلما توفى ، تصير الأمر إلى ولده المترجم به ، المكنى أبا القاسم إلى حين خالعه .

حاله

قالوا كلهم ، كان المعتمد ، رحمه الله . فارساً شجاعاً . بطالاً . تَدَامَا . شاعراً ماضياً . مشكور السيرة في رعيته . وقال أبو الحسن في قلائده ^(١) « وكان المعتمد على الله ملكاً شاع العدا ، وجمع بين البأس والنداء . وطلع على الدنيا بدر هدى . لم يتعطل يوماً كفه ، ولا بنانه . آونة يراعه . وآونة سنامه . وكانت أيامه مواسم . وثغوره برّة بواسم » . لقبه أولاً الظافر . ثم تلقب بالمعتمد . كلفاً بجاريته اعتماد . لما ملكها . لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها . لشدة ولوعه بها .

وزراؤه

ابن زيدون ^(٢) . وابن عمّار . وغيرهم .

أولاده المملكون

عبيد الله . يكنى أبا الحسن . وهو الرشيد . وهو الذي لم يوافق أباه على استئصاخ المرابطين . وعرض بزوال الملك عنهم . فقال : أحبُّ إلى أن [أكون راعى] ^(٣) إبل بالعدوة من أن ألقى الله . وقد حوّلت الأندلس دار كفر . وكان قد ولاء عهده . وبويغ له بإشبيلية . وهو المحمول معه إلى العدو . ثم الفتح . وهو الملقب بالمأمون ، كان قد بويغ له بقرطبة . وهو المقتول بها . المحمل رأسه إلى

(١) هو كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد ابن زيدون كلمة (ابن خلدون) وهو خطأ تاريخي بين

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (يكون لراعى) . وبالتصويب يستقيم السياق .

محنة العدو المرابطين . المحاصرة لأبيه بإشبيلية . ثم يزيد الرازي . وكان قد ولد
رندة . فقتل لما ملكها اللمتونيون^(١) . ثم عبد الله . ويكنى أبا بكر . هؤلاء
الأربعة من جاريته اعتماد . السيدة الكبرى . والمدعوة بالرهميكية منسوبة إلى
مولاها رُمَيْك بن حجاج الذي ابتاعها منه المعتمد .

مُؤَمَّتُهُ

لما تكالب أذفونش^(٢) بن فردلان على الأندلس بعد أخذه مدينة طليطلة^(٣)
ضيق بالمعتمد ، وأجحف في الجزية ، التي كان يتقى بها على المسلمين عاديته ،
وعلى ذلك أقسم^(٤) أخذها وتجنّي عليه ، وطمع في البلاد ، فحكي بعض الإخباريين
أنه وجه إليه رسالة في آخر أمره لقبض تلك الضريبة . مع قوم من رؤساء النصارى ،
ونزلوا خارج باب إشبيلية ، فوجه إليهم المال ، [مع بعض الوزراء ، فدخلوا على
اليهودى المذكور في خباياه ، وأخرجوا المال]^(٥) ، فقال لهم ، لا أخذتُ منه هذا
العبارة ولا أخذتُ منه إلا ذهباً مشجراً^(٦) ، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلا أجفان البلاد
ونقل كلامه إلى المعتمد ، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ، ونكّل بهم ، وقتل
اليهودى بعد أن بذل في نفسه زنة جسمه ذهباً ، فلم يقبل منه ، واحتبس النصارى ،
وراسله الطاغية في إطلاقهم ، فأبى إلا أن يُخلى منه حصن الحدود ، فكان ذلك .

(١) اللمتونيون هم المرابطون ، نسبة إلى قبيلتهم البربرية المغربية «المتونة» .

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (أذفونش) والتصويب من «الملكية» . وهو ألفونسو

السادس ملك قشتالة .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (قرطبة) وهو سهو تاريخي . والصواب ما أثبتناه . وقد

استولى ألفونسو السادس على طليطلة من ملكها القادر بن ذى النون في سنة ٤٨٧ هـ (١٠٨٥ م) .
وكانت أول قاعدة أندلسية كبرى تسقط في أيدي النصارى .

(٤) وردت في «ج» . وفي «الملكية» (قسم) . ولم ترد في «الزيتونة» .

(٥) ما بين الخاصرتين ساقط في «الملكية» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وربما كانت (مشهراً) .

واستصرخ اللّٰمُتُونِيْنَ، وأجاز البحر بنفسه وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة الأ يرفع عنه يده . وهاجت حفيظة المعتمد ، واجتهد في جراز المرابطين ، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية [في] وقعة الزلاّقة (١) فإنه الذي أصلى نارها بنفسه ، فعظم بلاؤه ، وشهرُ صبره ، وأصابته الجراح في وجهه ويده ، رحمه الله . وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّي :

وقالوا كفه جُرحت قتلنا
وما لمرتد (٢) الجراحة ما رأيت
ولكن فاض سيلُ البأس منها
[وقد صحّت . وسحّت بالأمانى
دأى منه أبويعقوب فيها
فقال له لك القِدْحُ المَعْلَى
أعاديهِ تواقمها الجراح
فتوهبها المناصل والرّماح
ففيها من [مجاربه النسيح] (٣)
وفاض الجود منها والسماح
عقاباً لا يُهاض له جناح
إذا ضربت بمشهدك القِداح (٤)

ولما اتصلت به الصّيحة : بين يدي دخول المدينة ركب في أفراد من عبّيده . وعليه قميص يَشْفُ عن (٥) بدنه . والسيف مُنتَضِي بيده . ويمم باب الفرج (٦) ، فتدّم الداخلين ، فردم على أعقابهم : وقتل فارساً منهم : فانزعجوا أمامه : وخلفوا الباب : فأمر بإغلاقه : وسكنت الحال : وعاد إلى قصره . وفي ذلك يقول :

(١) وقعة الزلاّقة هي الموقعة الكبرى التي نشبت بين الجيوش المرابطية والأندلسية المتحدة بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي عاهل المغرب والمعتمد بن عباد ، والجيوش النصرانية المتحدة بقيادة ألفونسو السادس ملك قشتالة . وانتهت بنصر المسلمين الباهر . وسحق الجيوش النصرانية وذلك في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . ويقع مكان الموقعة وهو سهل الزلاّقة على مقربة من شمال شرق مدينة بطليوس .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . ووردت في «القلائد» (وما أثر) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (مخاربه النسيح) . والتصويب من «القلائد» .

(٤) نقلنا هذه الأبيات الثلاثة من «القلائد» تكملة للتصيدة (ص ١٣) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (على) . والتصويب أرجح .

(٦) هو أحد أبواب إشبيلية الإسلامية ، وقد كان يقع جنوب المدينة على مقربة من القصر

[إن يسلب القوم العدا ملكي ونسأني الجموع
 فاللب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع (١)
 قد زمت يوم نزالهم ألا تحضني السدوع
 وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفوع
 أجلي تأخر لم يكن بهواي ذلي والخضوع
 ماسرت قط إلى القتال وكان من أمل الرجوع
 شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع (٢)

جوده

وأخبار جوده شهيرة. ومما يؤثر من ذلك. على استصحاب حال العز. ووفور (٣) ذات اليد. وأدوات (٤) الملك. غريب. والشاهد المقبول بقاء السجينة ومصاحبة الخلق الماكية. مع الإقتار والإيسار. وتقلب الأطوار. وتعرض له الحصرى القرموني (٥) الضري. بخارج طنجة. وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال؛ بأشعار ظاهرة المقت. غير لايقة بالوقت. ولم يكن بيده. زعموا. غير ثلاثين ديناراً. كنت بخفة. معدة اضرورة ضرر وأزمة. وأطبع عليها دمه. وأدرج قطعة شعر طيها اعتذار عن نزرها. راغباً في قبول أمرها. فلم يراجع الحصرى بشيء عن ذلك. فكتب إليه :

- (١) نقلنا هذين البيتين ، وهما فاتحة القصيدة من الحلة السراء (ج ٢ ص ٦٥) .
 (٢) هذا الشعر في المخطوطات الثلاثة مليء بالتحريف والتصحيف . وقد اكتفينا بنقل النص السليم عن الحلة السراء .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (ووفود) .
 (٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وأداة) . وفي الملكية (وأداة) .
 (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» . ووردت محرفة في «الزيتونة» (القيرموني)
 والقرموني نسبة إلى مدينة قرمونة الواقعة شمال شرقي إشبيلية .

قل لمن جمع العلم وما أحمى صوابه
كان في الشرة تيسر فانتظرنا جوابه
قد أتيناك فهلاً جَلَب الشعر جوابه

حلّه

رُفِعَ إِلَيْهِ صَدْرَ دَوْلَتِهِ شَعْرًا ، أُغْرِيَ فِيهِ ، بِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ ، وَهُوَ شَهِيرٌ ،
وَتُخَيَّرَ^(١) لَهُ مَوْجِعٌ وَتَرَصَّدَ حِينَ ، وَانْتَظَرَ بِهِ مُؤَجَّرَهُ ، وَهُوَ :

يا أيها الملك | الأعزّ |^(٢) الأعظم
واحسم بسيفك^(٤) كل منافق
لا تتركّن للناس موضع شبهة
قد قال شاعر كئيدة فيما مضى
لا يسلم الشرف الرفيع^(٦) من الأذى
فوقع على الرقعة :

كذبت منكم صرّحوا أو جمجموا
خنتم ورمتم أن أخون وإنما
وأودتم تضيق صدر لم يضيق
الدين أمتن والسجية أكرم
حاولتم أن يستخف بلملم
والسمر في صدر^(٨) النجور تحطم

- (١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الزيتونة . ووردت مكانها في «القلاند» (العل).
(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (يلتم) ، وفي «القلاند» (ينتم) .
(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بنفسك) . والتصويب من «القلاند» .
(٥) هذا ما ورد في «الزيتونة» وفي «القلاند» : وهو ساقط في «ج» .
(٦) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» (الشريف) . وهو ما يخالف النص المعروف المتداول .
(٧) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات الخمسة فقط من القصيدة : وهي تقع في سبعة وعشرين بيتاً ، وقد نشرت كاملة في «القلاند» (ص ١٤ و ١٥) .
(٨) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلاند» (نثر) .

وزحمتم بمحالكم لمَجْرَبٍ مازال يَثْبُتُ للمُحَالِ فِيهِمْ زَمٌ
 أتى وجوتهم غَدْرٌ من جَرَبِيٍّ منه الوفاء وظُلٌّ من لا يظالم
 أنا ذا كم لا السَّمي (١) يثمر غَرْسُه عندي ولا مَبْنَى العَنِينِة يهدم
 كفوا وإلا فارتجبوا إلى بَشْشِة يَبْقَى (٢) السَّفِينِة بِمَنَاهَا يَتَحَمُّ

توقيعه ونثره في البديهة

كتب مع الحمائم إلى ولده الرشيد عَقِب الفراع من وقعة (٣) الزَّلَاقَة (٤) .
 يا بني ، ومن أبقاه الله وسامه ، ووقاه الأسواء وعَصَمَه . وأسبغ عليه آلاءه وأنعمه
 كتبته ، وقد أعز الله الدين ، وأظهر المسلمين . وفتح لهم على يدي مستدعيات الفتح
 المبين . بما يسره الله في أمميه وسناه . وقدره سبحانه وقضاه . من هزيمة أدفونش
 ابن فردلانده لعنه الله وأصلاه . وإن كان طاح للحجيم ، ولا أعدمه وإن كان أهل
 العيش الذميمة ، كما قنمه الخزي العظيم . وأتى القتل على أكثر رجاله وحماته ،
 واتصل النهب ساير اليوم ، والليلة المتصلة به ، بجميع محلاته ، وجمع من رؤوسه
 بين يدي ، من مشهورى رجالهم ، ومد كورى أبطالهم ، ولم يختار منهم إلا من شهر
 وقرب ، وامتلات الأيدي مما سلب ونهب . والذي لامرية فيه . أن الناجى منهم
 قليل ، والمفلت من سيوف الجزع والبعء قتيل (٥) . ولم يُصَبْنِي بفضل الله إلا جرح
 أشوى ، وحسن الحال عندنا والله وزكى ، ولا يُشْغَلُ بذلك بال ، ولا يُتَوَهَّمُ غير
 الحال التي أشرت إليها حال ، والأدفونش بن فردلانده ، إن لم يصبح تحت السيوف

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . ووردت مكانها في «القلند» (البنى) .

(٢) وردت في «ج» وفي «الزيتونة» و«القلند» (يلق) . ونعتقد أن التصويب أرجح

ونسب للميق .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (غزوة) .

(٤) سبق أن قدمنا تعريفاً موجزاً بموقعة الزلاقة (أنظر الهامش في ص ١١١) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (قليل) .

فسموت لا محالة كدأ ، وإن كان لم تعلقه أسرار الحمام | فغداً ، فإن برأسه طميرة
ولحام |^(۱) . فإذا ورد كتابي هذا ، فمُر بجمع الخاص والعام ، من أهل إشبيلية ،
وجيرانها الأقربين ، وأصفينائنا المحبين ، في المسجد الجامع . أعزهم الله وليقرأ
عليهم فيه ، ليأخذوا من المسرة بأنصبايهم ، ويضيفوا شكراً لله إلى صالح دعايهم
[والحمد لله على ما صنع حق حمده ، جلّ المزيدي لأمر حين ، إلا من عنده . والسلام] |^(۲) .

تلطفه وظرفه

قال أبو بكر الداني^(۳) : سألتني في بعض الأيام عند قدومي عليه بأنعمات ،
قاصياً حق نعمته ، مُستكثراً^(۴) من زيارته . مُستمتعاً^(۵) برايق أدبه ، في حال
محنته ، عن كُتبي . فأعلمته بذهابها في نهب حضرته . وكنت قد جَلبتُ في سفرتي
تلك ، الأشعار الستة . بشرح الأستاذ أبي الحجاج الشنتمري الأعم . وكانت
مستعارة ، فكتمتها عنه . ووُشى إليه أحد الأصحاب . فحجل بكرمه وحسن شيمته .
من الأخذ معي في ذكر ما كتبتُه ، فاستعرد إلى ذلك بغرض نبيل ، ونحافيه
نحواً . يعرُب عن الشرف الأصيل . وأملَى عليّ . في جملة ما كان يُتلىه :

وكواكب لم أدرِ قبل وجوها أن البدر تدور في الأزرار
نادمتُها في جنح ليل داس فأعرّنه مثلاً من الأنوار

(۱) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزينة» (فقد نُس طرة وخدم) .
وكتاهما يشوبها الغموض .

(۲) ما بين الخاصرتين وارد فقط في «ج» . في هامش الصفحة . ووردت في «الزينة» .

(۳) هو أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبنة ، من أسرة من أسرة بني اللبنة ،
اتصل ببلاط إشبيلية وغدا شاعر المعتمد الأخير . وقد نظم قصيدته في «الزينة» .
المعتمد ، ونفى أسيراً إلى المغرب . زار أبو بكر في أغرات . وله في «الزينة» و«الزينة» .
محتة وأسرد قصائد كثيرة . وله في تاريخ الدولة العبيدية كتاب «الزينة» . وله في «الزينة» .

(۴) وردت في المخطوطات الثلاثة (مستكثراً) والتصويب أنسب لمعنى .

(۵) هكذا وردت في «الزينة» و«الملكية» . وفي «ج» (مستمتعاً) .

في وسمه روضة نرجس كعيونها
 فإذا توافقت الحديث حكمتي
 فإذا اكتسحت بوق^(١) فرب يسبح
 حنوا الذلاء وخيفة من جفوة
 ترك الجوارى الآفات مذهب
 ما أتبه الثوار بأنشوا
 ألمو بلمتخذ لسر نشار
 مكبت جفوني أغزو الأمان
 تذر الصدور على شفير هار
 وسوخا ظفر بريشة الأشعار

فلم أتت عند ذلك ضحكاً ، وعلمت أن الأمر قد سرى إليه ، فعلمته
 قتلها ، فبسط العذر بفضله وتناول الأمر وفتح الأشعار على ثلاثة من بنيه .
 ذوى خط رابع ، ونقل حسن وأدب بارع . أخذوا في نسخها . وسرفوا الأصل
 لأجل قريب .

محتفه

ولم يلبث أمير الممتونيين بعد جوازه إلى الأندلس . وظهره على طائفة^(٢)
 الروم . أن فسد ما بينه وبين رؤساء النوائف بالأندلس . وعزم على خلعهم . فأجاز
 من سبعة المساكن . وصرب الأمداد . وأخذ المعتمد بالعزم بحصن حصونه . وأودع
 المعقل عدته . ووقفهم على مظان الامتناع ولده . وصمدت الجموع صمدة بنيه . ونازل
 الأمير سير إسبيلية . دار المعتمد . وحضرة ملكة . ونازل الأمير محمد بن الحاج
 قرطبة . وبها المأمون . ونزل جرور^(٣) من قواده رتبة . وبها الراضي ابن المعتمد .
 واستمر الأمر . واتصلت المحاصرة . ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها .
 فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وأربعمائة . وقتل الراضي .

(١) وردت في بريوتية وياسكية . وفي ج . ب . ج .

(٢) هكذا وردت في النسخات الثلاثة . وربما كانت هنا تحريفاً لكلمة (طائفة) .

والمؤدى وحسب .

(٣) وردت في النسخات الثلاثة (فرور) . وصورها ما أثبتناه .

وجلب رأسه فطيف به بمراى من أبيه . وكان دخول إشبيلية على المعتد . دخول
 التهر والغابة . يوم الأحد لعشر بقين من رجب (١) . وشملت الغارة . وانسحمت
 الدور ، وخرج ابن عباد في شكته (٢) . وابنه مالك في أمته . مما فقتل مالك
 الملقب بفخر الدولة ورهقت الخيل ، وكثر ، فدخل النصر ملقياً بيده . ولما جن الليل ،
 وجه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير . فحجب عنه ، ووكل بعض خدمه به .
 وعاد إلى المعتد فأخبره بالإعراض عنه . فأيقن بالملكة . وودت أهل وعلا
 البكاء . وكثر الصراخ . وخرج هو وابنه . فأنزلا في خباء حصين . ورُقبا بالحرس .
 وأخرج الحرم من قصره . وضم ما شتمل عليه . وأمر بالكتب إلى والده برئدة
 ففعل . ولما نزل . واستوصلت ذخيرته . سلا (٣) . وأجيز المعتد البحر . ومن معه
 إلى شجرة . فاستقر بها في شعبان من العام . وفي هول (٤) البحر عليه في هذا الحال .
 يقول رحمه الله

لم أنسُ والموت يد نيني ويُقصيني
 أبصرتُ هولاً لو أن الدهر أبصره
 قد كنت ضائناً بنفس لا أجود بها
 كم ليلة بث مطويّاً على حرق
 فتلك أحسن أم ظلات به
 ولم يكن والذي تعنو الوجوه له
 وكم خلوت من الهيجا بمعترك
 يارب إن لم تدع حالاً أسره به

والموت كأنّ المنى يأتيني
 لما خوفاً لأمر ليس بالدشون
 فبعتها باضطرار بيع مغبوف
 في عشرين من عيون الدبر (٥) في العين
 في ظل عزة سلطان وتمكين
 عرضي مهاناً ولا مالي يتمخزون
 والحرب ترقل في أثوابها الجون
 فهب لعبدك أجراً غير ممنون

(١) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة . كلمة (الهدى) . ولا مكان طاق السراى .

(٢) في شكته أى في سلاحه وعدته .

(٣) هكذا في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (سل) .

(٤) وردت في «ج» و «الملكية» (هو - هوا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٥) وردت في «ج» (الدير) . والتصويب من «الزيتونة» .

وجرى على يديه شيء يوم خروجهم، واضطرتهم الضيقة إلى عيشتهن من غزل أيديهن، وجرت عليه حين طال لها شجنه^(١) وأقعدته قيده. إلى [أن]^(٢) نقل إلى أنغات وريكة^(٣). وحلَّ عنه الاعتقال. وأجرى عليه رزقه. تبلغ به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

وصوله إلى غرناطة

قال ابن الصيرفي. وقد أجرى ذكر تلك يوسف بن تاشفين غرناطة. وخلف أميرها عبد الله بن بلقين حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وعشرين: ولحق ابن عباد [وحليفه ابن مسلمة]^(٤) بنخيل ورجل ورماة وعدد، وحلَّ ذلك من [ابن] عباد تضمناً لمسرة أمير المسلمين. وتحققاً^(٥) بهالاته، فدنا عليه، وهنيأه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد النماعية في إسلام غرناطة إلى ابنه، بعد استئصال نعمة صاحبها. عوضاً عن الجزيرة الخضراء. وكان قد أشخصه معه، [فعرض بفرضه]^(٦). فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعرافاً، كانت منية [كل منهما]^(٧) التخلُّص من يده، والرجوع إلى بلده. فأعمل ابن عباد

(١) وردت في «ج» (سجنه). والتصويب من «الملكية».

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أنغات أو أنغات وريكة، هي بلدة قديمة حصينة تقع على قيد نحو أربعين كيلو متراً من جنوب شرقي مراكش، وكانت قبل إنشاء مراكش عاصمة للدولة المرابطية.

(٤) وردت هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة (وخليفة بن مسلمة). وهو تحريف. والصواب: أئبناه. وابن مسلمة هو المتوكل بن الألفطس صاحب بطليوس. ويعرف بنو الألفطس أيضاً ببني مسلمة باسم جدهم ومؤسس دولتهم عبد الله بن محمد بن مسلمة.

(٥) وردت في «ج» و«الزيتونة» (وتحققوا). والتصويب يستقيم السياق.

(٦) وردت مكان هذه العبارة في المخطوطات الثلاثة عبارة مضطربة مكررة (فعرض به فأعرض عنه بفرضه: فأعرض به ما عرض عنه بفرضه.. الخ). وبهذا التصويب الموجز يستقيم المعنى والسياق.

(٧) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كل واحد منهما).

الحياة . فكتب ، يزعم^(١) أنه وردت عليه تحفه من إشبيلية في اللاحق . أنباء^(٢) مهمة طرقت بتحريك العدو . واستأذن بها في الصدور ، فأخذ له ولخليفة ابن مسلمة ، فانهزا^(٣) الفرصة ، وابتدوا الرجعة . ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك وبإسرة أمره .

مولده

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . ووُلِّي سنة إحدى وستين . وخُلع سنة أربع وثمانين .

وفاته

كانت وفاة المعتمد [على الله]^(٤) بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . بعد أن تقدمت وفاته وفاة أخوة اتمام . وجزع عليها جزعاً . أمر^(٥) سرعة خاقه بها . ولما أحس بشيئة . رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تكتب على قبره :

قبرُ الغريب سقاك الزَّاحُ العادي
[بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت
بالتناعن الضارب الرأى إذا اقتتلوا
[بالدهر في نغم بالبحر في نعم
نعم هو الحق | فاجأني على]^(٦) قدر
حقاً ظنرت بأساء ابن عباد
بانحصب أن أجديوا بالرئى للصادى |
بالموت أحر بالضرغامه العادى
بالبدر في ظلم بالصدر في الزادى |
من السماء ووافانى لميعاد

(١) فى «ج» (زعم) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) وردت فى «ج» (لأنباء) . فاقتضى التصويب .

(٣) وردت فى المخطوطات الثلاثة (فانهزا) . والتصويب أنفسى .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . وفى «ج» (رحمه الله) .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» و «الملكية» (أقر) .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . ووردت فى «المعجم» . وفى مصادر أخرى

(حزبى به) .

ولم أكن قبل ذلك النعش أعده
 | كفاك فاروق بما استودعت من كرم
 | يبكي أخه الذي غيبت وأبلاه
 | حتى يجردك دمع العسل منمرا
 | فلا تزل صلوات الله نازلة
 أن الجبال تُهادى فوق أعواد
 رواءك كأن قطوب البرق وعاد
 تحت الصفيح بدمع راح غادي
 من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد^(١)
 على دفينك لا تحوى بتمداد

بعض ما رثي به

قال ابن الصيرفي، وخالف في وفاة المعتمد، فقال - كانت في ذي حجة - فلما
 انفصل الناس من صلاة العيد، حفَّ بقبره ملاً، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل
 ابن عبد الصمد، فوقف على قبره وأنشد:

ملك الملوك أسامعُ فأنادي
 أم قد عدتُك عن السماع عوادي
 لما خلَّت منك التصورُ فلم تكن
 فيها كما قد كنت في الأعياد
 أقبلت^(٢) في هذا الثرى لك خاضعاً
 وتكجذتُ قبرك موضع الإنشاد^(٣)

ثم خرَّ يبكي، [ويقبِّل القبر]^(٤) ويعزُّ وجهه في التراب، فبكي ذلك للأحى
 أخضلوا ملابهم، وارتفع نسيجهم^(٥) فله درُّ ابن عبد الصمد، وملاذ ذلك البلد.

(١) وردت هذه العبارة في نسخة من نسخة ابن الصيرفي، وأما نسخة ابن الصيرفي
 أعوانه، وأما نسخة ابن الصيرفي، (١٣٢٢) (٥) من نسخة
 (٢) وردت في نسخة من نسخة ابن الصيرفي، وفي نسخة من نسخة ابن الصيرفي، (١٣٢٢) (٥) من نسخة
 (٣) وردت في نسخة من نسخة ابن الصيرفي، وفي نسخة من نسخة ابن الصيرفي، (١٣٢٢) (٥) من نسخة
 (٤) وردت في نسخة من نسخة ابن الصيرفي، وفي نسخة من نسخة ابن الصيرفي، (١٣٢٢) (٥) من نسخة
 (٥) وردت في نسخة من نسخة ابن الصيرفي، وفي نسخة من نسخة ابن الصيرفي، (١٣٢٢) (٥) من نسخة

(٥) وردت في المخطوطات نسخة (١) ويقبل في القبر.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذه الكلمة عبارة (دمع البار). ولا مكان لها في

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مرْدَنِيش البَدَايِ

قال بعضهم ينتمي في تُمَيْب . الأمير أبو عبد الله .

أوليتُه

معروفة . وعلى يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر إفراغة . على ابن ذؤيبير
الطاغية ، فجلت الشهرة ، وعظمت الأثر . قال بعضهم ، تولى أبو سعد قيادة
إفراغة وما إليها . وضبطها . ونزلها^(١) ابن ذؤيبير . فشهر غنأؤه بها في دفاعه . وسيره
على حصاره ، إلى أن هزمه الله | عز وجل^(٢) . على يد ابن ثارئة^(٣) . وولاه
بعد ذلك فحس بلاؤه . وبعد صيته . ورأس ابنه محمد . ونفق في الفته . وكان يند
وبين ابن عياض المتأمر بمُرسية صهر ، ولأه لأجد باندسية . فلما توفي ابن عياض ،
بادرها ابن سعد . وبأنه أثناء طريقه - غدر العدو بحسن جلال - ففكر | وقادله^(٤)
وفتحه . وعاد فلك بانسية ، وقد ارتفع له صيت شهير . ثم دنا من مُرسية في
أمره . واستقام له الشرق . وعظمت حاله .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي نسخة أخرى «و» في نسخة (د) وفي نسخة (هـ) .
(٢) هذه نسخة من «الزبيرية» .
(٣) هذا إفراغة التي بناها أبو سعد . غير المعروفة التي بناها ابن ذؤيبير .
(٤) ابن ذؤيبير . وهو من الجيون . وابن المذاهب كتب أخباراً كثيرة عن أبيه . وهو من
شهر الأير و من مراكش . بقادة بني بن عافية . وهو في رواية ابن ذؤيبير . وهو من
وقالهم - أي الإمامة بقيادة أبيه . وهو من مراكش . وهو من مراكش . وهو من
وافقت القوافل المراكشية . وهي الأرحوبون في مراكش . وهو من مراكش . وهو من
سنة ٥٢٨ هـ (٧ يوليو ١١٣٤ م) . وذلك الخوارج والذين في مراكش . وهو من مراكش .
غما وياسا .

(٤) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

حاله

قال ابن حمزة . ساد من صفراء بشجاعته ونجابته^(١) . وصيت أبيه . فقال بذلك إلى القيادة . وسنة إحدى وعشرون سنة . ثم ارتقى^(٢) إلى الملك الراسخ . والشان السائح . بياهر شجاعته وشهامته . فبما قدود . وعظم أمره . وفشئ في كل أمة ذكره . وقال غيره ، كان بعيد الغور . قوي الساعد . أصيل الرأي . شديد العزم . بعيد العفو ، مزثراً للانتقام ، مرهوب العتوبة .

وقال في مختصر « ثورة المريرين »^(٣) كان عظيم القوة في جسمه ، ذا أيد في عنانته . | جزارة في لحمه^(٤) . وكان له فروسية ، وشجاعة . وشهامة . ورباسة .

بطالته وجوده

قال وكان له يومان في كل جمعة الإثنين والخميس . يشرب مع ندمائه فيهما . ويجود على قواده وخامته وأجناده ، ويذبح البقر فيهما^(٥) ، ويفرق لحومها على الأجناد . ويحضر القيان بزاهيرهن وأعوادهن^(٦) ، ويتخلى ذلك نحو كثير ، حتى ملك القلوب من الجند ، وعاملوه بغية النصيح . وربما وهب المال في مجالس أنسه . ذكر أنه استدعى يوماً ابن الأزرق أحد قواده . فشرب معه ومع القرابة .

(١) هذا ورد في « تاريخ » و « تاريخ » و « تاريخ » (راجع) و « تاريخ » أرجح .

(٢) هكذا في « ج » . وفي « الزيتونة » (راجع) .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (ثور المريرين) . والصواب ما أثبتناه . وثورة المريرين

هذا من تأليف ابن صاحب الصلاة الهادي مؤرخ الموحدين وصاحب كتاب (المن بالإمامة) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا .

(٤) وردت هذه عبارة فقط في « ج » . وهي ساقطة في « الزيتونة » و « المنكية » .

(٥) هكذا وردت في « ج » . وفي « الزيتونة » (في المواسم) والأولى أرجح وأكثر

اتفق مع السياق .

(٦) هذه العبارة واردة في « ج » وساقطة في « الزيتونة » .

في مجلس قد كساه بأحمر الوشى والوطىء^(١) والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم . فلما كُملَ تهرده معهم، وهبهم الآنية . وكل ما كان في المجلس من الوشى^(٢) وغير ذلك .

ما نقم عليه ووصم به

قالوا، كان عظيم الانهماك في ميدان البهالة . واتخذ جماعة من الجزارى . فصار يُراقده منهن جماعة تحت لحاف واحد . وانهماك في حُب القِيان ، والزمر والرقص . قالوا . وكان له فتى اسمه حسن ، ذو رقة سمينة . وقفاً عريض . فإذا شرب ، كان يزره ، ويعطيه بعد ذلك عطاءً جزيلاً . وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسالى ، وكان يحضر شرابه . ويخمر^(٣) .

أدر كؤوس المدام والرز
ونعم الكف من قنا حسن
وصاحب إنطابت أهدء
انحنى على أخداعى فاطربنى
فقد ظفّرنا بدولة العـر
فإنها في ليانة الخـر
فلم يكن فى بذله بـعـز
وهز عافى أيمـا هـر

وأجزل صالة السالى حين أنشدتها إياه ، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق ، واستظرفها الناس . [فردّ مرسية دار مجونه ، وبلغ في زمانه ألفاً وأربعين]^(٤) . وآثر زى النصارى من الملابس ، والسلاح . واللجم ، والسروج . وكلّف بلسانهم يتكلم مباهتة^(٥) . وأجأه الخروج عن الجماعة . والانفراد بنفسه (إلى الاحتماء)^(٦)

- (١) هذه الكلمة واردة فقط في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .
- (٢) هكذا وردت في «الملكية» و «الزيتونة» . ووردت مكررة في «ج» (فرتس وآنية) .
- (٣) وردت في «ج» وفي «الملكية» (ويخف - يخفه) . والتعبير من «الزيتونة» .
- (٤) ما بين الخاصرتين وورد في المخطوطات الثلاثة . ولم تنسخ حكمة وجوده هنا . والظاهر أنه قد سقطت منه بعض كلمات .
- (٥) هذه الكلمة واردة في «ج» وفي «الملكية» وساقطة في «الزيتونة» .
- (٦) أضفنا هذه الزيادة ليستقيم المعنى والساق .

بالنصارى ، ومُصانعتهم ، والاستعانة بطواغيتهم . فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة . وصالح ملك قشتالة على أخرى . فكان يبذل لهم في السنة [خمسين ألف مثقال]^(١) . وابتنى جيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف برعيته . لأرزاق من استعان به منهم . فعظمت في بلاده المغارم وثقلت ، واتخذ حوانيت بيع الأدم والمرافق ، تختنق^(٢) بجانبه ، وجعل على الأغنام وعروض البقر ، مؤنأ غريبة . وأما رسوم الأعراس والملاهي . فكانت قبالاتها غريبة . حدث بعض المؤرخين عن الثقة ، قال كنت بجيان مع الوزير أبي جعفر الوقشي . فوصل إليه رجل من أهل مرسية ، كان يعرفه . فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنيس وعن سيره فقال الرجل ، أخبرك بما رأيت من جور عماله وظلمهم . وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن ، كان له بنظر شاطبة ، ضويرة يعيش بها ، وكان لازمها أكثر من فايدها . فأعطى لازمها حتى افتقر ، وفر إلى مرسية . وكان أمر ابن مردنيس ، أنه من فر من الرعية أمام الغزو^(٣) ، أخذ ماله للمخزن . قال الرجل الشاطبي ، فلما وصلت إلى مرسية فرًا عن وطني ، خدمتُ الناس في البنيان ، فاجتمع لي مثقلان سمديان ، فبينما أنا أمشي في السوق . وإذا بقوم من أهل بلدي شاطبة ، ومن قرابتي ، فسألهم عن أولادي وزوجتي ، فقالوا إنهم في عافية ، ففرحت فرحا عظيما ، وسألتهم عن الضويرة ، فقالوا إنها باقية بيد^(٤) أولادك . فقلت لهم عسى تبيتوا عندي الليلة ، فاشترت لحما وشرابا ، وخررنا دفًا . فلما كان عند الصباح . وإذا بنقر عنيف

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «المدائكة» (خمسين ألفا من المثاقيل) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة . وربما كان القصد أنها تزدحم .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (العدو) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (عند) .

بالباب . فقلت من أنت ، فقال أنا الطرقون الذي بيده قبالة الله ، وهي متفقة بيدي .
وأنتم ضربتم البارحة الدف فأعنا حق العرس الذي عملت . فقلت له والله ما كانت
لي [عرس] (١) . فأخذت وسُجنت . حتى افتديت بمئقال واحد من الذي خدمت به .
وجئت إلى الدار . فقيل لي أن فلاناً وصل من شاطبة الساعة . فشبث لأسأله عن
أولادي . فقال تركتهم في السجن . وأخذت الضويرة من أيديهم في رسم الجبالى .
فرجعت [٢] إلى الدار . إلى قرابتي . وعرفتهم بالذي طراً على . وبكيت طول ليلتي .
وبكوا معي . فلما كان من الغد . وإذا بناقر بالبواب . فخرجت . فقال أنا رجل صاحب
المواريث . أعلمنا أنكم بكيتم البارحة . وأنه قد مات لكم ميت من قرابتكم
[غنى] (٣) . وأخذتم كل ما ترك . فقلت والله ما بكيت إلا نفسي . فكذبني
وحملني إلى السجن ، فدفعت المئقال الثاني . ورجعت إلى الدار . وقلت أخرج إلى
الوادي . إلى باب القنطرة . أغسل ثيابي من دَرَن السجن . وأفرُّ إلى العدو (٤)
فقلب لامرأة تغسل الثياب . إغسلي مما على . وجرِّدتها . ودفعمت لي زناراً
ألبسه . فينا أنا كذلك . وإذا بالخصي قائد ابن [٥] مردنيش . يسوق
ستين رجلاً من أهل الجبل . لابسى الزنازير . فرآني على شكاهم . فامر بحمل
إلى الشجرة والخدمة بحصن مسقوط عشرة أيام . فلبثت أخدم وأحضر مدة عشرة
أيام . وأنا أبكي واشتكي للقائد المذكور ، حتى أشفق على وسرَّخني . فرجعت أريد
مرسية . فقيل لي عند باب البلد . كيف أسمك فقلت محمد بن عبد الرحمن . فأخذني
الشرطي . وحملت [إلى] القابض بباب القنطرة . فقالوا هذا من كتبتُه من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٥) أضفنا هذه الكلمة تصحيحاً للاسم .

أرباب الحالى بكنا وكذا دينار . فقلت والله ما أنا إلا من شاطبة . وإنما اسمى وافق ذلك الاسم ، ووصفت له ما جرى على ، فأشفق وضحك منى ، وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا .

بعض الأحداث فى أيامه ، ونبذ من أخباره

استولى على بلاد الشرق . مُرسية وبلنسية وشاطبة ودانية . ثم اتسع نطاق ملكة . فولى جيان [وأبدة وبياسة]^(١) . وبسطة ووادى آش . وملك . قرمونة . ونازل قرطبة وإشبيلية . وكاد يستولى على جميع بلاد الأندلس . فولى صهره ابن همشك . وقد [مر]^(٢) فى باب إبراهيم . مدينة جيان [وأبدة وبياسة]^(٣) . وضيق منها على قرطبة . واستولى على إستجة ، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمماية وثار عليه^(٤) يوسف بن هلال من أمهارة بحصن مغرنيش^(٥) وما إليه . ثم تفاسد ما بينه وبين صهره [الآخر ابن همشك]^(٥) . فكان سبب إدبار أمره . واستولى العدو فى مدة ابن سعد على مدينة طرطوشة عام ثلاثة وأربعين وخمماية . وعلى حصن إقليج . وحصن شرانية .

دخوله غرناطة

ولما دخل ابن همشك مدينة غرناطة . وامتنعت عليه قصبته . وهزم

(١) . ان الحصرتين وورد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) . انفاً . هذه الكلمة استقيم السياق . وقد مررت ترجمته بن همشك فى المجلد الأول ص ٢٩٦ .

(٣) . و «ج» (عل) فى «ج» و «الزيتونة» . فمزم لتصويب الاستقامة المعنى .

(٤) . وردت فى المخطوطات الثلاثة (حصن بطرقس) . وهو تحريف . والصحيح ما أثنناه .

و حصن مغرنيش يقع على مقربة من بلنسية .

(٥) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقط فى «زيتونة» و «الملكية» .

الجيش المُصرَّخ لمن حُصر بها من الموحدين بمرج الرقاد^(١) وثاب أثناء ذلك أمرُ الموحدين . فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب . وأجار البحر . واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة . استمد^(٢) ابن هَمَّشَك صهره الأسمد . أبا عبد الله محمد بن سعد . فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى . فوصل إلى غرناطة ، واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة بربض البيّازين . وتُعرف إلى اليوم بكُدَيْة مردنيش [وتلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة . فأبينا جيش عدوهم . فكانت عليه الدبرة ، وفر ابن مردنيش^(٣) فلاحق بجيان ، واتصلت عليه الغلبة من الدن منتصف عام ستين فلم يكن له بعده ظهور .

وفاته

وظهر عليه أمر الموحدين ، فاستخلصوا معظم ما بيده ، وأوقعوا بجنده الإقياع العظيمة . وحُصر بمدينة مرسية ، واتصل حصاره ، فمات أثناء الحصار في عاشر رجب من عام سبعة^(٤) وستين وخمسة وله ثمانية وأربعون عاما ، ووصل أمره أبو القمر هلال^(٦) ، وألقى باليدين إلى الموحدين ، فنزل على عهد ورسوم حسبما يأتي في موضعه .

(١) موقعة مرج الرقاد . نشبت بين موحدين وبين قوات ابن هَمَّشَك صهر ابن مردنيش على أثر استيلائه غرناطة في جمادى الأولى سنة ٥٥٦ هـ . في الموضع المسمى مرج الرقاد . ويقع على مقربة من غرناطة على سفح جبل الجيرة ومقابلته مكان يسمى اليوم Majorracal وقد حارب الموحدون في تلك الموقعة غزيرة شديدة

(٢) وردت في «ج» و «الزيتونة» (استمر) . وهو تحريف .
(٣) ما بين الحاصرتين ووردت في «ج» ، وساقط في «الزيتونة» وفي «الملك» .
(٤) هذه الكلمة ساقطة في «ج» ووردت في «الزيتونة» . وفي «الملك» (٤٠٠٠) وستين وخمسة) . وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٥) وردت في «ج» (وهم) وفي «الملك» (دس) . وهو خطأ من «الزيتونة» .
(٦) هلال . أبو القمر . هو ولد محمد بن سعد بن مردنيش . وقد آتاه عمدة وشرائح على أثر وفاة أبيه بالتسليم للموحدين . فصدع برأيهم وأعلن طاعته للموحدين . وسار إلى إشبيلية يؤكد ذلك بنفسه لخليفة الموحدين أبي يعقوب يوسف . وتوثقت فيما بعد أن حصر الموادة بين خليفة الموحدى وبين آل مردنيش . ولاسيما حين تزوج الخليفة إبنه محمد بن سعد .

محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، أمير المسلمين

بالأندلس ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب السلطانية بالتمكّل
على الله .

أوليته

من ولد المستعين بن هود . وأوليتهم معروفة ، ودولتهم مشهورة ، وأمرؤهم
مذكورون . خرج من مرسية تاسع وحب عام خمسة وعشرين وسبعمائة إلى
«الصُخُور»^(١) من جهاتها في نفر يسير من الجنود [معه]^(٢) وكان الناس
يستشعرون ذلك . ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه ، وينتدّون^(٣) . بإمرته
ولادته . وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحّدين مرات ، إذ
كان بعض الهاتنين بالأمور الكائنة ، والتضاي المستقبلة ، يقول لهم ، يقوم عليكم
قائم بن صنف الجند ، اسمه محمد بن يوسف . فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من
من أهل جيان . ويقال^(٤) إن^(٥) شخصاً ممن ينتحل ذلك ، لقي ابن هود ، فأمن
النظر إليه ، ثم قال له أنت سلطان الأندلس^(٦) ، فانظر لنفسك ، وأنا أدلك
على من يقيم ملكك ، فاذهب إلى المُقَدِّم الغشّي^(٧) فهو القائم بأمرك .

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الحضور) . والصواب ما أثبتناه . وهو «الصخور»

أو «الصخيرات» حسب يأتي بعد .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الملكية» و «الزيتونة» (يندرون) والأولى أرجح

(٤) أصل هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (أنت السلطان

بالأندلس) .

(٦) وردت في المخطوطات (الغشّي) وهو تعريف .

وكان الغشي رجلاً صُلوفاً يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد الرجال، وسباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال: نستفتح بغاورة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فجلدوا كثيراً من الغنائم^(١) والأسرى، وانضاف إلى ابن هود طوايفٌ مثل هؤلاء، وبأيامه «بالصخيرات»^(٢) كما ذكر، من ظاهر مرسية^(٣)، وتحرك إليه السيد أبو العباس بمسك مرسية، فأوقع به وشرده، ثم تاب إليه ناسه، وعدل إلى الدعاء للعباسيين، فتبعه اللقيف، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر^(٤) الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيش الجيوش، وقهر الأعداء، ووفى للغشي بوعده، فولد أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبته، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فنار به أهلها بعد وخلعوه، وفرّ أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر بغرب الأندلس. ودام زماناً، ثم تخلص في سن الشيخوخة. ومات برباط آسفي.

حاله

كان شجاعاً، ثباتاً كريماً حياً، فاضلاً وفياً. متوكلاً عليه^(٥)، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستعلى لذلك عليه ولانته بالقواعد، كأبي عبد الله بن الرميح بالمرية. وأبي عبد الله بن زنون بالقة، وأبي يحيى عتبة بن يحيى الجزولي بفرنطة. وكان مجذوداً، لم ينهض له جيش. ولا وفق لرأي. لغلبة الخفة عليه، واستمهجاله الحركات. ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (الغنى). والتصويب أرجح.

(٢) هي الصخور أو الصخيرات كما سبق شرحه.

(٣) وردت في «الزيتونة» (فرنطة) وهو خطأ ظاهري.

(٤) هكذا وردت في «ح» وفي «السكية». ووردت في «الزيتونة» (الغنى).

(٥) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» و«السكية». ووردت معرفة في «ح» (كتبه). والتصويب

من «أعمال الأعلام».

بعض الأحداث في أيامه

جرت عليه هزائم. منها هزيمة السلطان الغالب بالله إِيَادَ مَرَّتَيْنِ، إحداهما بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجا^(١) بنفسه. ثم هزمه بإلبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستماية أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة، واستولى على محلته. ولأذ منه بمدينة مرسية. ثم شغل المأمون الأمر، وأهمته الفتن الواقعة بمرّا كُش، فصرف وجهه إليها. وثاب الأمر للمتوكل. فدخلت في طاعته المريّة. ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستماية. تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإصراخ^(٢) مدينة ماردة. وقد نازلها العدو وحاصر. ولقى الداعية بظاها، فلم يتأن زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مَصَافَه^(٣). ثم لما كَرَّ إلى ساقته. وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة. وانتهى العدو على ماردة بعد ذلك.

وفُتِحَ عليه في أمور. منها تملكه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستماية، وولى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بعماد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين. رجعت قرطبة إلى طاعته. واستوسق أمره. وتملك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستماية، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال. دخل في طاعته الريسان أبو زكريا. وأبو عبد الله. إبننا الرئيس أبي سلطان [عزيز]^(٤) بن

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» و«الملكية» (ثم نجا) والمزدي واحد.

(٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وفي «أعمال الأعلام».

(٣) وردت بحرفة في المخطوطات الثلاثة (مصابه - مصارفه - مصامه). وبالتصويب

يستقيم السياق.

(٤) الزيادة من «أعمال الأعلام».

أبي الحجاج بن سعد . وخرجنا عن طاعة الأمير أبي كجويل ، وأخذنا الرية لابن عمود
على ما في أيديهما . وفي سنة ست وعشرين وستائة ، أتت الخزيرة الخضراء فتخوة يوم
الجمعة التاسع لشعبان من العام . وفي العشر الاوسط من جوان ورد سيد الخبيرة ايلا
بقصد العدو ووجهة مدينة وادي آس . فأمرى ايلا بمرجها (١) بقرية (٢) يومنا . وروى
بالعدو على ثمانين ميلا . فأتى على آخرهم . ولم ينبج منذ أحد .

أخوته

الرئيس أبو النجاة سالم ، [وعلامته وثقتُ بالله] (٣) ، ولقبه عماد الدولة ،
والأمير أبو الحسن عضد الدولة ، وأسره العدو في غارة (٤) ، وافتك بمال كثير ،
والأمير أبو إسحاق شرف الدولة . وكاهن يكتب عنه ، من الأمير فلان .

والده

أبو بكر الملقب بالواثق بالله . أخذ له البيعة على أهل الأندلس . في كذا .
وولّى بعده وليّ عهده . واستتمل بملك مرسية . ثم لم يذشب أن هلك .

دخوله غرناطة

[دخل غرناطة] (٥) مرات عديدة . إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستائة ،
وقد وردت عليه الرأية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد . وبمصلّي غرناطة ،
قرى على الناس كتابه . وهو قايم . وزية السواد . ورايته السوداء بين يديه .

(١) وردت في «ج» (مضرجا) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) وردت في المخطوطات الثلاثة (بحرية) وهو تعرفنا ظاهرا . و«تصويب» سنة .

والسياق .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وسقطت في «الزيتونة» .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و«الملكية» (شروية) .

(٥) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و«الملكية» . وسقطت في «ج» .

وكان يوم استسقاء ، فلم يستتم على الناس قراءة الكتاب يومئذ ، إلا وقد جادت السماء بالمطر ، وكان يوماً مشهوداً ، وصنعاً غريباً ، وأمر [بعد انصرافه]^(١) ، أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنها الكتاب المذكور إلى البلاد .

وفاته

اختلف الناس في سبب وفاته ، فذكر أنه قد عاهد زوجته ألا يتخذ عليها امرأة طول عمره ، فلما تصير إليه الأمر ، أعجبته رومية [حصلت له بسبب السبي]^(٢) من أبناء زعمائهم ، من أجمل الناس ، فسترها عند ابن الرميبي خليفته ، فزعموا أن ابن الرميبي علق بها . ولما ظهر حملها . خاف افتضاح القصة . فدبر عليه الحيلة . فلما حل بظاهر المرية . عرض عليه الدخول إليها ، فاغتاله ليلاً ، بأن أقعد له أربعة رجال . قضوا عليه خنقاً بالوسايد . ومن الغدادعي أنه مات فجأة . ووقف عليه العدول ، والله أعلم بحقيقة الأمر^(٣) . وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستماية . وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود . والأمر قبل وقوعه ، يقول الشاعر :

هُمَامٌ بِهِ زَادَ الزَّمَانَ طَلَاقَهُ وَلَدَّتْ لَنَا فِيهِ الْأَمَانِي مَوْرِدَا
فَقُلْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ هَاهِي دَوْلَةٌ أَغْرَبَهَا الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأُنْجِدَا
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْكُتُبِ وَصْفُهُ بِتَمْهِيدِ هَذِي الْأَرْضِ قَدْ جَاءَ فَاهْتِدَا^(٤)
فَإِنَّ بَشْرَتَنَا بِابْنِ هُودٍ مُحَمَّدٌ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ ابْنَ هُودٍ مُحَمَّدَا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعد أن انصرف) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (في سبي الروم)

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (ذلك) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (فابتدا) .

محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب

ابن حامد بن زيد بن منخل الغافقي

يكنى أبا بكر من أهل غرناطة . وسكن وادي آش .

أوليته

أصل هذا البيت من إشبيلية ، وذكره الرّازي في الاستيعاب ، فقال ،
ويشبيلية بيتُ زيد الغافقي ، وهم هناك جماعة كبيرة . فرسانٌ ولهم شرف قديم ،
وقد تصرفوا في الخدمة . بَلَدِيُون^(١) ، ثم انتقلوا إلى طَلَيْطَلَة ، ثم قرطبة ، ثم
غرناطة . وذكر الملاحى في كتابه^(٢) ، الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب
[بن زيد]^(٣) ، وعدّه من أهل الشورى ، وقضاة الجماعة بغرناطة . وأحمد بن زيد
ابن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد ، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب
بالله بن نصر ، وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها ، وعمن جمع له بين الدين
والفضل والمالية .

حاله ونباهته ومحتته ووفاته

كان هذا الرجل عَيْناً من أعيان الأندلس ، وصدراً من صدورها . نشأ عفاً

(١) البلديون تطلق على العرب الأوائل ، الذين دخلوا الأندلس واستقروا بها قبل قدوم المسلمين مع بلج بن بشر القشيري أو الطالعة البلجية .

(٢) الملاحى ، هو محمد بن عبد الواحد الغافقي ، وأصله من الملاحه وهي قرية من أعمال البيرة . وقد برع في الأدب والرواية والسير وألف عادة كتب تاريخية ، أشهرها كتابه «تاريخ بني البيرة وأنسابهم وأبنائهم» وهو المشار إليه هنا . وعند ينقل الكتاب المتأخرون ، ولا سيما ابن الجوزي وقد ذكره ضمن مقدمته «الإمامة» . وتوفى الملاحى سنة ٦١٩ هـ .

(٣) تزييتة من «تزيوتة» .

مُتَّصَاوِنًا عَزُوفًا ، وَطِلَاوَةً^(١) نَزِيهًا [أَبِيًا كَرِيمًا الْخُزُولَةَ]^(٢) ، طَيِّبَ الطَّعْمَةَ ، حُرًّا
 الْأَصَالََةَ ، نَبِيهَ الصُّهْرِ^(٣) . ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْوِزَاوَةِ بَيْلِدَهُ ، ثُمَّ قَدَّمَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ
 الْفَرَسَانِ ، فَأَوْرَدَهُمُ الْمَوَارِدَ الصَّفِيَّةَ بِإِقْدَامِهِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنَ الْعُدُوِّ الْفُرْصَةَ ، وَأَكْسَبَهُمُ
 الذِّكْرَ وَالشُّهْرَةَ ، وَأَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَى غَضَاضَةِ الْإِيمَانِ ، وَصَحَّةِ الْعَقْدِ ، وَحُسْنِ
 الشُّيْمَةِ ، وَالْإِسْتِرْسَالِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخِ ، وَالْأَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْأَمْثَالِ ، وَالتَّمَسُّكِ
 بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَسَحَبِ أَذْيَالِ الطَّهَارَةِ ، وَهَجْرِ الْخَبَايِثِ ، وَإِثَارِ الْجِدِّ . وَالْإِنْحِطَاطِ
 فِي هَوَى الْجَمَاعَةِ .

مَشِيخَتُهُ^(٤)

قَرَأَ بِفَرْنَاطَةَ عَلَى شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ ، وَبَيْلِدَهُ عَلَى الْأَسْتَاذِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّرْسُونِيِّ ، وَبِهِ انْتِفَاعُهُ ، وَكَانَ جَهْوَرِيَّ الصَّوْتِ ، مُتَفَاضِلًا ، قَلِيلَ
 التَّهَيُّبِ فِي الْحِفْلِ . وَلَمَّا حَدِثَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ كِيَادِ دَوْلَتِهِ ، وَتَلَا حَقَّ
 بُوَادِي آشٍ مُفْلِتًا ، قَامَ بِأَمْرِهِ ، وَضَبَطَ الْبَلَدَ عَلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَلْمِ الْمُدَاهِنَةَ^(٥) فِي أَمْرِهِ ،
 وَجَعَلَ حَيْلَ عَدُوِّهِ دُبْرَ أُذُنِهِ ، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الْعُدُوِّ ، فَكَانَ زَمَانَ طَرِيقِهِ
 مُفْذِيًا لَهُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِمَأْمَنِهِ ، فَتَرَكَهَا مَغْرِبَةً .

خَبَرُ فِي وَفَاتِهِ وَمَعْرِجَتِهِ^(٦)

وَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُحَمَّدِهِ ، وَاسْتَأْثَرَ [بِهِ الدَّخْلَ]^(٧) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَدَ

(١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (أبي كريم الحرارة) والتصويب أرجح . وساقطة في «الزيتونة» «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» وفي «الزيتونة» (الظهر) .

(٤) ساقطة في «ج» . وروادة في «الزيتونة» .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراحنة) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بالداخل) .

اغتيابه ، وأغرى به عقد ضنائه ، وخلطه بنفسه ، ثم أغرى به لمكانته من الشهامة والرياسة ، فتقبَّض عليه ، وعلى ولده ، لباب بنى وقته ، وغرَّة أبناء جنسه ، فأودعهما مطبقِ أرباب الجرائم ، وهمَّ باغتيالهما^(١) ، ثم نقلهما إلى مدينة المنكب ليلة المنتصف لمحرم من عام اثنين وستين وسبعمائة في جملة من النبهاء ، مأخوذين بمثل تلك الجريرة ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية ، في العشر الأول لربيع الأول مصفدين . ولما حلوا بها ، أقاموا تحت برٍّ وتجلة ، ثم ركبوا البحر إلى تونس ، فقطع^(٢) بهم أسطول العدو بأحواز تكررنت ، ووقعت [بينه و]^(٣) بين المسلمين حرب ، فكرم مقام المترجم يومئذ ، وحسن بلاؤه . قال المخبر ، عهدى به ، وقد سلَّ سيفاً ، وهو يضرب العدو ويقول ، اللهم اكتبها لي شهادة . واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ، ومنهم ولده ، وكتب^(٤) افتكَّ الجميع ببلد العناب^(٥) ، وانصرف ابنه إلى الحج ، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة . من سُكون وفضل ودين وحياء ، وتلاوة ، إلى ما كان يجيده من الرِّكض ، ويعانيه من فروسية ، فضى على هذا السبيل من الشهادة . نفعه الله ، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعمائة .

شهره

أنشدني قاضي الجماعة أبو الحسن بن الحسن [له]^(٦) :

-
- (١) وردت في المخطوطات الثلاثة (باغتياله) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٣) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .
 (٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (انقبلة) . والأولى أرجح .
 والعناب هي ثغر بونة .
 (٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

يأبها المرتجى لطف خالقه
لو كنت توقن حتماً لطف قدرته
فإن لله لطفاً عز خالقنا
وكل أمر وإن أعياك ظاهره
وفضله في صلاح الحال والمال
فاشبع بأنفك عن قيل وقال
عن أن يقاس بنشبهه وتمثال
فالصنع في ذلك لا يجرى على بال

محمد بن أحمد بن محمد^(١) الأشعري

من أهل غرناطة. يكنى أبا عبد الله. ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية. القهرمان بها. المستوزر آخر عمره. سداد من عون.

حاله وأوليته وظهوره

كان رحمه الله من أهل العفاف والتعاون، جانحاً إلى الخير. محباً في أهل الإصلاح، مغضوض الطرف عن الحرم^(٢). عفيفاً عن الدماء. متمسكاً^(٣) بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط. وبرز في عدول الحضرة، وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرائض، وحظته تافه^(٤) من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة [مرئوساً مع الجملة]^(٥). وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تعين لحصر ما استرفع من منتهب ماله، وتحصل بالدار السلطانية من آثانه وخرثيته^(٦)، فحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده

(١) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (أحمد).

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية»، وفي «الزيتونة» (الحرام).

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية». ووردت في «ج» (تمسكا).

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الأولى.

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرئوساً مع الجملة) وقد أخذت تصويباً للكلمة الأولى

يدل على العبارة معي.

(٦) أخرجت أي أثرت البيت.

الوقت ، وطلَّع له جاه كبير ، وتملك أموالاً عريضة . وأيضاً واسعة (١) ، فجمع الدنيا بحزبه ومشاربته على تَنَمِيَّةٍ داخله . [وترقى] (٢) إلى سماء الوزارة في الدولة السادسة من الدول النُصْرِيَّة ، بتدبير شيخ الغزاة ، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلاء . فوصله إلى إدوار دنياه ، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب ، وتآذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده ، فاستولى وحجَّب السلطان . ثم وقعت بينه وبين مُرَشِّحِهِ ، الوَحْشَةُ الشهيرة ، عام سبع وعشرين وسبعمائة ، مارساً (٣) لمكان الفتنة ، صِلَّة فارط في حجَّب السلطان ، وأجلى بجمهور ما كان يبابه ، ومنع من الدخول إليه . فاضطربت حاله ، وأعمل التدبير عليه ، فهجم عليه بدار الحرَّة الكبيرة جدَّة السلطان ، وكان يعارضها في الأمور ، ويجعلها [تسكأة لغرضه] (٤) . فتَيَّان من أحداث الممالك ، المُسْتَبِقِينَ مع محجوبه ، تناولاه سَطْطاً بالخناجر . ورمى نفسه في صهرج الدار ، وما زالَا يتعاورا من كل جانب [حتى فارق الحياة] (٥) رحمه الله تعالى .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وكانت له فيه فِرَاسَةٌ صادقة .

(١) وردت بعد هذه الكلمة في المخطوطات الثلاثة هذه العبارة المضطربة (إلى ضد طريقته التي لو كان له) وقد آثرنا الإغضاء عنها .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» في «الملكية» (الوسيلة) الأولى .

أرجح .

(٤) هذه العبارة وردت في «ج» . وساقطه في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) أضفنا هذه العبارة ليستقيم السياق .

محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر [ويشهر بالأشبرون] (١) . قاضي الجماعة .

حاله

كان طرُفًا في الدهاء والتخلق والمعرفة بمقاطع الحقوق ، ومغامرًا الرّيب ، وعِلل الشهادات ، فذًا في الجزالة . والصرامة ، مقدمًا (٢) ، بصيرًا بالأموال . حسن السيرة ، عذب الفكاهة ، ظاهر الحظوة ، على الرتبة . خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها ، ووُلى القضاء بمالقة وبسطة . ثم وُلى الحسبة (٣) بفرناطة . ثم جمعت له إليها الشرطة . ثم قدّم قاضيًا . واستمرت ولايته نحوًا (٤) من ثلاثين سنة .

وفاته

توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي

ولد الشيخ الخليلي أبي جعفر بن الزيات ، من أهل بلش يكنى أبا بكر .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٢) وردت في «ج» بعد هذه الكلمة (صارما) . وهي ساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» . وقد أغضينا عنها لأنها تكرر لا محل له .

(٣) وردت في «الزيتونة» (الخدمة) وفي «ج» و «الملكية» (الخدمة -- الخدمة) . ونعتقد أن التصويب أرجح ، وهو يستقيم مع المعنى والسياق .

(٤) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (مدة) .

حالُه

من «عائد الصلاة» من تأليفنا (١). كان رحمه الله شبيهاً بأبيه، في هديه، وحسن سمته ووقاره، إلا أنه كان حافظاً للرتبة. مقياً للأبوة، مُستدعياً بأبيه ونفسه للتجلة. بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروءة وحشمة، إلى خطِّ بديع قيد البصر. ورواية عالية. ومشاركة في فنون. وقراءة، وفقه. وعربية. وأدب وفريضة. ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة. فأقام الرسم، واستعمل في السفارة. فسدَّ مسدِّ مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

مُشِيخَتُه

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي. وبغرناطة. على شيخ الجماعة الأستاذ [أبي جعفر] (٢) بن الزبير. ومن أعلام مُشِيخَتِه. جَدُّه للأُم خال أبيه، الحكيم العارف أبو جعفر ابن الخطيب [أبي الحسن بن الحسن المذحجي الحمي] (٣). والخطيب الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة. والوزير أبو عبد الله ابن رُشيد.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الحاج.

(١) «عائد الصلاة» هو حسبنا بينا في مقدمة «المجلد الأول» مجموع صغير من التراجم كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا على كتاب «صلة الصلاة» لابن الزبير. وجمع فيه طائفة من تراجم الأعلام اللاحقين. وهو يقتبس منه في كثير من تراجم الإحاطة.

(٢) ساقطة في «ج» وواردة في «الزيتونة».

(٣) هذه الزيادة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

أُولَيْتِهِ وَحَالِهِ

[كان أبوه نجاراً من مُدَجْنِي مدينة إشبيلية^(١) من العارفين بالحِيل الهندسية ، بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية ، والعمل بها ، وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق ، واتخذ له الدُولاب ، المنفَسح القُطر [البعيد المدى]^(٢) ، مُلَتَيْن المركز والمحيط . المتعدّد الأكواب ، الخفيّ الحركة ، حسبها هو اليوم ماثل^(٣) بالبلد الجديد ، دار الملك بمدينة فاس ، أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الرُّكَّاب ، وبناء دار الصُّنعة بسلا . وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثانی الملوك من بني نصر ، ومَتَّ إليه بوسيلة ، أدنّت محلّه ، وأسنت جراياته ، إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين ، أبي الجيوش نصر ، واضطلع بتدبيره . وتقم الناس عليه إيثاره لمقاتلات الرُّوم ، وانحطاطه في مهوى^(٤) لهم ، والنشبه بهم في الأكل والحديث ، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان ؛ وتطرّيز المجالس بأمثالهم وحِكَمهم ، سمّةٌ وسمتٌ منه عقلاً . لنشأته بين ظهرانهم ، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم ، فلم تفارقه بحال ، وإن كان آية في الدهاء . والنظر في رجلٍ بعيد الغور ، عميق الفكر ، قايم على الدُمْنَة . مُنطوي على الرُّضف . لين الجانب ، مبدول البشر^(٥) ، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الروم

(١) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الملكية» . ووردت مكانه في الزيتونة الجملة الآتية (كان جده من مدينة إشبيلية) . وما ورد في «ج» أدق وأرجح ، يؤيد ما ورد بعد من وصف الأب بالمعرفة بالحيل الهندسية . والمدجنون في تاريخ الأندلس كما سبق هم المسلمون الذين بقوا في القواعد الأندلسية المغلوبة تحت حكم النصارى . وبالإسبانية Mudejares

(٢) هكذا وردت في «ج» ووردت في «الملكية» (البعيد المدار المحيط) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (مؤثّل) .

(٤) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (قهرى) . وفي «الزيتونة» (مهم) .

(٥) هكذا في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (بشر) .

وسيرهم ، مُحْكَم الأَوْضَاع [في] أدب الخُدْمَة ، ذَرِب (١) بالتصرف في أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسلطانه ما تقدم . وجهرُوا بإسلامه إليهم ، وقد ولوه بسبب الثورة . وطوّقوه كياد الأزيمة . فضنَّ به السلطان ضنَّانة . أُعْرِبَتْ عن وفايه ، ووصان مُهْجَتَه . واستمر الأمر إلى أن خلع الملك عن الملك . وكان نزول [الوزير (٢)] المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة . وكبير النايقة . عثمان بن أبي العلي ، فانتقل محفوظ الجملة . محوط الوفر . ولم يَنْشِبْ إلى أن لجأ إلى العدو ، واتصل بالأمير أبي علي عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد ، فخرَّكه . زعموا . على مُحَادَّةِ أبيه . وجمه على الانْتِزَاءِ . فكان ما هو معلوم من دُعَايِهِ إلى نفسه ، ومنازعة أبيه [(٣)] . ولقايه إياه بالمقَرْمِدَةِ (٤) . وقلَّ جيشه . وفي أثناءه هلك المترجم به .

وفاته

توفي بفاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربع عشرة وسبعمائة .

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم [النميري] (٥)
من أهل وادي آش . يكنى أبا يحيى .

حاله

كان صَدْرًا شهيرًا ، عالماً علماً . حَسِيْبًا . أصيلاً . جَمُّ التحصيل . قوى

(١) وردت في «ج» (دربا) . وبالتصويب من «الملكية» .

(٢) واردة في «ج» وفي «الملكية» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الفقرة الطويلة المحصورة بين الحصرتين كلها ساقطة في «الزيتونة» .

(٤) المقرمدة هي بلدة صغيرة تقع على مقربة من جنوب شرق فاس .

(٥) هذه الزيادة واردة في «الملكية» .

الإدراك . مضطاعاً بالعربية واللغة . إماماً في ذلك . مشاركاً في علوم من حساب
وهيئة وهندسة . قال الشيخ . كان في هذا كاه أبرع من لقيته . إلى سראوة
وفشل وتواضع ودين . جاريّاً في ذلك على من سألته . وعلو محمّده . جلسته .
رحمه الله . كثيراً عند [عاية]^(١) من أدركته بفرناطة . لإقامته بها
وتكرر لقائي إياه بها^(٢) وبغيرها . فرأيت أصيلاً جليلاً . قد جمع علماً
وفضلاً . وحسن خلق . وكان حسن التقييد . نخبته ووثق يمتاز به . ويعد
عن غيره ، ولى القضاء ببلده . ثم ولى بعد مدة ببرشانة^(٣) فخدمت سيرته .

مشيخته

أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودي بن عبد الرحمن . وقرأ عليه
الغريب^(٤) واللغة ، ولازمه في ذلك ، وأجاز له [إجازة]^(٥) عامة . وأخذ
من غيره ببلده ، وصحب بفرناطة بجملة^(٦) من العلماء بها . أيام اختلافه إليها .
 وإقامته بها .

توالياه

ألف كتاباً سماه « الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال » . وهو
كتاب ضخم وقفت عليه من قبله وأفدته . واختصر الغريب المصنف . وله تقايد

(١) مقاطعة في «الزيتونة» و«الملكية» .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (وتقرر لقائي إياه بها) .

(٣) برشانة وبالإسبانية Purchena بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة غربي مدينة المنصورة
وشمال ثغر المرية .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة . وقد تكون (جملة) .

منشور ومنظوم في علم النجوم . ورسالة في الإسطرلاب الخطي والعمل به . وشجرة
في أنساب العرب .

وفاته

توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبع وخمسين وسبعمائة .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد [بن إبراهيم بن
محمد]^(١) بن خاف بن محمد بن سليمان بن سوار بن
أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير^(٢) بن عيَّاش

المكني بأبي عيشون بن حمود ، الداخل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير ،
ابن عتبسة بن حارثة بن العباس بن المرداس ، يكنى أبا البركات ، بلفيقي^(٣)
الأصل ، مروى^(٤) النشأة والولادة والسلف . يعرف بابن الحاج ، وشهر الآن
في غير بلده باللفيقي ، وفي بلده بالمعرفة القديمة .

أوليته

قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس . صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وأحد خطبايه وشعرايه . رئيس في الإسلام . ورئيس في الجاهلية .
وكان لسلفه . وخصوصاً لإبراهيم من الشهرة بولاية الله . وإيجاب الحق من خلقه

(١) الزيادة بين الحاصرتين من «الزيتونة» .

(٢) في «الزيتونة» (سعد) فقط .

(٣) بلفيقي نسبة إلى بلفيقي Belfiq وهي بلدة من بلاد ولاية ألمرية . تقع جنوبي برشنة .

على مقربة من نهر المنصورة وشمال ثغر المرية .

(٤) مروى هنا نسبة إلى «المرية» .

ما هو مشهور ، حسبما تنطق به الفهارس ، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة ،
 كأبي بكر بن صُهب ، وابن عمه أبي إسحاق ، وغيرهم ، الكثير ممن صنف
 في رجال الأندلس . كأبي عبد المجيد الملقب ، وابن الأبار ، وابن طلحة ،
 وابن فرثون ، وابن صاحب الصلاة ، وابن الزبير ، وابن عبد الملك ،
 فليُنظر هناك .

حاله

نشأة ببلده المرية عمود^(١) العفة ، فضفاض جلباب الصيانة ، غَضِيض طرف
 الحياء ، نَأَى جنبَ السَّلام ، حليف الانقباض والازورار ، آوياً إلى خالص النشَب
 وَبَحْت^(٢) الطُّعْمَة ، لا يُرى إلا في منزل من سألَه ، وفي حَلَقِ الأَسانيد ، أو في
 مسجد من المساجد خارج المدينة المعدة للتعبُّد ، لا يجيء سوقاً ، ولا مجمعا . ولا
 وليمة . ولا مجلس حاكم [أو وال]^(٣) . ولا يلبس أمراً من الأمور ، التي
 جرت عادته أن يلبسها بوجه من الوجوه . ثم ترمى إلى رحلته^(٤) . فحاس خلال
 القطر الغربي إلى بجاية ، نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده ،
 وأخذه قيام ذكر ، وإغفال شهرة . ثم صرف عنانه إلى الأندلس ، فتصرف
 في الإقراء ، والقضاء ، والخطابة . وهو الآن نسيجُ وحده في أصالة عريقة ، وسجية
 على السلامة مفظورة [فما شيت من صدر سليم ، وعقد وثيق ، وغور قريب ،
 ونصح مبدول ، وتصنع مرفوض]^(٥) ونفس ساذجة ، وباطن مساو للظاهر ،

(١) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

(٢) هكذا وردت في «ج» ، ووردت في «الزيتونة» و «الملكية» (وتحت) وهو تعريف .

(٣) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٤) وردت في «ج» (حلة) والتصويب من «الزيتونة» و «الملكية» .

(٥) ما بين الحصريين وارد في «ج» و «الملكية» . وسقط في «الزيتونة» .

ودمعة سريعة . وهزل يُشمر تجلّة . وانبساطٍ يفيد حُسن نية . إلى حُسن العهد . وفضل المشاركة . ورقة الحاشية . وصلابة العود . وصدق العزيمة . وقوة الحامية ، وبلاغة الموعظة . وجلة الوقت . وفايدة العصر ، تفنناً وإمتاعاً . فارس المنابر غير الهيبانة ، ولا الجزوع . طيب النعمة بالقرآن ، مجهشاً في مجال الرقة ، كثير الشفقة لصالح العامة ، متأسفاً لضياح الأوقات ، [مدمعاً على الفينة]^(١) ، جُمّاً ، محوّلاً في رياسة الدين والدنيا . هذا ما يُسمح فيه الإيجاز ، ويتجافى عنه الاختصار ، ويكفى فيه الإلماع والإشارة ، أبقى الله شيخنا أبا البركات .

مشيخته . ولايته

تقدم قاضياً بقنالش^(٢) ، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة^(٣) ثم ولى مَرَبَلَةَ ، وإِسْتَبُونَةَ^(٤) ثم كانت رحلته^(٥) إلى بجاية . ثم عاد فقدم بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسَلَّم ، مُتَّفَقاً على اضطلاعِه بذلك . ثم رحل إلى فاس . ثم آب إلى الأندلس . واستقر ببلده المرية ، فقدم بمسجدها الجامع للإقراء [ثم قدّم قاضياً بِبِرْجَة ودَلَايَة . والبِنْدِيُول^(٦) وفِنْيَانَةَ^(٧)] ، ثم نقل

(١) هذه العبارة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) قنالش من بلاد وادي المنصورة في شمال ولاية المرية ، وتقع على مقربة من بلفيق بلد ابن الحاج .

(٣) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (خمس وسبعمائة) .

(٤) وردت في المخطوطات الثلاثة (مرية) وهو تحريف . ومربلة وبالإسبانية Marbella هي ثغر أندلسي صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غرب مالقة . وإستبونة أو إشتبونة تقع بعدها على الشاطئ . وقد سبق التعريف بها .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ولايته ورحلته) .

(٦) برجة Berja من بلاد ولاية المرية وتقع غربى ثغر المرية . ودلاية Dalias تقع جنوب شرق برجة . والبينول Albinol من بلاد ولاية مالقة ، وتقع غربى النهر الأحمر وشمال شرق مترل .

(٧) فنيانة هي بلدة صغيرة من بلاد ولاية المرية تقع جنوب شرق وادي آش .

عنها إلى بيرة (١) ، ثم غربي المرية [(٢)] . ثم قُدِّم قاضياً بمالقة ، ثم قُدِّم بغربها مضافاً إلى الخطابة ، ثم أعيد إلى قضاء المرية ، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصايغ . ومن كتاب «طرفة العصر» (٣) من تأليفنا في نهر ولايته ما نصه :

فتقلد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبع وأربعين وسبعمائة . ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى ، وانتباهه (٤) الدُّلْبَة . ووجوه الحضرة والدولة . مهنيين بمشواه من دار الصيانة . ومحل التجلَّة ، إحدى دور الملوك بالحمراء . فَطَفِقُوا يَنْشُونَهُ [بها] (٥) زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ، فِي إِتَاحَةِ الْخَيْرِ ، وَإِلْهَامِ السَّدَادِ ، وَتَسْوِيعِ الْمَوْهَبَةِ . وكان وصوله ، والأفق قد اغْبَرَّ ، والأرض قد اقشَعَرَّتْ لانصرام حظ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته ، لم يَسِحْ فِيهِ الْغَمَامُ بِقَطْرَةٍ ، وَلَا لَمَعَتْ السَّمَاءُ بِبُرْزَعَةٍ ، حَتَّى أَضْرَّتْ (٦) الْأَنْفُسُ الشَّحَّ ، وَحَسَرَ الْعُسْرُ عَنْ سَاقِهِ ، وَتَوَقَّفَتْ الْبُدُورُ ، فَسَاعَدَهُ الْجَدُّ بِنَزُولِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ نَزُولِهِ مِنْ مِرْقَاةِ الْمَنْبَرِ ، مُجَابَةً دَعْوَةِ امْتِسْقَايِهِ ، ظَاهِرَةٌ بِرَّكَةٍ خَشُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ مَا أَنْشَدْتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ :

ظَمِئْتُ إِلَى السَّقِيَا الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَا حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَامًا مُجَدِّبًا
وَالغَيْثُ مَسْدُولُ الْحِجَابِ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَمَامِ قَدُومُكُمْ فَتَأَدَّبَا

وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها ، مضطلماً بأصالة النظر ، وإرجاء المشبهات ، وسلك في الخطابة طريقةً مثلى ، يفرغ في قوالب البيان أغراضها ،

(١) بيرة بلدة صغيرة تقع شمال شرقي المرية على مقربة من مصب نهر المنصورة .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٣) قد تم التعريف به في مقدمة المجلد الأول . وعنوانه الكامل «طرفة العصر في تاريخ

دولة بني نصر» . ولم تصلنا منه أية نسخة مخطوطة .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وانتبه) و «الملكية» (وانتباه) وهو تحريف .

(٥) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٦) هكذا في المخطوطات الثلاثة .

ويُتَّرف على الأحكام الكواين والبساطات أساليبها. من المحاكاة (١). باختلاف التبعض والبسط. والوعد والوعيد. حظوظها على متبعض العدل. وسبب الصواب يقوم على كثير (٢) مما يصدع به، من ذلك شاهد البديهة. ودليل الاستيعاب. قال شيخنا أبو البركات: ثم صُرِّفت عنها للسبب المتقدم. وبقيت مقيما بها. لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية، ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بالمرية. وكتب بذلك في أوائل رجب عام تسعة (٣) وأربعين. وبقيت على ذلك إلى أن صُرِّفت بسبب ما ذكر. ثم أعدت إليها في أواخر رجب سنة ست وخمسين. عني أن يكون الانقطاع لله سبحانه. فانا الآن أنتمل بما قاله. أبو مطرف (٤) بن عميرة رحمه الله:

قد نُسبنا إلى الكتابه يوماً (٥) [ثم جاءت] (٦) خُطَّة القضاء تليها
وبكلُّ لم نُطق للمجد إلا (٧) منزلاً نايياً وعيشاً كريها
نِسْبَةٌ بَدَّلَتْ فلم تتغير مثلُ ما يزعم المهندس فيها
بَدَّل من لفظ الكتابة إلى الخطابة. وأغرب ما رأيت ما أحكى لك.

وأنت أعلم ببعض ذلك، أن أفضل ما صدر عني في ذلك، الخُتَّة من العمل الذي أخلصتُ لله فيه، ورجوت منه المثوبة عليه، وفيه مع ذلك مفتخر

-
- (١) هكذا في «ج» و«الملكية». وفي «الزيتونة» (المحكات).
(٢) هكذا وردت في «الملكية» وفي «الزيتونة». وفي «ج» (الكثير).
(٣) هكذا في «ج». وفي «الملكية» و«الزيتونة» (سبعة).
(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وهي ترسم عادة (أبو المطرف).
(٥) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة في الخلد الأول من الإحاطة (ص ١٧٧)
كالآتي: (قد عكفنا على الكتابة حيناً).
(٦) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (واتصلت).
(٧) وردت هذه الشطرة في ترجمة ابن عميرة كالآتي (ويكن لم يبق للجهد إلا) (الخلد الأول ص ١٧٧).

لمن أراد أن يفتخر [غير] (١) ملأفت للدنيا . فعليه عولت سبحانه .
انتهى كلامه .

تصانيفه

كتب إلى بخطه [ما نصه] . وهو فصل من فصول : وأما تواليها فأكثرها ،
أو كلها غير متممة . في مبيضات . منها كتاب . قد يكبو الجواد في أربعين
غلطة [عن أربعين من النقاد ، وهو نوع من تصحيف الحفظ للدائر قطني . منها
ملوة الخاطر] (٢) فيما أشكل من نسبة النسب الرتب إلى الذاكرك . ومنها كتاب
« قدر جم في نظم الجمل » . ومنها كتاب « خطر فبطر » . ونظر فحظر ، على تنبيهات
على وثائق ابن فتوح . ومنها كتاب « الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح » .
ومنها « حركة الدخولية في المسألة المالقية » . ومنها « خطرة المجلس في كلمة وقعت في
شعر استنصر به أهل الأندلس » جزء صغير . ومنها « تاريخ المريية » غير تام .
ومنها ديوان شعره المسمى « بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج » .
ومختصرة سماه القاضي الشريف « اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج
يستخرجان » (٤) . ومنها « عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر » يحتوي
على فصول الخطب التي أنشئت بطول بني والخطابة . ومنها « المؤمن على أبناء
أبناء الزمن » (٥) . ومنها تأليف [في] (٦) أسماء الكتب ، والتعريف بمؤلفيها ،

(١) الزيادة من « الملكية » .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد في « الملكية » وفي « الزيتونة » . وساقط في « ج » .

(٣) ما بين الحاصرتين وورد في « ج » و « الملكية » . وساقط في « الزيتونة » .

(٤) هذا العنوان هو كما ورد في « ج » وفي « الزيتونة » . ولكن المقرئ يورده لنا في « نفع

الطيب » كالاتي : (اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات الحاج يستخرجان » .

(٥) ورد هذا العنوان في « الملكية » كالاتي : (المستومان على أبناء الزمان) .

(٦) الزيادة من « الزيتونة » .

على حروف المعجم . ومنها « ما اتفق لأبي البركات فيما يُشبه الكرامات » ومنها كتاب « مارأيتُ وما رأيتُ لي من المقامات » . ومنها كتاب « المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك » ومنها « مُشَبَّهَاتُ اصطلاحِ المعلوم » . ومنها « ما أكثر وروده في مجلس القضاء » (١) . ومنها « الغلبيات » . وهو ما صدر عن من الكلام على صحيح مسلم أيام التكلم عليه في التغليس . ومنها « الفصول والأبواب ، في ذكر من أخذ عن من الشيوخ والآتباع والأصحاب » .

ثم قال ، وقد ذهب شَرَحُ الشَّبابِ ونشاطه . وتقطعت أوصاله . ورحل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال . وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها إلى منزل . وهذه الأعمال لا يُنشط [إليها إلا] (٢) المحرُّكت التي هي مفقودة عندي ، أحدها طلبه مجتمعون متعطشون إلى ما عندي . منشوفون غاية التشوف ، وأين هذه بالمرية . الثاني ، طلبُ رياسة على هذا ، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم ، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ في عادة هذا الوقت . فالتشوف لهذه الرياسة مفقود عندي . الثالث ، سلطانٌ يلا يد من يظهر مثل هذا على يده غبطة ، وما تم هذا . الرابع . نيةٌ خالصة لوجه الله تعالى في الإفادة . وهذا أيضاً مفقود عندي ، ولا يد من الإنصاف . الخامس . قصدُ بقاء الذكر . وهذا خيال ضعيف بعيد (٣) عنى . السادس . الشفقة على شيء ابتدى . [وسعى في] (٤) تحصيل مبادئه ، أن يضيع على قطع ما سوى هذا الإشفاق . وهذا السادس . هو الذي في نفسى منه شيء . وبه أنا أقيد أسماء من لقيت . وما أخذت . ويكون إن شاء الله

(١) هذا العنوان وارد فقط في «ج» . وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) أضفنا هاتين الكلمتين ليستقيم السياق . ووردت مكانهما في المخطوطات الثلاثة (٣)

وهي لا تكفي لربط المعنى .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (بعد) . والتصويب أرجح .

(٤) وردت في «ج» (ونعوي) وفي «الزيتونة» (ونعى في) . وبالتصويب يستقيم السياق .

إبرازاً إذا (١) الصحف نُشرت . وأكثر زمانى يذهب فى كيفية الخروج عما
 أنا فيه . فإذا ينظر إلى العاقل فى هذا الوقت بعين البصيرة . لا يسعه إلا الشفقة
 على . والرحمة لى . فإنه يرى رجلاً مطرقاً أكثر نهاره . ينظر إلى ماله ، فلا يذسط
 إلى إصلاحه . وهو سابع (٢) ولا يلبس بالعبادة وهو فى زمانها المتقارب للفوت ،
 ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغى لعدم المعين . ولا يمنح إلى شيء من راحات
 الدنيا . ويشاهد من علوم الباطل (٣) الذى لا طاقة له على رفعه . ما يضيق صدر
 الحر [يقضى] (٤) نصف النهار ، مُحْتَلًا (٥) فى مكان غير حسن . تارة يُفكر ،
 وتارة يكتب ما هو على يقين منه أنه كذا لا ينتفع به . ونصف النهار يقعد
 للناس ، تارة يرى ما يكره ، وتارة يسمع ما يكره ، لا صديق يذكرك بأمر
 الآخرة ، ولا صديق يسأله بأمر الدنيا ، يكفىنى من هذه الغزارة (٦) . اللهم إليك
 المشتكى يا من بيده الخلق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

شعره ،

من مطوّلاته فى النزعة الغربية [التى] (٧) انفرد بها . منقولاً من ديوانه .
 قال ومما نظمته بسببته فى ذى الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمائة . فى وصف
 حالى : وأخذها عنى الأستاذ بسببته ، أبو عبد الله بن هانى . والأديب البارع
 أبو القاسم الحسينى . وأبو القاسم بن حزب الله ، وسواهم . ولما انفصلت من

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وربما كانت هنا للترقيم ، أى سابع الأمور .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٤) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٥) وردت (مخول) فى المخطوطات الثلاثة . فترجم التصويب .

(٦) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة وربما كانت (القدارة) .

(٧) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

سببته إلى بلاد الريف (١) زدت عليها إبياناتاً في أولها وأكثر ذلك بوادي لو (٢) من بلاد الريف وهي :

تأسفتُ لا كن حين عزَّ التأسفُ
ورام سكوناً وهو في رَجُل طائر
أراقب قلبي مرةً بعد مرة
سقيمٌ ولا كن لا يحسُّ بدايه
وجاذب (٣) قلباً ليس ياوى لئالفٍ
وأعجبُ ما فيه استواء صفاته
إذا حلت الضراء لم ينفع لهما
مذاهبُه لم تبد غاية أموره
فما أنا من قوم قصارى همومهم
ولا لي بالإسراف فكرٌ محدثٌ
ولا أنا ممن لهوهُ جـلَّ شأنه
ولا أنا ممن أنسه غاية المنى
ولا أنا ممن كزدهيه مصانٍ
ولا أنا ممن همه جمعها فإن
على أن دهري لم ندع لي دُرُوفه

وكفكتُ دمعاً حين لا عين تدرِفُ
ونادى بأُنسٍ والمنازل تمنفُ
فألفيه ذياك الذي أنا أعرفُ
سوى من له في مازق الموت موقوفُ
وعالج نفساً داؤها يتضاعفُ
إذ اللهم يشقيه أو السرُّ يترِفُ (٤)
وإن حلت السراء لم يتكئفُ
فإد لعمري لا يرى منه أطرفُ
بنوهم وأهلهم وثوبٌ وأرغفُ
سيغدو حبيدي أو سيشرُّ مطرفُ
بروضٍ أنيقٍ أو غزالٍ مهفُفُ
بصوتٍ وخيمٍ أو نديمٍ وفرقنُ
ويئيبه بستانٍ ويليه مخرفُ
تراعت يائب (٥) بسعي لما وهو مرجفُ
من المال إلا مسحة أو مجلفُ

(١) بلاد الريف هي المنطقة التي تقع في غرب الأندلس جنوبى الطرف الأخير من جبال المتوسط قبل امتداده شمالاً إلى ثغر سبته ، وتسكنها قبائل غمارة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وردت في «الزبور» و «الملكية» (ونادى أش) وهو تحريف لضح لأن وادي أش من مدن الأندلس .

(٣) في «زيونة» (وجنوب) .

(٤) وردت في «ج» يترِف . والتصويب من «الملكية» .

(٥) وردت في «ج» (ثبت) . والتصويب من «الملكية» .

ولا انا ممن هـ الدار هـ
 ولا انا ممن للسُّـؤال قد انبهرى
 ولا انا ممن نَجَحَ اللهُ سَعْيَهُمْ
 فلا فى هَوَى اُضْحَى إِلَى اللّهِ وَ قَائِدًا
 أَحْرَب دهرى فى تقيض طباعه
 وَأَنْظَرَهُ شَرًّا بِأَصْلَفِ نَاطِرِ
 وَأَضْبَطَهُ ضَبْطَ المَحْدَثِ صَحْفِهِ
 وَيَأْخُذُ مَنِ كُلِّ مَا عَزَّ نَيْسُهُ
 أَدُورَ لَهُ فى كُلِّ وَجْهِ لَعْنَتِي
 وَلَمَّا يَتَسْنَا مِنْهُ تَهْنَا ضَرُورَةَ
 تَكَلَّمْتُ قَطْعَ الأَرْضِ أَطْلُبُ مَالُورَةً
 وَخَاطَرْتُ بِالنَّفْسِ العَزِيزَةَ مُقَدِّمًا
 وَصَرَفْتُ نَفْسِي فى شَيْئُونَ كَثِيرَةَ
 وَخُضْتُ لِأَنْوَاعِ المَعَارِفِ أَبْحُرًا
 وَلَمْ أَحُلْ مِنْ تِلْكَ المَعَانِي بِغَايِلِ
 وَقَدْ مَرَّ مِنْ عَمْرِى الأَلَدُ وَهَا أَنَا
 وَإِنِّى عَلَى مَا قَدْ بَقِيَ مِنْهُ إِنِّى بَقِي
 أَعْدُ لِيَالِي العَمْرِ وَالفَرَضِ صَوْمَهَا (٤)

وقد غرّه منها جمالٌ وزُخْرُفُ
 ولا انا ممن صان عنه التَّعْطَفُ
 فهِتَمُ فِيهَا مُصَلَّى وَمُصْحَفُ
 ولا فى تَقَى أُمِّى إِلَى اللّهِ يَزَلِفُ
 وَحَرَبُكَ مِنْ يَتَقَى عَلَيْكَ تَعَجْرَفُ
 فَيَعْرِضُ عَنِّي وَهُوَ أَزْهَى وَأَصْلَفُ
 فَيُخْرِجُ فى التَّوْفِيقِ أَنْتَ المُصْحَفُ
 وَيِيدُو بِجَهْلِي مِنْهُ فى الأَخْذِ مُخْتَفُ (١)
 سَأْتِبْتَهُ وَهُوَ الَّذِى ظَلَّ بِحَدْفِ
 فَلَمْ تَبْقَ لِي فِيهَا عَلَيْهِ (٢) تَشَوُّفُ
 لِنَفْسِي فَمَا أَجْدَى بِتِلْكَ التَّكْأَفُ
 إِذَا مَا تَخَطَّى النَّصْلُ قَصْدَ مُرْهَفُ
 لِحَظِّي فَلَمْ يَظْفِرْ بِذَلِكَ التَّعْرَفُ
 ففى الحَيْنِ مَا اسْتَجْرَتْهَا وَهِيَ تَتَرَفُ (٣)
 وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا أَطَالُوا وَأَسْرَفُوا
 عَلَى مَا بَضِيَ مِنْ عَهْدِ أَتَاهِفُ
 لِحَرْمَةِ مَا قَدْ ضَاعَ لِي أَتَخَوُّفُ
 وَحَسْبُكَ مِنْ فَرَضِ المَحَالِ تَعْرِفُ

(١) هكذا فى «الملكية». وفى «ج» (مختف). وفى «الزيتونة» (مختف) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «ج» و «الملكية» (عليها) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة». وفى «الملكية» (تترف) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة». وفى «الملكية» و «ج» (طولها) .

تعارض آمالاً عليها ينثيف^(٢)
تبدل في تحديتها وتُحرف
وبعدُ يحنُّ الزهدُ لي والتتشف
أفي قرني الضَّدين يبقى التكلف
ولكن لفهم الحال إذ ذاك لم يف
يفضُّ وبعضُ يُرثي ثم يصدف
وبعضُ بما قد رأته^(٦) يتوقف
مقتضى العقل الذي عنه يتوقف^(٧)
على غير ما تحذوه يحذو ويخصف
ولا هو يُرثي لي ولا هو يعنف
عرفنا وكلُّ منهم ليس يعرف
[وخطوا الدنية من عليل وأنصف^(٩)]
ولم يعرفوا أغوارها وهي تتلف
ومثلي عن تلك الحقائق يكشفُ

على أنها إن سلمت جدَّي^(١)
تُحدثني الآمال وعي كديتها^(٣)
بأنِّي في الدنيا سأقضى آربي
وتلك أمان [لا حقيقة^(٤)] عندها
وربُّ أخلاء^(٥) شكوتُ إليهم
فبعضهم يُزري عليَّ وبعضهم
وبعضهم يومي إلى تعجباً
[وبعضهم يُلقى جوابه على
بني استماعاً ثم يُعدُّ إجابة
] ولا هو يبدى لي على تعقلاً^(٨)
رما أمرنا إلا سواء وإنما
فلو قد فرغنا من علاج نفوسنا
أما لهم من علة أرمت بهم
وخضنا لهم في الكتب^(١٠) عن كنهه أمرهم

(١) هكذا وردت في «الزيتونة»، وفي «ج» و«الملكية» (جد المنة).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية». وفي «ج» (تنثيف).

(٣) وردت في «ج» و«الملكية» (كرينها).

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية». وفي «ج» (حقيقة).

(٥) وردت في «ج» و«الزيتونة» (الحلا). والتصويب من «الملكية».

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة. وربما كانت (رأيد).

(٧) هذا البيت وارد في «ج» و«الزيتونة» وساقط في الملكية.

(٨) هكذا وردت هذه الشطر في «الملكية». وردت في «ج» و«الزيتونة» (فلا هو يبدى).

عن تعقل على).

(٩) هكذا وردت هذه الشطر في المخطوطات الثلاثة مع تحريفات يسيرة في كل منها.

(١٠) هكذا وردت في «ج» و«الملكية». وفي «الزيتونة» (الكتاب).

وصنفتُ في الآفات كلَّ غريبة
وليس عجيباً من تركب جهلهم
إذا جاءنا بالسخف من نزو عقله
فما جاءنا إلا بأمر مناسب
ولا كن عجيبُ الأمر علمي وغفلتي
إلا أنها الأقدار يظهر سرها
أياربُ إن الأب طاش بما جرى
وإننا لندعوهم ونخشى وإنما
أقول وفي أثناء ما أنا قائلُ
وإني مع الساعات كيف تقلبت
وما جرَّ ذا التسوية إلا شيبتي
إذا جاء يومٌ قلتُ هو الذي يلي
أقدم رجلاً عند تأخير أختها
[كأنني لداني المراقد منهم]^(١)
وهبني أعيش هل إذا شاب مفريقي
وكيف ويستدعي الأريق رياضةً
متى يقبل التَّوْبِم غير عطوفة
ولو لم يكن إلا ظهورة^(٢) سره

فجاء كما يهوى الغريب المصنّف
فإن يحجبوا عن مثل ذلك وترف^(١)
إذا ما مثلناه أزهى وأسخف
أينهمض عن كنف الجبان المصنّف
فديتكم أي المحامين^(٢) أ كشف
إذا ما وفي المقذور فالرأي يخلف
به قلم الأقدار والقلب يرجف
على رحك الشرعي من لك يعكف
رأيت المنمايا وهي لي تتخطف
لأسمها إن فوقت مهدي
تخيل لي طول المدى فأسوف
ووقتك في الدنيا جليس مخفف
إذا لاح شمس فالنفس تكف
ولم أودعهم وأنحض ريان ينسف
وولي شبابي هل يباح التشوف
وتلك على عمر الشباب توظف
وبي بعد حياً فالنار تنسف
إذا مادنا التديس هان التنظف

(١) هكذا وردت في المطبوعات الثلاثة .

(٢) هكذا في نسخة المخطوطة . وفي «المذكاة» (الصحاحين)

(٣) هكذا وردت في «ج» و «الربطوة» . ووردت في «المدنية» (وكان لثاني المراد منهم)

وعذا لا يستقيم مع الوزن .

(٤) هكذا وردت في «المذكاة» . ووردت في «ج» (ظهرة) .

أَمْرِي الْأَسَارَى أَنْتِ أَوْلَى بِمَذَرِهِ وَأَنْتِ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَحَقُّ وَأَعْظَمُ
 قَدَمْنَا بَدِجُ الْبَحْرِ وَالْتِيْدُ آخِذُ بِرَجَانَا وَالْبَحْرُ بِالْمَوْجِ تَمِصْفُ
 وَفِي الْكَوْنِ مِنْ سِرِّ الْوُجُودِ عَجَائِبُ أَمَّا عَلَيْهَا الْعَارِضُونَ وَأَشْرَفُ
 وَكَمَّتْ (١) عَلَيْهِمْ نَكْثَةُ (٢) فَتَأَخَّرُوا وَدَدْتُ بِأَنَّ الْقَوْمَ بِالْكَلِّ أَسْعَفُ
 فَالَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَحِطَّ وَقَابِنَا بِأَبْوَابِ الْأَسْتِسَامِ وَاللَّهُ يَلْطَفُ
 فِهَذَا سَبِيلٌ لَيْسَ لِلْعَبْدِ غَيْرَهَا وَإِذَا فَمَاذَا يَسْتَنْبِيعُ الْمُكَافُ
 وَقَالَ ، وَضَمَّهَا مَحَاوِرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَقَيْدُهَا عَنْهُ زَوَالِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ
 التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ لِمَحْرَمِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ (٣) وَسَبْعِمِائَةٍ ، بِرَابِطَةِ الْعُقَابِ (٤) ، مَتَعَبِدِ
 الشَّيْخِ وَلِيِّ اللَّهِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِلْبِيرِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَمِنْهَا :

يَأْبَى شَجُونُ حَدِيثِي الْإِفْصَاحِ إِذَا لَا تَقُومُ بِشَرْحِ الْأَوْحِ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ [إِذْ مَرَّتْ] (٥) بِهَا أَفْلا تَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحِ
 فَاجِبَتْهُ لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ (٦) لِي [مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغَدُوِّ رَوَاحِ (٧)

- (١) هكذا في «ج» وفي «الملكية» (ركعت) .
 (٢) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (نكته) .
 (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (خمس وسبعين) ، وهو تعريف ظاهر ، لأن هذا التاريخ المتأخر يوافق أواخر أيام ابن الخطيب بالمغرب قبيل مصرعه بوقت يسير .
 (٤) رابطة العقاب كانت إحدى الروابط التي تخصص للعبادة . وكانت تقع على مقربة من غرناطة . وأبو إسحاق الإليري هو أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد النجيري الإليري ، وهو فقيه وراع وشاعر غرناطي توفي في أواخر سنة ٤٥٩ هـ واشتهر بتصديده في التحريض على البطش باليهود أثناء باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن اشتد طغيانهم ، وكان من أثرها أن قام الشعب الغرناطي وفتك باليهود وذلك في صفر سنة ٤٥٩ (راجع كتابي دول الطوائف (الطبعة الثانية) ص ١٣٤ و ١٣٦) .
 (٥) وردت في «ج» و «الزيتونة» (عند ما مرت) ، وهو لا يستقيم مع وزن الشعر . فلزم التصويب .
 (٦) هكذا وردت هذه الشطرة في «الملكية» . مع إضافة كلمة إلى . ووردت شذوذاً في «ج» (فاجبت لولا أن الرقيب لكان لي) .

- (٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (رباح) .

فاسمح فديتك فالماح رياح
 بيديه منا هـ منه الأرواح
 سيان ما الإخفاء والإفصاح
 تخشى ومنه هنه الأفرح
 واشدح فنشوان الهوى شطاح
 فالحكم رحب والنوال مباح
 فالوقت صاف ما عليك جناح
 باسم الذي دارت به الأقداح
 ضحكك ونور جبينه وضاح
 فقد استوى ربحانه والراح
 فجفاؤها بوفائها ينزاح
 يبدو لتاركها وما يلتاح
 قد ساح قوم في الجبال وتاح^(١)
 هاموا به عند العيان وساح
 ما الزهد في الدنيا له مفتاح
 والله جل جلاله النتاح
 فجماعتي حشوا المطي وراح^(٢)

قالت وهل في الحى حى غيرنا
 فأجبتها إن الرقيب هو الذى
 وهو الشهيد على موارد عبده
 قالت وأين يكون وجود الله إذ
 فافرح بإذن الله جل جلاله
 وانهج على ذم الرجال ولا تخف
 وانزل على حكم السرور ولا تبيل
 واخلع عذارك فى الخلاعة ياأخي
 وانظر إلى هذا النهار فينه
 أنواره ضحكك وأترع كأسه
 وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمة
 فأجبتها لو كنت تعلم ما الذى
 ما كان معنى غامض من أجه
 حتى لقد سكرت من الأمر الذى
 لعذرتنى وعذمت أنى طالب
 فترك صديق^(٢) قارعا باب الرضى
 يا حى حى على الفلاح وخلنى

وقيدت من خطه فى جملة ما كتب إلى مانصه :

ومما نظمته بفرناطة ، وبعضه ببرجة^(٤) ، وهو مما يعجبني ، وأظنه كتبه

لك ، وهو غريب المنزع ، وإنه كما قال :

(١) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٢) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» و«الزيتونة» .

(٤) سبق التعريف بها .

خُذَهَا عَلَى رَغْمِ الْفَقِيهِ سُلَافَةَ
 أَبَدِي أَطْبَاءِ أَنْتَلُوبِ لِأَهْلِهَا
 وَإِذَا امْرُؤٌ^(٢) قَالَ فِي نَشْوَانِهَا
 يَاقُوْتَةُ^(٤) دَارَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا
 مُزِجَتْ فَعَارَ الشَّيْخَ مِنْ تَرَكِيهَا
 فَبَدَتْ فَعَارَ الشَّيْخَ مِنْ إِظْهَارِهَا
 لَا تَعْتَرِضُ أَبَدًا عَلَى مُسْتَرَفِدٍ
 وَكَذَلِكَ لَا تَعْتَبُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ
 سَكَرَانٌ^(٦) يَعْثُرُ فِي ذِيُولِ لِسَانِهِ
 كَمُ الْهُوَى حَرْبٌ بَعْضٍ وَبَعْضٍ
 لَا تَنْخَشِينُ عَلَى الْعَدَالَةِ هَاتِفًا
 الْحُبُّ خَيْرُ الْعَارِفِينَ وَقَدْ ضَفَّتْ
 فَاشْطَحَ عَلَى هَذَا الْوَجُودِ وَأَهْلِهِ
 كَبِيرٌ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مَوْتِي عَلَى
 وَاهْزَأُ بِهِمْ فَتِي يَقُلُّ نَصْحَاؤُهُمْ
 وَإِذَا أَوْيَبُهُمْ^(٨) اسْتَخَنَتْ فُقُلُّ لَهُ

تُجَلِّي بِهَا^(١) الْأَقْمَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى
 مِنْهَا شَرَابًا لِلنَّفُوسِ مُبْرَحًا
 [قُلْ أَنْتَ]^(٣) بِالْإِخْلَاصِ فِيمَنْ قَدِ صَحَا
 فَاهْتَرَّتِ الْأَقْدَامُ مِنْهَا وَاللِّحَا
 فَلِذَاكَ جَرَّدَهَا وَصَاحَ وَسْرَحًا
 فَاشْتَدَّ يَبْتَدِرُ الْحِجَابَ مُلَوِّحًا
 قَدْ غَارَ مِنْ أَسْرَارِهَا^(٥) أَنْ يُفْضَحَا
 لَمْ يَدِرْ مَا الْإِيضَاحُ لَمَّا أَوْضَحَا
 كُفْرًا وَيَحْسَبُ أَنَّهُ قَدْ سَبَّحَا
 ضَاقَ ذَرْعًا بِالْفَرَامِ فَبِرَحَا
 ثَغْرًا^(٧) ارْتِيَا حِجَابِ الْعَاشِقِينَ فَجَرَحَا
 حَمًا عَلَى مَنْ ذَاقَهَا أَنْ يَشْطَحَا
 عَجَبًا فَلَيْسَ بِرَاجِحٍ مِنْ رَجَحَا
 غَيْرَ الشَّهَادَةِ مَا أَعْرَى وَأَقْبَحَا
 أَهْجِجْ فُقُلُّ حَتَّى الْإِاقَى مُفْلِحَا
 بِاللَّهِ يَا يَحْيَى بْنِ يَحْيَى دَعِجَا

- (١) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (به).
 (٢) وردت في «ج» (المراي). وفي «الزيتونة» و «الملكية» (المره). والتصويب أرجح.
 (٣) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» (ما أنت).
 (٤) وردت في «ج» وفي «الملكية» (يا قوّة). وبإلصواب يستقيم الوزن والمعنى
 اللاحق.

- (٥) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية». وفي «الزيتونة» (استارها).
 (٦) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (بسكران).
 (٧) هكذا وردت في «الملكية». وفي «ج» (نقر).
 (٨) وردت في «ج» وفي «الملكية» (زرهم).

أَبِي سُلَيْمٍ قَدْ نَجَا مَجْنُونِكُمْ مَجْنُونٌ إِلَى الْعَارِفِينَ بِهِ قَدْ مَحَا
 هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَمْ يُبْرِحْ بِحَبِيبِهِ مَعَ مَنْ يَدْرِكُ حَبِيبَهُ قَدْ أَفْصَحَا
 فَافْرَحْ وَطِيبْ وَابْهَجْ وَقَلْ مَا شِئْتَ مَا أَمْلَحَ الْفُقَرَاءُ يَا مَا (١) أَمْلَحَا
 وَمِنْ مَقْدُوعَاتِهِ الَّتِي هِيَ آيَاتُ الْعَجَائِبِ ، وَطَرَّرُ حَالَ الْبِدَائِعِ فِي شَتَّى الْأَغْرَاضِ
 وَالْمَتَاصِدِ ، قَوْلُهُ يَعْتَذِرُ لِبَعْضِ الدَّلِيلَةِ ، وَقَدْ اسْتَدْبَرَهُ (٢) بِيَعْمُضِ حُلُقِ الْعِلْمِ بِسَبَبَةِ :
 إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُكَ لَا أَبْصَرْتُ بِصِيرَتِي فِي الْحَقِّ بُرْهَانَهَا
 لَا غَرَوُ أَنِّي لَمْ أَشَاهِدْكُمْ فَالْعَيْنُ لَا تُبْصِرُ إِنْسَانَهَا
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي غَرَضِ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ :

يَلُومُونِي بَعْدَ الْعِدَارِ عَلَى (٣) الْهَوَى وَمِثْلِي فِي وَجْدِي لَهُ (٤) لَا يَفْنَدُ
 يَقُولُونَ لِي أَمْسِكْ عَنْهُ قَدْ ذَهَبَ الصَّبَا وَكَيْفَ يُرَى الْإِمْسَاكُ وَالْخَلِيطُ أَسْوَدُ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي الْمَجَبِّنَاتِ (٥) ، وَهُوَ مِنَ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ :

وَمُصْفَرَّةُ الْخَلْدِينَ مَطْوِيَّةُ الْحَشَا عَلَى الْجَلْبِينَ وَالْمُصْفَرُّ يُؤْذَنُ بِالْخَوْفِ
 لَهَا هَيْئَةٌ (٦) كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنَّهَا فِي الْحَيْنِ تَغْرُبُ فِي الْجَوْفِ
 وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي النَّصِيحِ ، وَلَهَا حِكَايَةٌ تَقْتَضِي ذَلِكَ :

لَا تَبْدُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلْقَى لِبَدَلِ النَّصِيحِ مِنْهُ قَبُولًا
 فَالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُولًا

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (ما) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» و «الزيتونة» (استدركه) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . وفي النسخ .

(٤) هكذا وردت في النسخ . ووردت في «ج» (به) .

(٥) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات الثلاثة (المجنبات) . وانظر في أرجح حسابها .

من سياق البيت التالي .

(٦) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . ووردت في النسخ (بهجة) .

ومنها في الحكم :

ما رأيت العموم تدخل الا من دروب العيون والآذان
غضّ طرفاً وسدّ سمعاً ومهما تناق هما فلا تثق بضمان

ومنها قوله ، وهو من المعاني المبتكرات :

حزنت عليك العين يا معني الهوى فالدمع منها بعد بعدك ما رقا
ولذاك [قد صبغت]^(١) بلون أزرق أو ما ترى ثوب الماتم أزرقا

ومنها قوله في المعاني الغربية . قال ، ومما نظمته في عام أربعة وأربعين
في التفكير في المعاني . مغلّق العينين :

أبحث فيما أنا حصّاته عند انغاض العين في جفّتها
أحسبني كالشاة مجترّة تمضغ ما يخرج من بطنها

وقال ، ومما نظمته بين أندرش وبرجة^(٢) عام أربعة وأربعين ، وأنا راكب
مسافر ، وهو مما يُعجبني . إذ ليس كل ما يصدر عنّي يُعجبني . قلتُ وبحقّ
أن يعجبه :

تطالبني نفسي بما ليس لي به يدان فأعطيها الأمان^(٣) فتقبل
عجبتُ لخصم لجّ في طلباته يصلح عنها بالمحال فيفصل

[قال ومما نظمته في السنة المذكورة من ذم النساء :

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي النسخ (ما ظهرت) .
(٢) نعود هنا إلى الإشارة إلى برجة لورودها مع أندرش . فبرجة راندرش كندش من مقاطعة ألمرية ، تقع الأولى شرقيّ النهر الأخضر . وتقع الثانية غربية على مسيرة من مصبه . ومما هو جدير بالذكر أن أندرش هي الجبل التي أقام فيها أبو عبد الله محمد بن أحمد ملك الأندلس بعد سقوط غرناطة في سنة ١٤٩٢ . ومكث بها نحو عامين ، ثم سادرها إلى مئذاه في المغرب .
(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأمان) .

ما رأيت النساء يَصْنَعْنَ إلا للذي يَصْلِحُ الكَنيفَ من أجله
فعلی هذه الشريعة صالحين لا تَعُدُّ بأمري عن محلِّه^(١)
قال . ومما نظمته في السنة المذكورة :

قد هجرتُ النساءَ دهرًا فلم أَبْلُغْ آذاني^(٢) صفهاتهن الذميمة
ما عسى أن يُقال في هجو من قد خصَّه المصنفي بأقبح شيمة
أو يبقى لنا قِصْرُ العَمَلِ والديـن إذا عُدَّتْ المُثَالِبَ قيمة
وقال : وما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن . هذان البيتان : ولم أر معناه
لمن مضى . ولو رحل رجل إلى خراسان ، ولم يأت إلا بهما ، كان ممن لم يخفق
سماه ، ولا أجذب مرعاه ، يَنْفَتِحُ بهما للقلب باب من الراحة فسيح^(٣) ، إذا أجهده
ما يسكابد من المضاضة . ونقض العهود ، واختلاف الوعود . وهذه المحنة من
شرِّ ما ابتلى به بنو آدم ، شدَّشنة نعرفها من أمرهم . ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فذسى :

رعى الله إخوان الخيانة إنهم كفوونا مئزونات البقا على العهد
فلوقد وفوا كئنا أسارى^(٤) تتوقمهم نزواح بين النسبنة والنقد

وقال يُداعبني . وعلى سبيل الكناية يخاطبني . ولقد لقيت^(٥) ، رجلا ببلاد
الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج ، وكان بَرِد^(٥) في بستان كان له ، فقلت
أهجوهُ عام أربعة وأربعين وسبعمائة :

-
- (١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» «الملكية» (أذنى) .
(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (أسرى) . ونعتقد أن الوزن يستقيم بالتصويب .
(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (رأيت) .
(٥) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» و «الملكية» (بردا) .

قالوا أبو البركات جَمَّ (١) ماؤه ففدا أبو البركات لا أبا البركات
قلنا لأن يُكْنَى بموجوداته أولى من أن يكْنَى بمعدومات
ومما نظمته عام خمس وأربعين وسبعمائة :

قد كنتُ معذورا بعلَى وما أبثُّ من وعظى بين البشر
من حيث قد أملتُ إصلاحهم بالوعظ والعلم فخان النظر
فلم أجد أوْعَظَ للناس من أصوات وُعَظَّ جلود البقر

ومما نظمته بمرسى تلهى . من بلد هُنَيْن (٢) . عام ثلاثة وخمسين ، وقد
أصابني هَوَسٌ في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب :

رأسى به هَوَسٌ جديد لا الذي تَدْرِيه من هوس قديم فيه
قد حلَّ ما أبديه من هذا كما قد حلَّ من ذلك الذي أخفيه

ومن الملح قوله . قال . وبتُّ بحمام الخندق من داخل المريّة ليلة الجمعة
الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفرداً . فطَفَيْ [المصباح] (٣) . وبقيت
مُفَكِّراً . فخطر ببالي ما يقول الناس من تَخْيِيل الجنِّ [في] (٤) الأرحاء والحمامات ،
وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شدُّ عند دخولها مُنْفَرِدِينَ بالليل . لا سيما
في الظلام ، واستشعرتُ قوة في نفسي عند ذلك ، أعراضٌ وأوهام . فقلت
مرتبلاً . رافعاً بذلك صوتي :

زعم الذين عقولهم قدرها إن عُرِضت للبيع غير نيين

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (هم) . وفي «الملكية» (ضم) . وهو تحريف

(٢) هنين أو مرسى هنين هو ثغر صغير يقع غربي وهران ، وشمال تلمسان على شاطئ
البحر المتوسط .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» و «الملكية» .

أَنَّ الرِّحَا مَمُورَةٌ بِالْجَنِّ وَالْحَمَامِ عِنْدَهُمْ [كَذَا]^(١) بَيِّنِينَ
 إِنْ كَانَ مَا قَالُوهُ حَقًّا فَاحْضَرُوا لِلْحَرْبِ هَذَا الْيَوْمَ مِنْ صِفِّينَ
 فَلَنْ حَضَرْتُمْ فَاعْلَمُوا بِحَقِّيقَةِ بَأْسِي مُصَارِعِ قَيْسِ الْمَجْنُونِ

قال ، ودخلت رياضا يوما . فوجدتُ كِسَاءً مَنشُورًا لِلشَّمْسِ لَمْ أُعْرِفْهُ
 مِنْ حَوَائِجِي . وَلَا مِنْ حَوَائِجِ حَارِسَةِ الْبِسْتَانِ ، فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ ، هُوَ
 لِحَارَتِي قَلْتُ :

مَنْ مَنصُفِي مِنْ جَارَتِي^(٢) جَارَتْ عَلِيٌّ مَالِي كَثَائِي كُنْتُ مِنْ أَعْدَائِهَا
 عَمِدْتُ إِلَى الشَّمْسِ الَّتِي انْتَشَرَتْ^(٣) عَلَيَّ أَرْضِي وَأُمَّتُ فِيهِ [بَيْسَ كِسَائِهَا]^(٤)
 لَوْلَا غُيُومٌ يَوْمَ تَبَيَّسَ الْكِسَاءُ سَرْتُ لِحِجْبِ الشُّحْبِ جَلَّ ضِيَاءُهَا
 لَقَضَيْتُ مِنْهُمْ الْخَسَارَ لِأَنِّي أَصْبَحْتُ مُزَوَّرًا عَلَيَّ بِخُلَايَاهَا

قلت ، وصرت إلى مَعْنَى^(٥) بِحَمَّةٍ بِجَانَةِ^(٦) وَسَارِ مَعِي كَلْبٌ كَانَ يَحْرَسُ
 رِيَاضِي اسْمُهُ قَطْمِيرٌ ، وَهُوَ فِيمَا يُدْعَى كَلْبَ أَهْلِ الْكَهْفِ ، فِي بَعْضِ الْأَقْوَالِ ،
 فَتَبَعَنِي مِنَ الْمَرِيَّةِ إِلَى الْحَمَّةِ ، ثُمَّ مِنَ الْحَمَّةِ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، فَقَلْتُ :

رَحَلْتُ وَقَطْمِيرُ كَلْبِي رَفِيقِي يُونُسُ قَلْبِي بِطُولِ الدَّارِيقِ
 فَلَمَّا أَنْخَتُ أَنَاخَ حَدَائِي يَلَاحِظُنِي لِحَظٍ خَلٌّ شَفِيقِ
 وَيُرْعَى أَذْمَةً رَفِيقِي كَمَا يَتَعَنَى الصَّدِيقُ الصَّدُوقِ

- (١) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم وزن الشعر .
 (٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (جاريته) .
 (٣) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (انتشرت) .
 (٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» .
 (٥) وردت في «ج» (مالي) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (٦) بجانة ، وبالإسبانية Pechina بلدة تقع على نهر أندلس ، على مقربة من شمال شرق
 المرية .

على حين قومي بني آدم بلؤمهم لم يوفوا حقوق
ولا فرق بين الأبايد منهم وبين أخ مستحب شفيق
أو ابن متى تلقاه تلقاه تلقاه هوى اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولي حميم ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يفضل كلباً عليهم فياويلهم من رفيق
ألا من يرق لشيوخ غريب أبي البركات القتي البلفيق

وقال ، ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذان البيتان :

وأين الخير من ^(١) زمانى وأهله على أنى للشَّر أولُ سابق
لحا الله دهرًا قد تقدمت أهله فتلك لعمر الله إحدى البوايق
ومن النزعات الشاذة الأغراض :

لا بارك الله فى الزُّهاد إنهم لم يتركوا عرّض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم يُصايروها فملوا ثقل حملهم
وعظم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة التُّرك ^(٢) فى حرص لأجلهم
نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا زادوا وأعلى الناس طرًا فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا التُّرجيح دونهم لاشيئ أبين ^(٣) من ترجيح فضلهم
فالمالُ والجود والراحات ^(٤) غايةُ ما يحكى لنا الزهد فى ذا عن ^(٥) أجاتهم

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» (عن) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وفى نس (أحسن) .

(٤) وردت فى «ج» (الراحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٥) وردت فى «الملكية» (فى ذلك) وفى «ج» (فيد) وفى «الزيتونة» (فى) . وبالتصويب

والزاهدون براحت^(١) القلوب مع الأبدان سُروا وعزوا بعد ذلهم
فكل ما فرقوا قد حصوا غرضاً^(٢) منه وزادوا ثناء الناس كلهم
قال . ومما نظمته عام أربعين في ذم الخمر من جهة الدنيا ، لامن جهة الدين ،
إذ ليس بغريب :

لقد ذم بعض الخمر قوم لأنها
وقد سلموا قول الذي قال إنها
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى
فيومي كريماً سيداً ثم يفتدي
وقالوا تسلى وهو عارية لها
وصلة ونور^(٣) وحسنا طفلة
وهل يداوى من مرارتها التي
ولو أشرب الإنسان مهلاً بهذه
ومن حُسن حال الشاربين يقيونها^(٤)
ومن حُسن ذا المحروم أن مدامه
فيختلف الندمان طراً لروحه
ومن حُسنه بين الوري ضرب ظهره
مجازين في الأوهام قد ضل سعيهم

تكره على دين القى بفساد
تحل من الدنيا بأعظم ناد
لدمنها من طارف وتلاد
سفيهاً حليف الغي بعد رشاد
والآ فلم يأتوا لذاك بشاد
ومرأى به للطريف سير جواد
أواخرها مقرونة بهماد
لأصبح مسروراً بأطيب زاد
بالرغم [من] برقي وساد
إذا غلبت تكسوه ثوب رقاد
ويجدوهم نحو المروءة حادى
فيومي بلا حرب وهين جراد
ينخفون بيعاً بحسن غواد^(٥)

(١) وردت في «ج» (براحة) . وبالتعديل يستقيم السياق .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» . ووردت في «ج» (عوضاً) والأولى

أرجح .

(٣) هكذا في «الملكية» . وفي «ج» (نوار) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (وغاد) .

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه ، واستبعماد وجوه المدالب في جنبه ، مما
نظّمته يوم عرفة عام خمسين [وأنا مُنزَوٍ في غارٍ]^(١) ببعض جبال المريّة :

زعموا أن في الجبال قوماً^(٢) صالحين قالوا من الأبدال
وادّعوا أن كل من ساح فيها فسيلقوا على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مراراً بنعمال طوراً ودون نعال
مارأينا فيها سوى الأفاعي وشبا عقرب كمثل النبال
وسباعاً^(٣) يخترون بالليل عدواً لاتسلني [عنهم] بتلك الفيال^(٤)
ولو كُنّا لدى العدو الأخرى رأينا نواجه الرّيبال
وإذا أظلم الدجى جاء إبليس إلينا يزور طيف الخيال ه أصيبت عقولنا بالخبال
هو كان الأئيس فيها ولولا ليس تلقى الرّجال غير الرّجال
خلّ عنك المحال يا من تعني قال ، ومن المنازع الغريبة ذمّ الأصحاب [ومدح]^(٥) الأعداء ، فمن

ذلك قولي :

جزى الله بالخير [أعداءنا]^(٦) فموردهم أنسى^(٧) المصدر
هم حملونا على العرف كرهاً وهم صرّفونا عن المنكر
وهم أقعدونا بمجلس حكم وهم بوؤونا ذرى المنبر

(١) هذه الزيادة من النفع .

(٢) في النفع (رجالا) .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (وسباع) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الملكية» . وفي النفع (الليال) .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (وذم) . والتصويب يقضيه السياق ، ويؤيد من

الآيات .

(٦) ساقطة في المخطوطات الثلاثة . وإثباتها لازم لضبط المعنى والسياق .

(٧) كذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي الملكية (أنى)

وهم صيرونا آفة علم ودين وحسبك من مفخر
عدوى بأول فدى مأثم وإن جيت بالإثم لم يعذر
وأنت ترى تقيص من يعذر [بين المسمى وبين البر] (١)
ولا زود الله أصحابنا بزاد تقي ولا خير
هم جرؤونا على كل إنم وما كنت لولاهم بالمخبر (٢)
وعدوا من إكبار آثامنا فكانوا أضرب من الفاتر (٣)
أغارني القوم ثوب التقي وإني مما أعاروني برى
إذا خدعوني ولم ينصحوا وإني بالنصح منهم حر
فمن كان يكذب حال الرضى يصدق في غضب يفتر (٤)
بلى سوف تلقى لدى الحالتين يحكم النفس هوى الفر
فيارب أبق علينا عقولنا (٥) نبيع بها وبها نشتر
قال ، وما رأيت هذا المعنى قط لأحد ، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه :
عداتي لهم فضيل على ومينة فلاء أذهب الرحمن عني الأعدايا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت (٦) المعاليا
فوقع حافرى (٧) على ساق هذا . [قال] ومما نظمته ، متخيلا (٨) أنى
سابق معناه :

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت في «ج» (يعادل بين المسمى والبر) .

(٢) وردت في «ج» (بالخبر) والتصويب من «الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (الفر) . والأولى أصلح للسياق .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها هنا (يفترى) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الملكية (عقولا) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فار تكبت) .

(٧) هكذا في «ج» و «الملكية» . وفي «الزيتونة» (حافى) .

(٨) وردت في «ج» (مختلا) . والتصويب من «الزيتونة» .

خَلَسْنَا لِيَاةٍ مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَمِينٌ (١) بِاللَّيَالِي الطُّبِيَّاتِ
 سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَقْلِ فِيهَا مَسَالِكَ قَدْ جُلِينِ عَنِ الشَّتَاتِ
 قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَّفْسِ فِيهَا وَحَقِّ اللَّهِ مَرَعَى الثُّبَاتِ (٢)
 فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا بَدَّتْ حَسَنَاتُهُ فِي السُّيُّنَاتِ

ثم رأيت بعد ذلك [على هذا] (٣) .

لا وليالٍ على المصلى تسرق في نُسكها الذنوب
 فوقعت ساقى على حافر هذا المحروم ، إلا أنى جرّدت ذلك في المعنى ،
 وأوضحته ، وجلوته على كرسى التّعديد والتّنجيد ، فلو لا التاريخ لعماد سارق
 البرق .

نثره

وأما نثره فنمطٌ مرتفعٌ عن مُعتادِ عصره ، استنفاراً وبلاغةً ، واسترسالاً
 وحلاوةً ، قلما يُعرجُ على السُّججِ ، أو يأمرُ على التّكليفِ ، وهو كثيرٌ بحيث
 لا يتعينُ عيونهُ ، ولكن نلمعُ منه نبذةً ، ونجلبُ منه يسيراً . كتب إلى عند
 إبابي من الرّسالة إلى ملك المغرب ، متمثلاً بيّتين لمن قبله ، صدر بهما :

يأتيها النفس إليه اذهبي فخبّه المشهور من مذهبي
 إيأسي التّوبةً من حبه طلوعه شمساً من المغرب

بل محلك (٤) ، أمثلُ من التمثيل بالشمس ، فلو كان طلوعك على هذه الأوتار

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ظنين) وهو تحريف .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الاهمات) .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» و «الزيتونة» (نجلك) . والتصويب من «الملكية» .

شمساً ، لأصبح [جُلها لك] (١) عُبَاد . ولم كان نزولك مطراً لتكثفت الصُّخُور
 تُراباً دَمِيناً . ولولا معرفتنا معشر إخوان الصفا ، بأقرار (٢) أنفسنا ، لحكنا بأن
 قلوبنا تمايم لأصدقائنا ، ولكن سبقت عيون السعادة ، بالكلمات (٤) فلو تصادف
 بالرضى محلاً ، لأن تحصيل الحاصل محال ، لازلت محروماً ، بين الذي لا تأخذ
 مِينَةً ولا نوم | مَكْنُوفَةٌ بِرَكَّةِ الذي يرومه رايم [(٥) والسلام .

وكتب إلى عندما تقلدت من رياسة الإنشاء ما قللت : تخصم يا محل الإبن
 الأرضى ولادة ، والأخ الصادق إخلاصاً ووداً ، خصمكم الله من السعادة بأعلاها
 مرقى ، وأفضلها عقبى ، وأحمدها غني ، وأكرمها مسمى ، تحية اللهبان (٦) إلى
 أيام لقاءك ، المسلى (٧) عنها بتأميل العود إليها ، المزجى أوقاته بترداد الفكر فيها ،
 محمد بن الحاج ، أبقاه الله ، عن شوق ، والذي لا إله إلا هو ، لم أجد قط مثله إلى
 ولي حميم . والله على ما نقول وكيل ، معرفاً أننى بعلاقته (٨) ، وتصاينى عن كمره
 مجامع (٩) ، لما اعتنى به من توقُّلِكُم بالرتبة ، التى ما زال أحببناؤكم (١٠) بها ممطولى
 بره . على أنك لم تزد بذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية ، والمكانة

- (١) هكذا فى «الزيتونة» . ومكانها فى «ج» (للقايك) . وفى «الملكية» (حلها بك) .
 (٢) وردت فى المخطوطات الثلاثة (إخواننا) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق .
 (٣) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة . وهى جمع قرارة . ومعناها هنا الأعماق . وقد
 تكون تحريفاً لكلمة (بأسرار) والمؤدى واحد .
 (٤) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .
 (٥) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» و «الملكية» .
 (٦) هكذا وردت فى «ج» وفى «الملكية» . ووردت فى «الزيتونة» (إسماد) ونعتقد أن
 الأولى ترجح .
 (٧) هكذا وردت فى «الملكية» . ووردت فى «ج» (المسلى) .
 (٨) هكذا وردت فى المخطوطات الثلاثة .
 (٩) وردت فى «ج» و «الملكية» (مجاهد) . والتصويب من «الزيتونة» .
 (١٠) وردت فى «ج» (أحببناؤها) والتصويب من «الزيتونة» وهو أكثر تمشياً مع السياق .

العنّية ، إلا عند الأطفال والأغفال ، والمحائنين من النساء والرجال ، لا كن
أفزعتنا هذه المخاطبة المحظية (١) في قالب الجمهور ، ولم نسر فيها ، على الأصح ،
لا كن على الجمهور . ولو كانت مصاريف الوجود بيدي ، لو افتك من الوجود ،
منازلُ أسماءه منازل ، وأوطأتك أفلاكه مراكب ، وأوردتك كوثره مشرباً ،
وأحللتك أرفعه معقلاً ، وأقبستك بدره (٢) مصباحاً ، وأهدتك (٣) أسرارهُ تحفّاً .
وقد تبلغ المقاصد مبالغ لا تنهى أقاصيها الأعمال ، فنحن وما نُضمره لتلك الجملة
الجليلة الفاضلة ، مما الله رقيبٌ عليه ، ومحيطٌ بدقايقه . ولو كانت هذا العبد
الغافل ، المأسور في قيد نفسه ، المحزون على انتهاب الأيام ، رأس (٤) عمرد في غير
شيء ، دعوةٌ يساعدها الوجدُ حتى يغلبَ على ظنّه ، أن العليم بذات الصدور ،
ولآها من قبوله بارقةً . نلصك بها ، والله شهيد على ما تكلمتُه الأفتدة ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل .

والفضلُ جمٌّ ، والمحاسنُ عديدة ، فلنقم اضطراراً ، ولنكف (٥) امتثالاً
للرسم ، وانقياداً ، أمتع الله به .

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المخطيئة) .

(٢) وردت في «ج» (بدوره) . والتصويب من «الملكية» .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (وأهديتك) . والتصويب يستقيم أسبق .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» و «الزيتونة» (ونكف) .

محمد بن عبد الله^(١) بن منظور القيسى

من أهل مالقة . يكنى أبا بكر

أوليته

أصله من إشبيلية . من البيت المشهور بالتعيين والتقدم ، والأصالة ،
تشهد بذلك جملة أوضاع . منها «الروض المحظور»^(٢) فى أوصاف بنى
منظور . وغيره .

حاله

من كتاب «عائد الصلاة» . كان جم التواضع والتخلق . كثير البر ،
مفرط^(٣) الهشة . مبدول البشر . عظيم المشاركة ، سريع اللسان إلى الثناء ،
مُترسلاً فى باب الإطراء . دَرَباً على الحكم . كثير الحنكة . قديم العالة .
بصيراً بالشروط . ولى التضاء بجهات كثيرة . وتقدم بمالقة . بلده^(٤) فشكرت
سيرته ، وُحِدت مدارته ، وكان سريع العبارة ، كثير الخشية ، حسن الاعتقاد ،
معروف الإيثار والصدقة ، شايع الإقراء^(٥) لمن ألم بصقمه ، واجتاز على محل ولايته ،
جارياً على سنن سلفه ، ينظم وينثر ، فلا يقصر .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبى محمد بن أبى السداد الباهلى ، ولازمه وانتفع به ، وسمع

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» «ع» «الند» .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» «الماثور» .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» و «الملكية» (منفوض) والأولى أرجح .

(٤) وردت فى المخطوطات ثلاثة (ببلده) . والتصويب أكثر تمثيلاً مع السياق .

(٥) هكذا وردت فى «الزيتونة» و «الملكية» . ووردت فى «ج» «القرأ» وهو تحريف .

على غيره من الأعلام ، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، والعدل الراوية
المسنُّ أبي عبد الله بن الأديب ، والمسند أبي الحكم مالك بن المرحل ، وعلى
الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد^(١) الأقرشي الفاسي ، ولبس عنه
خِرقة التصوف ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد ، وعن الشيخ القاضي
أبي المجد بن الأحوص ، وعلى ابن مجاهد الرندي المعروف بالتمار ، والخطيب
أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء ، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله
السلال . وكتب إليه بالإجازة ، أبو عبد الله بن الزبير ، والفقير أبو الحسن
ابن عقيل الرندي ، والوزير المعمر أبو عمر^(٢) الطنجي ، وأبو الحكم بن منظور
ابن عم أبيه ، والأستاذ أبو عبد الله بن السكاد . نقلت ذلك من خطه .

تواليفه

أخبرني أنه ألف « نفحات المسوك » ، و« عيون الثبر المسبوك »^(٣) في أشعار
الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب « السحب الواكفة والظلال الوارفة » في
الرد على ما تضمنه المضمون^(٤) به على غير أهله من اعتقاد^(٥) الفلاسفة . وكتاب
الصَّيْب الهتان الواكف بغايات الإحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من
الأحاديث الصحيحة النبوية وسُور القرآن . وكتاب « البرهان والدليل في خواص
سور التَّزِيل » [وما في قراءتها في النوم من بديع التأويل]^(٦) . وكتاب يشتمل

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة بعد هذا الاسم كلمة (أمين) وهو اسم آخر لم تجر العادة
بوروده على هذا النحو .

(٢) هكذا وردت في «ج» وفي «الملكية» . ووردت في «الزيتونة» (أبو علي) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (المسكوك) . وفي «الملكية» (المسوك) .

والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الملكية» (المظنون) .

(٥) وردت في «ج» (الاعتقاد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

على أربعين حديثاً في الرقاق . موصولة الأسانيد . وكتاب « تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة . وما اشتملت ^(١) | عليه | ^(٢) من الأسرار » . وكتاب « الفعل المبرور . والسعي المشكور ، فيما وصل إليه . أو تحصل لديه من نوازل القاضي أبي عمر بن منظور »

شعره

ومن شعره قوله :

ما للعطاس | ولا ^(٣) للفأل من أثرٍ فثق فديك بالرحمن واصدبر
وسلم الأمر فالأحكام ماضيةً تجرى على السنّ المربوط بالقدر

محمد بن علي بن الخضر بن هارون النسائي

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله . ويعرف بابن عسكر

حاله

من كتاب « الذيل والتكملة » ^(٤) . كان مغرباً ^(٥) مجوداً . نحوياً ، متوقداً

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة (اشتمل) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم الوزن والسياق .

(٤) هو كتاب «الذيل والتكملة» لكتابي الموصول والصلة» للعلامة المغربي الثقة ابن عبد الملك

المراكشي المتوفى في سنة ٧٠٣ هـ . وهو معجم نفيس للتراجم ، يتضمن تراجم جمهرة كبيرة من أعلام المغرب والأندلس حتى القرن السابع الهجري . ويقع في أربعة مجلدات كبيرة . ومنه أجزاء مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية والمتحف البريطاني ومكتبة الإسكوريال ودار الكتب المصرية . وقد نشرت منه الأسفار الأول والثاني والرابع والخامس ببيروت (سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥) .

(٥) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (مغربياً) وفي «الزيتونة» (مغربياً) .

والأولى أرجح .

الذهن ، متفنتاً في جملة معارف . ذا حظ صالح من رواية الحديث . تاريخياً ، حافظاً ، فهيماً ، مشاوراً ، دؤوباً في الفتوى ، متيناً في الدين ، تامّ المروعة ، سدياً فاضلاً ، مَعْظماً عند الخاصة والعامة ، حسن الخلق ، جميل العشرة ، وحيب الصدر ، مسارعاً إلى قضاء الحوائج ، شديد الإجمال ، محسناً إلى من أساء إليه ، نفاعاً بجاهه ، سمحاً بذات يده ، متقدماً في عقد الوثائق ، بصيراً بمعانيها ، سريع البديهة في النظم والنثر ، مع البلاغة ، والإحسان في الفنّين

وُلِيَ قضاء مالقة نائباً عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ، ثم وُلِيَ مستبداً بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر (١) ، يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان [عام] (٢) خمس وثلاثين . وأشفق من ذلك وامتنع منه [وخاطبه مُسْتَعْفِياً ، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخطّة تورعاً منه] (٣) فلم يُسْعَف . فتقلدها ، وسار فيها أحسن سيرة ، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها ، ونفد الأحكام .

وكان ماضى العزيمة ، مقداماً ، مهيباً ، جزلاً في قضائه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، واستمر على ذلك بقية عمره

مشيخته

روى عن أبي إسحاق الزوّالي (٤) ، وأبي بكر بن عتيق بن منزول . وأبي جعفر الجيان . وأبي حسن الشقورى . وأبي الحجاج بن الشيخ . وأبي الخطاب بن واجب ، وأبي زكريا الإصبيهانى مقيم (٥) غرناطة

(١) هو الأمير محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة غرناطة . وقد حكم من سنة ٦٣٥-٦٧١ هـ .

(٢) هذه الزيادة من «الملكية» .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) هكذا في «الملكية» . ووردت في «ج» (الزرالى) . ومكانها بياض في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمعنى المقصود هنا هو (المقيم بغرناطة) .

من روى عنه

روى عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته . وأبو العون ، وأبو عبد الله ابن بكر الإلبيري . وحدث عنه بالإجازة . أبو عبد الله الأبار ، وأبو القاسم ابن مهران . وكتب بالإجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوا من أهل الأندلس . حسبها تقدم في رسم أبي بكر بن هشام . وضمنها نظماً وثرأ اعترف له بالإجادة فيهما .

تصانيفه

صنّف كتباً كثيرة . أجاد فيها وأفاد . منها المشرع الروى في الزيادة على المروى . ومنها أربعون حديثاً التزم فيها موافقة اسم شيخه ، اسم الصابي ، وما أراه سبق إلى ذلك . وهو شاهدٌ بكثرة شيوخه . وسعة روايته . ومنها نزهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر . ومنها الخبر المختصر ، في السلوى عن ذهاب البصر . ألفه لأبي محمد بن أبي الأحوص الضريح الواعظ . ومنها رسالة في ادّخار الصبر . وافتخار القصر والفقّر . ومنها الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس الأعلام من أهل مالقة الكرام وله اسم آخر . وهو مطلع الأنوار ونزهة الأبصار . فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخبار ، وتقيد من المناقب والآثار . واخترّمته المنية عن إتمامه فتولى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور ، وقد نقلتُ منه في هذا الكتاب .

شعره

ومن شعره . وقد نُعت إليه ^(١) نفسه [قبل] ^(٢) أن تغرب من سماء
معارفه شمسه :

(١) هكذا وردت في «تزيينة» . وفي «ج» (ب) .

(٢) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق .

ولما انقضى إحدى وخمسون حجة
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها
إذا هو قد أدنت إليه كأنما
وقال في أحدب :

وأحدبٌ تحسب في ظهره
مُثلت الخِلقة لا كنهه
جابهُ في نهر عابمة
في ظهره زاوية قايمة

ومن أمثال نظمه قوله ، وقد استُدعيت منه إجازة :

أجبتك لأني لما رُمته أهلُ
[وما العلم إلا بحرٌ طال مدانه] (٣)
ولا كن ما أجبت مُحتمل سهل
فكيف أراني أهل ذلك وقد آني
ومالي محم (٤) في الورد ولا سهل
وأسأل ربي العفو عني فإنه
على المحتيان (٥) البطالة والجهل
لما يرتجيه العبدُ من فضلِ أهل

مـ والده : [تخميناً] (٦) في نحو أربع وثمانين وخمماية .

وفاته : ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة ، عام ستة
وثلاثين وستماية .

(١) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بكر) .

(٢) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة . «ج» (فيها نحوه) . وفي «الزيتونة» و «الملكية»
(فيه نحوه) .

(٣) هكذا وردت هذه الشطر في «الملكية» . ووردت في «ج» (وما العلم بحرٌ طال مدانه) .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» و «الملكية» . وفي «ج» (محم) .

(٥) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

(٦) هذا الكلمة واردة في «ج» و «تقطعة» في «الزيتونة» .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن
أبي بكر بن سعد الأشعري الملقب

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن بكر ، من ذرية بُلُج بن يحيى بن خالد بن
عبد الرحمن بن يزيد بن أبي بُردة . واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى . واسمه
عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن حزم^(١) في جملة
من دخل الأندلس من العرب^(٢) .

حاله

من «عائد الصلة» . كان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء ، ساجدةً
ونزاهة ومعرفة وتفنناً . فسبحَ الدرس ، أصيل النظر ، واضح المذهب ، مؤثراً
الإصاف ، عارفاً بالأحكام والقراءات ، مبرزاً في الحديث ، تاريخاً وإسناداً ،
وتعديلاً وتجريحاً ، حافظاً للأنسب والأسماء والسكنى ، قائماً على العربية ،
مشاركاً في الأصول والفروع ، واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض
الجناح ، حسن التخلق عطوفاً على الطلبة . محباً في العلم والعلماء . مجللاً لأهله ،
مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس . بادي الظاهر . عزيز النفس . نافذ الحكم .
صوّالة . معروف بنصرة [من أزر إليه]^(٣) . تقدم للشيخا بيه مائة ، ناظراً
في أمور العقْد والحل ، ومصالح الكفاة . ثم ولى القضاء بها ، فأعزَّ الخليفة ، وترك

(١) في كتابه (جمهرة أنساب العرب) .

(٢) وردت في «ج» و «الملكية» (المغرب) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

الموادة ، [وإنفاد الحق]^(١) ملازماً للقراءة والإقراء ، محافظاً للأوقات ، حريصاً على الإفادة .

نم وثى القضاء والخلافة بكرنظة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعماية ، فقام بالوظائف ، وصدع بالحق ، وجرح الشهود فزيف منهم ما ينيف على السبعين عدداً ، واستهدف بذلك إلى معاداة ومناضلة ، خاض تبعها ، وصادم تيارها ، غير مبال بالمغبة ، ولا حافل بالتبعة ، فناله لذلك من المشقة ، والكيد العظيم ، مانال مثله . حتى كان يمضى إلى الصلاة ليلا في مساة لا يظمن على حاله . جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أراد الله . وعزم عليه الأمير في بعض من الخطة ، ليرده إلى العدالة ، فلم يجد في قناته مغمزاً ، ولا في عوده معجماً ، وتصدر لبث العلم بالحضرة ، يقرى^(٢) فنوناً مثجمة ، فنفع وخرج ، ودرس العربية والفقهاء والأصول ، وأقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ، وعقد مجالس الحديث ، شرحاً وسماعاً ، على سبيل^(٣) من الشراح الصدر ، وحسن التجمل . وخنض الجناح .

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن ، فقال : وأما شيخنا ، وقربينا مصاهرةً ، أبو عبد الله بن أبي بكر ، فصاحب عزم ومضاء ، وحكم صادق وقضاء . كان له رحمه الله ، مع كل قولة ، صولة ، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة ، فأحرق قلوب الحسدة والصب ، وأعز الخلة . بما أزال عنها من الشوائب ، وذهب وفضض^(٤)

(١) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة . والمقصود بها ترك أهدار الحق . أو بعبارة أخرى الحرص على إقامته .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بقر) .

(٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (سبل) .

(٤) ذهب وفضض ، أى جعلها ناصعة كالذهب والفضة .

كواكب الحق بمعارفه ، ونفذ في المشكلات ، وثبت في المذهلات ، واحتج
وبكت ، وتفقه ونسكت^(١) .

توقيعه

قال ، وحدثنا صاحبنا ، أبو جعفر الشُّقُورِي ، قال كنت قاعداً في مجلس
حُكْمِهِ ، فرفعت إليه امرأة رُقعة ، مضمونها أنها مُحِبَّةٌ في مُطْلَقِهَا . وتبتغي من
يَسْتَشْفِعُ^(٢) لها في رَدِّهَا ، فتناول الرُقعة ، ووقع في ظهرها للحين من [غير]^(٣)
مُهَلَّة : الحمد لله ، من وقف على ما بالقلوب^(٤) ، فليصغ لسماعه إصاعة مُغِيثٌ ،
وليشفع للمرأة عند زوجها ، تأمياً بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبربرة في
مُغِيث . والله يُسَلِّمُ لنا العقل والدين ، ويسلك بنا مسالك للهُتَدِين . والسلام يعتمد
على من وقف على هذه الأحرف من كاتبها . ورحمة الله . قال صاحبنا ، فقال لي
بعض الأصحاب . هلاً كان هو الشفيع لها . فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغي
أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص .

شعره

ولم يُسَمَّ له شعر إلا بيتين في وصف قوس عربي الذئب في شعر من لا شعر
له . وهما :

هَامُ الْفَوَادِ فِي بَنَاتِ النَّبْعِ وَالذَّئِمِ [زوراً تُزْرِي بَعْطَانَ الْبَانِ وَالصَّنَمِ]^(٥)
قَوَامٌ قَامَتْهَا تَمَامٌ مَعْتَمَرُهَا مِنْ يَلِقُ مَقْتَلَهَا تُصْمِيهِ أَوْ تُصَمِّمُ

(١) وردت في المخطوطات الثلاثة مرة أخرى (وبكت) . ونعتقد أن التعديل أرجح وأكثر
عشياً مع مقتضيات البيان والسجع .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» و«الملكية» ، وفي «ج» (يشفع) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) بالقلوب هنا يقصد بها ما يظهر الورقة .

(٥) هكذا وردت هذه الشطر في «ج» و«الزيتونة» . ووردت في «الملكية» (زورا ترى

بعطف البيان والصنم) .

مشيخته

قرأ على الأستاذ المتقن الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي القرآن العظيم
 جَمْعاً وإفراداً ، وأخذ عنه العربية [والفقه] ^(١) والحديث . ولازمه ، وتأدب به .
 وعلى الشيخ [الراوية] ^(٢) الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الخزرجي القرطبي ،
 قرأ عليه كثيراً من كُتُب الحديث ، منها كتاب صحيح مُسلم ، وسمع عليه
 جميعه إلا دولة واحدة . ومن أشياخه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن
 السُّكوت . والفقير [المشاور] ^(٣) ، الصَّدر الكبير ، أبو عبد الله بن ربيع ،
 والخطيب ^(٤) القدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطنجالي . والشيخ القاضي
 أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصامد . والأستاذ خاتمة المقرئين
 أبو جعفر بن الزبير ، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشيد . والخطيب الولي
 الصالح أبو الحسن بن فضيلة ، والأستاذ أبو الحسن بن اللباد المشرفي ^(٥) . والشيخ
 الأستاذ أبو عبد الله بن الكجاد السطِّي اللبديسي . وأجزه من أهل سبتة شيخ الشرفا
 أبو علي بن أبي التقي طاهر بن ربيع ، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن
 الهواري ، وأبو إسحاق التدمساني . والحاج [العدل] ^(٦) الراوية أبو عبد الله بن
 الحصار ، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم التيمسي ، والأستاذ أبو بكر
 ابن عُبيدة ، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري .
 ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون ، وأبو العباس أحمد

(١) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٢) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في المخطوطين الآخرين .

(٤) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (والفقيه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . وفي «الملكية» (المسرفي) .

(٦) الزيادة من «الزيتونة» .

ابن محمد الأشعري المالفي [نزيل تونس] (١) ومحمد بن محمد بن سعيد الناس اليعمري،
وعثمان بن عبد القوي البلوي . ومن أهل مصر النسابة شرف الدين عبد المؤمن
ابن خلف الدمياطي . والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحاق ، وجماعة غيرهم
من المصريين والشاميين والحجازيين .

مولده

في أواخر ذي حجة من عام أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

فُقِدَ في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف (٢) شهيداً [مُحَرَّضاً] (٣) ،
زعموا أن بَغْلَةً كان عليها [كَبَّتْ به] (٤) ، وأفاق رابط الجأش ، مجتمع القوي .
وأشار عليه بعض المهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه . وقال انصرف هذا يوم
الفرج ، إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء « فرحين بما آتاهم الله من فضله » ،
وذلك ضحى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة .

(١) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) موقعة طريف هي الموقعة العظيمة التي نشبت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة ألفونسو
الحادي عشر ملك قشتالة ، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ومعها قوات
الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة ، على مقربة من ثغر طريف ، وعلى شفاف
نهر سالادو الصغير ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ (أكتوبر سنة ١٣٤٠ م) وهزم فيها المسلمون
هزيمة شديدة . وكانت محنة عظيمة بالنسبة للمغرب والأندلس .

(٣) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد
ابن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حيون بن القاسم
ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
[رضي الله تعالى عنه] (١)

حسباً نقل من خطه :

أولَّيته معروفة [كان وليته مثله] (٢) .

حاله

هذا الفاضل جُملة من جُمَل الكمال ، غريب في الوقار والحصافة ، وبلوغ
المدى . واستولى على الأمم حِلماً وأناة ، وبعُداً عن الريب (٣) ، وتمسكاً بَعْرِ
النزاهة ، واستمساكاً مع الاسترسال ، وانقباضاً مع المداخلة ، معتدلاً بالزينة ،
حسن المداراة ، مالكاً أزمّة الأذى ، شديد الشفقة ، كثير المواساة ، مغار حَبَل
الصبر ، جميل العشرة ، كثيف سِتْرِ الحياء ، قوى النفس ، رابط الجأش ، رقيق
الحاشية ، مُتَمِّع المجالسة ، متوقد الذهن (٤) ، أصيل الإدراك ، بارعاً بأعمال المشيخة ،
إلى جلال المنتمى ، وكرم المنصب . ونزاهة النفس . وملاحاة الشبهة (٥) . وحمل راية
البلاغة . والإعلام في ميادين البيان . رُحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان . حاية

(١) هذه العبارة واردة في «الزيتونة» و«الملكية» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» . و«الملكية» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «الملكية» . ووردت في «ج» (الريب) .

(٤) هكذا في «الزيتونة» وفي «الملكية» . وفي «ج» (الزهد) وهو تحريف .

(٥) وردت في المخطوطات الثلاثة (بإغفال) . ونعتقد أن التصويب يتشبه مع السياق

(٦) هكذا وردت في المخطوطات الثلاثة .

الخصال [والفضل] (١) في ميدانها. غريبة غريزة الحفظ. مُقنعة الشاهد. مُستبحرة النظر، أصيلة التوجيه، بريّة عن النوك والغفلة. مرهفة بالغة والغريب والخبر والتاريخ والبيان. وصناعة البديع. وميزان العروض. وعلم القافية وتقدماً في الفقه. ودوساً له. وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس. والعبر. والدؤوب عليه. بارع التصنيف، حاضر الذهن. فصيح اللسان | مَفخّرة من مفاخر أهل بيته [٢].

ولايته

قَدِمَ على الحضرة في دولة الخامس من ملوك بني نصر (٣). كما استجمع شبايه، يَفهقُ علماً باللسان. ومعرفة بمواقع البيان، وينطق بالعذب الزلال من الشعر، فسَّهل له كَنَف البر، ونُظِم في قلادة كتاب الإنشاء. وهو إذ ذاك ثَمينة (٤) الخيرات، محكمة الرِّصْف (٥) [فشاع] (٦) فضله. وذاع رجَّله (٧). [ثم تقدم] (٨)، فنقل من طور الحكم، إلى أن قُلِّد [الكتابة] (٩) والقضاء والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها [التي أعقبها ولاية مالقة] (١٠) في الرابع من شهر ربيع الآخر

(١) واردة في «الزيتونة» و«الملكية». وساقطة في «ج».

(٢) هكذا وردت هذه الجملة في «ج»، وفي «الملكية». ووردت في «الزيتونة» (مفخر أهل بيته).

(٣) الخامس من ملوك بني نصر، ملوك غرناطة، هو السلطان أبو الوليد إسماعيل، وقد حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٨٧٢ (١٣١٤ - ١٣٢٥ م).

(٤) وردت بحرفة في المخطوطات الثلاثة (ج - ثمنية. الزيتونة - تمية. الملكية - ثمنية).

(٥) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة». وفي الملكية (وصف). والأولى أرجح.

(٦) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» و«الملكية» (أرجله).

(٨) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٩) الزيادة من «الزيتونة».

(١٠) هذه العبارة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» و«الملكية».

عام سبع وثلاثين وسبعماية . فاضطلع بالأحكام . وطبّق مفصل الفضل [ماضى الصريفة ، وحى الإجمار] (١) . نافذ الأمر . عظيم الهيبة . قليل الناقد ، مُطعم التوفيق ، يصدع في مواقف الخائب بكل بايع من القول . مما يريق ديباجته . ويشف حيقاله . وتبرأ من كلال الخلباء جوانبه وأطرافه . واستعمل في السفارة للعدو ناجح المسعى ، يعمون النقيبة . جزيل الحياء والكرامة . إلى أن عزل عن القضاء في شعبان من عام سبعة وأربعين وسبع مائة . من غير زلة تخفيض (٢) . ولا هنة تؤثر . فتحرّر إلى التحليق لتدريس العلم . وتفرغ لإقراء العربية والفقه . ولم يذشب أميره المنظوى على الهاجس . المغرى بمثله . أن قدمه قاضياً بوادى آس . بنت حضرته . معززة بسندها الكبير الخطّة . فانتقل إليه بجملته . وكانت بينه وبين شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب . صداقة صادقة . ومودة مستحكمة . فحرت بينهما أثناء هذه النقلة . بدائع . منها قوله . يوس عنه . خطّة القضاء التى اخترعها . ووليها خطة الملامة :

لا مرحباً بالناشر الفــدـارك	إن جُهِلت رفعة مقـدـارك
لو أنها قد أوتيت رُشدها	ما برحت تعشـو إلى نارك
أقسمتُ بالنور المبين الذى	منه بدت مشكاة أنوارك
ومظهر الحكم الحكيم الذى	يتلو عليه طيب أخبارك
ما لقيت منك كفوّاً لها	ولا أوت أكرم (٣) من دارك

ثم أعيد إلى القضاء بالحضرة ، فوليتها واستمرت حاله وولايته على متقدّم مكنه من الفضل والأزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة . إلى أن

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الملكية» . ووردت في «ج» (تحفظ) . والأولى أنسب لاستقامة السياق .

(٣) وردت في المخطوطات الثلاثة (الكريم) . وبالتصويب يستقيم الشعر والمعنى .

هلك السلطان مُسْتَعْتِزِيَّة مأموراً به . مُقْتَدِيّاً بسجده . يوم عيد الفطر . خمسة وخمسين وسبعماية . وولي الأمر ولده الأسعد . فجدد ولايته . وأكّد تجلّته . ورفع رتبته . واستدعى بحالسته

• شَيْخَتُهُ •

قرأ بياده مَبْنُوءَةً على أبيه الشريف المطاهر . نسيج وحده [في القيام] (١) . وعلى أبي عبد الله بن هاني [وبه جل] (٢) انتزعه ، وعليه جبل استفادته . وأخذ عن الإمام شيخ المشيخة أبي إسحاق الفافقي . وروى عن الخطيب أبي عبد الله الغمّاري . والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد . والقاضي أبي عبد الله القرطبي . والفقير الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث . وأخذ عن الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط وغيره .

• مَحْتَمُهُ •

دارت عليه يوم مَهْلِك السلطان المذكور [رَحَى الوَقِيعة] (٣) ، فمَرَكْتَهُ بِالثَّقَالِ ، وتَخَلَّصَ مِنْ شِرَارِهَا هَوَلاً (٤) ، لَتَطَارِحَ الأَمِيرَ المَتَوَكَّبَ (٥) إمام المَرِيَّةِ عليه . خَتَمًا فِي السَّجْدَةِ . وَدَرَسَ الحَمَامَةَ إِيَّاهُ عِنْدَ الدَّجَلَةِ ، مِنْ غَيْرِ التَّمَفَاتِ لِمَحَلِّ الوَطْأَةِ . وَلَا اِفْتِقَادَ (٦) لِمَحَلِّ (٧) صَلَاةِ تِلْكَ الأُمَّةِ . فغَشِيَهُ مِنَ الأَرَجْلِ ، رَجُلُ الرَّبِّيِّ كَثِيرَةً .

(١) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» و «الملكية» .

(٤) كذا في «ج» . وفي «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (المثبت) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت في «الملكية» . وفي «ج» (إبتغاء) .

(٧) إلى هنا تمت المراجعة على مخطوط «الإحاطة» المخطوط نخزاة الرباط الملكية ، إلى جانب

مخطوط الزيتونة . وهو ينتهي حتماً ذكرنا في المقدمة بالترجمة الحالية . وستجرى المراجعة منذ

الآن فتساعدنا على مخطوط «الزيتونة» وحده .

والتفت عليه مُرسلاً طيلسانه . ساداً مجرى النفس إلى قلبه . فعالج الحمام وقتاً .
إلى أن نفس الله عنه فالتقل من الردى . وانتبذ من مطرٍ - ذلك الوغى . وبُودِر
بالفصاد . وقد أشفى . فكانت عشرة لقيت لماً ومتاعاً . فمخ لا المدى آخر من
يوثق به . من محل البث . ومودعات السر من حظيات الملك . أن السلطان
عرض عليه قبل وفاته في علم الحلم . كونه في محراب مسجده . مع قاضيه المترجم
به . وقد أقدم عليه كلب . أصابه بثوبه . ولطخ ثوبه بدمه فأهنته رؤياه . وطرقت
به الظنون مطارقها . وهم بعزل القاضي . انتقاداً لبواعث الفكر . وسدّاً لأبواب
التوقيعات . وقد تآذن الله بإرجاء العزم . وتصديق الحلم . وإمضاء الحكم . جل
وجهه . وعزت قدرته . فكان من الأمر ما تقرر في محله .

تصانيفه

وتصانيفه بارعة ، منها ، رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة (١) ، شرح
فيها مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بما تنقطع الأطلاع فيه . ومنها رياضة الأبي
في تصيصة الخزرجي ، أبداع في ذلك بما يدل على الاطلاع وسداد الفهم . وفيه على
كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك تقييداً جليلاً ، وشرحاً بديعاً ، قارب
التمام . وشرح في تقييد على الخبر المسمى ، بدرر السمط في خبر السبب . ومحاسنه
جمّة ، وأغراضه بديعة .

شعره

وإما الشعر فله فيه القدح والمعلّى . والحظ الأوفى ، والدرجة العليا . طبقة وقته .

(١) «المقصورة» المشار إليها هنا هي القصيدة الطويلة التي وضعها أديب المغرب الكبير الإمام
أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأندلسي في مدح الخليفة الحفصي أبي عبد الله محمد المنصور
بالله ، والشرح الذي وضعه لها أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي هو شرح كبير يقع في مجلدين
ومنه نسخ مخطوطة في الخزائن المغربية وغيرها . وقد طبعت المقصورة وشرحها بالقاهرة (سنة ١٣٤٤هـ)

ودرجة عصره . ووجه زمانه . كلامه متكافئ في اللفظ والمعنى ، صريح الدلالة ،
 كريم الخيم ، متحصد الخبل . خالص السبك . وأنا أثبت منه جزءاً ، خصني (۱) به ،
 ساء جهد المقل . اشتمل من حرّ الكلام . على مالا كفاء (۲) له .
 الحمد لله تردده أخرى الليالي . فهو المسئول أن يعصمنا من الزلل (۳) . زلل
 القول . وزلل الأعمال . والصلاة على سيدنا محمد خاتم الإرسال . هذه أوراق
 ضمنها جملة من بنات فكري . وقطعاً مما يُحْيَسُ به في بعض الأحيان صدرى .
 ولو حَزَمْتُ (۴) لأضربت عن كتبها كل الإضراب . ولزمت في دَفْنِهَا وإخفاها
 دين الأعراب . لا كني (۵) آثرت على المحو الإثبات . وتمثلت بقولهم (۶) [إن
 خير ما] (۷) أوتيته العرب الأبيات . وإذا هي عُرِضَتْ على ذلك المجد . وسألها
 كيف نجت من الوأد . فقد أوتيتها من حُرْمِكُمْ (۸) إلى ظل ظليل . وأحلتها من
 بنايكم ، مُعَرَّساً ومقيل ، وأهديتها عدلاً بأن كرمكم ، بالإغضاء عن عيوبها جدُّ
 كفيل . فاغتم قلة التهديدية مني ، إن جهد المقل غير قليل ، فحسبها شرفاً أن
 تبوأَتْ في جنابك كنفاً ، وكفاها مجداً وفخراً . أن عَقَدْتُ بينها وبين فكرك
 عَقْداً وجواراً ، [ومما قلت في حرف الهمزة] (۹) .

م ——— ولده

بِسَبْتَةِ فِي السَّادِسِ لَشَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عَامِ سَبْعَةِ وَتِسْعِينَ وَسِتْمِائَةِ .

- (۱) وردت في «ج» ، (أخصني) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (۲) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (كفو) .
- (۳) وردت هذه الجملة في «الزيتونة» وحده . ووردت محرفة (الزلال) .
- (۴) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (حرمت) .
- (۵) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (لا كني) .
- (۶) وردت في «ج» (بقوله) . والتعديل أنسب لتسبيح .
- (۷) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (إن من أحسن ما) .
- (۸) وردت في «ج» (كرمكم) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (۹) وردت هذه العبارة هكذا في المخطوطين . ولم يلبسها شيء .

وفاته

وفى قاضياً بقرناطة في أوائل شعبان من عام ستين ومبعمائة .

محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي^(١)

قاضى الجماعة ببَيْضَةَ الإسلام فاس . يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل له أبوةٌ صالحة . وأصله زانية . قديم الطالب . ظاهر التخصص ، مفرط في الوقار [نابه البرة والركبة ، كثير التهمة . يؤهم به الفار^(٢) ، وصدور الصُّور في الوثيقة والأدب ، فاضل النفس ، مُحَوِّض النصح ، جميل العشرة لإخوانه ، مجرى الصداقة [نصحا ، ومشاركة ، وتنفيقا ، على سجية الأشراف وسنن الحسب^(٣) ، مديد^(٤) الباع في فن الأدب ، شاعر مجيد ، كاتب بليغ ، عارف بالتحسين والتبحيح ، من أدركه ، أدرك علماً من أعلام المشيخة . قدمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس ، قاضياً بمحضرة ، واختصه ، واشتمل عليه ، فاتصل بعده سعد^(٥) ، وعرف حقه . وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه ، فذاع فضله ، وعلم قدره . ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النبوة^(٦) التي أصابت

- (١) نسبة إلى قشتالة وهي إحدى القبائل الجبلية التي تقطن في شمال مدينة فاس .
- (٢) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٣) هذا أيضاً وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٤) وردت في المخطوطين (مديع) ، وبالتصويب يستقيم السياق .
- (٥) وردت في «ج» وكذا في «الزيتونة» (استعماله) . ونعتقد أن بهذا التصويب يستقيم السياق .
- (٦) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بحو النبوة) . والنبوة هنا تعنى السقطة أو

النكسة .

الدولة ، بَلَوْتُ من فضله ونصحه وتأييده ، ما أكدت الغبطة ، وأوجب الثناء ،
وخاطبته بما نصه :

من ذا يَعُدُّ فضائل الفِشْتَالِي والدهر كاتب آيها والتَّالِي
عَلِمَ إِذَا التَّسَوَا الفنون بعلمه مرعى المشيخ^(١) ونجمة المكنال
نال الذي لا فوقها من رفعة ما أملتبا حيلة المحتال
وقضى قياس تراثه عن جدّه إن المُقَدِّم فيه عين التالى

قاضى الجماعة ، بماذا أثنى على خلائك المرُتَضاة^(٢) ، أبقديمك الموجب
لتقديمك ، أم بمديثك الداعي لتحمل حديثك ، وكلاهما غاية بعد مرماها ،
وتحامي المتصور حماها ، والضالع لا يسام سبباً ، والمنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهراً
أبقى . وما الظن بأصالة تعترف [بها]^(٣) الآثار وتشهد ، وأبوة صالحة : كانت
في غير ذات الحق تزهد ، وفي نيل الاتصال به تجهد ، ومعارف تقرر قواعد
الحق وتهد ، وتهزم السبب إذا تشهد . وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر على
جوار ، ولا حث من غصني ورقاً ولا نواراً^(٤) . هذا وقد زار على أسدٍ وحمل
نوراً^(٥) . فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها ، وأظهر
خلوص إبريزه معيارها ، تحت كنف وعز مؤتمف ، وجوار أبي دلب ، وعلى
ثقة من الله بحسن^(٦) خلف . وما منع من انتساب ما لديه من الفضائل إلا رحلة ،

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المهم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المرضاة) والأولى أرجح .

(٣) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (نورا) ونعتقد أنه بالتصويب يستقيم السياق .

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (نورا) وهو تحريف .

(٦) وردت في «ج» (بحس) . وفي «الزيتونة» (تجس) . وبالتصويب يستقيم السياق .

لم يَبْرُكْ بعدَ حَمَلِهَا ، ولا قرَّ عملُهَا ، وأوْحال حالِ بِنِي وبينِ مُسَوِّرِ البَلدِ القَدِيمِ^(١) مَهْلِهَا . ولولا ذلك لا غتَبَضت الزَّايِدُ^(٢) ، واقتنيت الفوايد ، والله يدبيل بقاء ، - تنى تأكد القربة ، التي تُنسى^(٣) بها الغُربة ، وتعظم الوسيلة ، التي لا تُذَرُّ معها الفضيلة . وأما ما أشار به من تبييد القصيدة التي نَفَقَ سوقها استحسانه ، وأنس باستظرافها إحسانه ، فقد أعمل وما أمهل ، والقصور باد إذا تأمل ، والإغضاء أولى ما أمَل ، فإنما هي فكرة ، قد أخذت نارها الأيام ، وغيرت آثارها الليام . وقد كان الحق إجلال مطالعة سيدي من خلاها ، وتنزيه رجائه عن تقبيل مُرتجائها . لا كَنَّ أمره مُمتثل ، وآتى من المجد أمراً لا مرد له مثل . والسلام على سيدي من مُعظم قدره ، ومُلتزم برّه ، ابن الخطيب ، ورحمة الله .

فكتب إلى مراجعاً ، وهو الملىء بالإحسان :

وافت يجرُّ الزهو فضلة بُردِها	حسنا قد أضحت نسيجة وحدها
لله أي قصيدة أهديت لو	يهتدى المعارض نحو غاية قصدها
لابن الخطيب بها محاسنُ جمةٌ	قارعت عنه الخطوب ففَلَّتْ من حدِّها
سِرُّ البلاغة عنه أودع حافظاً	قد صانه حتى فشى من عندها
في غير عقيدٍ نفثته ^(٤) بسحرها	فلذا أنى سلساً منظم عقدها
لم أدر ما فيها وقت معاونا ^(٥)	من طرسها أو مُعلماً من بُردِها

(١) يقصد مدينة فاس القديمة أو فاس الجبلية ، وذلك تمييزاً لها عن البلد الجديد ، وهو ضد حبيتها الذي يد مقر الملك والبلاط .

(٢) وردت في «ج» (الرايد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في المخطوطين (تنسى) . وهو تحريف اقتضى التصويب .

(٤) وردت في «ج» (نفثت) . وفي «الزيتونة» (نبثت) . والتصويب رجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

حتى دفعتُ بها لأبمد غاية بأعاً نقصُر في البلوغ بحدّها
 حدان^(١) من نظم وثر إن من يلقاها منها بذلة عبدا
 أولى يداً^(٢) بيضاء موليها فما لي مزية أن أقوم بحمدا
 ورفضت تكذيب المنى متشيمًا لعلى مرآها يُصادق وعدّها
 فبدلتُ شعري رافعاً من برّها وهزرتُ عطفي رافلاً من برّها

خُذها أعزَّ الله جنابك، وأدال للأنس على الوحشة اغترابك، كغبة^(٣) الطائر المتجمد، ونهبة الثائر المستوفز، ومقمة^(٤) الأخطى، قابلة اللفظ، قد جمعت من سوامها وانقحامها، بين نظم قيد، وصلود زند، وتوَّعت، فعلى إقدامها وانحجامها^(٥) إلى قاصر ومعتد، وليتني إذا جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق، وانجاب^(٦) العاني عن مُزنة فكرتي، بتقاضى الجواب، انجياب^(٧) الودق، وأيقنتُ أني قد سدَّ على باب القول وأرتحج، وقلت هذه السالفة السكلية فسدت لها الداعة من تكلم الإمرة [ولم أفه إذ أعوزت المرّة بالخلوة]^(٨)، لا كني قت، وجد المكثر كجهد المقل، والواجب قد يقل الامتثال فيه بالأقل، فبعثت بها على علاتها، وأبلغتها عذرها، في أن كتبت عن شوقها بلغاتها، وهي لا تعدم من سيدي في إغضاء كريم وإرضاء سليم، والله عز وجل يصل بالتأنيس الخبل، ويجمع الشمل.

(١) وردت في «ج» (خوان)، والتصويب من «الزيتونة».

(٢) وردت في المخطوطين (يد)، ولزم التصويب.

(٣) وردت في المخطوطين (كثفة)، والتصويب يستقيم السياق، والغية هي البلغة الزهراء.

(٤) هكذا في المخطوطين، ويقصد بها هنا المحظ الضعيف أو الفاتر.

(٥) هكذا وردت في «ج»، وفي «الزيتونة» (وانجمها).

(٦) وردت في المخطوطين (وانجاية)، والتصويب يستقيم السياق.

(٧) وردت في «ج» (انجاب) فلزم التصويب.

(٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

والسلام الكريم يخص تلك السيادة ورحمة الله وبركاته . من محمد بن أحمد الفشتالي .

وهو الآن قاض بفاس المذكورة محمود السيرة . أبقاه وأمتع به .

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن
أبي بكر بن علي [بن داود] ^(١) القرشي المقرئ

يكنى أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان .

أوليته

نقلت من خطه . قال . وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن
تبله مراراً ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ . صاحب أبي مدين ^(٢) ، الذي
دعاه وإذريته ، بما ظهر فيهم من قبول وتبين . وهو أبي الخامس [فأنا محمد بن
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن] ^(٣) ، وكان هذا الشيخ
عروى الصلاة ، حتى أنه [ربما] ^(٤) امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات ،

(١) الزيادة من « الزينة » . وهي غير واردة في نفع الطيب .

(٢) الشيخ أبو مدين هو ولى المغرب الكبير . وضريحه بفسطاطة تسمى المساه العباد . وهو
في الأصل العلامة الأندلسي شعيب بن الحسين الأنصاري ، ويكنى أبا مدين . ولد سنة ٥٢٠ هـ
بقنطلاية من أعمال إشبيلية ودرس حيناً بالأندلس ، ثم عبر البحر إلى المغرب . ثم إلى
وفاس ومراكش . ثم مال إلى التصوف ، واعتنق طرائقه ، وسافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج .
ثم عاد إلى المغرب ، ونزل بشفرة بجزيرة . وكان حجة لا يبارى في الشريعة والحديث وعلوم الدين .
واشتهر أبو مدين أثناء حياته بكراماته . وسمع به الخليفة الوحيد يعقوب المنصور ، وبما يتمتع به من
واسع الشهرة والنفوذ ، فأمر باستدعائه إلى مراكش ، فأخذ إلى الخليفة ، ولكنه توفي في طريقه على
مقربة من تلمسان وذلك في ربيع الأول سنة ٥٩٩ هـ . ودفن برابطة العباد فسادياً . وما زال ضريحه
لي اليوم مزاراً يقصده الألوفا من الزوار من سائر أنحاء المغرب .

(٣) الزيادة من نفع الطيب (ج ٣ ص ١١٢) . (٤) الزيادة من نفع الطيب .

ولا استُشعر منه شعور (١) . ويقال إن هذا الحضور لما أدركه من مقامات شيخه
 أبي مدين . ثم استهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتحاوية ، فهدوا ، طريق
 الصحراء بحفر الآبار . وتأمن التجار . واتخذوا طبل الرحيل ، ورواية التّقدم عند
 المسير . وكان ولد (٢) يحيى . الذى كان أحدهم أبو بكر . خمسة رجال . فعدوا
 الشّركة بينهم فيما مَلَكَوهُ ، وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال . وكان
 أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسي من جميع جهات [الأم والأب] (٣) يتلمسان .
 وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، وعبد الواحد (٤) وعلى . وهما
 شقيقاهم الصغيران . بأى واللاتن (٥) فاتخذوا هذه الأقطار والحوايظ والديار .
 فتزوجوا [النساء] (٦) . واستولدوا الإمام . وكان التلمساني يبعث إلى الصّحراوى (٧)
 [بما يرسم له من السلع . ويبعث إليه الصّحراوى بالجلد والعاج والجوز والتّبر ،
 والسّجلماوى كيسان الميزان] (٨) يعرفهما بقدر الرّجحان والخسيران . ويكاتبهما
 بأحوال التجار . وأخبار البلدان . حتى انصمت أموالهم ، وارتفعت فى الفخامة
 أحوالهم ، ولما افتتح التّكرور [كورة] (٩) أى واللاتن وأعمالها ، أصيبت
 أموالهم ، فيما أصيب من أموالها ، بعد أن جَمَع من كان بها منهم إلى نفسه الرّجال .
 ونصّب [دون ماله] (١٠) القتال . ثم اتصل بملكهم فأكرم مشواه . ومكّنه

(١) وردت فى المخطوطات (شهور) والتصويب من النّفح .

(٢) هكذا فى «ج» والنّفح . وفى «الزيتونة» (أولاد) .

(٣) فى النّفح (أبى وأمى) .

(٤) وردت فى «ج» و «الزيتونة» (عبد الرحمن) والتصويب من النّفح .

(٥) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» . وأبى واللاتن موضع بالصحراء .

(٦) الزيادة من النّفح .

(٧) فى «ج» (صحراء) . والتصويب من النّفح .

(٨) ما ورد بين الحاصرتين كله ساقط فى «ج» و «الزيتونة» وورد فى النّفح .

(٩) الزيادة من النّفح .

(١٠) هكذا وردت فى «ج» . وفى النّفح (دونها دون ماله) .

من التجارة بجميع بلاده . وخاطبه بالصدیق الأحب ، وانخلاصة الأقرب . ثم صار يكتب مَنْ بتلسان ، يَسْتَقْضَى منهم مآربه ، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة ، وعندى من [كُتِبَهُ]^(١) و كُتِبَ الملوك بالغرْب . ما ينبغي عن ذلك . فاما استوثقوا^(٢) من الملوك ، تَذَلَّت^(٣) لهم الأرض للسلوك ، فخرجت أموالهم عن الحدِّ ، وكادت تفوق الحصر والعدِّ ، لأن بلاد الصحراء ، قبل أن يدخلها أهل مصر^(٤) | كانت تجلب لها من المغرب |^(٥) ما لا بال له من السلع ، فيعَاوِض عنه | بما له بال من الثمن |^(٦) . ثم قال أبو مدين |^(٧) الدنيا ضم جنب أبي حمو . وشمل ثوباه . كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بنجيث السلع . ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ، ومن سواهم يحمل منها الذهب ، ويأتى إليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ، إلى ما يُغَيِّر من العوايد . ويجرُّ السفهاء إلى المفاصد^(٨) .

ولما هلك هؤلاء الأشياخ ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم [ولم يقوموا]^(٩)

(١) الزيادة من النسخ .

(٢) وردت فى «ج» (است تقوى) وفى «الزيتونة» (استاتوى) والتصويب من النسخ .

(٣) هكذا فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (ذلت) .

(٤) إن الإشارة إلى أهل مصر هنا مما يستوقف النظر ، ويحمل على الاعتقاد بأن التجار المصريين ، كانوا فى ذلك العصر (القرن الرابع عشر الميلادى) يؤمّون هذه الأقطار (مما تأسودان الغربى) بكثرة .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى النسخ (كان تجلب إليها من المغرب) .

(٦) وردت هذه العبارة فى «ج» (بمال ومال من الثمن) . وفى «الزيتونة» (بمال من ثمن) . والتصويب من النسخ .

(٧) هذه العبارة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى النسخ .

(٨) وردت هذه الفقرة التى بين الشولتين فى المخطوطين وفى نسخ الطيب . مع تغيير يسير فى بعض الألفاظ . ولم نفهم حكمة نسبتها هنا إلى شيخ أبي مدين . وهى على العموم ظاهرة الإضطراب .

(٩) وردت فى المخطوطين (ويقولوا) . والتصويب من النسخ .

بأمر التثمير قيامهم ، وصادفوا توالي الفتن ، ولم يَسْلُوا من جور السلطان^(١) .
 فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان | فها أنا ذا لم أُدرك في ذلك إلا أثر نعمة
 اتخذنا فصوله عَيْشاً ، وأصوله حُرْمَةً . ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب ،
 وأسبابٌ كثيرة تعين على الطلب ، فتفرغتُ بحول الله عز وجل للقراءة ،
 فاستوعبتُ أهل البلد لقاءً ، وأخذت عن بعضهم عَرَضاً وإلقاءً ، سواء المقيم
 القاطن والوارد والظاعن |^(٢)

حاله

هذا الرجل مشارٌ إليه بالعدوة المغربية^(٣) اجتهادا ، ودؤوبا ، وحفظاً وعناية ،
 واطلاعا^(٤) ، ونقلاً ونزاهة ، سليم الصدر ، قريب الغور ، صادق القول ،
 مسلوب التصنع ، كثير الهشة ، مفرط الخفة ، ظاهر السداجة ، ذاهبٌ أقصى ،
 مذاهب التخلق ، محافظٌ على العمل ، مشابر على الانتطاع ، حريص على العبادة ،
 مضائق في العقد والتوجه ، يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ، ثم
 يُغافض الوقت فيها ، ويوقعها دفعة متبعا إياها زعقة التكبير ، برجفة ، ينبو عنها
 سمعٌ من لم يكن تأنس بها عادة ، بما هو دليل على [حُسن]^(٥) المعاملة ، وإرسال
 السجية ، قديم النعمة ، متصل الخيرية ، مكبٌ على النظر والدرس والقراءة ،
 معلوم الصيانة والعدالة ، منصفٌ في المذاكرة ، حاسرٌ الذراع عند المباحثة ،
 واحبٌ عن الصدر في وطيس المناقشة ، غيرٌ [مختار]^(٦) للقرن ، ولا ضانٌ

(١) في النسخ (السلطان) .

(٢) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين لم ترد في المخطولين ، ونقلتها عن النسخ .

(٣) وردت في المخطولين (الغربية) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الخطاط) .

(٥) هذه الزيادة من النسخ .

(٦) هذه الزيادة من النسخ .

بالفايدة . كثير الالتفاف : متقلب الحدقة (١) . جهير بالحجة ، بعيد عن
المراء والمباهة ، قابل (٢) بفضل أولى الفضل من الطلبة ، يقوم أتم القيام على
العربية والفقه والتفسير ، ويحفظ الحديث ، ويتهجّر (٣) يحفظ الأخبار والتاريخ
والآداب ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق ، ويكتب ويشعر
مصيباً في ذلك | غرض الإجابة (٤) . ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب
المقال ، ويعتني بالتدوين (٥) فيها . شرق وحج ، ولقي جلّة ، واضطّين (٦) رحلة
مفيدة ، ثم آب إلى بلده . فأقرأ به ، وانقطع إلى خدمة العلم . فلما ولي ملك المغرب
السلطان ، محالف الصنع ونشيدة الملك . [وأثير الله من بين القرابة والإخوة] (٧)
أمير المسلمين أبو عنان فارس ، اجتذبه وخلطه بنفسه ، واشتمل عليه ، وولاه
قضاء الجماعة بمدينة فاس ، فاستقلّ بذلك أعظم الاستقلال . وأنفذ الحكم (٨)
والآن | الكلمة ، وآثر التسديد ، وحمل الكلّ ، وخفض الجناح ، فحسنت
عنه القالة ، وأحبته (٩) الخاصة والعامّة . حضرت بعض مجالسه للحكم .
فرايت من صبره | على اللد ، وتأتيه للحجج (١٠) ورفقه بالخصوم ، ما قضيت
منه العجب .

(١) وردت في «ج» و «الزيتونة» (الخدقة) ، والتصويب من النفع .

(٢) وردت في «ج» (قائد) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» و «الزيتونة» (بتحيز) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه الزيادة من النفع .

(٥) وردت في «ج» (بالزميق) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٦) وردت في «ج» (واضطّر) . والتصويب من «الزيتونة» والنفع .

(٧) ما بين الحصريين وورد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا في «ج» و «الزيتونة» . وفي النفع (الحق) .

(٩) ما بين الحصريين ساقط في «ج» و «الزيتونة» . وورد في النفع .

(١٠) هذا وورد في «ج» والنفع . وساقط في «الزيتونة» .

دخوله غرناطة

ثم لما أُخِرَّ عن القضاء، استعمل بعد لأى فى الرسالة . فوصل الأندلس .
 أوائل جمادى الثانية من عام ست وخمسين وسبعمائة . فلما قضى عرض الرسالة ،
 وأبرم عقده ووجهته . واحتل مالقة فى منصرفه ، بدآ له فى نبدأ الكلفة . واضطراح
 وظيفة الخدمة ، وحل التقيّد ، إلى ملازمة الإمرة ، فتقاعد ، وشهر غرضه ،
 وبت فى الانتقال ، طمع من كان صحبته ، وأقبل على شأنه ، فخلّى بينه وبين همه .
 وترك وما انتحل^(١) من الانقطاع إلى ربه . وطار الخبر إلى مرسله ، فأنف من
 تخصيص إيالته بالمجرة ، والعدول عنها ، بقصد التخلّى والعبادة ، وأنكر ما نحل^(٢)
 غاية الإنكار ، من إبطال عمل الرسالة ، والانقباض قبل الخروج عن العهدة . فوَعَرُ
 صدره على صاحب الأمر . ولم يُبعد حمله على الظنّة والمواطأة على النفرة ، وتجهزت^(٣)
 جملة من الخدّام المجلين^(٤) فى مآرق الشبهة . المضطلّعين بإقامة^(٥) الحجّة ، مؤلّين
 خِطّة الملام [مُخَيَّرِينَ بَيْنَ سَحَابِ عَادِ مِنَ الْإِسْلَامِ] ^(٦) . مَظَنَّةَ إِخْلَاقِ النِّعْمَةِ ^(٧) ،
 وإيقاع المُثَلَّة . والإساءة^(٨) بسبب القطيعة والمناينة . وقد كان المترجمُ به لحق
 بغرناطة فتدّمّم بمسجدها ، وجار بالانقطاع إلى الله ، وتوعدّ من يجيرُهُ ، بنكير
 من يُجِيرُ وَلَا يُجَارِعُ عَلَيْهِ [سَبْحَانَهُ] ^(٩) فَأَهَمَّ أَمْرَهُ ، وشغلت القلوب أبدته ، وأمسك

(١) هكذا وردت فى النسخ . ووردت فى «ج» و«الزيتونة» (التحل) .

(٢) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» . وفى النسخ (محققة) .

(٣) وردت فى «ج» (تجهز) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت فى «ج» والنسخ . وفى «الزيتونة» (المجلين) .

(٥) وردت فى «ج» و«الزيتونة» (لإقامة) . والتصويب من النسخ .

(٦) هذه عبارة وردت بحرف فى «ج» و«الزيتونة» . والتبعيد فيها نص النسخ .

(٧) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (لنعمه) والأولى أرجح .

(٨) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» والنسخ (الإساءة) والأولى أرجح .

(٩) الزيادة من النسخ .

الرسل بخلال ما صدرت شفاعته [اقتضت له رفع التبعة] ^(١) ، وتركة إلى تلك الوجهة .

ولما تحصل ما تدسر من ذلك . انصرف محفوقاً بعالمى ^(٢) القطر ، قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى المترجم به قبليه ، والشيخ الخطيب أبى البركات بن الحاج ، مستهلين ^(٣) لوروده . مشافهين للشفاعة فى غرضه ، فأقشعت الغمة ، وتنفتت الكربة . [وجرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة ، ما تضمنه الكتاب المسمى « بكناسة الدكان بعد انتقال السكان » المجموع بسلا ^(٤) ما صورته ^(٥) :

« المقام الذى يجب الشفاعة ، ويرعى الوسيلة . وينجز العدة ، ويتم الفضيلة ، ويضفى مجده المن الجزيلة ، ويعي حمده المادح العريضة الطويلة . مقام محل والدنا الذى كرم مجده ، ووضح سعده ، وصح فى الله تعالى عقده ، وخلص فى الأعمال الصالحة قصده ، وأعجز الألسنة حمده ، السلطان الكذا ^(٦) ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا . أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها ، وشفاعة يكرم مسعاها ، وأخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم إذا دعاها ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (اقتضى فيها رفع التبعة) .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» و النسخ . ووردت فى «ج» (بعلمى) .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و «الزيتونة» . وفى النسخ (مسلمين) والأولى أرجح .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد فى «ج» . وساقط فى «الزيتونة» .

(٥) إن الرسالة التالية لم ترد فى المخطوطين . وقد أوردتها المقرئ فى نصح الخطيب مباشرة

ضمن ترجمة جده ، وهى التى نقلها بلا ريب من مخطوط أكمل من الإحاطة . ومن ثم فقد رأينا من الواجب إكمال الترجمة بإيراد هذه الرسالة . متصدين فى ذلك على نصها الذى أورده المقرئ ، وكذلك على نصها الأسمى الوارد بكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) . (راجع نصح الخطيب ج ٣ ص ١١٣ و ١١٤ وكناسة الدكان - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٧) .

(٦) المقصود بالسلطان الكذا هنا ، هو السلطان نور الدين المنصور الذى كان السلطان

أبى الحسن الكبير ، ملك المغرب المتوفى فى أواخر سنة ٥٧٥٩ هـ .

مُعَظَمُ سُلْطَانِهِ الْكَبِيرِ ، وَمُمَجِّدُ مَقَامِهِ الشَّهِيرِ ، الْمُتَشَيِّعُ لِأَبْوَتِهِ الرَّفِيعَةِ ، قَوْلًا
بِاللِّسَانِ ، وَاعْتِقَادًا بِالضَّمِيرِ ، الْمُعْتَمِدُ مِنْهُ بِعَدَاةِ اللَّهِ عَلَى الْمَلْجَأِ الْأَحْمَى ، وَالْوَلِيُّ
النَّصِيرِ . فَلَانٌ ^(١) . سَلَامٌ كَرِيمٌ ، طَيِّبٌ بَرٌّ عَمِيمٌ ، يَخْصُ مَقَامَكُمْ الْأَعْلَى ،
وَأَبْوَتَكُمْ الْفَضْلَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ . الَّذِي جَعَلَ الْخُلُقَ اخْتِيَادًا دَلِيلًا عَلَى عِنَايَتِهِ بِمَنْ حَلَاهُ حُلَاهَا ،
وَمَيَّزَ بِهَا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ ، الَّتِي اخْتَصَمَهَا بِكَرَامَتِهِ وَتَوَلَّاهَا ، حَمْدًا يَكُونُ كُفْوًا لِلنِّعَمِ الَّتِي
الَّتِي أَوْلَاهَا ، وَأَعَادَهَا وَوَالَاهَا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ ، الْمَتَرَقِّ مِنْ دَرَجَاتِ الْاِخْتِصَاصِ أَرْفَعَهَا وَأَعْلَاهَا ، الْمُمْتَازِ مِنْ أَنْوَارِ
الْهُدَايَةِ بِأَوْضَحِهَا وَأَجْلَاهَا ، مُطَمِّعٌ آيَاتِ السَّعَادَةِ بِرُوقِ نُجْمَتِهَا . وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ خَبَرَ صِدْقَ ضَمَائِرِهِمْ لَمَّا ابْتَلَاهَا ، وَعَسَلُ ذِكْرِهِمْ فِي الْأَفْوَاهِ فَمَا أَعَذَّبَ أَوْصَافِهِمْ
عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَحْلَاهَا . وَالِدَعَاءٍ لِمَقَامِ أَبِي تَسْكَمِ ، حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى عُلاَهَا ، بِالسَّعَادَةِ
الَّتِي يَقُولُ الْفَتْحُ أَنَا طَلَاعُ الثَّنَايَا وَابْنُ جَلَالِهَا ، وَالصَّنَائِعِ الَّتِي تَخْتَرِقُ الْمَفَاوِزَ بِرِكَائِبِهَا
الْمُبَشِّرَاتِ فَتَفْعَلِي فَلَاهَا . فَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ ، كُتِبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ عِزَّةً مُشِيدَةً
الْبِنَاءِ ، وَحَشْدًا عَلَى أَعْلَامِ صِنَائِعِكُمُ الْكِرَامِ جِيُوشِ الثَّنَاءِ ، وَقَلْدًا لَكُمْ قَلَائِدَ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، مَا يَشْهَدُ لِدَاتِكُمْ مِنْهُ بِسَابِقَةِ الْاِعْتِنَاءِ . مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ ،
وَالْوُدِّ بَاهِرِ الثَّنَاءِ ، مُجَدِّدٍ عَلَى الْأَنْبَاءِ ، وَالْمُتَشَيِّعِ رَحْبِ الدَّسِيعَةِ وَالْفَنَاءِ .

وَإِلَى هَذَا ، وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى سَعْدَكُمْ ، وَحَرَسَ مَجْدَكُمْ ، فَإِنَّمَا خَاطَبْنَا مَقَامَكُمْ
الْكَرِيمِ ، فِي شَأْنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَافِظِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْزُورِيِّ . خَارَ اللَّهُ تَعَالَى
لَنَا وَلَهُ . وَبَلَغَ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمِيمِ أَمَلَهُ ، جَوَابًا عَمَّا صَدَرَ مِنْ مَثَابَتِكُمْ فِيهِ ، مِنْ
الْإِشَارَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ ، وَالْمَارَبِ الْمُعْمَلَةِ . وَالْقَضَايَا غَيْرَ الْمَهْمَلَةِ . نُصَادِرُكُمْ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي

(١) هو سلطان شيبان الذي يلقب ملك غرناطة (الأندلس) الذي حكم منذ سنة ٧٥٥ هـ ،

وتوفي سنة ٧٩٣ هـ . والذي يخصه ابن الخطيب في بداية هذا المجلد بترجمة مستفيضة .

مِثْلُهَا بِأَبْوَابِكُمْ لَا يُرَدُّ ، وَظَمَّاهَا عَنْ مَنْهَلِ قَبُولِكُمْ لَا تَجْلِي وَلَا تُصَدُّ . حَسْبَاسِنَّهُ
 الْأَبُ الْكَرِيمُ وَالْجَدُّ . وَالْقَبِيلُ الَّذِي وَضَّحَ مِنْهُ فِي الْمَكَارِمِ . الرَّسْمُ وَالْحَدُّ .
 وَلَمْ نَصْدِرِ الْخَطَابَ حَتَّى ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَحْوَالِهِ صِدْقُ الْمُخَيَّلَةِ . وَتَبَلَّجَ صِيحَ الزَّهَادَةِ
 وَالْفَضِيلَةِ . وَجُودَ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى الْبَخِيلَةِ . وَظَهَرَ تَخَلُّيهِ عَنِ
 هَذِهِ الدَّارِ . وَاخْتِلَاطَهُ بِاللَّغِيفِ وَالغَمَارِ . وَإِقْبَالَهُ عَلَى مَا يُعْنَى مِثْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْأَوْرَادِ ،
 وَمَدَاوِمَةِ الْاسْتِغْفَارِ . وَكُنَّا لَمَّا تَعَرَّفْنَا إِقَامَتَهُ بِمَالِقَةَ لِهَذَا الْغَرَضِ الَّذِي شَهَّرَهُ ،
 وَالْفَضْلَ الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْعِيَانِ وَأَظْهَرَهُ . أَمَرْنَا أَنْ يُعْتَنَى بِأَحْوَالِهِ . وَيُعَازَ عَلَى فِرَاقِ
 بَالِهِ ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ سَبَبٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَعْشَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَصَرِيحِ مَالِهِ ، وَقَلْنَا
 أَمَا أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مُسْتَنْدٌ صَحِيحٌ لِاسْتِدْلَالِهِ . فَفَرَّ مِنْ مَالِقَةَ عَلَى مَا تَعَرَّفْنَا
 لِهَذَا السَّبَبِ ، وَقَعَدَ بِحَضْرَتِنَا مَسْتُورِ الْمُنتَعَى وَالْمُنْتَسَبِ ، وَسَكَنَ بِمَدْرَسَةِ بَعْضِ
 الْأَمَاكِنِ الْمَعْدَّةِ لِسَكْنَى الْمُتَسَمِّينَ بِالْخَيْرِ ، وَالْمُحْتَرَفِينَ بِبِضَاعَةِ الطَّلَبِ ، بِمَحِثٍ
 لَمْ يُتَعَرَّفْ وَرُودِهِ وَوُصُولِهِ إِلَّا مِنْ لَا يُؤْبَهُ بِتَعْرِيفِهِ ، وَلَمْ تَمُتِقْ زَوَائِدُهُ وَأُصُولُهُ
 لِقَلَّةِ تَصْرِيْفِهِ . ثُمَّ تَلَا حَقَّ إِسْرَائِلِكُمْ الْجِلَّةِ . فَوَجِبَتْ حَيْثُذُ الشَّفَاعَةِ ، وَعُرِضَتْ
 عَلَى سَوْقِ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ مِنَ الْاسْتِطَافِ وَالْاسْتِعْطَافِ الْبِضَاعَةِ . وَقَرَرْنَا
 مَا تَحَقَّقْنَا مِنْ أَمْرِهِ ، وَانْتِبَاضِهِ عَنْ زَيْدِ الْخَلْقِ وَعُمَرِهِ ، وَاسْتِقْبَالِهِ الْوُجْهَةَ الَّتِي مِنْ
 وَجْهِهِ شَطْرَهَا فَقَدْ آثَرَ أَثِيرًا ، وَمِنْ ابْتِاعِهَا بِمَتَاعِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَالَ فَضْلًا كَبِيرًا ،
 وَخَيْرًا كَثِيرًا . وَسَأَلْنَا مِنْكُمْ أَنْ تَبِيحُوا ذَلِكَ الْغَرَضَ الَّذِي رَمَاهُ بِعِزْمِهِ ، وَقَفَّرَ
 عَلَيْهِ أَقْصَى هَمِّهِ . فَمَا أَخْلَقَ مَقَامَكُمْ أَنْ يَفُوزَ مِنْهُ طَالِبُ الدُّنْيَا بِسَهْمِهِ ، وَيَحْصُلَ مِنْهُ
 طَالِبُ الْآخِرَةِ عَلَى حِفْظِهِ الْبَاقِي وَقَسَمِهِ ، وَيَتَوَسَّلَ الزَّاهِدُ بِزَهَادِهِ وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ . وَيَعْمَلُ
 الْبَرِيءُ عَلَى فَضْلِهِ . وَيَثِقُ الْمَذْنُوبُ بِحِلْمِهِ . فَوَدَّ الْجِرَابُ الْكَرِيمُ بِمَجْرَدِ الْأَمَانِ ،
 وَهُوَ أَرَبٌ مِنْ آرَابٍ ، وَقَائِدَةٌ مِنْ جِرَابٍ . وَوَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ إِعْرَابٍ . فَرَأَيْنَا
 أَنْ الْمَطْلَ بَعْدَ جَفَاءٍ ، وَالْإِعَادَةَ لَيْسَ بِثِقَلِهَا خِفَاءً ، وَلِجِدِّكُمْ بِمَا ضَمَّنَا عَنْهُ وِفَاءً ،

وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله ، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله . وأن يقتضى له نعمة المقصد . ويبلغ طيبة الإسعاف في الطريق إن قصد ، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلق بجناب الله . من مثلكم حاصلًا ، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا ، وطالبنا كيمياء السعادة بإعانتكم واصلا . ولما مدت اليد في تسوية حالة هديكم عليها أبدأ بحرض ، وعلكم بصرح بزيتها ولا يعرض ، فكلوا أبقاكم الله ما لم نسمنا فيه مشاحة الكتاب ، وألقوا بالأصل حديث هذه الإباحة ، فهو أصح حديث في الباب ، ووفوا غرضنا من مجدكم ، واخلوا بينه وبين مراده من ترك الأسباب ، وقصد غافر الذنب وقابل التوب بإخلاص المتاب ، والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب ، وأظهروا عليه عناية الجناب ، الذي تعلق به . أعلق الله به يديكم من جناب ، ومعاذ الله أن تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب . ويقتضى خلاصها بالرغبة لا بالغلاب ، وهما فلان وفلان . ولولا الأعداء لكان في هذا الغرض أعمال الرُّكاب بسبق إعلام الكتاب ، وأنتم تؤأون هذا القصد من مكارمكم ما يوفر الثناء الجميل ، ويربى على التأمل ، ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل . وهو سبحانه يُبقيكم لتأييد المجد الأئيل ، وإنالة الرفد الجزيل . والسلام الكريم يخص مقامكم الأعلى ، ومثابتم الفضلى . ورحمة الله تعالى وبركاته . في الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة [والله ينفع بقصده . وييسر علينا الرجعة إلى وجهه وفضله] (١)

مشيخته

قال : فَمِمَّنْ أَخَذْتُ عَنْهُ . واستفدت منه علمها (٢) | يعنى تلمسان (٣)

(١) هذه المائة وأرددة في المخطوطين دون الرسالة .

(٢) وردت في «ج» (علماء) . وفي «الزيتونة» (علمها) . والصواب من نفع الطيب .

(٣) الزيادة من نفع الطيب . وهي لازمة لاستقامة السياق .

الشامخان ، وعالمها الراسخان ، أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ،
 إينا محمد بن عبد الله بن الإمام ، وحافظيا ومدرّسها ومفتيها أبو موسى عمران بن
 موسى بن يوسف المشدالي ، صهر شيخ المتأخرين ، أبي علي ناصر الدين علي إبنته ،
 ومشكاة الأنوار التي [يكاد زيتها] ^(١) يضيء ولو لم تمسه نار ، الأستاذ أبو إسحاق
 إبراهيم بن حكيم الكِنَانِي السَّلَوِي رحمه الله . ومنهم القاضي أبو عبد الله
 محمد بن عبد الله بن عبد النور . والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن ^(٢)
 البرُّونِي ، وأبو عمران موسى بومِن المصَّودِي الشهير بالبُخَارِي . قال سمعت
 البرُّونِي يقول : كان الشيخ أبو عمران يُدرِّس البُخَارِي ، ورفيق له يدرِّس صحيحَ
 مُسْلِم ، وكانا يُعرفان بالبُخَارِي ومُسْلِم ، فشهدا عند قاض ، فطلب المشهودُ عليه
 بالإعذار فيهما ، فقال له أبو عمران أتمكَّنهُ من الإعذار في الصَّحيحين ، البُخَارِي
 ومُسْلِم . فضحك القاضي ، وأصلح بين الخصمين . ثم قال ، ومن شيوخ الصلحاء
 الذين لقيت بها ، خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن علي
 الخياط . أدرك أبا إسحاق الطيَّار . ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني . وكان
 بصيراً بتفسير الرؤيا ، فمن عجائب شأنه . أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف
 ابن عبد الحق [مع من] ^(٣) كان فيه . من أهل تلمسان أيام محاصرته لها ، فرأى
 أبا جمعة على التلالي الجرايمي منهم ، كأنه قائم على ساقية دايرة ، وجميع أقداحها
 وأقواسها تصب [في] ^(٤) نقيير في وسطها . فجاء ليشرب ، فاغترف الماء ، فإذا
 فيه فرثٌ ودم ، فأرسله ، واغترف فإذا هو كذلك ، ثلاثاً أو أكثر ، ثم عدل
 إلى خاصّة ماء ، فجاءها وشرب منها . ثم استيقظ ، [وهو النهار] ^(٥) . فأخبره ، فقال

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «أ» «زيتونها» (زيتها يكاد) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (الحسين) .

(٣) وردت في المخطوطين (من) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٤) وردت في المخطوطين (من) والتصويب أرجح .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين .

إن صدقت الرؤيا ، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن . قال كيف . قال
الساقية الزمان ، والنمير السلطان ، وأنت جرايمحي . تدخل يدك في جوفه فينالها
الفرث والدم ، وهذا ما لا يحتاج معه [إلى دليل] ^(١) . فأخرج ، فوجد السلطان
مطعوناً بمنجبر ، فأدخل يده في جوفه . فناله الفرث والدم ، فحاط جراحته وخرج ،
فراى خاصة ماء ، فغسل يده وشرب . ولم يلبث السلطان أن توفي ، وسرحوا من
كان في معبته . ومن أشياخه الإمام نسيجٌ وحده ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم
ابن أحمد الأبلي التلمساني ، وهو رُحلة الوقت في القيام على الفنون العقلية ،
وإدراكه وصحة نظره .

حدث قال : قَدِمَ على مدينة فاس ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ،
عُرف بن المُسَفَّر . رسولا من صاحب بجاية . وزاره الطلبة . فكان مما ^(٢) حدثهم
أنهم [كانوا] ^(٣) على زمان ناصر الدين : يَسْتَشْكُونَ كَلَامًا وَقَعَ [في] ^(٤)
تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين ، واستشكاه الشيخ معهم . وهذا نصه :
ثَبَّتَ في بعض العلوم العقلية ، أن المُرْكَبَ مِثْلَ البسيطِ في الجنس ، والبسيطُ مثل
المُرْكَبِ في الفصل ، وأن الجنس أقوى من الفصل . فأخبروا بذلك الشيخ الأبلي
لما رجعوا إليه ، فتأمله ثم قال . هذا كلام مُصَحَّفٌ ، وأصله أن المُرْكَبَ قَبْلَ
البسيطِ في الحِسِّ ، والبسيطُ قَبْلَ المُرْكَبِ في العَقْلِ ، وأن الحِسَّ أقوى من العَقْلِ ،
فأخبروا ابن المُسَفَّر . فاجَّ : فقال لهم الشيخ : التمسوا النسخ ، فوجدوا في لفظ
بعضها كما قال الشيخ .

(١) أضفنا هذه العبارة لاستقامة العقل والسياسة .

(٢) وردت في «ج» (مسن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

(٤) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق .

رحلته

رحل إلى بجاية مُشَرِّقًا ، فلقى بها جلَّة . منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، ابن المُسَفِّر . ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزَّوَاوي ، فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو علي حسن بن حسن إمام المَعْقولات بعد ناصر الدين . وبتونس قاضي الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام ، وحضر دروسه ، وقاضي المناكح أبو محمد اللخمي ، وهو حافظُ فقهاءها في وقته . والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول . ثم حجَّ فلقى بمكة إمام الوقت ^(١) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزْرِي المعروف بنخليل ، وإمام المقام أبا العباس رضى الدين الشافعي ، وغير واحد من الزايرين والمجاورين وأهل البلد . ثم دخل الشام ، فلقى بدمشق ، شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية ، وصدور الدين الغمري ^(٢) المالكي ، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم . وبيت القدس أبا عبد الله بن مُثَبَّت ^(٣) ، والقاضي شمس الدين ابن سالم ، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان ، وغيرهم .

تصانيفه

ألف كتاباً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية ، ضمَّها كل أصيل من الرأى والمباحثة . ودوَّن في التَّصَوُّف ، إقامة المُريد ، ورحلة المُتَبَتِّل ، وكتاب الحقايق والرَّقايق ، وغير ذلك .

شعره

نقلتُ من ذلك قوله . هذه لمحة العارض لتكملة | أَلْفِيَّة | ^(٤) ابن الفارض ،

(١) وردت هذه الكلمة في «ج» (الموقف) . وبالتصويب يستقيم السياق .
 (٢) وردت في الخطوطين (الغمري) والتصويب من النسخ .
 (٣) وردت هكذا في «ج» والنسخ . ووردت عمدة في «الزيتونة» (منبت) .
 (٤) الزيادة من النسخ .

سَكَبَ الدَّهْرُ مِنْ فَرَايِدِهَا^(١) مَائَةً وَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ ، فَاسْتَعْنَتْ عَلَى رَدِّهَا بِحَوْلِ اللَّهِ
المعين .

من فصل الإقبال

رفضتُ السُّوَى^(٢) وهو الطَّهَارَةُ عندما
تلفعتُ في مرطِ الهوى وهو زينتى^(٣)
وجئتُ الحِمَى وهو المَصَلَى مُبِمَا
بوجهة قلبي وجهها وهو قبلي
وقتُ وما استفتحتُ إلا بذكرها
وأحرمتُ إحراماً لغير تجلَّة
فدينى إن لاحتُ ركوعٌ وإن دنتُ
على أننا في القُربِ والبُعدِ واحدُ
وكم من هجير خُضتُ ظمآن طاوياً
وفيها لقيتُ الموتَ أحمراً والعِدا
ويبنى وبين العذَلِ فيها منازلُ
ولما اقتسَمنا خططينا فحامل
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته
وكم لى على حُكْمِ الهوى من تجلُّدِ
يقول ميمرى والأسا سالم الأسى
لو أنَّ مجوساً بتَّ موقدَ نارِها
ولو كنتُ بحرّاً لم يكن فيه نضحة

إليها وديجورٍ طويتُ برحلةٍ
مزرقةُ أسنان الرِّمَّاحِ وحادَّةِ
تُنسيك أيام الفُجَّارِ ومؤنة
مخارٍ بلا أجرٍ وحاملُ برَّةٍ
فعاد ختامُ الأمرِ أصلَ القضية
دليلٌ على أن الهوى من سَجَبَتِي
ولا توضع الأوزار إلا لِحِنَّةِ
لما ظلَّ إلا متهلاً ذا شريعة
لعين إذا نارُ الغرامِ استحرتِ

(١) هكذا في النسخ . وفي «ج» (فوايدها) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطين (الهوى) .

(٣) ورد في المخطوطين هذا البيت فقط من القصيدة . وهي في خمسة وثلاثين بيتاً . وقد

أوردتها المقرئ كاملة في نفع الطيب . وذكر جلال حسنة عن جده . أنه نقلها من «الإحاطة» . وكذا

نقل بعدها من «الإحاطة» أربع قصائد طويلة أخرى من نظم جده . وقد رأيت نحن ذكراً للنص الأصلي .
أن ننقل هذه القصائد كلها (نفع الطيب ج ٣ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

ولا هدم إلاك شيد بقوة
 علام مزاج ركبت أو طبيعة
 وإلا فانت الدهر صاحب قعدة
 أم النار أم دساس عرق الأمومة
 وحالي أقوى القامين بحجة
 وما شاك معشار بعض شكيتي
 ولم أنسها إلا احترقت بلوعة
 جواي وأخفي الوجد صبر المودة
 أحب أفلى ذكرها وفتيحتي
 بالأمس وسأل حر الجفون الغزيرة
 كما شاعت الحناء يوم الهزيمة
 وأغدو وما يعدو التفجع خطتي
 مساءها في طي طيب المسرة
 وحسبك أن لم يخبر الحب رؤيتي
 أوام بلا ري دم لا بقيمة
 وإن ترض منها الصبر فهو بغيتي
 ركاب ملاهي فهو أول محنتي
 وخلوا سبيلي ما استطعتم ولو عني
 ولكن رأيت ذاك الجمال فجنت
 ورشدي غاوي والعميات غمت
 وراجعت أبصاري له وبصيرتي

فلا ردم من نقيب المعاول آمن
 فم تقول الأسفيمات منك أو
 فإن قام لم يثبت له منك قاعد
 فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هوا
 وإني على صبري كما أنت واصف
 أقل الضنى إن عجز من جسني الضنى
 وأيسر شوقي أني ما ذكرتها
 وأخفي الجوى قرع الصواعق منك في
 وأسهل ما ألقى من العذل أني
 وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها
 وأوجز أمرى إن دهري كله
 أروح وما يلقى التأسف راحتي
 وكالببيض بيض الدهر والشعر سوده
 وشأن الهوى ما قد عرفت ولا نسل
 سقام بلا برء ضلال بلا هدي
 ولا عتب فالأيام ليس لها رضا
 إلا أيها اللوام عني قوضوا
 ولا تعذلوني في البكاء ولا البكي
 فما سلكت بالدمع عيني إن جنت
 تجلي وأرجاء الرجاء حوالك
 فلم يستبين حتى كاني كاسف

ومن فصل الاتصال

وموقف لي في الهوى خضت دونه
 فجاوزت في حدى مجاهدتى له
 وحلّ جمالى فى الجلال فلا أرى
 وغبت عن الأغيار فى تيه حالى
 وكاتبْتُ ناسوتى بأماراة الهوى
 وعلمُ يقينى صار عيناً حقيقة
 وبدلت بالتلوين تمكين عزّة
 وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفى
 وم جلت فى سَم الخياط وضاق بي
 وما اخترت إلا دن بقراط زاهدا
 وفقرى مع الصبر اصطفت على الغنى
 وأكتم حبي ما كنى عنه أهله
 وإنى فى جنسى ومنه لواحد
 تسببت فى دعوى التوكل ذاهباً
 وآخر حَرْفٍ صار منى أولاً
 تعرّفت يوم الوقف منزل قومها
 فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى
 فبايعتها بالنفس داراً سكنتها
 فخلص الاستحقاق نفسى من الهوى
 فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا

عُبَاب الرّدى بين الغلبا والأسنة
 مُشاهدتى لما سمّت بي همتى
 سوى صورة التّزيه فى كل صورة
 فلم أنتبه حتى امتحى اسمى وكنيتى
 وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة
 ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
 ومن كل أحوالى مقامات رفعة
 مع المحو والإثبات عند تثبتي
 لبسطى وقبضى بسط وجه البسيطة
 وفى مآكوت النفس أكبر عبرة
 مع الشكر إذ لم يحظ فيه مشوبتى
 وأكنى إذا هم صرّحوا بالخبيّة
 كنوع ففصل النوع علّة حصّتى
 إلى أن أجدى حيلتى ترك حيلتى
 مريداً وحرف فى مقام العبودة
 فبت بجمع سدّ خرق التشتت
 وأقضى على قلبى برعى الرعية
 وبالقلب منه منزلاً فيه حلّت
 وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
 ويا قلب لا تجزع ظفرت بوحدة

ومن فصل الإدلال

تبدب لعيني من جمالك لمحة
ومرت بسمي من حديثك ملحمة
ملامي ابن عذري استبين وجددي استعن
فمن شاهدي سُخط ومن قاتلي رضا
مرامى إشارات مراعى تعكر
وفي موقفي والدار أقوت رسوما
معاني إمارات مغاني تذكر
وبت غرام والحبيب بحضرة
ومطلع بدر في قضيب على نقا
وممكن سيحير بابلي له بما
ومنت مسك من شقيق ابن مندر
ورصف اللآلى في اليواقيت كلما
سل السلسيل العنب عن طعم ريقه
ورمان كافور عليه طوابع
ولطف هواء بين خفق وبانة
لقد عز عنك الصبر حتى كأنه
وأنت وإن لم تبق منى صبا
وكل فصيح منك يسرى لمسمى
تهون على النفس فيك وإنها
فإن تنظريني بالرضا تشف علتى

أبادت فؤادي من سناها بلفعة
تبدت لها فيك القرآن وقرت
سماعى أعين حالى ابن قاتلى أصمت
وتلوين أحوالى وتمكين رتبى
مراقى نهايات مراسى تثبت
تقرب أشواقى تبعده حسرتى
مبانى بدايات مشانى تلت
ورد سلام والرقيب بغفلة
فويق محل عاقل دون دجية
حوت أضلعي فعل القنا السهمرية
على سوسن غض بجنة وجنة
تل بصرف الراح فى كل سحرة
ونكته يخبرك عن علم خبرة
من الندم لم تحمل به بنت مزنة
ورقة ماء فى قوارير فضة
سراقة لحظ منك لمتلفت
منى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل مليح منك يبدو لمقلتى
لتكرم أن تغشى سواك بنظرة
وإن تظفرينى باللقا تطف غلتى

وإن تذكريني والحياة بقيدها
وإن تذكريني بعد ما أسكن الثرى
صليبي وإلا جددى الوعد تُدركي
فما أم بؤها لك بتسوية
فلما رآته لا ينزع خلفها
بكت كما راحت عليه وأنها
بأكثر مني لوعة غير أني
فرحت كما أغدو إذا ما ذكرتها
أهون ما ألقاه إلا من القلى
أخوض الصلى أظني العلاء والعلو لا
ألا قاتل الله الحمامة غدوة
وقاتل مغناها وموقف شجورها
فغنت غناءً أعجمياً فهيجت
فأرسلت الأجنان سُجباً وأوقدت
نظرت بصحراء البريقين نظرة
فيالها قابلاً شجياً ونظرة
وواعجباً للقلب كيف اعترافه
وللهين لما سوئت كيف أخبرت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى
إلى مستوى ما فوقه مستوى
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
مؤكدة بالندى أيام عده

عدلت لأنى مُنيتى بمنيتى
تجأت دُجاء عند ذاك وولت
صباية نفس أيقنت بتفقت
أقيم لها خلف الحلاب فدرت
إذا هي لم ترسل عليه وضت
إذا ذكرته آخر الليل حنت
رأيت وقار الصبر أحسن حلية
أطامن أحشائي على ما أجننت
هوى ونوى نيل الرضا منك بغيقي
أصل السلا أوعى الخلى بين عبرتى
لقد أصلت الأحشاء نيران لوعة
على الغصن ماذا هيجت حين غنت
غرامى من ذكرى عهد توات
جواى الذى كانت ضلوعى أكنت
وصلت بها قلبى فصل وصلت
حجازية لوجن طرف لجنت
وكيف بدت أسراوه خلف سيرة
وللنفس لما وُطنت كيف دلت
يسامى بأعلام العلاء كل رتبة
فلما توافيننا ثبت وزات
على نحر قربان لدى قبر شيبه
فلما توائفنا اشتدَّت وحلت

ومن فصل الاحتمال

أزور أعماراً أرضها بتدسك
 وفي نشأتي الأخرى ظهرت بما علمت
 ولولا خفاء الرمز لا ولن ولم
 ولو لم يجدد عهدنا عقد خلة
 بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأيت
 فلم يعد أن شام البشارة شام ما
 فيالك من نور لو أن التفاتة
 تحدث أنفاس الصبا أن طيبها
 وتنبئ أصل الربيع عن الربا
 وتخبر أصوات البلابل أنها
 فهذا جمالي منك في بعد حسرتي
 تبدى وما زال الحجاب ولادنا
 له كل غير في تجلية مظهر
 تجلي دليل واحتجاب تنزه
 ما شئت من شيء وآليت أنه
 وفي كل خلق منه كل عجيبة
 وفي كل خاف منه مكن حكمة
 أراه يقلب القلب والأغز كامنًا
 وفي طي أوافق الحساب وسرما
 وفي نفثات السحر في العقد التي
 وأقصد حجا بيتها بتحالة
 له نشأتي الأولى على كل فطرة
 تجدها لشمل مسلكا بتشتت
 قضيت ولم يقض المنى صدق توبه
 على قدم عيناى منه فكفت
 جفالشام من نور الصفات الكريمة
 تعارض منه بالنفوس النفيسة
 بما حملته من حراقة حرقة
 وأشجاره إن قد تجلت فجلت
 تغنت بترجيبي على كل أيكلة
 فكيف به إن قربتني بخلة
 وغاب ولم يفقده شاهد حسرتي
 ولا غير إلا ما تحت كف غير
 وإثبات عرفان ومحو تثبت
 هو الشيء لم محمد فجار أليتي
 وفي كل خلق منه كل لطيفة
 وفي كل باد منه مظهر جوة
 وفي الزجر والقال الصحيح الأدلة
 يه من الأعداد فابدأ بسنة
 تطوع لها كل الطباع الأبيفة

يصور شكلاً مثل شكل ويعتلى عليه بأوهام النفوس الخبيثة
 وفي كل تصحيف وعضو بذاته اختلاج وفي التثويم مجلى لرؤية
 وفي خضرة الكون تزجى شرابه مواعيد عرقوب على أرض صفرة
 وفي شجر قد خوفت قطع أصلها فبان بها حمل لأقرب مدة
 وفي النخل في تلقيحه واعتبر بما أتى فيه عن خير البرية واسكت
 وفي الطابع السبتي في الأحرف التي يبين منها النظم كل خفية
 وفي صنعة الطلسم والكيمياء والكنوز وتغوير المياه المعينة
 وفي جزر أقسام المؤدب محرز وحزب أصيل الشاذلي وبكرة
 وفي سيمياء الحاتمي ومذهب ابن سبعين إذ يعزى إلى شر بدنة
 وفي المثل الأولى وفي النحل الأولى بها أو هموا لما تساموا بسنة
 وفي كل ما في الكون من عجب وما حوى الكون إلا ناطقاً بعجبية
 فلا سر إلا وهو فيه سريرة ولا جهر إلا وهو فيه كحلية
 سل الذكرك عن إنصاف أصناف ما ابتد عليه الكلام من حروف سليمة
 وعن وضعها في بعضها وبلوغها أتت فيه أمضى مدتها وتثبت
 فلا بد من رمز الكون الذي الحجا ولا ظلم إلا ظلم صاحب حكمة
 ولولا سلام ساق للأمن خيفتي لعاجل مس البرد خوفي لميتني
 ولو لم تداوركني ولكن بعداها درجت رجائي أن نعذني خيبي
 ولو لم تؤانسني عنا قبل لم وقضى العتب مني بغية بعد وحشتي
 ونعم أقامت أمر ملكي بشكرها كما هونت بالصبر كل بليّة

ومن فصل الاعتقال

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي وسارت ولم تُثن العنان بعطفة

مُيَا ابْنَةَ الحَيِّينِ فِي حَيْرِ لَيْلِهِ
 لَمَّا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حَيًّا كَيْتَ
 لِكُلِّ نَجَاشِي بِهَا حِصْنِ ذِمَّةِ
 سَوَى وَقْفَةِ التَّوَدِيعِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ
 مَهَاوِي الهَوَى وَالهُونِ جِدُّ تَقَلُّتِي
 قِضَاءِ قِضَاةِ الحُسْنِ قَدَمَا فَصَدَّتِ
 وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لغيرِ تَعَلُّةِ
 وَبَاطِلِ أوصَافِي وَحَقِّ حَقِيقَتِي
 وَنوعِي وَشَخْصِي وَالهَوَاءِ وَصُورَتِي
 وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّتِي القُدْسِيَّةِ
 وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِلوَعْتِي
 وَأَمْرِي أَمْرِي وَالوَرْدِي تَحْتِ قَبْضَتِي
 وَلَا وَقْتِ لِي إِلَّا مَشَاهِدِ غَيْبَةِ
 مَنَاطِ الثُّرَيَّا مِنْ مَدَارِكِ رُؤْيَتِي
 يُبَلِّغُنِّي سَمْعِي مَا تُوسَّوسُ مُهْجَتِي
 كَأَنَّكَ نُورٌ فِي سِرَارِ سَرِيرَتِي
 كَأَنَّكَ فِي أَفْقِي كَوَاكِبُ زِينَةِ
 وَأَنْتِ الَّذِي أَبْدِيهِ فِي حِينِ شَهْرَتِي
 وَمُرٌّ أَمْتِثِلُ وَأَمْتِثِلُ أَمِلُ وَارْمُ أَثْبِتُ
 لَعْتَبِي فِيهِ الدَّهْرُ مَوْقِعَ نُسْكِنَةِ
 فَلَا تَنْتَمِي إِلَّا إِلَيْكَ بِمَنْةِ
 أَرَى دُونَهُ مَا لَا يَنْالُ بِحِيلَةٍ

وَذَلِكَ لَمَّا أَطْلَعَ الشَّمْسُ فِي الدُّجَى
 يَمَانِيَّةً لَوْ أَنْجَدْتَ حِينَ أَنْجَدْتَ
 لِأَصْحَمَةَ فِي نَصْحِهَا قَدِيمِ نَبِي
 أَلِمْتَ فحَطَّتْ رَحْلَهَا نَمَّ لَمْ يَكُنْ
 فَلَوْ تَمَحَّحْتَ لِي بِالتَّفَاتِ وَحُلِّ مِنْ
 وَلَكِنِهَا هَمَّتْ بِنَا فَتَذَكَّرْتَ
 أَجَلَّتْ خِيَالًا إِنِّي لَا أَجِلُّهُ
 عَلَيَّ أَنِّي كُلِّي وَبَعْضِي حَقِيقَةُ
 وَجِنْسِي وَفَصْلِي وَالْعَوَارِضُ كُلِّهَا
 وَجِسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ
 وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مَيْلٌ لِمَسْمُومِي
 وَدَهْرِي بِهِ عَيْدٌ لِيَوْمِ عَرُوبِي
 وَوَقْتِي شَهُودٌ فِي فِنَاءِ شَهِيدَتُهُ
 أَرَاهُ مَعِي حِسًّا وَوَهْمًا وَأَنَّهُ
 وَأَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ نَطْقٍ كَأَنَّهُ
 مَلَأْتُ بِأَنْوَارِ المَحَبَّةِ بَاطِنِي
 وَجَلَّلْتِ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءَ ظَاهِرِي
 فَأَنْتِ الَّذِي أَخْفِيهِ عِنْدَ تَسْتُرِي
 فَتِهِ أَحْتَمِلُ وَأَقْطَعُ أَصْلَ وَأَعْلَى اسْتَفْلِ
 قَلْبِي إِنْ بَعَاثَتْهُ فَيْكَ لَمْ أَجِدْ
 وَنَفْسِي تَنْبِؤُ عَنْ سِوَاكَ نَفَاسَةً
 تَعَلَّقْتُ الْأَمَالَ مِنْكَ بِفَوْقِ مَا

وَحَادَتْ حَوَالِيهَا وَمَا وَافَقَتْ حِمِّي
 فَلَوْ قَاتَنِي مِنْكَ الرَّضَى وَلِحَقَّتَنِي
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَهْلِ الْيَمِينِ مُنْعَمًا
 وَكَمْ مِنْ مَقَامٍ قَمْتُ عَنْكَ مَسَائِلًا
 أَتَيْتُ بِفَارَابٍ أَبَا نَضْرَهَا فَلَمْ
 وَلَمْ يَدِرْ مَا قَوْلِي ابْنَ سَيْنَاءَ مَسَائِلًا
 فَهَلْ فِي ابْنِ رُشْدٍ بَعْدَ هَذَيْنِ مُرْتَجِي
 لَقَدْ ضَاعَ لَوْلَا أَنْ تَدَارَ كُنِّي حِمِّي
 فَتَقَيَّضَ لِي نَهْجًا إِلَى الْحَقِّ سَالِكًا
 فَخَصَّنْتُ أَنْظَارَ الْجُنْدِ جُنَيْدَهَا
 وَكَسَّرْتُ عَنْ رَجُلٍ ابْنَ أَدَمٍ أَذْمًا
 وَوَعَدْتُ عَلَى حَلَاكِ سُكْرِي بِصَلْبِهِ
 فَقَوْلِي مُشْكُورٌ وَرَأْيِي نَاجِحٌ
 رَضَيْتُ بَعِيرَ فَنَانِي فَوَعَدْتِ لِلْعَلَا
 فَعَشْتُ وَلَا ضَيْرًا أَخَافُ وَلَا قَلِي
 فِيهَا أَنَا إِذَا أُمِسِي وَأَصْبَحَ بَيْنَهُمْ

سَحَائِبُ يَسِ أَمْطَرَتْ مَاءً عَبْرَتِي
 بِعَفْوِ بَكَيْتُ الدَّهْرَ قَوْتُ فَضِيلَةَ
 بَكَيْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَبْقِيَّةِ
 أَرَى كُلَّ حَيٍّ كُلِّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ
 أَجِدُ عِنْدَهُ عِلْمًا يُبْرِدُ غُلَّتِي
 فَقُلْتُ كَيْفَ أَرْجُو عِنْدَهُ بُرًّا عِلَّتِي
 وَفِي ابْنِ طُفَيْلٍ لِاحْتِنَاثِ مَطِيَّتِي
 مِنْ اللَّهِ سَعَى بَيْنَهُمْ طَوْلُ مُدَّتِي
 وَأَيْقَظُنِي مِنْ أَنْوَمٍ جَهْلِي وَغَفَلَتِي
 بَتْرِكُ قُلِّي مِنْ رَغْبَةٍ رِيحٍ وَهَبَةٍ
 وَأَنْقَذْتُهُ مِنْ أَسْرِ حُبِّ الْأَسْرَةِ
 وَأَلْقَيْتُ بِأَمَامِ التَّفَانِي بِهَوَّةِ
 وَفِعْلِي مُحَمَّدٌ بِكُلِّ مَحَلَّةِ
 وَأَجْلَسْتَنِي بَعْدَ الرُّضَا فِيهِ جُلَّتِي
 وَصَرْتُ حَبِيبًا فِي دِيَارِ أَحِبَّتِي
 مُبَلِّغٌ نَفْسِي مِنْهُمْ مَا تَمَنَّتْ (١)

وَأَنْشَدَنِي قَوْلَهُ فِي حَالِ قَبْضٍ وَقَيْدِهَا عَنْهُ :

إِلَيْكَ بِسَمْتِ الْكَيْفِ أَسْتَنْزِلُ الْفَضْلَا
 وَمِنْكَ قَبِضْتُ الطَّرْفَ أَسْتَشْعِرُ الذَّلَالَ
 وَهَا أَنَا إِذَا قَدْ قَدِمْتُ يُقَدِّمُنِي الرَّجَا
 وَيُحْجِمُنِي (٢) الْخَوْفُ الَّذِي خَامَرَ الْعَقْلَا

(١) وَإِنْ شَاءَ النَّهْيُ مَا بَعْدَهُ مِنْ نَفْعٍ غَلِيْبٍ مِنْ شَعْرِ حَدِّ مَقْرِي لَمِي وَرَدَّ فِي «إِبْرَاهِيْمَ»

وَأَعْفَلُهُ تَحْلُوطًا

(٢) هَكَذَا وَرَدَّ عِنْدَ تَكْسِيهِ فِي «ح» وَفِي «سَبْعُونَ» (حَجَبِي) وَفِي نَفْعِ عَدَدٍ (وَحَجَرِي)

أقدم رجلا إن يفي^(١) برق مطمع^(٢) وتظلم أرجائي فلا أنقل الرجل
ولي عثرات لست آمل أن هوت بنفسي إلا أستقل وأن أصلي^(٣)
[فإن تذكني رحمة أتمش بها وإن تكن الأخرى فأولي بي الأولى^(٤)]

قال ، ومما نظمته من الشعر :

وجد^(٥) تسعره الضلو ع وما تبرده المدامع
م تحركة الصبى به والمهابة لا تطاوع^(٦)
أملى إذا وصا الرجا أسبابه فلموت^(٧) قاطع
بالله يا هذا الهوى ما أنت بالعشاق صانع

قال ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء :

نحن إن تسأل بناس معشر أهل ماء فخرته المم
عرب من بيضهم أرزاقهم ومن السمر الطوال الخيم
عرضت أحسابهم أرواحهم دون نيل العرض وهي الكرم
أورثونا المجد حتى أننا نرضى الموت ولا نزدحم
ما لنا في الناس من ذنب سوى أننا نلوى إذا ما اقتحموا^(٨)

قال ، ومما قلته مديلا به قول القاضى أبى بكر بن العربى :

- (١) وردت في المخطوطين (يقضى) والتصويب من النسخ .
- (٢) وردت في المخطوطين (مظهر) والتصويب من النسخ .
- (٣) وردت في المخطوطين (أصلا) والتصويب من النسخ .
- (٤) هذا البيت وارد في النسخ وسقط في المخطوطين .
- (٥) وردت في «ج» (و حوت) . وفي «الذئب» (و حرة) . والتصويب من النسخ .
- (٦) وردت في «ج» (تظلم) وفي «الذئب» (تظلمع) . والتصويب من النسخ .
- (٧) وردت في «ج» (خوف) . والتصويب من النسخ .
- (٨) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلا عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

أما والمسجدُ الأقصى وما يتلى به نصًّا
لقد رقصت بنات الشوق بين جوانحي رقصا

قولي :

فأقلع بي إليه هوى جناحا عزمه قصًّا
أقلُّ القلبَ واستمدى على الجنان فاستمعى
فهمت أجول بينهما فلا أدنى ولا أقصى^(١)

قال ، ومما قلته في التورية بشأن راوى المدونة :

لا تعجبني لظي^(٢) قد دها أسداً فقد دها أسداً من قبل سحنون

قال ، ومما قلته من الشعر :

أُنبِتُ عوداً بنمَاءٍ بدأتُ بها فضلاً وألبستها بعد اللحي الورقا
فظلُّ مُستشعراً مُستدثراً أرجا ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تُسِنَّه بمكروه الجني فليكم عودته من جميل من لدن خلقا
وأثف القذى عنه وأثر الدهر منبته وغدّه برجاء وامته غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ما جاء منها على ضوء وما طرقتا^(٣)

ومما قيدتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بقرناطة ، وقد أجرى ذكر أبي زيد ابن الإمام ، أنه شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو ، ذكر فيه أبو زيد المذكور ، أن ابن القاسم مقيد بالنظر بأصول مالك ، ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي ، وادّعى أنه مُطلق الاجتهاد ، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو يبلغه عنه

(١) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلًا عن «الإحاطة» . وهي ساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي النسخ . وفي «الزيتونة» (اصبى) .

(٣) هذه الأبيات وردت في النسخ نقلًا عن الإحاطة . وهي ساقطة في المخطوطين .

لما ليس من قوله ، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة . قال فلو تقيّد بمذهبه ، لم يخالفه لغيره . فاستظهر أبو زيد بنصّ لشرف الدين بن التلساني . ومثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم ، بالنظر إلى مذهب مالك ، والمزني إلى الشافعي . فقال أبو موسى عمران ، هذا مثال ، والمثال لا يلزم صحته ، فصاح به أبو زيد [ابن الإمام]^(١) وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر تكلم [فقال]^(٢) لا أعرف ما قال هذا الفقيه ، والذي أذكره من كلام أهل العلم [أنه]^(٣) لا يلزم من فساد المثال فساد الممثل به ، فقال أبو موسى للسلطان ، هذا كلام أصولي مُحقق ، فقلت لهما يومئذ ، وأنا حديث السن ، ما أنصفهما الرجل ، فإن المثل كما يؤخذ على وجه التحقيق ، كذلك يؤخذ على وجه التقريب ، ومن ثمّ جاء ما قال هذا الشيخ ، أعني ابن أبي عمران . وكيف لا وهذا سيويه يقول ، وهذا مثال ولا يُتَكلم به ، فإذا صح أن المثال قد يكون تقريباً ، فلا يلزم صحة المثال ، ولا فساد الممثل [لفساده]^(٤) فهذان القولان من أصل واحد .

وقال ، شهدتُ مجلساً آخر عند هذا السلطان ، قرئ فيه على أبي زيد [ابن الإمام]^(٥) حديث : لَقُنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، من صحيح مسلم . فقال له الأستاذ أبو إسحاق [بن حكم السلوي]^(٦) هذا الملقن مُحْتَضِر حَقِيقَة ، مَبْتَجَزاً فَمَا وَجِهَ [ترك]^(٧) مُحْتَضِرِيكُمْ إِلَى مَوْتَاكُمْ ، وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَة ، فَأَجَابَهُ أَبُو زَيْدَ بِجَوَابٍ لَمْ يَقْنَعَهُ . وَكُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ عَلَى الْأَسْتَاذِ بَعْضَ التَّنْقِيحِ ، فَقُلْتُ

(١) واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٤) زيادة من نسخة

(٥) هذا في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٦) هذا في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

(٧) زيادة من النسخ .

زعم القرافي أن المُشْتَقَّ [إنما] (١) يكون حقيقة في الحال . مجازاً في الاستقبال .
 مختلفاً فيه في الماضي . إذا كان محكوماً به . وأما إذا كان متعلقاً بالحكم
 كما هنا . فهو حقيقةٌ مُطلقاً إجماعاً . وعلى هذا التقرير ، لا مجاز ولا سؤال .
 ولا يقال إنه احتج على ذلك بما فيه نظر . لأننا نقول إنه نقل الإجماع .
 وهو أحد الأربعة ، التي لا يُطالب عنها (٢) بالدليل . كما ذكر أيضاً . بل نقول
 إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق ، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج
 على وجوب الطهارة ونحوها . بل هذا أشنع لكونه مما علم كونه من الدين
 ضرورة . ثم إننا لو سلمنا في الإجماع . فلما أن نقول إن ذلك [إشارة إلى] (٣)
 ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ، لأن تلقينه قبل ذلك ، إن لم يدهش ، فقد
 يُوحش ، فهو تنبيه على وقت التلقين ، أي لقمنا [من] (٤) تحكون بأنه ميت .
 أو يقال إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام (٥) . ألا ترى اختلافهم فيه ،
 هل هو أخذ من حضور الملايكة [أو حضور الأجل ، أو حضور الجلاس] (٦) .
 ولا شك أن هذه حالة خفية (٧) يُحتاج [في نصها إلى دلائل الحكمة] (٨) أو (٩)
 إلى وصفٍ ظاهر يضبطها . وهو ما ذكرناه ، أو من حضور الموت ، وهو

(١) وردت في المخطوطين (لا) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (مدعيها) .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) ساقطة في «ج» . وواردة في الزيتونة .

(٥) هكذا في «ج» والنسخ . وفي «الزيتونة» (الأنهام) .

(٦) ما بين الحاصرتين ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .

(٧) وردت في «ج» (خفية) . وفي «الزيتونة» (حقيقة) والتصويب من النسخ .

(٨) هكذا وردت عند العلامة في المخطوطين . ووردت مقبلها في النسخ ما دلت (و) نصها

دليلاً على الحكمة .

(٩) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

[أيضاً]^(١) مما لا يُعرَّف بنفسه . بل بالعلامات . فلما وجب اعتبارها^(٢) . وجب كون تلك التسمية إشارة إليها . والله أعلم .

وقال ، وكان أبو زيد يقول^(٣) . فيما جاء من الأحاديث . ما معنى قول . ابن أبي زيد . وإذا سلم الإمام^(٤) ، فلا يلبث بعد سلامه ولينصرف . وذلك بعد أن ينتظر من يُسلم من خلفه لثلاثين بين يدي أحد . وقد ارتفع عنه حكمه ، فيكون كالداخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة .

وقلت ، وهذا من مُلحِ الققيه^(٥) . وقال كان أبو زيد يعني الإمام ، يُصحِّف قول الخونجى فى الجمل والمقارنات التى يمكن اجتماعه معها ، فيقول ، والمفارقات^(٦) ، ولعله فى هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمى لما قرأ عليه :

وغررتنى^(٧) وزعمت أنك لابن فى الصيف تأمر

فقال :

وغررتنى وزعمت أنك لا تنى بالضيف تأمر

فقال ، أنت فى تصحيفك أشهر من الخطيئة ، أو كما يُحكى عن الشافعى أنه لما صلى فى رمضان بالخليفة ، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن ، فكان ينظر فى المصحف ، وقرأ الآية « صنعة الله أصيب بها من أساء . إنما المشركون نحس .

(١) ساقطة فى المخطوطين وواردة فى النسخ .

(٢) وردت فى المخطوطين (اعتبارها) . والتصويب من النسخ .

(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٤) واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) وردت فى «ج» (نقته) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت فى المخطوطين (المقريات) والتصويب من النسخ .

(٧) وردت فى المخطوطين (وعورتى . وعورتى) والتصويب من النسخ .

وعدها إياه ؛ تقيه لكم خير لكم . هذا أن دعوا للرحمان ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

وقال ، ذكر أبو زيد بن الإمام في مجلسه يوماً ، أنه سُئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين : «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمهم» ، ولو أسمهم لتوكلوا وهم معرضون» ، فإنهما يستلزمان بحكم الإنتاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون» [وهو] ^(١) محال . ثم أورد أن يرى ما عند الحاضرين ، فقال ابن حكم ^(٢) ؛ قال الخونجى ، والإهمال بإطلاق لفظه . لو وأن في المتصلة ، فهاتان القضيتان على هذا مُهملتان ، والمهملّة في قوة الجزئية ^(٣) ، ولا قياس على جزئيتين . فلما اجتمعت ببجاية بأبي على حسين بن حسين ، أخبرته بهذا ، وبما أجاب به الزمخشري وغيره ، مما يرجع إلى انتفاء أمر تكرار ^(٤) الوسط . [فقال لي الجوابان في المعنى سواء ، لأن التقياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار الوسط] ^(٥) . وأخبرت بذلك [شيخنا] ^(٦) أبا عبد الله الآبلى ، فقال إنما يقوم القياس على الوسط ، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن [لا] ^(٧) يكون من جزئيتين ولا سالتين ، إلى سائر ما يشترط . فقلت ما المانع [من كون هذه الشروط تفصيلاً لمجمل ما ينبنى عليه الوسط وغيره] ، وإلا فلا مانع ^(٨) لما قاله ابن حسين . قال الآبلى ؛ وأجبتُ بجواب السّوى ، ثم رجعت إلى ما قاله الناس ،

- (١) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين وواردة في النسخ .
- (٢) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الزيتونة (ابن الحكم) .
- (٣) وردت في «ج» (الخيرية) وفي «الزيتونة» (الخيرية) . والتصويب من النسخ .
- (٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تكرير) . والأولى أن .
- (٥) ما بين الحصرتين ووردت في «ج» والنسخ . وساقط في النسخ .
- (٦) هذه الدلية ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» والنسخ .
- (٧) هذه الدلية ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .
- (٨) ما بين الحصرتين ووردت في «ج» والنسخ . وساقط في «الزيتونة» .

نوجوب كون مُهملات القرآن كَلِيَّة ، لأن الشرطية لا تنتج جزئية . فقلت هذا فيما يُساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » . أما في مثل هذا فلا قلت . وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولى سبب تأخر ، حسبها تبين في مسألة ، لو لم يطع الله ، فليُنظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله .

وقال ، لما ورد تلسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن فرحون ، نُزيل طيبة ، على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلينا بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قرأً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

[ففكرت ثم قال]^(١) لعل هذا الرجل كان ينظر إليها ، وهي تنظر إلى قمر السماء ، فهي تنظر إلى القمر حقيقة ، وهو لفرط الاستحسان يرى أنها الحقيقة . فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة . وأيضاً وهو ينظر إلى قمر مجازاً ، وهو لإفراطه استحسانها^(٢) يرى أن قمر السماء هو المجاز ، فقد رأيت بعينه لأنها ناظرة المجاز . قلت ، ومن هذا يعلم وجه الفاء في قوله تعالى « فاذكروني أذكركم ، والفاء فأذكرتني [بمثابة قولك أذكركتني]^(٣) ، فتأمله ، فإن بعض من لا يفهم كلام الأستاذ كل الفهم ، ينشده « وأذكرتني » . فالفاء في البيت الأول ، مُنبهة على الثاني ، وهذا النحو يسمى « الإيذان في علم البيان »

وقال ، سألتني ابن حكم عن نسب هذا المجيب في هذا البيت :
ومهتفُ الأعطافُ قلتُ له انتسب فأجاب ما قتلُ الحب حرام .

(١) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في المخطوطين (فقال) .

(٢) هكذا وردت هذه الكلمة في «ج» . وفي «الزيتونة» (استحسانه إيها) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في المخطوطين . ووارد في النسخ .

ففكرت ثم قلت له ، أراه تميمياً لإلفائه « ما » النافية . فاستحسنه مني
 [لصفر سني يؤمنه]^(١) . وسأل [ابن فرحون]^(٢) ابن حكم يوماً ، هل تجدد
 في التنزيل ست فاءات مرتبة ترتيبها في هذا البيت :

رأى^(٣) فحب فرام الوصل فامتنعت فسام صبراً فأعيا نيله فقضى
 ففكر ابن حكم ، ثم قال نعم قوله عز وجل « فتألف عليها طائف من ربك
 وهم نائمون ، فاصبغت كالضريم ، فتنادوا إلى آخرها » ، فمنعت له البناء في
 [فتنادوا] . فقال لابن فرحون ، فهل عندك غيره ، فقال نعم ، قوله عز وجل
 « فقال لهم رسول الله ، ناقة الله وسقياها إلى آخرها » ، فمنع لهم بناء الآخرة
 لقراءة الواو . فقلت له امنع [ولا تُسند]^(٤) ، فيقال إن المعاني قد تختلف
 باختلاف الحروف ، وإن كان السند لا يسمع [الكلام]^(٥) عليه . وأكثر
 ما وجدت الفاء تنهت في كلامهم إلى هذا العدد ، سواء بهذا الشرط وبدونه ،
 كقول نوح عليه السلام « فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم » . وكقول
 امرئ القيس « غشيت ديار الحى بالبكرات ، البيتين » لا يقال قوله ، فالحب
 سابع ، لأننا نقول إنه عطف على عاقل المجرد منها ، ولعل حكمة الستة أنها أول
 الأعداد التامة . كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها . وشأن اللسان
 عجيب .

(١) هذه الإضافة من النفع .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . والإضافة من النفع .

(٣) وردت في « ج » (واني) . والتصويب من النفع .

(٤) هذه العبارة واردة في « ج » وساقطة في « الزيتونة » .

(٥) الزيادة من النفع .

وقال ، سمعت ابن حكيم يقول ، كتب^(١) | بعض |^(٢) أدباء | فاس |^(٣) إلى صاحب له :

إبعت إلى بشيء مدارُ فاس عليه
وليس عندك شيء مما أشيرُ إليه

فبعت | إليه |^(٤) بيطة من مَرى شرب | يشير بذلك إلى |^(٥) الرِّبَاء
وحدث أن قاضيها^(٦) أبا محمد عبد الله | بن أحمد بن المأجوم دعى |^(٧)
إلى وليمة . وكان كثير البلغم ، فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الأشقر
غُضاراً من اللوز المطبوخ بالمَرى ، لمناسبته لمزاجه ، فخاف أن يكون قد عرَّض له
بالريء . وكان ابن الأشقر يُذكر بالوقوع في الناس ، فقدم له القاضي غُضاراً المقرَّوض ،
فاستحسن الحاضرون فطنته .

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاهدي | دخات
عليه بالفقير أبي عبد الله السطفي في أيام عيد . فقدم لنا طعاماً ، فقات لو أكلت
معنا ، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث . « من أكل مع مغفور له ، غُفِر له »
فتبسّم ، وقال لي ، دخات علي سيدي أبي عبد الله الفاسي بالأسكندرية . فقدم لنا
طعاماً ، فسألته عن هذا الحديث . فقال وقع في نفسي شيء ، فرأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في المنام . فسألته عنه . فقال لم أقله ، وأرجو أن يكون كذلك ،

(١) هكذا وردت في المخطوطين . و في النسخ (بعث) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) الزيادة من النسخ .

(٦) و . د . في المخطوطين (وصية والتصويب من النسخ) .

(٧) ما بين الحاصرتين و . د . في النسخ . وساقط في المخطوطين

وصاحفته بمصاحفته الشيخ أبو عبد الله زيان . بمصاحفته أبو سعيد عثمان بن عطية الصعدي ، بمصاحفته أبو العباس أحمد الملقم ، بمصاحفته المأمّر . بمصاحفته رسول الله صلى الله عليه وسلم [(۱)] .

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي ، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد ، فكان يخصه لدينه وعقله . بالنداء باسمه ، وإنما كان ينمق بماليكه [يباسقي] (۲) ، يا طبّاخ ، يا مزيّن . فناداه ذات يوم ، يافراش . فظن أن ذلك لموجدة عليه . فلم ير أثر ذلك ، وتصوّرت له به خلوة . فسأله عن مخالفته لعادته ، فقال له لا عليك . كنت يومئذ جنباً . فكهرت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تلك الحالة . وقال أنشدني المجاصي ، قال أنشدني [الإمام] (۳) نجم الدين الواسطي ، قال أنشدني شرف الدين الدمياطي . قال أنشدني تاج الدين الأمدى ، مؤلف الحاصل ، قال أنشدني الإمام فخر الدين لنفسه :

نهاية إقدام المقول عقال وأكثرُ سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصلُ دنيانا أذى ودبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيلُ وقال
وكم من رجال قد رأينا ودولة فبادوا جميعاً مُسرعين وزالوا
وكم من جبال قد عدلت شرفاتها (۴) وجالُ فماتوا والجبال جبال

وقال ، وقدمر من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف [بن يحيى] (۴)
الحسنى في عداد شيوخه [وقال] (۵) حدثني أبو العباس الرندي . عن القاضي أبي العباس

(۱) هذه الفقرة المحصورة بين الخصرتين كاه . سافطة في المحصورين . وواردة في نفع الطيب .

(۲) الزيادة من النفع . (۳) الزيادة من «ريتونة» .

(۴) هكذا وردت في «الزيتونة» ونفع . وفي «ح» (سروها)

(۵) الزيادة من النفع . (۵) أضفنا هذه الكلمة لاستقامة السياق

ابن الغمّاز . إقال لما قدم القاضي أبو العباس بن الغمّاز من بلنسية . نزل بجاية ،
فجاس بها في اليهود مع عبد الحق بن ربيع . فجاء عبد الحق يوماً ، وعليه بُرّنس
أبيض ، وقد حُذت شارته ، وكُت هيئته ، فلما نظر إليه ابن الغمّاز أنشده :

لبس البرّنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها

لو زليخا رأته حين تبدّى لتنته أن يكون فتأها

وقال أيضاً إن ابن الغمّاز [(١)] جاس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة (٢) ، فنزل

الشهود من المثذنة وأخبروا أنهم لم يهأوه . وجاء حفيد له صغير ، فأخبره أنه أهله ،
فردهم معه ، فأراهم إياه ، فقال ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد وقع لنا مثل هذا مع
أبي الربيع بن سالم (٣) ، فأنشدنا فيه :

تواری هلال الأفق عن أعين الواری وأرخی حجاب الغیم دون محیاه

فلما تصدّى لارتقاب شقيقه تبدّى له دون الأنام فحیاه

وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار ، الشيخ التعالبي (٤) من أهل تلمسان ،

فقال ذكرت يوماً قول ابن الحاجب فيما يُجرّم من النساء بالقرابة ، وهي | أصول

(١) ما بين الحاصرتين كله ساقط في المخطوطين ووارد في النسخ.

(٢) جامع الزيتونة ، هو جامع تونس الأعظم ، ومن أقدم الجوامع في العالم الإسلامي . أنشأه
حسان بن النعمان في أواخر القرن الأول من الهجرة ، وأعيد بناؤه مراراً . وما زالت توجد به أجزاء
من بناء القرنين الثالث والرابع .

(٣) هو الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي من أهل
بلنسية . ولد سنة ٥٦٥ هـ . وكان عمدة المحدثين والرواة في عصره . وله مؤلفات كثيرة منها كتاب
«الإكتفاء في مغازي رسول الله ومغازي الثلاثة الخلفاء» ، وكتاب في تاريخ الصحابة والتابعين . وقد
توفي مجاهداً شهيداً في موقعة أنيشة التي نشبت بين المسلمين والنصارى على مقربة من بلنسية في
شهر ذي الحجة سنة ٦٣٤ هـ . وسوف يترجم له ابن الخطيب في الإحاطة فيما بعد .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» ، وفي «ج» (التعالبي) .

وفصول [١]. أول أصوله، وأول فصل من كل [أصل] [٢] وإن علا، فقال إن
 تُركب لفظ التسمية العرفية [٣] من العرفين حلت وإلا حرمت. فتأملته. فوجدته
 كما قال. لأن أقسام هذا الضابط أربعة. التركيب من العرفين. كابن العم
 [وابنة العم] [٤] مقابله كالأب والبنت. والتركيب من قبيل الرجل. كابنة الأخ
 والعم مقابله كابن الأخت والخاله.

وذكر الشيخ الرئيس أبو محمد [عبد المهيم بن محمد] الخضرى. وقال.
 كان يُنكر إضافة الحول إلى الله [عز وجل] [٥]. فلا يجوز أن يقال «بحول الله
 وقوته». قال. لأنه لم يُرد إطلاقه. والمعنى يقتضى امتناعه لأن الحول كالحياة.
 أو قريب منها.

وحكى عن شيخه أبى زيد عبد الرحمن الصنهاجى. عن القاضى أبى زيد [عبد الرحمن
 بن على] [٦] الدُّكالى، أنه اختصم عنده رجلان فى شاة. ادعى أحدهما أنه أودعها
 الآخر. وادعى الآخر أنها ضاعت منه [فأوجب البين على المودع أنها ضاعت] [٧]
 من غير تضييع. فقال كيف أُضيع. وقد غفلتني. حراستها عن الصلاة. حتى خرج
 وقتها، فحكم عليه بالغرم. فقيل له فى ذلك. فقال تأولت قول عمر [ومن
 ضيعها] [٨] فهو لما سواها أضيع.

وحكى عن الشيخ الفقيه رُحلة الوقت أبى عبد الله الأبلجى. حكاية فى باب الضرب،

(١) وردت فى المخطوطين (أصوله وفصوله) و مصوب من نسخ

(٢) وردت فى المخطوطين (فصل) و مصوب من نسخ

(٣) هكذا وردت فى «ج» والنسخ وى «الزيتونة» (العربية) وهو حريف

(٤) الزيادة من النسخ

(٥) الزيادة من النسخ.

(٦) الزيادة من النسخ.

(٧) ما بين الحصريين سقط فى المخطوطين وورد فى نسخ

(٨) سقط فى المخطوطين وواردة فى النسخ.

وقوة الإدراك ، قال . كنت [يوماً]^(١) مع القاسم بن محمد الصنهاجي . فوردت عليه . طومارة من قبل القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها :

خيرات ما تحويه مبدولة ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لي ما مطلقه ، فقلت « نارنج » . ودخل عليه وأنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب أبو عبدالله الدبّاع الملقب ، فأخبرنا أن أديباً استجدي وزيراً بهذا الشطر : « نَمَّ حَيْبٌ قَلَمًا يَنْصِفُ » فأخذته وكتبته . ثم قلبته وصحفته فإذا به قَصَبْنَا مِلْفٌ شَحْمِي .

وقال ، قال شيخنا الأبي ، لما نزلت تازة^(٢) مع أبي الحسن بن برّي ، وأبي عبدالله الترجالي^(٣) ، فاحتجت إلى النوم . وكرهت قدامهما إلى الكلام ، فاستكشفتُ منهما عن [معنى]^(٤) هذا البيت للمعري :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجلا يفكران فيه . فتمتُ حتى أصبحا ولم يجدها . وسألوني عنه ، فقلت معناه « أقول لعبد الله لما . وهي سقاؤنا ، ونحن بوادي عبد شمس ، شم لنا برقا » .

قلت . [وفيه نظر]^(٥) . وإن استقصينا مثل هذا . خرجنا عن الغرض .

(١) هذه الكلمة وارِدَةٌ في المخطوط بعد عبارة (فوردت عليه) . وهذا مكانها وفقاً للنسخ ، وهو أنسب .

(٢) وردت في المخطوطين (تازا - تاز) . والأصح أنها تازة أو تازي ، وهي من مدن المغرب الأوسط .

(٣) نسبة إلى «ترجاله» وبالإسبانية Trujillo . وهي مدينة أندلسية تقع على مقربة من جنوبي نهر التاجه ، وشمال شرقي بطايوس .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في النسخ كالاتي (وفي جواز مثل هذا نظر) .

مولده

نقلت من خطه ، كان مولدى بتلهسان : أيام أبى حمو موسى بن عثمان بن
يَعْمِر امين بن زيان . وقد وقتُ على تاريخ ذلك ، ورأيت الصُّفح عنه ، لأن
أبا الحسن بن موسى ، سأل أبا الطاهر السُّلَمي عن سنِّه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
فإني سألتُ أبا الفتح بن زيان بن مَسْعَدَةَ عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني
سألت محمد بن علي بن محمد اللِّبَّان عن سنه فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت
[حمزة بن يوسف السَّهمي عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا بكر
محمد بن علي التُّغزى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك]^(۱) ، فإني سألت بعض
أصحاب الشافعي عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت أبا إسماعيل
التُّرميذى عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ، فإني سألت الشافعي عن سنه ، فقال
أقبل على شأنك ، فإني سألت مالك^(۲) بن أنس عن سنه ، فقال ، أقبل على شأنك ،
ليس من اللروعة إخبار الرجل عن سنه .

وفاته

توفى بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة^(۳) وأراه
توفى في ذى حجة من العام قبله . ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرمها الله .

محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبْتَة ، حفيد القاضى الإمام أبى الفضل [عياض]^(۴) ، يكنى أبا عبد الله .

(۱) هذا كله ساقط في الزيتونة .

(۲) وردت في «ج» (السايب) وهو تحريف ، وحكمة التصويب واضحة .

(۳) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الزيتونة (عام تسعة وسبعمائة) وهو تحريف .

(۴) ساقطة في «ج» . وواردة في «الزيتونة» .

حالہ

قال الأستاذ أبو جعفر بن ازبیر . كان من عدُول القضاة . وجلة سراتهم .
وأهل النزاهة فيهم . شديد التحري في الأحكام ، والاحتياط . صابراً على الضعيف
فيهم والمملوف ، شديد الوطأة على أهل الجاه وذوى السطوة فاضلاً . وقوراً . حسن
السمت ^(١) . يُعرفه كلامه أبداً . ويزينه ذلك لكثرة وقاره . محباً في العلم وأهله ،
مقرباً بالأصغر الطلبة ، ومكراً ما لهم ، ومُعنياً بهم ، مُعِلاً جَهده في الدَفْع عنهم ، لما عسى
أن يسوءهم . ليحبب إليهم العلم [وأهله] ^(٢) . ما رأينا بعده [في هذا مثله] ^(٣) . سكن
مالقة مع أبيه ، عند انتقال أبيه إليها ، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستماية .
حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب . [وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه
عن شيوخه] ^(٤) . قال دخلت على القاضي المذكور . فسأل أحدنا عن أبيه .
فقال ابن فلان ، وذكر معرفةً مشتركة بين تجار فاس . فقال أيهما الذي ينحت
في الخشب ، والذي يعمل في السلاح ، فما فطن لقصده لسداجته وحدثني عن ذكر
جزالته . أنها كانت تقع له مع السلطان مُستَقْضيه . مع كونه مرهوباً ، شديد السطوة ،
وقايع تُنبي عن تصميمه ، وبُءده عن الهوادة . منها أن السلطان أمر بإطلاق
محبوس . كان قد سجنه . فأنفذ بين يدي السلطان الأمر للَسْجان [بجسه] ^(٥) ،
وتوعده إن أطلقه . ومنها إذاعة ثبوت العيد ، في أخريات يوم ، كان قد أمل
السلطان البرُوز إلى العيد في صباحه ، فنزل عن القلعة ينادي ، عبد الله ياميمون ،
إخبر الناس عن عيدهم اليوم ، وأمثال ذلك .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (السمّة) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) زيادة من «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة وردت في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٤) بين الخاصرتين وادى «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) الزيادة من «الزيتونة» .

مشيخته

قرأ بسبته، وأسند بها. فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره، ورحل إلى الجزيرة الخضراء. فأخذ بها كتاب سيويه وغيره تفقيهاً^(۱) على النحوى الجليل أبي القاسم عبد الرحمن. ابن القاسم القاضي المتقن. وأخذ بها أيضاً [كتاب]^(۲) «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن منور، وأخذ بإشبيلية وغيرها عن آخرين. وقرأ على القاضي أبي القاسم بن بتي بن نافحة. وأجاز له. وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة، منهم أبو جعفر محمد ابن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصيدلاني، وأجاز له بإصبهان^(۳)، وهو سبط حسن ابن مندة، أجاز له في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسة. وتحمل عن أبي علي الحداد، شيخ السلفي الحافظ عن محمود الصيرفي ونظايرها، وجماعة من إصبهان كثيرة كتبوا [له]^(۴) بالإجازة. وكتب له من غيرها من البلاد | نيف^(۵) وثمانون [رجلا، منهم أحد وستون رجلاً كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس الغربي، والقاضي أبي عبد الله الأزدي، [وقد نصح على جميعهم في برناجهم، واستوفى أبو العباس الغربي نصوص الإسترعات، وفيها اسم القاضي أبو عبد الله بن عياض]^(۶).

من روى عنه

قال الأستاذ أبو جعفر رحمه الله. أجاز لي مرتين اثنين. وقال حدثني

- (۱) هكذا وردت في المخطوطين. وربما كانت (تفقه).
- (۲) أضيفت هذه الكلمة إيضاحاً للسياق.
- (۳) وردت في المخطوطين (أصبهان). وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.
- (۴) أضيفت هذه الكلمة لاستقامة السياق.
- (۵) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (م ينيف على الثمانين) والمؤدى واحد.
- (۶) ما بين الحاصرتين وارد في «ج وساقط في «الزيتونة».

أبو عبد الله مشافهة بالإذن ، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي كتابة من دمشق . أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي المعروف بابن الخطاب بالخاء المهملة ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط ، أخبرنا موسى ابن محمد بن عرفة السمسار ببغداد ، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل النخعي . أخبرنا إسماعيل بن موسى ، أخبرنا^(١) عمر بن شاذان عن أنس بن مالك ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتى على الناس زمان - الصابر^(٢) منهم على دينه ، كلقابض على الجمر .

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا ، ممن مولده بعد الستائة ، وإسماعيل بن موسى من شيوخ الترمذي . قد خرَّج عنه الحديث المذكور . لم يقع له في مُصنَّفه ثلاثي غيره .

مولده

بسبته سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وفاته

توفي بفرنطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة .

محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر

ابن موسى بن عياض اليحصبي

من أهل سبته ولد الإمام أبي الفضل . يكنى أبا عبد الله .

(١) واردة في المخطوطين (نا) فقط .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي نص (القباض) .

حاله

كان فقيهاً جليلاً ، أديباً ، كاملاً . دخل الأندلس ، وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلاة، وولى قضاء غرناطة، قال ابن الزبير، وقفت على جزء ألفه [في شيء] (١) من أخبار أبيه ، وحاله في أخذه وعلمه ، وما يرجع إلى هذا ، أوقفني عليه حفدته بمالقة .

وفاته

توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير [بن محمد] (٢) بن سعيد
ابن جبير بن محمد [بن مروان] (٣) ، بن عبد السلام [بن مروان
ابن عبد السلام بن جبير] (٤) الكِنَانِي

الواصل إلى الأندلس .

أوليته

دخل جدّه عبد السلام بن جبير في طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيري في محرم ثلاث وعشرين ومائة . وكان نزوله بكورة شدونة . وهو من ولد ضمرة

(١) هذه عبارة وارادة في "حج" ، سقطت في "الزيتونة" .

(٢) هذه لزودة من "الزيتونة" .

(٣) هذه زيادات في النسبة من كتاب "التذيل والتكلمة" لابن عبد المنك ("سفر الرابع" -

مخطوط المتحف البريطاني لوحة ١٣٠) .

ابن كِنانة بن بكر بن عبدمناف بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس | بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان |^(١) . بَلَدْنِي الْأَصْل ، ثُمَّ غَرَّ نَاطِي الْأَسْتِيْطَان . شَرْقٌ ، وَغَرْبٌ ، وَعَادَ إِلَى غَرْنَاطَةَ .

حاله

كان أديباً بارعاً^(٢) ، شاعراً مجيداً ، سَنِيًّا فَاضِلاً ، نَزِيهَ الْمُهِيْمَةِ ، مَسْرِيَّ النَّفْسِ ، كَرِيمَ الْأَخْلَاقِ ، أُنِيقَ الطَّرِيقَةِ | فِي الْخَطِّ |^(٣) . كَتَبَ بِسَبْتَةِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ عُمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، وَبِغَرْنَاطَةَ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ ، وَلَهُ فِيهِمْ أَمْدَاحٌ كَثِيرَةٌ . ثُمَّ نَزَعَ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنْ أَدْبَاءِ عَصْرِهِ ، مَخَاطَبَاتٌ ظَهَرَتْ فِيهَا بَرَاعَتُهُ وَإِجَادَتُهُ . وَنَظْمُهُ فَايِقٌ ، وَنَثْرُهُ بَدِيعٌ . وَكَلَامُهُ الْمُرْسَلُ ، سَهْلٌ حَسَنٌ ، وَأَغْرَاضُهُ جَلِيلَةٌ ، وَمَحَاسِنُهُ ضَخْمَةٌ ، وَذِكْرُهُ شَهِيرٌ ، وَرِحْلَتُهُ نَسِيجَةٌ وَحَدِيثُهَا ، طَارَتْ كُلُّ مَطَارٍ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ .

رحلته

قال من عني بخبره . رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق . وحبج في كل واحدة منها . فصل [عن غرناطة]^(٤) أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال ، ثمان وسبعين وخمسمائة ، صحبة أبي جعفر بن حسان ، ثم عاد إلى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم واحد وثمانين . ولقي بها أعلاماً يأتي التعريف^(٥) بهم في مشيخته ، وصنف الرحلة المشهورة ، وذكر [مناقله]^(٦) فيها [وما شاهده]^(٧)

(١) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة» - المخطوط السابق الذكر .

(٢) هذه الكلمة وردت في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) الزيادة من «الذيل والتكملة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» . (تعريف) والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هذا هو الذي ورد في «ج» . وفي «الزيتونة» . (مناقله) .

(٧) وردت في «ج» (مشاهده) والتصويب من «الزيتونة» . «الذيل والتكملة» .

من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، وبدايع الصناعات، وهو كتاب مؤنس ممنوع،
 مُنير سواكن النفوس إلى [الرُّفادة على] ^(١) تلك المعالم [المكرمة والمشاهد العظيمة] ^(٢)
 ولما شاع الخبرُ المُبهِجُ بفتح [بيت] ^(٣) المقدس على يد السلطان الناصر
 صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ^(٤)، قَوِيَ عزمُه على عمل ^(٥) الرحلة
 الثانية، فتحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من
 سنة خمس وثمانين وخمسمائة. ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت
 من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس، منقطعا
 إلى إسماع الحدِيث والتصوُف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، ووَرَعُه يتحقق،
 وأعماله الصالحة تزكُو ^(٥). ثم وحل الثالثة من سبتة. بعد موت زوجته عاتكة
 أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي، وكان كلفاً بها، فعظم وجدُه عليها. فوصل
 مكة، وجاور بها طويلا، ثم بيت المقدس، ثم تجول بمصر والإسكندرية، فأقام
 يُحدِّث. ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته

روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي
 عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن
 يَسْمون. وبسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي. وأجاز له أبو الوليد
 ابن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الفسائي التونسي، وأبو حفص عمر بن

(١) الزيادة من «الذيل والتكلمة».

(٢) أضفنا هذه الكلمة تكلمة لاسم المدينة.

(٣) وردت (ابن بوري) في «ج»، وفي «الذيل والتكلمة». ووردت في «الزيتونة»

(ابن بوري).

(٤) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (إعمال).

(٥) وردت في المخطوطين (تذكر). والتصويب من «الذيل والتكلمة».

عبد المجيد بن عمر القرشي الميائجي^(١) ، نزيلا مكة ، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفنسكي ، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي ، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجري رئيس الشافعية بإصبهان .
 وبيفداد العالم الحافظ^(٢) المتبحر [نادرة الفلك]^(٣) أبو الفرج ، وكناه أبو الفضل ابن الجوزي . وحضر بعض مجالسه الوعظية [وقال فيه]^(٤) « فشهدنا رجلا ليس بعمر ولا زيد^(٥) . وفي جوف الفراكله الصيد » . وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجوارى . وأبو سعيد عبد الله بن محمد ابن أبي عَصْرُون ، وأبو الطاهر بركات الخشوعي . وسمع عليه ، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني من أئمة الكتاب . وأخذ عنه بعض كلامه ، وغيره . وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر ، وسمع عليه ، وأبو الوليد إسماعيل [بن علي]^(٦) بن إبراهيم [والحسين بن هبة] الله بن محفوظ بن نصر الرُّبَعي . وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي ، وأجازوا له ، وبجران الصوفي العارف أبو البركات حَيَّان بن عبد العزيز ، وابنه الحاذي حذوه [٧] .

من أخذ عنه

قال ابن عبد الملك ، أخذ عنه أبو إسحاق بن مَهيب ، وابن الواعظ ، وأبو تمام

- (١) وردت في «ج» (المبائجي) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (٢) وردت هكذا في «الزيتونة» . وفي «ج» (الواعظ) . والأولى أرجح حسبما يبدو بعد في السياق .
- (٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .
- (٤) الزيادة من «الذيل والتكلمة» .
- (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (ليس من عمرو ولا زيد) .
- (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
- (٧) ما بين الحاصرتين ساقط كله في «الزيتونة» .

ابن إسماعيل، وأبو الحسن بن نصر بن فامح بن عبد الله البجائي، وأبو الحسن
 [بن علي] ^(١) الشادي. وأبو سايان بن حوط الله. وأبو زكريا. وأبو بكر يحيى بن
 محمد بن أبي الفصن ^(٢)، وأبو عبد الله بن حسن بن مجير. وأبو العباس بن
 عبد المؤمن البغائي، وأبو محمد بن حسن اللواتي ^(٣) وابن تاميت، وابن محمد
 الموزوري، وأبو عمر بن سالم، وثمان بن سفيان بن أشقر التميمي التونسي.
 ومن [أخذ عنه] ^(٤) بالإسكندرية. رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن
 عطاء الله. وبصر رشيد الدين بن المطار ^(٥). ونحرف القضاة بن الجياب، وابنه
 جمال القضاة.

تصانيفه

منها نظمه. قال ابن عبد الملك: «وقفت منه على مجلد [متوسط] ^(٦) يكون
 على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس. ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوامح
 في تأبين القرين الصالح» في مراني زوجه أم العجد. ومنه جزء سماه «نظم الجمان
 في التشكي من إخوان الزمان». «وله ترسيل بديع، وحكم مستجادة» ^(٧)،
 وكتاب رحلته. «وكان أبو الحسن الشادي، يقول إنها ليست من تصانيفه،
 وإنما قيد معاني ما تضمنته. فتولى ترتيبها، وتضيد معانيها بعض الآخذين عنه،
 على ما تلقاه منه» ^(٧). والله أعلم.

(١) هذه الزيادة من «الزيتونة».

(٢) هكذا وردت في المخطوطين.

(٣) وردت في المخطوطين (اللواتي). والتصويب من «الذيل والتكملة».

(٤) هكذا وردت في «ح». وفي «الزيتونة» (روى عنه).

(٥) وردت في المخطوطين (مطار). والتصويب من «الذيل».

(٦) هذه الزيادة من «الذيل والتكملة».

(٧) هاتان الفقرتان نقلهما ابن الخطيب عن «الذيل والتكملة» مع تغييرات يسيرة.

شعره

من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها ، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة ،
على ما كتبها من الله أفضل الصلوات ، وأزكى التسليم :

اقول وآنتُ بالليل نارا
وإلا فما بالُ أفقِ الدُّجى
ونحن من الليل في حِنْدِسٍ
وهذا النَّسِيمُ شذا المِسْكِ قد
وكانت رواجِلُنَا تشتكى
وكنا شكونا عناء السُّرى
أظن النفوس قد استشعرت
بشائر صبح السُّرى آذنت
جرى ذكرُ طيبة ما بيننا
حيناً إلى أحمد المصطفى
ولاح لنا أهدُّ مُشرقاً
فمن أجل ذلك ظلَّ الدُّجى
ومن طَرَبِ الرُّكْبِ حَثَّ^(١) الخُطَا
ولما حللنا فناء الرسول
وحين دنونا لفرض السلام
فما نُرْسِلُ اللَّحْظَ إلا اخْتِلاسا
ولا نُظْهِرُ الوَجْدَ إلا اِكْتِتاماً
لعل سراج الهدى قد أنارا
كان سنا البرق فيه استطارا
فما باله قد تجلَّى نهارا
أعير أم المسك منه استعارا
وجاها فقد سابقتنا ابتدارا
فعدنا نُبَارَى سِرَاعِ المِهارا
بلوغ هوى تَخِذته شِهارا
بأن الحبيب تدانى مزارا
فلا قلبَ في الركب إلا وطارا
وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
بنور من الشهداء استعارا
يحل عقود النجوم انتشارا
إليها ونادى البِدَارِ البِدَارا
نزلنا بأكرم مجدِ جوارا
قصرنا الخُطَا ولزِمنا الوقارا
ولا نُرجِعُ الطَّرْفَ إلا انكِسارا
ولا نلفظ القول إلا سِراراً

(١) وردت في المخطوطين (حط) . والتصويب من الذيل والتكملة .

سوی اُنسالم نُطِقْ أَعِينًا بأدمعها غلبتُنَا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام نُعِيد السلام عليها مرارا
[ولولا مهابتُه] ^(۱) في النفوس لثَمْنَا الثرى والترمنا الجدارا
قضينا بزورته حَجْنَا وبالعمرتين ختمنا اعتماراً
إليك إليك نبيُّ الهدى ركبْتُ البحار وجُبت القفارا
وفارقتُ أهلي ولا منةً وربّ كلامٍ يجرُّ اعتذارا
وكيف نمنُّ على من به نُؤمل للسيئات اغتفارا
دعاني إليك هوىً كامنٌ أثار من الشوق ما قد أثارا
فناديتك لبَّيك داعي الهوى وما كنت عنك أطيق اصطبارة
[ووطنت نفسي بحكم الهوى على وقلت رُضيتُ اختياراً] ^(۲)
أخوض الدُّجى وأروض السرى ولا أُطعم ^(۳) النوم إلا غرارا
ولو كنت لا أستطيع السبيل لبطرتُ ولو لم أصادف مطارا
[وأجدُرُ من نال منك الرضى محبُّ ثراك على البعد زارا] ^(۴)
عسى لحظةً منك لي في غدٍ تُمهد لي في الجنان القوارا
فماضٍ من بمسراك ^(۵) اهتدى ولا ذلٌّ من بذراك استجارا

وفي غبطةٍ من منُّ الله عليه لحج بيته ، وزيارة قبره صلى الله عليه

وسلم يقول :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى وحطَّ عن النفس أوزارها

(۱) هكذا في «ج» و«الذيل والتكملة» . وفي الزيتونة (ومن إيمانه) .

(۲) في «الزيتونة» أدب هذا البيت والذي قباذ في بيت واحد :

فناديت لبيك داعي الهوى على وقت رُضيت اختياراً

(۳) هكذا وردت في «ج» و«الذيل والتكملة» . وفي «الزيتونة» (أطعم) .

(۴) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» . (ه) في «الذيل والتكملة» (بهذاك) .

وإن السعادة مضمونة لمن حج طيبة أوزارها
وفي مثل ذلك يقول :

إذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ما أمّله
وإن زار قبر نبي الهدى فقد أكل الله ما أمّله
وفي تفضيل المشرق :

لا يستوى شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باستحقاق
أنظر [إلى جمال الشمس] ^(١) عند طلوعها زهراء تعجب بهجة الإشراق
وانظر إليها عند الغروب كئيبه صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم ^(٢) فراق
وقال في الوصايا :

عليك بكمان المصائب واضطرب عليها فما أبقى الزمان شفيقا
كفاك بالشكوى إلى الناس أنها تسرّ عدواً أو تسوء صديقا
وقال ؛

وصانع ^(٣) المعروف فلتة عاقل إن لم تضعها في محلّ عاقل
كالنفس في شهواتها إن لم تكن وفقاً لها عادت بضرراً عاجل

نثره

من حكمه قوله : إن شرف الإنسان ، فشرف ^(٤) وإحسان . وإن فاق

(١) هكذا وردت في «ج» وفي «الزيتونة» . وفي نص (تري الشمس) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (بشوك) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فصانع) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «الذيل والتكلمة» (فضل) .

فتفضل وإرفاق^(۱) . ينبغي أن يحفظ الإنسان لسانه . كما يحفظ الجفن إنسانه .
 فرب كلمة تقال . تحدث عثرة لا تُقال . كم كست فلتات الألسنة الحداد ،
 من ورائها ملابس حداد^(۲) . نحن في زمن لا يحظى^(۳) فيه بنفاق إلا من عامل
 بنفاق . شغل الناس عن | طريق الآخرة |^(۴) بزخارف الأغراض . | فلجوا في |^(۵)
 الصدود عنها والإعراض . آثروا دنيا هي أضغاث أحلام ، وكم هفت في حبا من
 أحلام ، أطلوا فيها آمالم^(۶) ، وقصروا أعمالهم . ما بالهم ، لم يتفرغ لغيرها بالهم ،
 ما لهم في غير ميدانها استباق ، ولا (يسوى هواها)^(۷) اشتياق . تالله
 لو كشفت الأسرار ، لما كان هذا الإصرار ، ولسهرت العيون^(۸) ، وتفجرت من
 شئونها الجفون^(۹) . فلو أن عين البصيرة من سينها هابة ، لرأت جميع ما في الدنيا
 ربحا هابة [ولكن استولى العمى على البصائر]^(۱۰) ولا يعلم الإنسان ما إليه
 صائر . أسأل الله هداية سبيله ، ورحمة تورده نسيم الفردوس وسلسيله ،
 إنه الحنان المنان لا رب سواه^(۱۰) .

ومنها : فلتات الهبات ، أشبه شيء بفلتات الشهوات . منها نافع لا يعقب
 ندما . ومنها ضار يبقى في النفس ألماً . فضرر الهبة وقوعها عند من لا يعتقد

(۱) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وإفراق) . وفي «التكلمة» (واتفاق) .

(۲) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «التكلمة» (الحداد) .

(۳) وردت في المخطوطين (حصى) . والتصويب من «التكلمة» .

(۴) وردت في المخطوطين (الطريق) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(۵) وردت في المخطوطين (فجوا) . والتصويب والزيادة من «التكلمة» .

(۶) وردت في المخطوطين (الأمهم) . والتصويب من «التكلمة» .

(۷) وردت في «ج» (سوى هداها) والتصويب من «التكلمة» .

(۸) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» (العين الجفن) .

(۹) هكذا وردت في «ج» . ولكن وردت في «الزيتونة» . ووردت بحذف «ج» كالآتي : (ولكن

استولى على العمى ربح البصير) وكلمة ربح هنا حشو لا معنى له .

(۱۰) رجعت إلى نص «التكلمة» في تصويب كثير من عبار - هذه فقرة .

لحقها أداء ، وربما أثرت عنده اعتداء . وضرر الشهوة أن لا توافق ابتداء ، فتصير لتبعتها^(١) داء ، مثاها كمثل السكر يلتذ صاحبه^(٢) بحلاوة جنناه . فإذا صحا يعرف قدر ما جنناه . عكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

مولده

يكنسية سنة تسع وثلاثين [وخمماية]^(٣) وقيل بشاطبة | سنة أربعين وخمماية^(٤)

وفاته

توفى بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستماية

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين^(٥)

يكنى أبا بكر ، شيخنا الفقيه القاضى المؤرخ الكاتب البارح رحمة الله عليه

أولته

أصله من إشبيلية ، من حصن شاب من كورة باجة ، من غربى صقعها ، يعرفون فيها ببني شبرين^(٥) ، معرفة قديمة . وولى جدّه القضاء بإشبيلية ، وكان من

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» (لمستعملها) . وفى الذيل والتكلمة (لمستعملها) .

(٢) وردت فى المخطوطين (صاحبها) وبالتصويب يستقيم السياق .

(٣) الزيادة عن الزيتونة .

(٤) هكذا فى «ج» . ووردت مكان هذا التاريخ فى «الزيتونة» (فى هذا التاريخ) .

(٥) وردت فى «ج» فى الموضوعين (ابن شبرين) . والتصويب فى الموضوعين من «الزيتونة» . -

كبار أهل العلم (تشهد بذلك الصلاة)^(١) . وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وسماية ، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة . ثم انتقل إلى سُكْنَى سَبْتَة ، وبها وُلد شيخنا أبو بكر ، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة ، فارتسم بالكتابة السلطانية ، وولى القضاء بعدة جهات ، وتأثر مالا وشهرة ، حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها .

حاله

كان فريد دهره ، ولسيخ وحده في حُسن السَّمْت^(٢) والرَّوَاء ، وكمال الظرف وجمال الشارة ، وبراعة الخط ، وطيب المجالسة . خاصيا ، وقورا ، تام الخلق ، عظيم الأبهة ، عذب التلاوة لكتاب الله ، من أهل الدين والفضل والعدالة ، تاريخيا ، مقيدا ، طُلعة اختيار [أصحابه]^(٣) محققا لما ينقله ، فكها مع وقاره ، غزلا ، لوذعيا ، على شأن الكتابة ، جميل العشرة ، أشد الناس على الشعر ، ثم على المحافظة ، ما يحفظه من الأبيات مع غير اعتياد ولا تنقيح ، يُناغى الملكين في إثباتها ، مقررة التواريخ ، حتى عظم حجم ديوانه ، [تفردت أشعاره بما أبرأ على المكثرين]^(٤) ملبح الكتابة ، سهلها ، صانعا ، سابقا في ميدانها ، راجحا كفة المنشور . وكانت له رحلة إلى تونس : اتسع بها نطاق روايته . وتقلب بين الكتابة والقضاء ، منحوس الحظ في الاستعمال ، مُضيقا فيه ، وإن كان وافر الجدد ، مُوسعا عليه .

سوهو الاسم الصحيح . وابن ش. بن من شيوخ ابن الخطيب الأثيرين ، وقد ذكره فضلا عن هذه الترجمة في مواضع كثيرة من الإحاطة ، راجع المجلد الأول من الإحاطة (١٩٧٣) ص ٩٧ ، و ٤٤٣ ، و ٥٤٩ ، ٥٤١ .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» دون حكمة واضحة من إيراداتها في هذا المكان .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نسخة) .

(٣) هذه السلسلة والرد في «الزيتونة» وساقطة في «ج» .

(٤) هذه العبارة والرد في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى»^(١) بما نصه :

خاتمة المحسنين ، وبقية الفصحاء اللسنيين ، ملاء العيون هدياً وسمناً . وسلك
من الوقل طريقة : لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ، ماشئت من فضل ذات ، وبراعة
أدوات . إن خطأ ، نزل ابن مقلة عن درجته [وإن خطأ]^(٢) . وإن نظم أو نثر ،
تبعمت الباغاء ذلك الأثر . وإن تكلم أنصت الحفل لاستماعه . وشرع^(٣) لدرره
النفيسة صديق أسماعة . وفد على الأندلس عند كائنة سبته ، وقد طرحت النوى
برحاله ، وظن عن ربه بتوالى إمحاله ، [ومصرف بلاده]^(٤) ، والمستولى على
طارفها وتالدها ، أبو عبد الله بن الحكيم . قدس الله صداه ، وسقى مُنتداه ، فاهتز
لقدومه اهتزاز الصّارم . وتلقاه تلتقى الأكارم ، وانهرض إلى لقاياه آماله ، وألقى^(٥)
له قبل الوسادة ماله ، ونظمه في سخط الكُتاب ، وأسلاه عن أعمال الاقتاد ، ونزل
ذممه تأكداً في هذه الدول ، وقوفى له الآتية منها على الأول ، فتصرف في القضاء
بجهاها ، ونادته السيادة هاك وهاتها ، فجدد عهد حُكّامه العدول من سافه
وقضاها . وله الأدب الذى تحلّت بقلايده اللبات والنحور ، وقصرت عن
جواهره البحور . وميمر من ذلك فى تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة ذرعه ،
وبخبر بكرم عنصره ، وطيب نبعه^(٦) .

(١) هو كتاب «التاج المحلى فى مساجلة القديح المعلى» ، وهو أحد كتب ابن الخطيب التاريخي ، ويتضمن مختصراً لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها فى القرن الثامن الهجرى . وقد سبق التعريف به فى مقدمة المجلد الأول .

(٢) واردة فى «ج» وساقطة فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وسمع) والأولى أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (وأمنى) .

(٦) كذا فى «ج» . وفى «الزيتونة» (نعمه) والأولى أرجح .

• شيخته

قرأ على جدّه لأئمّه الأستاذ الإمام ، أبي بكر بن عبّيدة الإشبيلي ، وسمع على الرئيس أبي حاتم ، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين ، وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي ، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، وعلى الإمام أبي عبد الله بن حُرَيْث . وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري . وسمع بمحضرة غرناطة دلي الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، [وعلى العدل أبي الحسن بن مستقور]^(١) وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن ، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد . وبمآلقة على الخياط ولي الله تعالى ، أبي عبد الله الطنجالي ، وعلى الوزير الصدر أبي عبد الله ابن وبيع ، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن بُرطال . وببجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي ، وعلى أبي العباس الغبريني . وبتونس على أبي علي بن علوان ، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرّفيع ، وسمع على الخياط الصّوفي ولي الله تعالى ، أبي جعفر الزيات ، والصّوفي أبي عبد الله بن بُرطال ، وعلى الصدر أبي القاسم محمد بن قايد الكلاعي . [وأجازوه عالم]^(٢) كثير من أهل المشرق والمغرب .

شعره

وشعره متعدّدُ الأسمفار ، كثير الأغراض . وفي الإكثار مجال الإختيار .
[فمنه قوله]^(٣) :

(١) هذا الاسم ساقط في «الزيتونة» . وقد ورد اللقب محرفاً في «ج» (مفسور) . والتشويب من كتاب قضاء الأندلس للنباهي .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (وأجازوه علماء) .

(٣) أضفنا هذه العبارة تكملة للسياق .

وأضربت في طي الحش لاعج الجوى
 وهل تحسن الدنيا وهل يرجع الهوى
 وعند النوى وجدى وفي ساكن الهوى
 إلى يوم ألقاهم وللره ما نوى

أخذت بكظم الروح يا صاعدة النوى
 فمن نخبري يا ليت شعري متى اللقا
 سلا كل مشتاق وأكثر وجده
 ولي نية ما عشت في حفظ عهدهم
 وقال :

هذي ركاب الشرى بلا شك
 إلى بطون الربى إلى الفلك
 إلى صبوب جواهر السلك^(١)
 ما في حديث الفراق من إفك
 هذا النوى جل من مالك الملك

بانوا فمن كان با كياً يبك
 [فمن ظهور الركاب معملة
 تصدع الشمل مثلما انحدرت
 كن بالذي حدثوا على ثقة
 من النوى قبل لم أزل حذراً
 وقال :

يسوءني هجرك والله
 لا أفك عن وية وعزاه
 من ذا الذي رآه^(٢)
 يشغل في الدنيا بتياه
 على معني جسمه واه
 يُبني عندك ذا جاه^(٣)

يا أيها المعرض اللأهي
 [فيا ليت شعري كم أرى فيك
 ويحي مغيري إلى باخل واه
 من يرد الله فيه فتنة
 يا غصن البان ألا عطفة
 أوسعي بعدك ذلاً وقدرأ

(١) أكملنا هذه المقطوعة بهذين البيتين . وقد أوردها ابن الخطيب ضمن خطاب الوداع الذي وجهه إلى مليكه الغني بالله حينما غادر الأندلس إلى المغرب لآخر مرة (راجع المجلد الأول من «الإحاطة» ص ٣٣) .

(٢) أورد كل من المخطوطين نصوصاً مضطربة لهذين البيتين . وقد حاولنا جهد الاستطاعة أن نخرج من هذه النصوص المضطربة أفضل صيغة ممكنة . بيد أن هذه الصيغة ليست واضحة كل الوضوح .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» وساقط في «الزيتونة» .

ذِكْرُكَ لَا يَنْفَكُ عَنْ خَاطِرِي وَأَنْتَ عَنِّي غَافِلٌ سَاهٍ
يَكْفِيكَ يَا عَثْمَانُ مِنْ جَفْوَنِي لَوْ كَانَ ذَنْبِي ذَنْبَ جِبْجَاهٍ
هَيْهَاتَ لَا مُعْتَرِضٌ^(۱) لِي عَلَى حُكْمِكَ أَنْتَ الْأَمْرُ النَّاهِ

قلت جِهْجَاهُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ غُفَّارٍ [قَبِيلٌ]^(۲) إِنَّهُ تَنَاوَلَ عَصَا الْخُطْبَةِ مِنْ
يَدِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَسَرَهَا عَلَى رِكْبَتِهِ ، فَوَقَعَتْ فِيهَا الْأَكِلَةُ فَهَلَكَ .

وقال :

يَا مَنْ أَعَادَ صَبَاحِي فَقَدَهُ حَلَكَا قَتَلْتِ^(۳) عَبْدَكَ لَكِنْ لَمْ تَخْفِ دِرْكََا
مَصِيبَتِي لَيْسَتْ كَالْمَصَائِبِ لَا وَلَا بُكَائِي عَلَيْهَا مِثْلَ كُلِّ بُكََا
فَمَنْ أُطَالِبُ فِي شَرِّعِ الْهَوَى بَدْمِي نَلْخُطِي وَلِحَظَّتْكَ فِي قَتْلِي قَدْ اشْتَرَكَا

وقال ، وقد سبقه إليه الرُّصَافِيُّ ، وهو ظَرِيفٌ :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ فَرَطًا يَلْبَالِي وَلَوْعَةً لَا تَزَالُ تُذَكِّي لِي
بِمَهْجَتِي حَايِكُ تُغْفَلْتُ بِهِ حُلُو الْمَعَانِي طِرَازِهِ عَالِي
سَأَلْتَهُ أَنْمَ خَالِهِ فَأَبِي وَمَنْ ذَا نَخْوَةٍ وَإِذْلَالِ
وَقَالَ حَالِي يَصُونُ خَالِي يَدُنِي مَوْبِجِي بِالْحَالِ وَالْحَالِ
يَقْرُبُنِي الْآلُ مِنْ مَوَاعِدِهِ وَأَتَّقِي مِنْهُ سَطْوَةَ الْآلِ
لَكِنْ عَلَى ظُلْمِهِ وَقَسْوَتِهِ فَلَسْتُ عَنْهُ الزَّمَانَ بِالسَّالِي

وقال أيضاً مضمناً :

لِي هَمَةٌ كَمَا حَاوَاتِ أُمْسِكِهِ عَلَى الْمَدَلَّةِ فِي أُرْجَاءِ^(۴) أَرْضِيهَا

(۱) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (متعرض) .

(۲) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(۳) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (أملت) .

(۴) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أرجال) .

قالت ألم تكن أرض الله واسعة حتى يهاجر عبد مؤمن فيها
وقال مُسترجعاً من ذنبه ، ومُستوحشاً من شَيْبِهِ :

قد كان عيبي من قبل في غَيْبٍ فبدأ شَيْبِي بدأ عَيْبِي
لا عُدْرَ اليوم ولا حُجَّة فضَحَّتَنِي والله يا شَيْبِي

وقال :

أثقلتني الذنوب ويحي وويئس ليتني كنت زاهداً كأويس

وجرت بينه وبين السلطان ثالث الأمراء من بني نصر^(١) ، بعد خلعهم من
ملكه ، وانتشار ملكه ، واستقراره بقصبة المنكب . غريباً من قومه ، موعوذاً
بالسهاد من نومه ، قد فلَّ الدهر سباته ، وتركه يندب مافات ، والقاضي المترجم به
يومئذ ، مُدَبَّرٌ أحكامها ، وعلمَ أعلامها ، ومتولى نقضها وإيرامها . فارتاح يوماً إلى
إيناسه ، واجتلاب أدبه والتماسه ، وطلب منه أن يعبر عن حاله بِبَيَانِهِ . وينوب
في بثه عن لسانه . فكتب إليه :

قفا نفساً فأنكب فيها يهـون ولا تعجلا إن الحديث شجون
علمنا الذي قد كان من صرف دهرنا واسنا [على]^(٢) علم بما سيكون
ذكرنا نعيماً قد تقضى نعيمه فأقلقنا شوقاً له وحنين
وبالأمس كُننا كيف شئنا وولدنا^(٣) حراك على أحكامنا وسكون

(١) هو أبو عبد الله محمد المخلوع ، محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم ملكة شرابية من سنة ٧٠١
إلى سنة ٧٠٨ هـ . ثار عليه أخوه أبو الجيوش نصر ، واضطربت فنده الثورة في عيد الفطر سنة
٧٠٨ هـ ، وأرغم على النزول عن العرش . ثم اعتقل بحصن المنكب . وأبث فيه حتى توفى في سنة
٧١٣ هـ .

(٢) أضفنا هذ الكلمة لاستقامة الوزن والمعنى . وهكذا وردت هذ الشطرة في «ج» . وفي
الزيتونة» (ولا نعلموا بهذا الذي سيكون) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (وللدنيا) .

وإذا بابنا مشوى الفزاد ونحونا
 فنغص من ذاك السرور مهنأ
 ونبا عن الأوطان بين ضرورة
 أيا معهد الإسعاد^(٢) حبيت معهداً
 تريد الليالي أن نهين مكاننا
 فإن تكن الأيام قد لعبت بنا
 فمن عادة الأيام ذلك كرامها
 لئن خاننا الدهر الذي كان عبدا
 وما غض منا مخبرى غير أنه
 نمدك رقاب أو تشير عيون
 وكدر من ذاك النعيم معين
 وقد يقرب^(١) الإنسان ثم يبين
 وجادك من سكب الغمام هتون
 رويدك إن الخير ليس يهون
 ودارت علينا للبخاب فتون
 ولكن سبيل الصابرين مبين
 فلا عجب إن العبيد تخون
 تضاعف إيمان وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود ، وهو شاهد المواريث بهذه الدعابة التي
 تستخف الوقور ، وتلج السمع المرقور :

أطال الله بقاء أخى وسيدى ، لأهل الفرائض ، بحسن الاحتيال فى مداراتهم ،
 وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط فى أموالهم ، ودامت أعلامه مشرعة
 لصرم الأجل المنسأ . معدة لتحليل هذا الصنف المنشأ من الصلصال والحمأ . فمن
 ميت يغسل وآخر يقبر . ومن أجل يطوى ، وكفن ينشر ، ومن رمس يفتح ،
 وباب يعلق . ومن عاصب يخبس . ونعش يطلق . فكما خربت ساحة ، نشأت
 فى الحانوت راحة . وكما قامت فى شعب مناحة ، اتسعت للرزق مساحة . فبما كر
 سيدى الحانوت ، وقد اخفى مرفته ، وسهل عنقفته ، فىرى الصعبة بالمناصب
 شطراً . فيلاحظ هذا برفق ، وينظر إلى هذا شزراً . ويأمر بشق الجيوب تارة ،
 والبحث عن الأوساط أخرى . ثم يأخذ القلم أخذاً رفيقاً . ويقول وقد خامره

(١) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (بغرب) .

(٢) هكذا دت فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» (الإسناد) وهو تحريف .

السرور، رَحِمَ اللهُ فلانا، لقد كان لنا صديقاً، وربما أُدْبِرَهُ (١) بالانزعاج الخبيث، وقال مستريحٌ منه كما جاء في الحديث. وتختلف عند ذلك المراتب، وتنبين الأصدقاء والأجانب، فينصرف هذا، وحظه التهميب، والنظر الحديد، وينفصل هذا، وبين يديه المنذر الصئيت، والنعش الجديد. ثم يفتشى دار الميت ويسلُ عن الكيِّت والكيِّت، ويقول عليٌّ بما في البيت. أين داء الثاغية والراغية. أين عقود الأملاك بالبادية. وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذكر في الأسماء (٢) الحمسة [فليل] (٣) ذو مال. وعميون الأعوان ترنو من علي (٤)، وأعناقهم تشرب إلى خلف الكليل، وأرجلهم تدبُّ إلى الأسفاط ديبب الصقور (٥) إلى الحجل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر الموروث والمكسوب. وقيد المطعوم والمشروب. وعدت الصحاح. ووُزنت (٦) الأبطال، وكيلت الأقداح. والشهود يغلظون على الورثة في الآلية [ويصونهم بالبتات] (٧) في النشأة الأولية. والروائح حين تفعم الأرض طيباً، وتهدى الأرواح شذاً يفعل في إزاجها على الأبدان فعلاً عجيباً. والدلال يقول هذا مفتاح الباب. والسهمسار يصيح قام النداء فما تنتظرون بالثبات. والشاهد يصيح فتعلمو صيحته، والمشرف يشرب فتسقط سبحة. والمحتضر يهيسُ ألا حتى فلا تسمعون [ويباهي لون العباء عليه] (٨) الجواب رب أرجعون. ما هذا النشيج والضجيج. مت كلاً لم أمت.

- (١) هكذا في «الزيتونة». وفي «ج» (أدره).
- (٢) وردت في «ج» (أسماء) والتصويب من الزيتونة.
- (٣) وردت في المخطوطين (فقال). وبالتصويب يستقيم السياق.
- (٤) وردت في «ج» (من خل). والتصويب أرجح.
- (٥) وردت هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (السقر).
- (٦) وردت مخرفة في «ج». و«الزيتونة» (وزنت. وزينت).
- (٧) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين. وهم بحالها لا تدل على معنى واضح.
- (٨) هذه العبارة واردة في «ج»، وساقطة في «الزيتونة».

ومن حج له الحجيج . فترتفع له الأصوات ، كي لا يفسح فيه الملمات . ويُبقر بدائه برغمه ، ويحفر له بجانب أبيه وبجنا أمه . ثم يشرع في نفسه الفرض ، ولو أكتنبت السموات على الأرض . ويقال لأهل السَّهَم ، أَحْسِنُوا ، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام . وقد نصَّ ابن القاسم على أجره القَسَام . وسوغه أصبغ وسُحنون ، ولم يختلف فيه مطرف وابن الماجشون . إن قبيل إيصال الحقائق إلى أرجائها ، حَسَن فجزاء الإحسان إحسان . وقيل إخراج النَّسَب والسُّكُور كقفايه ، [فللكاهنين حُلوان]^(١) . اللهم غَفْرًا ، ونَسْتَقِيلُ الله من انبساط يجرُّ غَدْرًا ، ونَسَلُ الله حَمْدًا يوجب المزيد من نعمائه وشكرًا . ولولا أن أُغفل^(٢) عن الخضم ، وأثقل رَحْلُ الفقيه أبي النجم ، لأَسْتَعْلِنُ المجلسَ شَرْحًا^(٣) ، ولو كان لنا في بحر المباشطة سبوح ، ولأَفْضُنَا في ذكر الوارث والوَرَاثِ^(٤) . وبيننا العِلمَةُ في أقسام الشهود ، مع المُشْتَغِلِ بنسبة الذكور مع الأناث . والله يَصِلُ عزَّ أخى ومجده ، ويَهَبُ له قوة تَخْصُهُ بالفائدة ، وجدَّه^(٥) ، ويَزِيدُه بصيرة يتبع بها الحقوق إلى أقصاها ، وبَصَرًا لا يُغَادِرُ صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وُدَامَ يُحْصِي الخرابيب والفُلُوسِ والأَطَارِ ، ويَلاُ الطَّوَامِرَ بأقلامه البديعة الصنعة ، [ويصل]^(٦) الطَّوَامِرَ بالطَّوَامِرِ والسلام .

والشيء بالشيء يذكر ، قلتُ ، ومن أظرف ما وقعتُ عليه في هذا المعنى .

(١) وردت هذه العبارة في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» . ولم تنضح لنا حكمة إيرادها على

هذا النحو .

(٢) وردت في «ج» (الحفل) . وقد آثر في نص «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (شرح) .

(٤) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة . ادة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى والساق .

قال بعض كتاب الدولة الحكّمية^(١) بمنورقة ، وقد ولاء خُطّة المواريث ، وكتب إليه راعياً في الإعفاء :

وما نلتُ من شغل المواريث رُقعة | سوى شرح |^(٢) نَمَشِ كَلِمَاتِ مَيْتِ
وَأَكْتُبُ لِلْأَمْوَاتِ صَكًّا كَأَنَّهُمْ يُخَافُ عَلَيْهِمْ فِي الْجِبَابِ النَّفَاتِ
كَأَنِّي لِعَزْرَائِيلَ صَرْتُ مُنَاقِضًا بِمَا هُوَ بِمَجْوَ كُلِّ يَوْمٍ وَأُثْبِتُ^(٣)
وقال ، فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم^(٤) وأعفاه .

مولده : في أواخر أربعة وسبعين وستماية .

وفاته

قال في العايد^(٥) ، ومضى لسبيله ، شهاباً من شهب هذا الأفق ، وبقية من بقايا حلبة السبق ، رحمه الله ، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعماية ، وتخلّف وقرأ لم يشتمل على شيء من الكُتُب ، لإثاره اقتناء النُقَدِين ، وعين جراية لمن يتلو كتاب الله على قبره [على حدّ من التعزّرة والمحافظة على الإتيان]^(٦) . ودفن بباب البيرة^(٧) في دار اتخذها لذلك .

(١) الدولة الحكّمية هي دولة سعيد بن حكم الأموي حاكم منورقة . وسيجرى التعريف به أدناه .

(٢) ورد مكان هاتين الكلمتين في «ج» (غير أن أشرح) . وفي «الزيتونة» (سوى أن أشرح) فلزم التصويب لاستقامة الشعر .

(٣) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن حكم الأموي ، وقد حكم جزيرة «منورقة» ثانية الجزائر الشرقية وقتاً ، بعد سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الأرجونيين . واستمر على حكمها حتى توفي سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وخلفه في حكمها لبضعة أعوام أخرى ، ولده أبو عمر حكم بن سعيد (راجع كتابي عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القسم الثاني) ص ٤٠٨ و ٤٠٩) .

(٥) المرجح أنه يشير إلى كتاب «عايد الصلّة» الذي سبق التعريف به .

(٦) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٧) باب البيرة هو أحد الأبواب البابية من أبواب غرناطة الإسلامية . وهو يقع شمال غربي المدينة على مقربة من ساحة الشيران الحديثة . وما يزال يحتفظ بهيكله الإسلامي كاملاً . وإلى جانبه قطعة من سور غرناطة القديم .

محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسى

من أهل غرناطة . يكنى أبا القاسم .

حاله

مجموع خلال بارعة ، وأوصاف كاملة ، حسن الخط ، ذا كُرِّ للتاريخ والأخبار ، مستول على خصال حميدة من (١) [حُسن رِواء] (٢) وسلامة صدر ، إلى نزاهة الهمة ، وإرسال السَّجِّية ، والبُعد عن المصانعة ، والتعلُّى بالوقار والحِشمة ، شاعر ، كاتب . ومناقِبُه يَقْصُرُ عنها الكثير من أبناء جنسه ، كالفروسية ، والتجنُّد (٣) ، والبسالة (٤) ، والرُّماية ، والسُّباحة ، والشطرنج ، [متحمِّدٌ بِحَمَلِ القَنَا] (٥) ، مع البراعة ، مديم (٦) على اللروة ، مؤاس للمحاويج من معارفه . ارتسم في الديوان فظهر غِنَاؤُه ، وانتقل إلى الكتابة ، ممزَّزة بِالْخَطِّ التَّبِيهَةِ العِلْمِيَّةِ ، وحاله الموصوفة متصلة إلى هذا العهد . وهو معدود من حَسَنَاتِ قَطْرِهِ .

وثبت في « التاج المحلى » بما نصه : « سابقُ رَ كُضِ المَحَلِّي ، آتى من أدواته بالمجائب ، وأصبح صدراً في الكُتَابِ ، وشهراً في الكُتَابِ . وكان أبوه رحمه الله ، بهذه البلدة ، قُطْبَ أَفلاكها ، وواسطة أسلاكها ، ومؤتمن دوسايتها وأملاكها ، وصدَرَ وجالها ، وولى أرباب مجالها . قد نثَلَ ابنه (٧)

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٢) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمتصود بها الانحراط في سنك الجندية .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ومكانها في «ج» (الثقافة) . والأولى أرجح وأكثر اتِّفَاناً

مع السياق .

(٥) هذه العبارة ساقطة في «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (مدع) والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) وردت في «ج» (بينه) والتصويب من «الزيتونة» .

سأمتها ، فخير عدالة وبراعة وفهماً ، وألقاه^(١) بينهم قاضياً شهماً ، فظهر منه نجيباً ، ودعاه إلى الجهاد سميماً مجيباً^(٢) . فصحب السرايا الغربية المغيرة ، وخضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وعلى صاحبة البعوث ، وجوب السهول والوعوث . فما رفض البراعة الباتر . ولا ترك الدفاتر للزمان الفاتر .

شعره

وله أدب بارع المقاصد قاعد للإجادة بالمرصد ، وقال من الروضيات وما في معناها :

دعيني ومطلول الرياض فإني
أعلل هذا بخضرة شارب
وأزهر غض البان رايد نسة
ذكريت به لين المعاطف والقدا
أنادم في بطحايتها^(٣) الآس والورد
وأحكي بهذا في تورده الخدا
وقال :

وليل أدوناها سلافاً كأنها
غنينا^(٤) عن المصباح في جنح ليلها
على كف ساقها تضرم ناراً
بجند مدير لا بكأس عقار
وقال :

يومنا يوم سرور فلتقم
إنما الدنيا منام فلتكن
تصدع الهم بكاسات المدام
مغماً فيها بأحلى المنام

(١) وردت في المخطوطين (وألغاهم) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

(٣) وردت في المخطوطين (بطحايتها) . والتصويب أنسب للسياق .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (وغنينا) .

وقال :

وَبِيْ مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ لِالشَّرْبِ مَا صَبَحًا وَبِالْهَيْمِ مَا رَوَّتْ صَدَاهَا الْمَنَاهْلُ
أَحْبَبْتُ مَا هَبَّتْ مِنَ الرُّوْضِ نَسْمَةٌ وَمَا اهْتَزَّ غَصْنٌ فِي الْحَدِيقَةِ مَا يَلُ
فَإِنْ شَتَّتْ أَنْ تَهْجُرَ وَإِنْ شَتَّتْ فَلتُقْبِلُ فَإِنِّي لَمَّا حَمَلْتَنِي الْيَوْمَ حَامِلُ

وقال :

كَمْ قَلْتُ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ إِذَا بَدَا هَيْبَاتٍ وَجْهٌ فَلَانَةٌ تَحْكِي لَنَا
فَأَجَابَنِي بِلِسَانِ حَالٍ وَاعْتَنَى لَا الشَّمْسُ تَحْكِيهَا فَأَحْكِيهَا أَنَا
وَصَرَفْتُ وَجْهِي نَحْوَ غُصْنِ أَمْلَدٍ قَدْ رَامَ يُشْبِهُ قَدَّهَا لَمَّا اثْنَا
فَضَحَكَتْ هُزْأً عِنْدَ هَزِّ قَوَامِهَا إِذَا رَامَ أَنْ يُحْكِي قَوَامًا كَالْقَنَا (١)

وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات :

جَوَانِحُنَا نَحْوَ اللِّقَاءِ جَوَانِحُ وَمَقْدَارُ مَا بَيْنَ الدِّيَارِ قَرِيبُ
وَتَمْضَى اللَّيَالِي وَالْتِرَاوُرُ مُعْوِزُ عَلَى الرَّغْمِ مِنَّا وَإِنِّي ذَا لَغَرِيبُ
فَدِينُكَ عَجَلُهَا لَعِينِي زِيَارَةٌ وَلَوْ مِثْلُ مَا وَدَّ اللَّحَاظُ مَرِيبُ
وَإِنِّي لِقَائِي جَلُّهُنَّ ضَرْبُ مَوْعِدٍ لِأَكْرَمٍ مَا يُهْدِي الْأَرِيبُ أَرِيبُ
فَرَا جَعْنِي بِقَوْلِهِ . وَالتَّجْنِي شِيمَةٌ :

لَعَمْرُكَ مَا يَوْمِي إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا سَوِي [يَوْمَ صَبٍّ] (٢) مِنْ عَدَاهُ يَغِيبُ
أَزُورُ فَلَا أَلْفِي لَدَيْكَ بِشَاشَةً فَيَبْعُدُ مِنِّي (٣) الْخَطَاؤُ وَهُوَ قَرِيبُ
فَلَا ذَنْبَ لِلْأَيَّامِ فِي الْبَعْدِ بَيْنَنَا فَإِنِّي لِدَاعِي الْقُرْبِ مِنْكَ مَجِيبُ
وَإِنِّي لِقَاءً جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ لِيَحْسَنَ لَا كُنْ مَرَّةً وَيَطِيبُ

(١) وردت في المخطوطين (كالعنا) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت مكثراً في المخطوطين (منه) .

(٣) وردت مكثراً في «ج» (منه) .

وإجسانه كثير . وفيما ثبت كفاية ليلا نخرج [عن غرض الاختصار]^(١) .

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

يكنى محمد أبا بكر ، أخو الذي قبله .

حاله

تلوه في الفضل والسراوة ، وحسن الصورة [ونصاعة الطرف]^(٢) مربب عليه بمزيد من البشاشة والتزهل ، وبذل التودد . والتبريز في ميدان الانقطاع . متأخر عنه في بعض خلال غير هذا . ذكي الذهن . مليح الكتابة . سهلها . جيد العبارة [متأنى اليراع]^(٣) ، معلق اليد ، حسن الخط ، سريع بديهية المنثور ، معم ، مخول في التخصص والعدالة . كتب الشروط بين يدي أبيه ، ولسخ كثيرا من أمهات الفقه ، واستظهر كتباً . من ذلك « المقامات الحريية » . وكتب بالدار السلطانية . واختص بالمراجعة عمن بها ، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها . حميد السيرة ، حسن الوساطة ، نجدي الجاه ، مشكور التصرف ، خفيف انوطاة . ووتى الخطابة العلية . مع الاستمسك بالكتابة . ولم يؤثر عنه الشعر ، ولا عول عليه .

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

يكنى أبا بكر ، وقد ذكرنا أباه وعمه ، ويأتي ذكر جدّه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ومكانها في «الزيتونة» (عن العرض) .

(٢) هذه العبارة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

(٣) واردة في «ج» وساقطة في «الزيتونة» .

حاله

نبيل المقاصد في الفن الأدبي ، مشغول به ، مفتوح من الله عليه فيه [شاعر مطبوعٌ مُكثر]^(١) انقاد له مَرَّ كِبِ النظم ، في سن المراهقة ، واشتهر بالإجادة ، وأنشد السلطان ، وأخذ الصلة ، وارتسم لهذا العهد في الكتابة . وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره .

شعره

ومما خاطب به أحد^(٢) أصحابه :

إذا شمتُ من نحو الحمى في الدجا برقا
ومهما تذكرتُ الزمان الذي مضى
خليلي لا تجزع لمحل فادمعي
وما ضرتُ من أصبحتُ ملك يمينه
فبيتُ به عشقا وإن قال حامدُ
تلهب قلبي من تلهب خـده
ومنها

وكم من صديق كنت أحسبُ أنه إذا كذبت أوهامنا رفع الصدقا

[محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي]

ابن عم المذكورين قبله ، يكنى أبا القاسم .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (شاعراً مطبوعاً مكسراً) .

(٢) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (بعض) .

(٣) وردت في المخطوطين (راق) . والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٤) وردت في «ج» (فتم) . والتصويب من «الزيتونة» .

حاله

حسن الصورة ، لازم القراءة على شيوخ بلده . ونظم الشعر على الحدائث ، وترشح للكتيب بالدار السلطانية مع الجماعة ، ممن هو في نظمه .
ومن شعره . كنب إلى بما نصه :

أحسب وحده يوم رأسك ربا تُعلى السلامة في الصراع سلماً^(١)

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور

حاله

شاب حسن فاضل ، دَمِثْ . متخلق ، جميل الصورة ، حسن الشكل ، أحمر الوجنتين^(٢) . حَفِظَ كتباً من المبادئ النحوية ، وكتب خطأ حسناً ، وارتسم في ديوان الجند مثل والده ، وهو الآن بحاله الموصوفة .

شعره

قيد أخوه لى من الشعر الذى زعم أنه من نظمه . قوله :

حلفت بمن^(٣) زاد عنى الكرى وأسهر جفنى ليلاً طويلاً
وألبس جسمى ثياب النحول وعذب بالهجر قلبي العليلاً
ما^(٤) حلت عن ودّه ساعة ولا اعتضت منه سواه بديلاً

(١) هذه الترجمة الموجزة واردة في «ج» ، وساقطة في «الزيتونة» .

(٢) وردت في «ج» (الوجنة) والتصويب من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (لمن) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في المخطوطين (لما) . وحكمة التصويب واضحة .

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن

عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَي الكلابي

من أهل غرناطة وأعيانها ، يكنى أبا عبد الله .

أولادته

تُنظر^(۱) في اسم أبيه في ترجمة المؤرّبين والعلماء .

حاله

من أعلام الشهرة على الفتاوة^(۲) . وانتشار الذكر على الحدائث . تبرزاً في
لأدب ، واضطلاعاً بمعانة الشعر ، وإتقان الخط ، وإيضاحاً للأحاجي والملفّزات .
نشأ بقرناطة في كنف والده رحمه الله . مقصود التّدريب عليه ، مشاراً إليه
في ثُقوب الذّهن ، وسَمّة الحفظ ، ينطوي على نبل لا يظهر أثره [على النفاثة ،
وإدراك ، تغطّي شملتّه مخيِّلة خير صادقة ، من تغافله . ثم جاش طبعه ، وفهق حوضه ،
وتفجّرت ينايحه ، وتوقد إحسانه]^(۳) .

ولما فقد والده ، رحمه الله ، ارتسم في السكتاية . فبدت جلة الشعراء ، إكثاراً
واقْتداراً ، ووفور مادة ، مجيداً في الأمداح . عجيباً في الأوضاع . صدّقاً^(۴)
في الذّيب ، مطبوعاً في المقنوعات . معتدلاً في السكتاية ، نشيط البنان ، جليداً
على العمل ، سيال المجاز^(۵) ، ججّوح عنان الدّعابة ، غزلاً ، مؤثراً للفكاهة ،

(۱) وردت في المخطوطين (تنظيم) ، فلزم التصويب .

(۲) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (الفتوى) وهو تحريف ، والمقصود به هذا (الفتوه) .

(۳) ما بين الحاصرتين وأرد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(۴) هكذا وردت في المخطوطين .

(۵) هكذا في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (المزاج) . والأولى أرجح .

انتقل إلى المغرب لشُفوف خصله ، على ما قد قسم^(١) الحظوظ . سبحانه من رزقه
بهذه البلاد . فاستقرَّ بباب ملكه . مرعى الجناح ، أثير الرتبة . مطلق الجراية .
مقرر^(٢) السهام . مُعتبا وطنه | راضيا عن جيرته . ديدن من يستند إلى قديم ،
ويتحيز إلى أصالة^(٣) .

تواليفه

أخبرني عند لقائه أيام بمدينة فاس في غرض الرسالة ، عام خمس وخمسين
وسبعماية ، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة ، ذاهبا هذا المذهب ، الذي انتدبت
إليه ، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعها ، وقيد بخطه من الأجزاء الحديثة^(٤)
والفوائد والأشعار ما يفوت الوصف ، ويفوق الحد . وجرى ذكره في « التاج »
بما نصه :

« شمسٌ في البلاغة بازغة^(٥) ، وحجة على بقاء الفطرة الفريزية^(٦) في هذه
البلاد المغربية بالغة ، وفريدة وقت أصاب من فيها نادوة أو نابغة ، من جذع
ابن علي القادح ، وجرى من المعرفة كل بارح ، لو تعلقت الغوامض بالثرَيَا
لناها ، وقال أنا لها . وربما غلبت^(٧) الغفلة على ظاهره ، وتنطق أكامها
على أزهرة ، حتى إذا قدح في الأدب زنده ، تقدم المواكب بنده ، إلى خط^(٨) »

- (١) وردت في المخطوطين (قسم) والتصويب أنسب للسياق .
- (٢) وردت في المخطوطين هكذا (مقدر مقرر) . وقد أثرنا الكلمة العربية .
- (٣) ما بين الخاصرتين وارد في «ج» . وسقط في «الزيتونة» .
- (٤) هكذا في المخطوطين . والمقصود بها فيما يبدو . الحديثة وقت كان هذا المذهب .
- (٥) وردت في المخطوطين (برعة) . والتصويب أنسب للسعي والسياق .
- (٦) وردت في المخطوطين (الفريزية) . والتصويب أنسب لصفه الفطرية .
- (٧) وردت في «ج» (وبلغت) . والتصويب من «زيتونه» .
- (٨) وردت في المخطوطين (خط) . والتصويب أرجح .

بارع^(١) ، يعنُو^(٢) طَوال الطويل منه [إلى سرِّ وبراءة ، كما ترضى المسك
والكافور عن طرس وحبر]^(٣) .

شعره

فمن غرامياته وما في معناها [قوله]^(٤)

متى يتلاقى شايق ومشقوق
أما أنها أمنية عزَّ نيلها
ولكني خدعتُ قلبي تَعْلَةً
وقد يُرزق الإنسان من بعد يأسه
تباعدتُ لما زادني القربُ لوعةً
ورمتُ شفاء الداء بالداء مثله
وتالله ما للصبِّ في الحب راحةً
وياربُّ قد ضاقت عليَّ مسالكي
ولا سلوةٌ ترجى ولا صبرٌ ممكن
ولا الحبُّ عن تعذيب قلبي يَنْدَثْنِي
شجونٌ يضيق الصدر عن زفرائها
ثرتُ عقود الدمع ثم نظمتها

ويُصبح عبرُ الحبِّ وهو طليق
ومرَّمي لعمرى في الرجا سحيق
أخافُ انصداع القلب فهو رقيق
وروضُ الربِّي بعد الذبول يروق
لعل فؤادي من جواه يَفِيق
وإني بالأأ اشتقني لحقيق
على كل حال إنه لمشوق
فها أنا في بحر الغرام غريق
وليس إلى وصل الحبيب طريق
ولا القلبُ للتعذيب^(٥) منه يُطبق
وشوقٌ نطق الصبر عنه يضيق
[قريضاً فذا دُرِّي وذاك عقيق]^(٦)

(١) وردت في «ج» (براءة) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (يرنو) .

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط في «الزيتونة» .

(٤) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (بالتعذيب) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى .

(٦) هكذا وردت هذه الشطر في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالاتي : (قريض فصار

بكِتْ أُسَى^(١) حَتَّى بَكِي حَامِدٍ [ي مَعَى]^(٢) كَأَنَّ عَذُولِي عَادَ وَهُوَ صَدِيقٌ
 وَلَوْ أَنَّ عِنْدَ النَّاسِ بَعْضَ مَحَبَّتِي
 أَيَاعِينُ كَفَى الدَّمْعَ مَا بَقِيَ السُّكْرَى
 لَمَّا^(٣) كَانَ يُلْقَى فِي الْأَنَامِ مُفِيقٌ
 إِذَا مَنَعُوكَ النَّوْمَ سَوْفَ تَذُوقُ
 لَشَمْسِكَ مِنْ^(٤) بَعْدِ الْغُرُوبِ شَرُوقُ
 عَلَيْكَ وَإِنْ عَادِيَتَهُ لَشَفِيقٌ
 إِلَّا إِنْ عَهْدِي كَيْفَ كُنْتُ وَثِيقٌ
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاكَ حَرِيقٌ
 صَبَرْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَسْتُ أُطِيقُ
 فَازَلْتُ بِي حَتَّى فُضِحْتُ فَإِنْ أُرَى كُنْ
 وَقَالَ :

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ مَعْسُولِ اللَّحَى
 الْحَمْرُ بَيْنَ لِسَانِهِ وَالزَّهْرُ فِي
 يَنَادِي غَصْنُ الْبَانِ فِي أَثْوَابِهِ
 مِنَ الْهَلَاكِ بَشْفَرِهِ أَوْ خَدِّهِ
 وَلَقَدْ تَشَبَّهْتَ الظُّبَا بِشُبُهَةِ
 نَادِمَتِهِ وَسِينًا مَحْيَا الشَّمْسِ قَدْ
 فِي رَوْضَةٍ ضَحَكَتْ تَغُورُ أَقَاحِهَا
 أُسْقِيهِ كَأْسَ سُلَافَةِ كَلِمَتِكَ فِي
 صَفْرَاءٍ لَمْ يُدِرِ الْقَتَى أَوْ كَوَّاسِهَا
 فَتَاكَ بِلِحْظِ الْعَيْنِ فِي عَشَاقِهِ
 وَجَنَاتِهِ وَالسُّعْرُ فِي أَحْدَاقِهِ
 وَيَلُوحُ بِدُرِّ التَّمِّ فِي أَطْوَاقِهِ
 هَبْ أَنَّهُ يُحْكِيهِ فِي إِشْرَاقِهِ
 مِنْ خَلْقِهِ وَعَجَزَنْ عَنْ أَخْلَاقِهِ
 أَلْقَى عَلَى الْأَفَاقِ فَضْلَ رِوَاقِهِ
 وَأَمَالَ فِيهَا الْمُرْنَ مِنْ آمَاقِهِ
 نَفَحَاتِهِ وَالشَّهْدَ عِنْدَ مَذَاقِهِ
 إِلَّا تَدَاعَى هَمُّهُ لِفِرَاقِهِ

(١) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقطة في «ج» ووراد في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (ما) .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .

ولقد تلين الصخر^(١) من سطاواته
وأظله أرشف من سلافة^(٢) ثغره
ولربما عطفته عندي نشوة
أرجو نداءه إذا تبسم ضاحكا
أشكو القساوة من هواي وقلبه
ياهل لعهدٍ قد مضى من عودة
يا ليت شعري لو كانت لذلك حيلة
فلقد يروق الغصن بعد ذبوله
ومما اشتهر عنه في هذا الغرض :

ذهبت حشاشة قلبي الصّدوع
ما أنصف الأحبابُ يوم وداعهم
أنجد بغيثك يا غمام فإني
من كان يبكي الظاعنين بأدمع
إيه وبين الصّدر مني والحشا
هات الحديث عن الذين تحمّلوا
عندي شجون في التي جنت النوى
من وصلّى الموقوف أو من سهدى الموصول^(٤) أو من نوى المقطوع
ليت الذي بيني وبين صبابتي

(١) وردت في المخطوطين (الحر) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطين (أفاح) . وبهذا تعديل يستقيم المعنى والسياق .

(٣) وردت في المخطوطين (فعل) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» الموصوف . والأولى أنسب للمعنى

فالحرُّ ليس لحادثٍ بِجَزُوعٍ
تَبَعِي التَّزُوعِ وولاتٍ حينَ تَزُوعٍ
أبَدتْ له عَطْفَاهُ عَدْفَ مُطِيعٍ
فَاعْجَبْ لِحَسَنِ مُفْرَدٍ مَجْمُوعٍ
خَجَلًا وَإِجْلَالًا له مَطْلُوعٍ
حَتَّى تَفْتَحَ عن رِياضِ رِيحٍ
فَلَرَبِّ ضِرْغَامٍ بَيْنَ صَرِيحٍ
حُسْنًا كَحَسَنِ الشَّعْرِ بِالتَّصْرِيحِ
فَشَقِيَّتِ بِالْمَنْوُوحِ وَالْمَنْوُوعِ
[أَتَرَاهُ يَعْطِفُهُ عَلَيَّ خَضُوعٍ] (٢)
حُبِّي وَلَا يَمْدَارِي المَخْلُوعِ
لِيَحُوزَ أَجْرًا مُنْعَمًا (٣) وَشَفِيحِ
لَوْلَا الهَوَى مَا كُنْتُ بِالمَخْدُوعِ
وَأَثْبَتَنِي سِوَاهَا لِحَسَنِ صَفِيحِ
بَطْوِيلِ هُجْرَانٍ إِلَى سَرِيحِ
فَمَنْعَتَ مِنْ مَاءِ الرُّضَابِ شُرُوعِي
خَبْرًا صَحِيحًا لَيْسَ بِالمَصْنُوعِ
عَنْ مَقَلَّتِي عَنْ قَلْبِي المَصْدُوعِ

يا قلب لا تجزع لما فعل النوى
أبعد ما غودرت في أشراكه
ومهفهف مهاهبت ربح الصبا
جمع المحاسن وهو منفرد بها
والشمس لولا إذنه ما آذنت
مازلت أسقى خده من أدمعي
إن كان يرنو عن (١) نواظر شادين
عجبا لذاك الشعر زاد بفرقه
منع السكرى ظلما وقد منع الضنا
جردت ثوب العز عن طامأ
لم أنتفع لبسا من الملبوس في
بجماله استشفعت في إجماله
يا خادعي عن سلوتي وتصبري
أوسعتني بعد الوصال تفرقا
أسرعت فيما ترتضى (٤) فجزيتني
أشرعت رُحما من قوايك دايلا
خذ من حديث تولعي وتولهي
برويه (٥) خدي مسندا عن أدمعي

(١) هكذا وجدت في «ج». وفي «الزيتونة» (على).

(٢) هكذا وجدت في «الخطوط» وفي «نص آخر» (أترأه يولع عطفه الخضوع).

(٣) هكذا في «نص» (مشفع).

(٤) هكذا في «ج». وفي «نص» (بفرقه).

(٥) هكذا وجدت في «ج». وفي «الزيتونة» (برو). وفي «نص» (برو).

كم من ليالٍ في هواك قطعتها
لا والذي طبع السكرام على الهوى
ما غيرتني الحادثات ولم أكن
لا خير في الدنيا وساكنها معا
وأنا لذكرهن في تقطيع
وبر^(١) سوا أن الهوى المطبوع
بمذيع سرٍّ للعهد — ود مضيع
إن كان قلبي منك غير جميع
وقال في غير ذلك [في غرض]^(٢) يظهر من الأبيات :

وقالوا عداك البخت والحزم عندما
ألم يعلموا أن اغترابي حُرّامة
نعم لست أرضى عن زمانى أو أرى
لقد سميت نفسى المقام ببلادة بها العيشة^(٣) التكرار^(٤) والمكسب السحت
يُذَلُّ بها الحرُّ الشريف لعبده
إذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها
ولست كقوم في تعصبهم عتوا
رغبتُ بنفسى أن أماكن معشراً
يدسون في لين الكلام دواهاياً
فلا دُرُّ دُرِّ القوم إلا عصبية
وآثرتُ أقواماً حمدتُ جوارهم
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت
فما ألقوا لها ولا عرفوا خنى
به كلُّ مرتاح إلى الضيف والوغى

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ومن).

(٢) هذه العبارة واردية في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (النكداء).

(٤) وردت في «ج» (الستين). والتصويب من «الزيتونة».

وأشعثُ ذى طَمْرِينُ أغناه زُهده
صبورٌ على الإيذاء بغيضٌ على العدا
ولى صاحبٌ مثلى يمانٍ جعلته
وأجرُدُ جرَّارُ الأعنة فارِح
تسامتُ به الأعراقُ^(١) فى آل أعوج
وحسبى لعضاتِ النوائبِ مُنجدا
قطعتُ زمانى خبرةً وبلوتهُ
ومارستُ أبناءَ الزمانِ مُباحثا
وذى صلَفٍ يمشى الهوينى ترفقا
إذا غبتُ فهو المرؤة القومِ عندهم
وإن ضمَّنى يوما وإياه مشهد
فحسبى عُدائى أن طويتُ ما ربى
وقلتُ لدنياهم إذا شئتُ فأعربى
وأغضيتُ عن زلاتهم غيرَ عاجز
وقال :

لا تُعد ضيفك إن ذهبت لصاحب
أوما ترى الأشجار مهمارُ كبت
ومنه فى المقطوعات :

وشادن تيمنى حبسه
مورد الخدين حلو اللامى
حظى منه الدهر هجرانه
أحر مطنى الطرف وسنانه

(١) شاذل وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الأعذار) .

(٢) وردت فى «ج» (وأنفق) ، والتصويب أرجح .

لم تنطأ الأغصان في الروض بل
يا أيها الظبي الذي قلبه
هل عطفةٌ ترجى لصبِّ شبح
يود أن لو زُرته في السكرى
قد رام أن يكتبَ ما نابَه
فأفضيتُ أسراره وامتنوى
وقال :

بينهما الشوق يُستثار
فأين لى عنهما الفـرار
يطلبه الليل والنهار
وقال في الدوبيت :

زارت ليلاً وأطلعت فجرها
لما بصرت بالشمس قالت يافى
وقال في غرض التورية :

أبج لى [فى]^(١) رياض المحاسن نظرة
وبالله لا تبخـل على بعطفة
فإني رأيت الروض يوصف بالندا
وقال :

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ح» (قلبي).
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «-» ووردت في «الزيتونة» (الجمع بين الأختين).
(٣) الزيادة من «الزيتونة»

وعاشقٌ صلى ومحـرابه
قالوا تعبد فقلت^(١) نعم
ووجهُ غزال ظلّ يـسـواه
تعبداً يفهم معناه

وقال وهو مليح جداً :

وصديق شكى بما حـلـوه
قلتُ فاردُّ ما حـلـوك عليهم
من قضاء^(٢) يقضى بطول العناء
قال من استطع ردَّ القضاء
لسان الفتى ولسان القضاء
لسانان هجياً^(٣) من خصامه
فلست أرى لك أن تنطقا^(٤)
[إذا لم تحزَّ واحداً منهما
وقال :

تلك الذؤابة ذُبت من شوقى لها
يا قلبُ فانجح لا إخالك ناجياً^(٥)
واللحظ يحميها بأى سلاح
من فتنة الجمدي والسفاح
إحسانه كثير . ويدل بعضُ الشيء على كـله . ويحجرُ ظلُّ الغيث على
وبله^(٦) .

وفاته

اتصل بنا خبر وفاته بفاس مَبْطوناً في أوائل ثمانية وخمسين وسبعماية . ثم
تحققتُ [أن ذلك]^(٧) [في آخر شوال من العام قبله]^(٨)

- (١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قلنا) .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (قضى) .
- (٣) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (هجياً) .
- (٤) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (ناجياً) .
- (٦) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .
- (٧) أضفنا دلتن الكلام من يستقيم السياق .
- (٨) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت مكانها في «الزيتونة» العبارة الآتية (ثم تحققت
أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام) . والكلام عليه علامة الشطاب ابتداءً من كلمة (في أوائل) .

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم

ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي

يكنى أبا القاسم .

حاله

من كتاب «عائد الصلة» : فرعُ دوحة الأصالة والخصوصية ، والعلم والدين ،
والمكانة والجلالة ، [يُجلى بينه]^(١) . ومجدد ما نره [برآ ، ومجاملة ، وخيرية]^(١) .
نشأ بأطراف جُملمته من الفنون ، من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة ، إلى
خط حسن ، وأدب تكفله^(٢) ، حتى انتقاد له أو كاد . أُعبط^(٣) في وقية الطاعون
قاضياً ببعض الجهات . وكاتباً للدار السلطانية ، فكانت فيه الفجيمة عظيمة .

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه : « من فروع مجدٍ وجلالة ، وورث
الفضل لآعن كلاله . أشرف^(٤) . مجيدٌ . معظّمٌ ، مُخَوَّلٌ في العشرة^(٥) ، وصل
لباب المجد بفرايد الخلال الأثيرة ، وأصبح طرفاً^(٦) في الخير والعفاف ، واتّصف
من العدالة بأحسن اتّصاف ، وسلك من سُنن سلفه ، أثرًا هذا ، لا يزال يُرشده
ويدلّه ، ويسدّدُه فيما يعقده أو يُحلّه ، واتّسم بِبِسْمِ الحيا ، والحيا خيرٌ كله ، إلى
نزاهة لا ترضى بالدون ، ونجابة تهالك في صون^(٧) الفنون . وطمح في هذا العهد

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تكلفه) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت بحرفه في «ج» (اعتط) . وأعبط أى هلك .

(٤) وردت في «-» (شرفه) . وفي «ج» (شرفه) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (العشرة) .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . والطرف ، أى التوى .

(٧) وردت في المخطوطين (هون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

إلى نَمَطٍ في البلاغة رفيع، وجَنَحَ إلى مساجلة [ما يستحسنه] ^(١) من مُخْتَرَعٍ وبديع،
وصدوت منه طُرْفٌ تُسْتَمَلِحُ، وتُسْتَحْلِي إذا استحلى . ونحن نورد ما أمكن
من آياته، ونجلى بعض غُرَرِهِ وشيئاته .

شـمـرہ

ومن مقطوعات آياته :

وهبت فهزت عندما رأت به الطلا مثل الطفل يرضع في المهد
والرّوض حياه المزن خلعة برقة وباتت رُباه من جِباه على وعد
يحدثناعن كرمها ^(٢) ما من مُزْنِها ^(٢) فتبدي ابتسام الزهر في لئمة الخد
عجبتنا لما رأينا من برّها بدور حُباب الكأس تلعب بالنرد

وقال :

شربنا وزمجي الدياجي مُوقدُ مصابيح من زهر النجوم الطوالع
عقاراً وأنه حين أقبل حالكاً فجاءت بمُصْفَرٍّ من اللون فاقع
عجبت ^(٣) لها ارتاع منه وإنها لفي الفرق قد قرت لِدَمِ المدامع ^(٤)

وقال :

لاح في الدرّ العقيق فخيّا أم مزاج ^(٥) أذاه صرف المحيّا

(١) وردت في «الزيتونة» (من يستحسنه) . ووردت في «ج» (من يقتبسه) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (كرمه . قريه) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (عجبا) .

(٤) هكذا في «ج» . وفي «الزيتونة» (المراضع) ، والأولى أرجح .

(٥) وردت في «ج» (زجاج) . والتصويب من «الزيتونة» .

من بنات الكروم والرّوم بكرا
خلتها والحباب يطفو عليها
قهوة كالعروس في الكأس تجلّي
أقبلت ترتدى حيا بهيا
شفقا فوقه نجوم الثريا
صاغ من لؤلؤها المزج حليا

وقال :

ويوم أنس صقيل الجوّ ذى نظر
مازلت فيه لشمس الطبت^(٢) مصطحبا
صفراء كالعسجد المسبوك إن
[كذلك الشمس في أخرى عشيتها]
كأنه من وميض البرق^(١) قد خلقا
وبالنجوم وبالآ كواس مغتبقا
شربت تبدي احمرار أعلى الخدين مؤتلقا
إذا توارت أثارت بعدها شفقا^(٣)

وقال :

بنفسى حبيب صال^(٤) عامل قدّه
ويا عجباً منه متى صار ذابلا
وأعجب من ذا أن سيف لحاظه
على ولما ينمط وهو كالنصن
ونضرتة تثار عن حوطة اللدن
يمرعى أفلاد الحشى وهو فى الجفن

وقال :

يا بى وغير أبى غزال نافر
قر تلاً واستنار حبيبّه
لم يرض غير القلب منزلة فهل
بين الجوانح يفتدى ويروح
غارت^(٥) به بين الكواكب بوح
يا ليت شعرى بالذراع يلوح

ومما نسب لنفسه وأنشدنيه :

(١) هكذا فى «الزيتونة» . ووردت فى «ج» «البرق» والأولى أنسب للمعنى .

(٢) وردت فى «ج» «الطبت» . ووردت من «الزيتونة» .

(٣) هذا البيت ورد فى «الزيتونة» وسقط فى «ج» .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» وفى «ج» «جالت» والأولى أنسب للمعنى .

(٥) هكذا فى «الزيتونة» وفى «ج» «عادت» .

ليلُ الشَّبابِ أنجَابِ أولِ وهلةٍ عن صُبحِ شَيْبٍ لستَ عنه براضٍ
 إن سرَّني يوماً سوادُ خِضابِهِ فنُصُولُهُ عن ساقِ بِيضِ
 هلاً اختفى فهو الذي سرق الصُّبا والقَطْعُ في السَّرقاتِ [أمر ماضٍ] (١)
 فعليه ما استطاع الظهور بِلَمَّتِي وعلىَّ أن ألقاهُ بالمِقْرَاضِ

وفاته

توفي رحمه الله بقرنطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة ،
 في وقعة الطاعون ، ودفن بباب البيرة [رحمة الله عليه] (٢) .

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد [بن علي] (٣)

ابن محمد اللوشي اليحصبي

يكنى أبا عبد الله ويعرف باللوشي

أوليته

من لوشة . وقرأ العلم بها ، وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصير
 الملك [له] (٤) وتقدم عنده . تضمن ذكره الكتاب المسمى « بطرقة العصر

(١) وردت في المخطوطين (أرماض) . وهو تحريف . وبالنصوب يستقيم المعنى .

(٢) ما بين الحاصرتين وورد في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» .

(٤) الزيادة من «الزيتونة» .

في أخبار بني نصر»^(١) ، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشى ، كاتب الدولة النصرية رحمه الله .

حاله

من كتاب « عايد الصلة » . كان رحمه الله من أهل الحسب والأصالة ، شاعراً ، مداحاً . نشأ مُدَلِّلاً في حُجُور الدولة النصرية ، خفيفاً على أبوابها ، مُفضَّلاً على مُدَّاحها . ثم تجنَّى بآخرة ، ولزم طوراً من الحمول في غير تشكُّ ، أعرض به عن أرباب الدنيا ، وأعرض عنه . واقتصر على تبليغ من علالة مُؤمِّل كان له خارج [غرناطة]^(٢) غير مُسَاد من ثلِّمه ، ولا مُصلِح في خَلِّه ، أخذ نفسه بالتَّقَشُّف ، وسوء المسكن ، والتهاون بالملبس ، حملاً عليها في غير أبواب الرياضة ، مجانِباً أرباب الخَطِّاط . وفيما لمن لحقته من السلطان مَوْجِدَة ، تختلف معاملته لمن يعرفه في اليوم مرَّات ، من إعراض عنه ، وقبُول عليه ، ولصوق به ، كل ذلك عن سلامة ، وتهيب نفس . مليح الدُّعابة ، إذا كرا لفنون من الأناشيد ، حسن الجِدِّ ، متجافياً عن الأعراض .

وجرى ذكره في « التاج » بما نصه : « شاعر مُفَاق ، وشهابٌ في أفق البلاغة متألِّق ، طبَّق مفاصل الكلام بِحُسام لسانه ، وقلَّد نُحُور الكلام . ما يُزرى بجواهر الملوك من إحسانه . ونشأ في حُجُور الدولة النصرية مُدَلِّلاً بمتاته ، متقلِّباً من العزِّ في أفانينه وأشتاته . إذ لسلفه الذُّمام الذي صَفَّت^(٣) منه الحياض

(١) هو مؤلف وضعه ابن الخطيب في تاريخ الدولة النصرية منذ قيامها حتى عصره ، وهو غير كتاب «اللمحة البدرية» الذي يتناول نفس الموضوع . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن الخطيب التاريخية (راجع كتابنا لسان الدين بن الخطيب ص ٢٥٠ . والمجلد الأول من الإحاطة (الطبعة الثانية - ص ٥٨) .

(٢) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في «ج» (بعث) . والتصويب من «الزيتونة» .

والحمام، والورداد الذي قصرت عنه الأنداد . والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أزوجونة^(١) وجيان ، محيّر ثمرة الطيب . وله همّة [عالية]^(٢) ، بعيدة المرمى ، كريمة المنتمى . كحمله بأخرة على الاتقباض والازدراء ، والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاختصار، فعطف على انتجاع غلته، والتزام محلته ، ومباشرة فلاحه صان بها وجهه ، ووفاه الدهر حقه ونجمه ، واحتجبت عقايل بيانه لهذا العهد وتقنعت . وراودتها النفس فتمنعت . وله فكاهة، وأنس الزمان ، مناجاة القينات ، عند البيات ، وأعذب من معاطاه^(٣) الراح في الأقداح .

شعره

قال ، [وله أدبٌ بلغ في الإجابة الغاية]^(٤) ، ورفع للجبين من السنن الرأية . ومن مقطوعاته يودع^(٥) شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجاج :

وأورنى وقد أغرقت في عبّراتي وأحرقْتُ في نارى لدى زفّراتي
فقالوا سلوه تعلموا كنه حاله فقلتُ ملّوا عنى أبا البركات
فمن قال إني بالرحيل مُحدث روت عنه أجفاني غريب ثبات
ونادى فؤادى رَكبه فأجابه ترحّل وكن في القوم بعض عدات

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية :

سيخطب قس العزم في منبر السرى وهل في الدنيا^(٦) يوم المسير أطيق

(١) هي موطن بني نصر ملوك غرناطة، وقد سبق التعريف بها . (٢) الزيادة من «الزيتونة» .

(٣) وردت في «ج» (معاطب) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» كالآتي : (وله أدب بليغ

في الإجابة بلغ الغاية) .

(٥) وردت في المخطوطين (يردد) والتصويب أنسب للمعنى والسياق .

(٦) وردت في المخطوطين (الدنيا) . والتصويب يستقيم الوزن .

وأقطع زَند الهَجْر والقَطْع حَقَّهُ فَمَازَالَ طَيبُ العَمْرِ عَنِي يَسْتَرِقُ

مولده : في حدود ثمانية وسبعين وستائه

وفاته

في الموفى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعمائة

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
بكنى أبا بكر

أوليته

[مرت] (١) في اسم ذى الزادتين .

حاله

من كتاب «عائد الصلاة» : «كان صدر أبناء أصحاب النعم ، وبقية
أعلام البيوت ، ترف نشأة . وعز تربية ، وكرم نفس ، وطيب مجالسة ،
وإمتاع محاضرة ، وصحة وفاء . وشياع مشاركة في جملة فاضلة . محدثا تاريخيا ،
كاتباً بليغاً ، حسن الخط ، مليح الأدابة ، ظريف التوقيع . متقدم الحيلة (٢)
في باب التحسين والتنقيح . يقرض الشعر ، ويفك المعنى ، ويقوم على مجمل
الكتاب العزيز . حفظاً وتجويداً . وإتقاناً ، ويسرد نثف التاريخ . وعيون
الأخبار ، إلى حسن الخلق . وكال الأبهة . وحلاوة اليساطة ، واحتمال المناشئة .

(١) الزيد من الزيتونة .

(٢) وردت في «ج» (الحيلة) . وفي «الزيتونة» (الحياة) . والنص هو يستقيم المعنى .

والمثابرة على حفظ المودة. والاستقامة من الذمومة. والتمسك بالاستعانة والمؤدرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عمره. وتصدر بعد في قيادة المواضع النبوية. [مخارباً ذا قدرة في ذلك] (١). ومع ذلك فشايح المعروف، ذابح المشاركة. قيّد الكثير. ودون وصنف. وحمل عن الجلة ممن يشق إحصاؤهم. وكان غرة من غرر هذا القطر، وموكبا من مواكب هذا الأفق. لم يتخلف بعده مثله.

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصه: «ماجد أقام رسم المجد بعد عفايه، فوفى الفضل حق وقايه. بيته في رندة، أشهر في الأصالة من بيت امرئ الفيس، وأرسي في بحبوحة الفخر» (٢)، من قواعد الرضوى وأبي قيس. استولى على الجود البديع (٣) البعيد المدا، وحجّت إليه من كل فج طلاب النداء، وعشت إلى ضوء ناره، فوجدت على النار التقي والهدى. ولى الوزارة النصرية، التي اعتصر منها طريقاً بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد (٤). ولما أدار عليها الدهر كأس النوايب، وخلّص إليها سهمه [الصبايب] (٥) بين صحايف الكُتُب وصفائح الكتايب، تطاعت من خلالها الراية لباب الوجود، وبكتها بسيل أجفانها عين الباس والوجود، وطلّع على أعقاب هذه الفضائل

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «الريونة». ووردت في «ج» كالأولى: (مخارباً بمقدورا عليه). والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى والسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» (الفضل).

(٣) الريادة من «الزيتونة».

(٤) هو يحيى بن خالد الترمكي وزير هرون الرشيد. وأحد أعلام أسرة البرامكة الشهيرة، التي أسست على السلطة في الدولة العباسية، واضطر الرشيد إلى نكبتها (سنة ١٨٧ هـ) حرصاً على سلطانه، وتحرراً من قبضتها.

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج». وساقطة في «الزيتونة».

مُحَلِّي من صفحاتها^(١)، وأعاد لو ساعده الدهر من لمحاتها ، وارتقى من الكتابة إلى
 المحل النبوية ، واستحقها من بعض ميراث أبيه ، [وَبْنِي]^(٢) وشيد ، ودون فيها وقيد
 وشهر في كتب الحديث وروايته ، وجنى ثمرة رحلة أبيه ، وهو في حجر ذؤابتة^(٣) .
 وأنشأ الفهارس ، وأحيى الأثر الدارس ، وألف كتابه المسمى « بالموارد المستعذبة
 والمقاصد المنتخبة » فسرح^(٤) الطارف ، وروضه طيب الجنى والعرف ، وله شعر
 أنيق الحلية ، حاز في نمط العلية . وبينى وبين هذا الفاضل و داد صافي الحياض^(٥) ،
 وفكاهة كقذاع الرضا ، ودعابة سحبت الدالة أذيالها ، وأدارت الثقة والمقة
 جريالها . وسيمر في هذا الديوان كل رايق المحيا ، عاطر الريا .

مشيخته

قرأ على [الأستاذ]^(٦) أبي جعفر الحريري ، والأستاذ أبي الحسن القبيجاطي ،
 والأستاذ إسحاق بن أبي العاصم . وأخذ عن الطم والرّم ، من مشايخ المشرق
 والمغرب . فمنهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المعافري ، إلى العدد الكثير من
 أهل الأندلس ، كأولياء الصلحاء أبي عبد الله الطنجالي ، وأبي جعفر الزياتي ،
 وأبي عبد الله بن الكماد ، وغيرهم من الرنديين والمالقيين والغرناطين ، حسبما
 تضمنه برنامج .

تواليفه

ألف الكتاب المسمى ، « الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة »^(٧) . وكل

- (١) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت محرقة في «ج» كالآتي : (بخل من صباحها) .
- (٢) أضف هذه الكلمة ليستقيم السياق .
- (٣) وردت في «ج» (دابه) . والصواب من «الزيتونة» .
- (٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (فسمع) وهو حريف .
- (٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الحيطة) .
- (٦) الزيادة من «الزيتونة» .
- (٧) سبق أن ورد عنوان هذا الكتاب فيما تقدم كالآتي : «الموارد المستعذبة والمقاصد المتحبة» .

التاريخ المسمى « بيزار العمل » لابن رشيقي . ودون كتاباً في عبارة الرؤيا سماه « بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب » و « الأخبار المذهبية » و « الإشارة الصوفية ، والنكت الأدبية » . والهودج في السكتب . والإشارة في ألف إنشاده .

شعره وكتابه

قال في التاريخ مانصه : « وتهادته إلى هذا العهد رتب السيادة ، واستعمل في نبيات القيادة ، فوجه إلى معقل قرطمة^(١) من كورة ريه وهو واليه ، وبطاحه في مجرى جياته وصحر عواليه . وقد حلت مالقة صعبة الركب^(٢) السلطاني في بعض التوجهات ، إلى تلك الجهات ، في بعض ما تحف [من مقعده]^(٣) ، المتصل المستمر ، بهدية مشتملة على ضروب من البر . فخطبته مقيما لسوق^(٤) الانبساط ، وغير حايد عن الوداد والاعتباط ، على ما عول [عليه]^(٥) من حمل الإفراط ، والانتظام في هذا المعنى والانخراط :

ألم على أخذ القليل وإنما أعامل أقواماً أقل من الدر
فإن أنا لم آخذ منهم فقدته ولا بد من شيء يعين على الدهر
سيدي أطلق الله يدك بما تمك ، وفتر عن منحك الجبل ليلاً تهلك .

(١) وردت في التلويح (قرطمة) وهو حزين طاهر ، لأن مرطبه دنت فاستعملت في أيدي التصاري قبل ذلك بنحو قرن ، ولأنها من جهة أخرى ليست واقعة في كورة ريه أو كورة مالقة . والصواب هو معقل قرطمة Cartama . وقرطمة هي بلدة حصينة تقع قرب نهر مالقة وسط كورة ريه .

(٢) هي وردت في «ج» . وفي «الزيوت» (الردية) .

(٣) وردت في «ج» (بالتفاهة) . والصواب من «الزيوت» .

(٤) هكذا وردت في «الزيوت» . وفي «ج» (سوق) .

(٥) أضفت هذه الكلمة لاستقامة السياق .

كنت قد هومت (١) ، وحذرتني القلق فتلوت . ولو لمي (٢) كما علمت سيء
الخصال ، عزيز الوصال . يدأل دئني ، ويعاف طيره ورد عيني . فإذا الباب يدق
بجبر ، فأنبأني عن ضجر ، وجار الجنب يؤخذ بالذنب . فقامت مبادراً وجزعت .
وإن كان الجزع من نادراً . واستفهمت من وراء (٣) الغلق ، عن سبب هذا
القلق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابضة الفؤاد يا قوم ، رسول خير ،
وناعق طير ، وقرع إذلال لا فرع إذلال . حطوا شعار الحرب والحرب ، فقد
ظفرتم ببلوغ الأرب ، فتأخرت عن الإقدام . وأنهدت إليه ، فخن (٤) عمر بن أبي
ربيعة عن كان بالدار من الخدام . فأسفرت الوقية عن سلام وسلم ، ولم يكن
أحد منا بكلم . ونظرت إلى رجل قرطبي الطلعة والأخلاق ، خاوعاً على الإطلاق .
تمهد قبل أن يسلم ، وارتضى (٥) لما ذهب من الشبهة وتألم . شئنة معروفة .
وعين (٦) تلك الجهات معاذ الله مصروفة . وقد حملته سيادتكم من المبرة ضرورياً
شئ . وتجاوزت في المسرات غاية حتى . ولم تضع عضواً من جسده ، فضلاً عن
منسكبه ويده ، إلا علقته وعاء ثقيل ، وناطت به زنبيلاً . واستلقى كالمني
إذا ترك المعترك . وعانت حوله تلك الأثقال . وتعاورها الانتقال (٧) [وكثر بالزقاق
القبيل والقال . فلما تخلصت إلى الدار (٨) ، وصرت مرقها بالجدار ، وتناولها

(١) وردت في «ج» (جومت) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (قومي) والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(٣) وردت في «ج» (دار) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (حن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في «ج» (وارقط) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) وردت في «ج» (وعن) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) : سياق . منذ بداية هذه الحاضرة حتى نهايته عند الحاضرة الحتمية . كـله ساقط في «ج» .

ووردت في «الزيتونة» وقد اعتمدت في نقله على مخطوط «الزيتونة» دون سواه .

(٨) وردت في «الزيتونة» (بالدار) والتصويب أنسب للسياق .

الاختبار الفاضح . وبان قصورها الواضح . فتلاشت ، بعد ما جاشت . ونظرت
إلى قعب من اللبن المزوق الذي لا يُستعمل في البيوت ، ولا يباع في الأسواق ،
فاذ كرّتي قول الشاعر :

في تلك المسكارم لأقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبو الـ
أما زبده فرُفع ، وأما جُبْنُه فاقْتَبِت به وانتفع . وأما من بعثه من فضلاء
الخدّام فدُفع ، وكأني به قد ألح وصُنع . والتفت إلى قُفّة فد خِيّات . وبعنق
ذاك البابس قد نِيّات ، رَمَس^(١) فيها أفرّاح الحمام . وقُلّدت بجيده^(٢) كما يُتقلد
بالتمام ، وشُدَّ حبلُها بمخنقه . وألزم منها في العاجل طائرُه في عنقه . هذا بعد
ما ذُبحت ، وأما حشوها فرُبّحت . ولو سلّكتم الطريقة المثلى ، لحفظتم جثتها من
العنن ، كما تحفظ جثة القتلى ، وأظنكم لم تغفلوا هذا الغرض الأدنى ، ولا أهملتم
هذه المهم الذي غريزة في المبنى . فإني رميتُ منها الأهر رمي المختبر ، فكَلّح من
مرارة الصبر ، ولما أخرجتها من كفن القفّة ، واستدعيت لمواراتها أهل الثّفة ،
تمثّلت تمثّل اللبيب بقول أبي تمام حبيب :

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةَ مَنْ حَامِنٌ فَإِنَّهُنَّ حِمَامٌ

ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مَخِيّةٌ سر . لكانت من بقايا مواطني
ديوك بني مرّ ، وبعث بها حلالك حلاله . وأهدى منها اجتهاد من أحسن . ولم يكن
بالهدية ما يُذكر . ولا كانت مما يُنكر . أستغفر الله ، فلو لم تكن الشّحفة ،
إلا تلك الفكاهة العاطرة والغمامة الماطرة . التي أحسبها الأمل الأقصى . وتجاوزت
إلا من التي لا تُمد ولا تُحمى ، للزم الشكر ووجب ، وبرز من حرّ المدح ما تيسر

(١) وردت في «الزيتونة» (ومس) ، وهو تعريف اتّفى التصويب .

(٢) وردت في «الزيتونة» (بلسه) . وبالتصويب يستقيم المعنى والسيال .

واحتجب . فالكارم وإن تغيّرت أنسابها ، وجُهل انتسابها . وأدعى إرثها
واكتسابها . إليكم تنشر يدها ، وتسعى لأقدامها ، وأبثتكم تميل بهوادياها ،
وبساحتكم يسيل وادياها . وعلى أرضكم تسح غوادياها . ومثلي أعزكم الله . لا يُغضى
من قدر مُحفكم الحافلة . ولا يقدر من شكرها على فريضة ولا نافلة . ولكنها
دُعابة معتادة ، وفكاهة أصدرتها وِدادة . ولا شك أنكم بما جُبلتم عليه قديماً
وحديثاً ، تغتفرون^(١) جفائي ، الذي سيرتموه مكرراً وحدثاً . في جنب وفائي ،
وتغضون وتمحملون ، وبقول الشاعر تتمثلون ، وأسمع من الألفاظ اللغوية التي
يُسر بها شمتي ، وإن ضمننت شمتي ووصفي :

بعثت بشيء كالجفاء وإنما	بعثت بعذري كالدل إلى غدر
وقلت لنفسي لا تردعي ^(٢) فإنه	كما قيل شيء قد يُعين على الدهر
وما كان قدر الود والمجد مثله	فخذه على قدر الحوادث أو قدرى
وإن كنت لم أحسن صنيعي فإنني	سأحسن في حُسن القبول له شكري
وقدرك قدر النيل عندي وإنني	لدى قدرك العالی أدق من الذر
قنعت وحظي من زمانى وودكم	هباء ومثلى ليس يقنع بالنزر
أتانى كتاب منك باء مبارك	لقيت به الآمال باهنة ^(٣) الشفر
جلا من بنات الفكر بكرة وزفها	إلى ناظري تحتال في حبر الخبر
فالفاظها كالزهر والزهر يانع	وقدر المعانى فى الأصالة كالزهر
نجوم معان فى سماء صحيفة	ولكنها تسرى النجوم ولا تسرى
تضمن من نوع الدعابة ما به	رجوت الذى قد قيل فى نشوة الحر

(١) وردت فى «الزيتونة» (تعدون) . والنصوب أكثر تمثياً مع السياق .

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت فى «الزيتونة» .

دعى الله منسراها الكريم فجاء ما
 لعمري لقد أذكرتني دولة الصبا
 ولما أتت تلك الفكاهة غدوة
 ولا سيما إن كان ملحم بردها
 نشرت بها ما قد طويت بساطه
 ونعم خليل الخير أنت محافظاً
 ودونكم تلهو بها وتدبرها

جَلْتَهُ مِنَ الْبُشْرَى وَأَبْدَتُ مِنَ الْبِشْرِ
 وَأَهْدَيْتُ لِي نَوْحَ الْجَلالِ مِنَ السَّحْرِ
 وَجَدْتُ نَشاطًا سائرَ الْيَوْمِ فِي بِشْرِ
 عَمِيدُ أُولَى الْأَلْبابِ نادرَةُ الْعَصْرِ
 زَمَانًا وَبِي طَيُّ الْأُمُورِ مَعَ الذَّشْرِ
 عَلَى سُنَنِ الْإِخْلاصِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 سَحِيرِيَّةُ الْأَنْفاسِ طَيِّبَةُ الذَّشْرِ (١)

فراجعني بقوله :

وقد من سیدی الجواب ، محتویاً علی العجب العجیب ، فیالك من فکاهة
 کوثریة المناهل ، عنبریة المسایل ، ولو لم یکن إلا وصف القرطوب المستوی (٢)
 الطلعة ، الشرطی الصنعة . وأما وصف الابن وفراخ الحمام ، فقد بسدتهم فی المزاج
 القول . وامتنعتم فی الکلام الفصل . وذلك شیء یعجز عن مساجلتکم فیہ
 فیہ أبواب البلاغة والبیان ، فکیف یبثلی ممن له القول المهمل الذسیج ، الواهی
 البیان . ولا بد من عرض ذلك علی سیدی (٣) القطب الکبیر الإمام ، وأستاذنا
 علم الأعلام ، وکبیر أئمة الإسلام . فیحکم بیننا بحکم الفصل . ویُنصف بما لیدیه
 من الحق والعدل . وقد کنت أکید عن مراجعتکم حیدة الجبان . وأمیل عن
 ذلك مائة الكودن (٤) عن مجاراة السمر الهجان . وأعدل عن مساجلة أدبکم
 الهتان . عدول الأعزل عن مبارزة جید السنان . إلی أن وثقت بالصفح .

(١) إلی هنا انتهى ما نقلته منذ الخاصرة الفاتحة من مخطوط «الزیتونة» . وهو ساقط کنه فی «ج» .

(٢) وردت فی «ج» (المشوی) . والتصویب أرجح .

(٣) وردت فی «ج» (سبیل) . والتصویب من «الزیتونة» .

(٤) هكذا المخطوطان . وکودن . هو ابطی . المشاقل فی «ج» .

وعوّلت على ما لديكم من الإغضاء والسّمح ، ووجهتُ حاملة السّر والظروف ،
 كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . وأستقيل من انبساط يجرّ عذراً . وأسأله
 سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من إنعامه وشكراً . دام سيدي وآاله مساعدة .
 والكلمة على فضله واحدة .

ومن شعره في النّسك والاعجاب إلى الله تعالى :

أيا من له الحكم في خلقه ومن بكربى له أشتكى
 تولّ أمورى ولا تُسأنى وإن أنت أسهتني أهلك
 تعاليت من مفضل (۱) منعم ونزّهت من طالب مدرك
 ومن ذلك وتقلته من خلقه :

تصبر إذا ما أدركتك مُلّة فصنّع إله العالمين عجيب
 وما يدرك الإنسان عاراً بتمكّبة يُنكب فيها صاحب وحيب
 ففي من مضى للمرء ذى العقل أسوة وعيش كرام الناس ليس يطيب
 ويوشك أن تهمنى سحائب نعمة فيخصب [من] (۲) ربيع السرور جديب
 إلهك يا هذا مجيب لمن دعا وكلّ الذى عند القريب قريب
 مولده : عام خمسة وستين وسبعمائة .

وفاته

من «عائد الصلاة» . قال ، وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتهدج ،
 والتزام الورد ، وإن كان مُتصحب الخيرية . وحلّ يباد ولا ينهم رُندة ، فسكانت
 بها تربته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة .

(۱) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (فاضل) والأولى أرجح .

(۲) أضحت هذه الكلمة لاستقامة الشعر والمعنى .

محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري

ولد المذكور بعد ، الكاتب بالدار السلطانية .

حاله

من كتاب طرفة العصر وغيره ، قال ، [كان]^(١) كاتباً مشهوراً ، بليغاً ، ذا معرفة ، بارع الخط ، أوحد زمانه في ذلك ، وقوراً ، معذب^(٢) اللفظ ، منجماً في هوى نفسه ، مُحارفاً^(٣) بحرفة الأدب على جلالة قدره . وكتابه نقيّة ، جانحة إلى الاختصار .

شعره

وثيق ثقل فيه أرواح المعاني ، كشعر أبيه ، وتوشيح فائق . تولى كتابة الإنشاء لثاني الملوك النصريين^(٤) ، واستمر قيامه^(٥) بها على حَجْر شديد من السلطان ومُحمّل ، لما لزمه المعاقرة وانهما كفي البهالة ، واستعمال الخمر ، حتى زعموا أنه قاء يوماً بين يديه ، فأخرد عنها ، وقدم الوزير أبا عبد الله بن الحكيم . وفي ذلك يقول :

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أجفأ^(٦) لأن زعموا أني تحسيتها صيرفاً

وأقام بقية عمره تحت رِفْدٍ وبرٍّ .

- (١) نسخة في المخطوطين . وإضافتها لازمة لاستقامة السياق .
- (٢) هكذا وردت في المخطوطين ، والمتصود بها (عذب) .
- (٣) هكذا وردت في المخطوطين والمتصود بها (محرفاً) .
- (٤) ثاني ملوك بني نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر . وقد حكم ملكة غرناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى سنة ٧٠١ هـ (١٢٧٢ - ١٣٠٢ م) .
- (٥) وردت في «ج» (قيامه) . والتصويب من «الزيتونة» .
- (٦) وردت في المخطوطين (جفا) . والتصويب يستقيم السياق .

وفاته

توفي في حدود التسعين وسبعمائة . وكان شيخنا ابن الجيَّاب [قد آثره]^(١) بكتُّبه . وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه رحمه الله .

محمد بن مالك المرِّي الطغُنري^(٢)

من أهل غرناطة ، من ذوى البيتية^(٣) والحسب فيها . ذكره الأستاذ^(٤) ، في الكتاب المسمى بالصلاة ، والغافقي^(٥) ، وغيرها .

حاله

أديب نبيل ، شاعر ، على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة . ثم إنه استيقظ من غفلته ، وأقلع عن راحته ، وأجبت في توبته . وكان من أهل القضل والخير والعلم . من تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة ، وهو بديع ، سماه « زهرة البستان ، ونزهة الأذهان » ، عبرة في الضرف . قال ، وجري له مع سماجة^(٦) ، خليفة

(١) وردت في المخطوطين (فآثره) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) وهذا الاسم محرفاً كله في «رج» كذا في : (محمد بن مالك المرِّي الصعري) . وكذا في

الزيتونة . (محمد بن مالك المرِّي الصعري) والاسم الصحيح هو ما أشتهر . والطغُنري نسبة إلى (طغُنر) .

هي قرية من قرى غرناطة . وقد سبق التعريف بها .

(٣) وردت في «رج» (بيتية) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) الأستاذ هنا يقصد به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب (صلاة الصلوة) . وقد

سبق التعريف به .

(٥) الغافقي يقصد به هنا محمد بن عبد الواحد الغافقي الشهير بالملاحى . وقد سبق تعريف به

(٦) هو من شيوخ قبيلة صنهاجة البربرية . وقد تولى الوزارة لعبد الله بن بلقين أمير غرناطة .

وكان وزيراً لحازم قوى العزم . شديد سطوة . فبرم به عبد الله . وصرفه بالحس . فسار في أهله

وأولاه إلى أمرية ، وعاش في كنف صاحب البر صباه .

عبد الله بن بلقين قصة . إذ فاجأ سماجة مع إخوان له ، ولم يشعروا به ، فأنشده ابن مالك أوتجالا ، وقد أخذ بلجام دابته :

بينما نحن في المصلى نساق^(١) وجناح العشي فيه جنوح
إذا أتانا سماجة يتالفا ردى الشمس من تجليها يوح
فطفقتنا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبوح

قال ، فتكلم الوزير سماجة [باللسان البربرى]^(٢) مع عبيده ، فرجموا مسرعين ، ووقف سماجة مع الوزير ابن مالك ، إلى أن أتاه عبيده ، بوءاء فيه جملة كبيرة من الدراهم ، تضيف على الثلاثمائة دينار . قتال ادفعوها إليه ، وانصرف . وأتاهم العبيد مع الدراهم ، بطعام وشراب . قال ابن مالك ، وذلك^(٣) أول مال^(٤) تأثلمته^(٥) .

شمره

[ومنه]^(٦)

صب على قلبى هوى لاجع ودب في جسمى ضنا دارج
فى شادنٍ أحر مستأنس لسانٌ تذكارى^(٧) به لاهج
قدرُ نَعَمَانٍ إذا ما مشى وما عمنى يفعله عالج

(١) وردت في المخطوطين (نسخ) . وبالتصويب يستقيم الوزن والساق .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (اللسان العربى) .

(٣) وردت في «ج» (بذلك) والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) وردت في «ج» (ما) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (تأثله) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٦) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (تذكارى) .

فقدته من رقصة مايس^(١) وردفه من ثقله مايج^(١)
 عنوان ما في ثوبه وجهه^(٢) تشابه الداخل والخارج
 فلا تقيسوه بيدو الدجى ذا معلم الوجه وذا ساذج
 وقد نسبها بعض الناس لغيره

وفاته

قال الأستاذ . كان حيًّا | سنة | ثمانين وأربعمائة . وأمر أن يكتب
 على قبره :

ياخليلي عرج على قبري تجد من أكلة التراب بين جنبي فربح
 خافت الصوت إن نطقت ولكن أى نطق إن اعتبرت فصيح
 أبصرت عيني العجايب لكن لما فرقت الموت بين جسمي وروح^(٣)

محمد بن علي بن محمد [بن عبد الله]^(٤) بن عبد الملك الأوسى^(٥)
 المدعو بالعتّرب . من إقليم الآش^(٦)

حاله

كان حسن النظم والنثر . ذكيًا من أهل المعرفة بالعمرية والأدب . ووصوفًا
 بجودة القريحة ، والنبيل والفطنة .

(١) هكذا في «ج» وفي «الزيتونة» (مراج) والأولى أنسب السيق .
 (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» ((جسمه) والأولى أنسب للسياق .
 (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الروح) .
 (٤) الزيادة في النسبة من «الزيتونة» .
 (٥) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الأسدي) .
 (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (لاش) . ولا يوجد في الجغرافية الأندلسية
 إقليم بهذا الاسم . ولعل المقصود هنا هو إقليم وادي آش . وقد أورد اسمه على سبيل الإحصاء .

أدبه وشعره

ذكره الملاحى : وقال حدثنى قاضى الأحكام بفرنائة ، أبو القاسم الحسن بن قاسم ، الهلالى صاحبنا . قال ، كان الأستاذ أبو عبد الله المقرّب جارنا . قد وقع بينه وبين زوجته ، زهرة بنت صاحب الأحكام أبى الحسن على بن محمد تنازع ، فرفعته إلى القاضى بفرنائة ، أبى عبد الله بن السماك العاملى ، وكنت يومئذ كاتباً له ، فرأى القاضى قوّته وتدورته على الكلام وضعفها . وإخفاق^(١) نظمها ، وشفق لحالها . وكان يرى أن النساء ضعاف ، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمين . وكان كثيراً ما يقول فى مجلسه : رُوبدك ، رفقاً بالقرادير . وحين رأى ، إماماً صدر عن القاضى من الجمل^(٢) ، فقلت له وأين حلاوة شعرك ، والقاضى أديب ، يهتز إليه ويرتاح ، فطلب منى قرطاساً ، وجلس غير بعيد . ثم كتب على البديهة بما نصه :

لله حى يا أميم حواك وحمائم فوق الغصون حواك
غنين حتى خلتهن عندينى بغنائهن فنمحت فى^(٣) مغناك
ذكرتني ما كنت قد أنسيتهُ بخداوب هذا الدهر من ذكراك
أشكو الزمان إلى الزمان ومن شكى صرف الزمان إلى الزمان فشاكى
يا ابن السماك المستظل^(٤) برمحه والعزل ترهب ذال سلاح الشاكي
راع الجوار فيبيننا فى جونا حق السرى والسير فى الأفلاك

(١) وردت فى الخليل (انفق) . ووردت فى اللسان (انفق) .
(٢) هكذا وردت هذه الجملة فى الزيتونة . ووردت بحرفه فى «ج» كالاتى : (ان القاضى من الحمل) .
(٣) هذه الكلمة واردة فى «ج» . وساقطة فى «الربيع» .
(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المستقل) . والأولى أرجح .

وابسط إلى الخلق المنوب ببسطة ظرف الكرام بعفة النساك
 وأنا ذا كر إن لم يفت من لم يمت فدارك ثم دارك ثم (١) ذاك
 ثم دفعها إلى القاضي ، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة : لبيك ، لبيك .
 [ثم أرسلني] (٢) أصاح بين العقر ب وزوجه ، فإن وصل صاحبهما إلى خمسين
 ديناراً ، فأنا أؤديها عنه من مالي ، فجمعت بينهما ، وأصاحت بينهما عن تراض
 منهما ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي المرادي (٣)

من أهل غرناطة

حاله

كان قتي حسن السميت ، ظاهر السكون ، بادي التصون والعفة ، دميث
 الأخلاق ، قليل الكلام ، كثير الحياء ، مليح الخط ، ظريفه ، بادي النجابة .
 أبوه وجدّه من تجار سوق العطر ، نهباء السوق . نظم الشعر ، فجاؤ منه بعجب ،
 استرسالا وسهولة ، واقتداراً ، ونفوذاً في المطولات ، فأنفث (٤) له من الإغفال ،
 وجذبته إلى دار السلطانية ، واشتدّت براعته ، فكاد يستولي على الأمر .
 لولا أن المنية احترمته شاباً ، فنسكل منه الشعر ، قريع إجادة ، وبارع ثنية
 شهرة ، لو انفسح له الأمد .

(١) هذه التامة . نفعه في « تاريخ » .

(٢) وردت في « ح » ، (ثم أرسلني) . وهو الصواب . يستام المعنى والتركيب .

(٣) هكذا وردت في المخطوطات وقد يكون من غير معروف أي قوتي والخط .

(٤) هكذا وردت في المخطوطات .

مولده : في ذى الحجة عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

وفاته

توفي مبدؤنا على أيام قريبة من إسراعه بفرنطة ، عن سن قريبة من العشرين ، في عام خمسة وخمسين وسبعمائة . وأبوه أمين العطارين .

محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله ، أصله من مدينة فاس .

حاله

من خطّ القاضى أبى جعفر بن مسعدة ، علم كتاب دار الإمارة النصرية الغالبية ، الذى بنوره يستصبحون ، وسراجهم الذى بإشراقه وبهجته ، ونهج تحفته يهتدون . رفع لواء الحمد ، وارتدى^(١) بالفهم والعلم والحلم . كان رحمه الله إماماً فى الكتابة ، والأدب ، واللغة ، والإعراب ، والتاريخ والفرائض والحساب ، والبرهان عليه [عارفاً بالسجلات والتوثيق]^(٢) أربى على الموثقين من الفحول ، المبرزين فى حفظ الشعر ونظمه ، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرزاً . درس الحديث ، وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي ، ونسخ الدواوين الكبار ، وضبط كتب اللغة . وقيد على كتب الحديث ، واختصر التفسير للزمخشري ، وأزال عنه الاعتزال ، لم يفتّر^(٣) قط من قراءة أو درس أو نسخ أو مداومة ، ليلاه ونهاره .

(١) وردت فى المخطوطات (وارتدى) . والتصويب بسقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة وردت فى «ج» . وساقطة فى «الزيتونة» . وقد وردت فى «ج» بحرفه كالاتى (عارف والسجلات والتوثيق) .

(٣) وردت فى «ج» (يفتّر) . والتصويب من «الزيتونة» .

لم يكن في وقته^(١) مثله .

مشيخته

أخذ بناس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأضوى ، وأبي عبد الله بن البيوت المقرئ ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالى ، وغيرهم .

شعره

ومنه قوله :

طَرَقَتْ تَتِيهِ عَلَى الصَّبَاحِ الْإِبْلَجِ حَسَنَاءُ تَخْتَلُ اخْتِيَالِ تَبْرِجِ
فِي لَيْلَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ بِظَالِمِهَا [نَضْفَاضُ بُرْدٍ بِالنَّجُومِ مُدَبِّجِ]^(٢)
وشعره مدون كثير .

وفاته

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة [في ذى القعدة منه]^(٣) .

محمد بن هانى بن محمد بن سعدون الأردى الإلبيرى الغرناطى
من أهل قرية سُكُونِ ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالأندلسى ، وكانها
تفرقة بينه وبين الحكيم أبي نواس .

(١) وردت في «ح» (وقته) . والتصويب من «الرسولة» .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في «ح» . ووردت في «البيتونة» كالآتي . (نضفاض البجوم

مدبج) .

(٣) هذه العبارة واردة في «ح» وسقطت في «الرسولة» .

أوليته

قال غير واحد من المؤرخين ، هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قبيصة^(١) بن المهلب بن أبي صفرة ، وقيل من ولد أخيه^(٢) رُوح بن حاتم .

حاله

كان من فحول الشعراء ، وأمثال^(٣) النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يُدرك شأود ، ولا يُشَقُّ غُبَارُهُ ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فك المعنى . خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة ، فلقى جوهراً [المعروف بالكاتب مولى المعز بن المنصور العبدي صاحب المغرب]^(٤) وامتدحه ، وكز لثياً ، فأعانه مائتي درهم ، فوجد لذلك ، وقال أها هنا كريم يُقصد ، فقيل بلى ، جعفر بن يحيى بن علي بن فلاح بن أبي مروان ، وأبو علي بن حمدون ، فامتدحهما^(٥) ، ثم اختص بجعفر بن يحيى وأبي علي ، فبالغا^(٦) في إكرامه ، وأفاض عليه من [النعم و]^(٧) الإحسان ما لم يمرُّ بباله ، وسارت أشعاره فيهما ، حتى أنشد للمعز العبدي ، فوجهه جعفر بن علي إليه في جملة طرف وتُحف بعث بها إليه ، كان أبو القاسم أفضلها عنده ، فامتدح [المعز لدين الله]^(٨) ، وبلغ المعز من إكرامه الغاية . ثم عاد إلى إفريقية ، ثم توجه إلى مصر ، فتوفي ببرقة .

(١) وردت محرفة في المخطوطين (فيضة . قبطة) . والصواب ما أثبتناه (عن الوفيات) .

(٢) الزيادة من (الوفيات) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وهي هنا جمع (مثيل) . ومعناها الفاضل .

(٤) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وسقط في «الزيتونة» .

(٥) وردت في المخطوطين (فامتدحهم) . فاقتضى التصويب .

(٦) وردت في «ج» (فبلغا) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٧) الزيادة من «الزيتونة» .

(٨) وردت في المخطوطين (المعز بالله) . والصواب ما أثبتناه .

وجرى ذكره في «تخليص الذهب» (١) من تأليفنا بما نصه : «العقاب الكاسرة ، والصمصامة الباترة ، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي أعجز عنها» (٢) السباق .

«وصمته» : وذكره ابن شرف في مقاماته ، قال : وأما ابن هاني محمد ، فهو نجدى الكلام ، سردي النظام ، إلا أنه إذا ظهرت معانيه ، في جزالة مبانيه ، رمى عن (٣) منجنيق لا يؤثر في النفيق . وله غزل معرّي (٤) ، لا عذري ، لا يقنع بالطيف ، ولا يصفع بغير السيف [وقد قدّه به الذات ، وعظم شأنه فاحتمل الثواب] (٥) ، وكان يقف دولته في أعلى منزلته [ناهيك] (٦) من رجل يستعين على صلاح دنياه ، بفساد أخراه (٧) ، لرداءة دينه ، وضعف يقينه . ولو عقل ما ضاقت عليه معاني الشعر ، حتى يستعين عليه بالكفر .

شعره

كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله :

أحببت بتيك القباب قبابا لا بالحدادة ولا الركاب ركابا
فيها قلوب العاشقين تخالها عنما بأيدي البيض والعنابا

وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة :

أبليتنا إذ أرسلت وارداً وجفاً وبانت لنا الجوزاء في أذننا شنفاً

(١) هو كتاب «تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبية» . وهو من مؤلفات

ابن الخطيب التي لم تصل إلينا .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (عندها) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (على) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين .

(٥) ما بين الحاصرتين وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٧) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (آخرته) .

وبات لنا ساقٌ يقوم على الدجى
 أغنُ غضيضٌ جَفَّ اللين قدّه
 ولم يُبقِ إرعاش المدام له يداً
 نزينُ قضاء السكر إلا أو تجاجه
 يقولون جَفَّ (٢) فوق خيزرانة
 جعلنا حشايانا ثيابَ مدامنا
 فمن كبدٍ تُدنى إلى كبدٍ هوى
 بِمَيْشِكِ نَبِّه كَأَسِه وجفونه
 وقد فكَّت الظلماء بعض قيودنا
 وولت نجوم للثريا كأنها
 ومـر على آثارها دُبرانها
 وأقبلت الشعري العبور مُلَمَّة (٧)
 وقد قبَّلتها أخْبُها من ورائها
 تخاف (٩) زئير الليث قدَّم نثره
 كأن مُعَلَّاً قُطِبها فارسٌ له

بشمعةٍ صُبِح لا تقَط (١) ولا تُطفأ
 وأثقلت العُهباء أجفانه الوطفا
 ولم يُبقِ إعنات (٢) التَّنِي له عطفاً
 إذا كلَّ عنها الخصر حملها الرُدفَا
 أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
 وقدَّت لنا الظلماء من جلدها لحفا
 ومن شَفَّةٍ تُوحى (٤) إلى شَفَّةٍ رَشفا
 فقد نَبَّه الإبريقُ من بعد ما أغفا
 وقد قام جيش الليل للصبح فاضدفاً
 خواتيم (٥) تبدو في بَنان يدٍ تخفا
 كصاحبٍ ردىءٍ كُمنَّت (٦) خيله خلفنا
 بمرزَمها (٨) اليغسوب تجنُّبه طرفا
 لتخرق من ثنياً بجرَّتْها سبجفا
 وبربر في الظلماء يَنسُفها نسفا
 لواءان مرَّ كوزان قد كره الزحفنا

(١) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تفظ). والأولى أنسب للسياق.

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أعبات) وهو تعريف.

(٣) وردت في المخطوطين (خفف). وبالتصويب يستقيم السياق.

(٤) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (ترمى) والأولى أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (خواتم).

(٦) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (أكت).

(٧) هكذا في «ج». وفي «الزيتونة» (مبلة).

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي «ج» (بمرزاهها).

(٩) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (تخال).

كأن السما كين اللذين تظاهرا
 فذا رايح يهوى إليه سنانه
 [كأن قدامي الذسر والذسر واقع
 كأن أخاه حين دؤم طائرا
 كأن رقيب الليل أجدل مرّقب
 كأن بنى نعش ونعش مطافل
 كأن مهاها عاشق بين عؤود
 كأن سهيلا في مطالع [أفته] (٢)
 كأن الهزيع الأبتوسي موهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميالة
 كأن نجوم الصبح خاقان معشر (٣)
 كأن لواء الشمس غرة جعفر
 [وقد جاشت الظلاء بيضا صوراما] (٤)
 وجاءت عناق الخيل تردي كأنها
 هنالك تلقى جعفرأ خير جعفر
 فكانين (٥) تراه في الكريهة عاجلا

على لبنتيه ضامنان له الختفا
 وذا أعزل قد عض أنله لهفا
 قصيصن فلم تسم الخوافي له ضعفا (١)
 أي دون نصف البدر فاخندف النصفنا
 يُقلّب تحت الليل في ريشه طرفا
 بوجرة قد أضلان في مومه قشفا
 فآونة ييدو وآونة يخفا
 مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
 سرى بالنسيج الخسرواني ملتفا
 صريع مدام بات يشربها صرفا
 من الترك نادى بالنجاشي فاستخفا
 رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
 ومركوزة سمرا وفضفاضة زعفا
 تخط لنا أقلام آذانها صخفا
 وقد بدلت يمناه من لينها عنفا
 عزيزته برقا وصولته خطفا

- (١) هذا البيت ساقط في «ج». ووارد في «الزيتونة»، وفي شطرته الثانية بعض التحريف والنقص كالآتي (قصص فلم يستطع ضعفا).
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة». وساقطة في «ج».
- (٣) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (مشر) وهو تحريف.
- (٤) هكذا وردت هذه الشطرة في «الزيتونة». وقد وردت في «ج» كالآتي (وقد جاشت الدنيا بيضا سوارما).
- (٥) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (كزين).

وشعره كثير مدون ، ومقامه شهير . وفيما أوردناه كفاية . وهو من
إبيرة (۱) الأصيلة (۲) .

وفاته

قالوا ، لما توجه إلى مصر . شرب بيرة وسكر ونام عريانا ، وكان البرد
شديداً فأفلج (۳) ، وتوفي في سنة إحدى وستين وثلاثمائة . وهو [ابن] (۴) اثنين
وأربعين سنة . ولما بلغت المعز وفاته ، تأسف عليه وقال . هذا رجل كنا
نطمع (۵) أن نفاخر به أهل المشرق .

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم [ابن علي] (۶)

الفساني البرجي [الغرناطي] (۶)

يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة .

حاله

فاضل مجمع على فضله . صالح الأبوة ، طاهر النشأة . بادي الصيانة والعفة ،

(۱) إن رواية ابن الخطيب عن كون ابن هاني من «إبيرة الأصيلة» (وكان موقعها بجوار
غرذلة) تخالف الرواية الجارية من كونه قد ولد ، وفقاً بن حكا ، «ندسة إشبيلية» (الوثائق ج ۲
ص ۵) . ويأوح لنا أن رواية ابن خلكان هي الأرجح . لأنها أقدم بكثير من رواية ابن الخطيب ،
واقرب عصر الشاعر .

(۲) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (الأصيلة) والمغربي .

(۳) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (فتح) . والأولى أفضل .

(۴) سقطت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» .

(۵) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (نريد) .

(۶) هذه الزيادة في النسبة واردة في «الزيتونة» . ووردت في «ج» عبارة (ابن يحيى

البرجي) .

طُرِف في الخير والحشمة ، صدر في الأدب . جُمُّ المشاركة ، ثاقب الذهن . جميل العشرة (١) . مُتَمِّعُ المجالسة . حسن الخط والشعر والكتابة . فد في الانطباع . صنيع (٢) اليدين . يحكم على الكثير من الآلات العلية . ويجيد تفسير الكتاب . رحل إلى العدو . [وتوسل إلى ملكها] (٣) . مُجِدِّدُ الرسم ، ومقام الجلالة . وعلم دَمَّت الشعر والكتابة [أمير المسلمين] (٤) . أبي عنان فارس ، فاستعمل عليه ، ونوّه به ، وملاً بالخير يده ، فاقتنى جدة وحظوة وشهرة . وذ كراً ؛ وانقبض مع استرسال الملك . وآثر الراحة ، وجهد في التماس الرحلة (٥) الحجازية ، ونبد الكل . وسلا الخطّة ، فأسعفه سلطانه بغرضه ، وجعل حبله على غاربه . وأصعبه رسالة إلى النبي الكريم من إنشائه . متصلة بقصيدة من نظمه ، وكلاهما تعلقن (٦) في الخلفاء بعد شأوه ، ورسوخ قدم علمه . وعراقة البلاغة . في نسب خصه ، حسباً تضمّنه الكتاب المسمى « بساجلة البيان » . ولما هلك ووئى ابنه ، قدّمه قاضياً بمدينة مُلْكِيَّة (٧) ، وضاعف التّفويّه به . فأجرى الخطّة ، على سبيل من السداد والنزاهة . ثمّ لما وئى السلطان أبوسالم عمه ، أجراء على الرسم المذكور . وهو الآن بحاله الموصوفة ، مَفخَر من مفاخر [ذلك الباب السلطاني على تمديد

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (المعشرة) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (صنيع) وهو تحريف . وصنيع أي

ماهر في الصنعة .

(٣) وردت مكانها في المخطوطين هذه العبارة الخريفة (وتوسل إلى ملحق) . والتصويب من

نفع الطيب .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) وردت في المخطوطين (الراحة) وهو تحريف . والتصويب من النسخ .

(٦) هكذا في «ج» . ووردت في «الزيتونة» (تعل) .

(٧) مدينة منكة ، أي المدينة التي بها مقر ملكه ، وهي مدينة فاس .

مفاخره |^(١) [يحظى] ^(٢) بكل اعتبار .

شعره

[^(٣) ثبت في كتاب « نفاضة الجراب » من تأليفنا، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء مانصه:

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي، بجملة السداجة، وكرم الخلق، وطيب النفس، وخدن العافية، وابن الصلاح والعبادة، ونشأة القرآن. المتحيز إلى حزب السلامة، المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن، من عقل وصين، وطلب ممتع، وأدب نقادة، ويد صناع، أبو القاسم ابن أبي زكريا البرجعي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة:

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه	صب له شغل عن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا	فضل من ظل إرشادا يخاطبه
لولا النوى لم يبت حيران مكتنبا	يغالب الوجد كتبا وهو غالبة
يستودع الليل أسرار الغرام وما	عليه أشجياته فالدمع كاتبه
لله عصر بشرق الحمى سمحت	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا	يصلى بها من صميم القلب ذائبه

(١) بين الحصريين منقول من نفع الطيب وقد ذكره في المجلدات (ذلك السلطان).

(٢) أضفت هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٣) أو ذلك المقدم في «نفع الطيب» ترجمه أني التسمي «بحر النفاضة» من كتاب «الإحاطة». وقد وردت بها عدة كلمات من «شبهة المستورد» ثم القصيدة المذكورة في نظمها البرجعي في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم. حياى من «شبهة المستورد» من ذلك كله وقد ذكره البرجعي ومن ثم فقد اعتمدنا في نقلها على نفع الطيب، (ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٥).

يا هل ترى تجمع الأيام فرقتنا
ويا أهيل ودادي والنوى قذف
هل ناقض العهد بعد البعد حافظه
ويا ربوع الحمى لازلت ناعمة
يا من لقلب مع الأهواء منعطف
يسمو إلى طلب الباقي بهمة
وفتنة المرء بالمألوف مفضلة
أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي
ولن ترى كالهوى أشجاء سالفة
وهمة المرء تغليه وترخصه
ما هان كسب المعالي أو تناولها
لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت
في ذمة الله ركب للعلا ركبوا
يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض
كانهم في فؤاد الليل سر هوى
شدوا على لب الرضاء وطأتهم
وكافوا الليل من طول السرى شطاً
حتى إذا أبصروا الأعلام مائة
بحيث يأمن من مولاه خائفه
فيها وفي طيبة الغراء لى أمل
لم أنس لا أنس أياماً بظلمها
شوق إليها وإن شط المزار بها

كهدنا أو يرد القلب ساكبه
والقرب قد أبهت دونى مذاهبه
وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه
يبكى عهدك مضمي الجسم شاحبه
في كل أوب له شوق يجاذبه
والنفس بالميل للفانى تطالبه
والأنس بالإلف نحو الإلف جاذبه
بالرجال سبت جدى ملاعبه
ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه
من عز نفساً لقد عزت مطالبه
بل هان في ذاك ما يلقاه طالبه
آثاره ولما لاحت كواكب
ظهر السرى فأجابتهم نجائبه
على السجل إذا ما جد كاتبه
لولا الضرام لما خفت جوانبه
فغاص في لجة الظلماء راسبه
فخلفوه وقد شابت ذوائبه
بجانب الحرم المحي جانبه
من ذنبه وينال القصد واغبه
يصاحب القلب منه ما يصاحبه
سقى نراه عميم الغيث ساكبه
شوق المقيم وقد سارت جانبه

في الشَّمْسِ لِمَا يَدَاهُ لَا نَعَاتِبُهُ
 مِنْ فَضْلِهِ شَرَفٌ تَعْلُو مَرَاتِبُهُ
 رَبُّ الْعِبَادِ أَمِينُ الْوَحْيِ عَاقِبُهُ
 أَعْلَامُهُ كَرَمًا جَلَّتْ مَنَاقِبُهُ
 زَكَتْ حُلَاهُ كَمَا طَابَتْ مَنَاسِبُهُ
 مِنْ أَجْلِهَا كَانَ آتِيهِ وَذَاهِبُهُ
 كَالصَّبْحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُهُ
 بِدَيْرِ تَيْمَامٍ مَا أَبْدَاهُ رَاهِبُهُ
 وَطَبَّقَ الْأَرْضَ أَعْلَامًا تَجَاوِبُهُ
 وَالْجَنُّ تَقْدِفُ إِحْرَاقًا ثَوَاقِبُهُ
 حَتَّى انْجَلَى الْحَقُّ وَأَنْزَاحَتْ شَوَائِبُهُ
 وَالنَّجْمُ لَا يَهْتَدِي فِي الْأَفْقِ سَارِبُهُ
 عَنِ الْأَنْامِ وَجِبْرَائِيلِ صَاحِبُهُ
 وَامْتَازَ قُرْبًا فَلَا خَلْقٌ يُقَارِبُهُ
 نَفْسٌ بِمَقْدَارِ مَا أَوْلَاهُ وَاهِبُهُ
 فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ بَادِيهِ وَغَائِبُهُ
 وَالصَّبْحُ لَمَّا يُوْبُ الْمَشْرِقَ آيِبُهُ
 سُبُلَ النِّجَاةِ بِمَا أَيْدَتْ مَنَازِبُهُ
 وَأَدْبَرَ الْغَيُّ فَانْجَابَتْ غِيَاهِبُهُ
 يَهْدِي بِهَا مِنْ سِرَاطِ اللَّهِ لَاحِبُهُ
 بِحَرٍِّ مِنَ الْعَالَمِ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ
 فِي مَوْقِفِ الْخَيْثَرِ إِذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ

إِنْ رَدَّهَا الدَّهْرُ يَوْمًا بَعْدَ مَا عِبِدَتْ
 مَعَاهِدُ شَرُفَتْ بِالْمُصْطَفَى فَلَهَا
 مُحَمَّدُ الْمُجْتَبَى الْهَادِي الشَّفِيعُ إِلَى
 أَوْفَى الْوَرَى ذِمًّا أَسْمَاءُ هِمًّا
 هُوَ الْمُكْمَلُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
 عَنَايَةُ قَبْلَ بَدْءِ الْخَلْقِ سَابِقَةٌ
 جَاءَتْ تُبَشِّرُنَا الرَّسُولُ الْكَرَامُ بِهِ
 أَخْبَارُهُ سِرٌّ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَسَلْ
 تَطَابِقِ الْكُونَ فِي الْبُشْرَى بِمَوْلِدِهِ
 فَالْجَنُّ تَهْتَفُ إِعْلَانًا هَوَاتِفُهُ
 وَلَمْ تَزَلْ عَصْمَةَ التَّأْيِيدِ تَكْنِفُهُ
 سَرَى وَجَنَحِ ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلِ
 بِسْمِ لِسْكَلِ سَمَاءٍ مِنْهُ مَنْفَرِدِ
 لِمُنْتَهَى وَقْتِ الرُّوحِ الْأَمِينِ بِهِ
 لِقَابِ قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى فَمَا عَلِمْتَ
 أَرَاهُ أَسْرَارَ مَا قَدْ كَانَ أَوْدَعَهُ
 وَآبُ وَالْبَدْرِ فِي بَحْرِ الدُّجَى غَرِقُ
 فَأَشْرَقَتْ بِسَنَاهِ الْأَرْضِ وَاتَّبَعَتْ
 وَأَقْبَلَ الرُّشْدَ وَالتَّاحَتْ زَوَاهِرُهُ
 وَجَاءَ بِالذِّكْرِ آيَاتٍ مَفْصَلَةٌ
 نُورٌ مِنَ الْحِكْمِ لَا تَجْبُو سِوَا طَعْمِهِ
 لَهُ مَقَامُ الرِّضَا الْمَحْمُودِ شَاهِدِهِ

والرُّمْلُ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَقْدُمُهَا مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ السَّامِيُّ مَرَاتِبُهُ
 لَهُ الشُّفَاعَاتُ مَقْبُولًا وَسَائِلُهَا إِذَا دَهَى الْأَمْرُ وَاشْتَدَّتْ مِصَاعِبُهُ
 وَالْحَوْضُ يَرَوِي الصَّدَى مِنْ عَذْبٍ مُورِدِهِ لَا يَشْتَكِي غُلَّةَ الظَّمَانِ شَارِبُهُ
 مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى لَا يَنْتَهِي أَبَدًا تَعْدَادُهَا هَلْ يَعُدُّ الْقَطْرَ حَاسِبُهُ
 فَضْلٌ تُسَكِّفُ بِالِدَّارِينَ يَوْسِعُهَا نَعْمَى وَرَحْمَى فَلَا فَضْلٌ يَنَاسِبُهُ
 حَسْبِي التَّوَسُّلُ مِنْهَا بِالَّذِي سَمَّحَتْ بِهِ الْقَوَافِي وَجَلَّتْهَا غَرَائِبُهُ
 حَيَّاهُ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ صَوَّبٌ حَيًّا تُجَدِّي إِلَى قَبْرِهِ الرَّازِكِي نِجَائِبُهُ
 وَخَلَّدَ اللَّهُ مُنْكَ الْمُسْتَعِينِ بِهِ مُؤَيِّدِ الْأَمْرِ مَنْصُورًا كِتَابَتُهُ
 إِمَامٌ عَدْلٌ بِتَقْوَى اللَّهِ مُشْتَمَلٌ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يُرْضِيهِ يُرَاقِبُهُ
 مَسَدُّ الْحُكْمِ مَيْمُونٌ تَقْيِيدُهُ مَظْفَرُ الْعِزْمِ صِدْقُ الرَّأْيِ صَائِبُهُ
 مَشْمَرٌ لِلتَّقَى أَذْيَالٌ مَجْتَمِعَةٌ جِرَارُ أَذْيَالِ سَحْبِ الْجُودِ سَاحِبُهُ
 قَدْ أَوْسَعَتْ أَمَلُ الرَّاجِي مَكَارِمُهُ وَأَحْسَبَتْ رَغْبَةَ الْعَاقِي وَغَائِبُهُ
 وَفَازَ بِالْأَمْنِ مَجْبُورًا مَسَالِمُهُ وَبَاءَ بِالْخِزْيِ مَقْهُورًا مُحَارِبُهُ
 كَمْ وَافِدٍ آمَلٍ مَعْهُودَ نَائِلِهِ أُنْثَى وَأُنْثَى بِمَا أَوْلَى حَقَائِبُهُ
 وَمُسْتَجِيرٍ بِعِزٍّ مِنْ مَثَابَتِهِ عَزَّتْ مَرَامِيهِ وَانْقَادَتْ مَآرِبُهُ
 وَجَاءَهُ الدَّهْرُ يَسْتَرْضِيهِ مُعْتَذِرًا مُسْتَغْفِرًا مِنْ وَقُوعِ الذَّنْبِ تَائِبُهُ
 لَوْلَا الْخَلِيفَةُ إِبْرَاهِيمُ لَانْبَهَيْتَ طَرِقَ الْمَالِي وَنَالَ الْمَلِكُ غَاصِبُهُ
 سَمَّتْ لَنْبِيلِ تَرَاثِ الْمَجْدِ هَمَّتُهُ وَالْمَلِكُ مِيرَاثِ مَجْدِهِ وَهُوَ عَاصِبُهُ
 يُنْمِيهِ لِأَزِّ وَالْعَلْيَا أَبُو حَسَنِ سَمَّحِ الْخِلَائِقِ مَحْمُودُ ضَرَائِبُهُ
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ حَسْبُ الْمَلِكِ مَفْتَخِرًا بِيَابِ عِزِّهِمُ السَّامِيُّ تَعَاقِبُهُ
 أَطْوَادِ حِلْمٍ رَسَا بِالْأَرْضِ مَحْتَدُهُ وَزَاوَحَتْ مَنَسَكِ الْجُوزَا مَنَاكِبُهُ
 تَحْفَهَا مِنْ مَرَيْنِ أَبْحَرُ زَخَرَتْ أَمْوَاجُهَا وَغَمَامٌ ثَارَ صَائِبُهُ

بكل نجم لدى الميحاء ملتهبٌ
أَكْفُهُمْ فِي دِيَابِهَا مِطَالُهُ
يا خَيْرَ مَنْ خَلَّصَتْ لَكَ نَيْتُهُ
جَرَدَتْ وَالْفِتْنَةُ الشَّعْوَاءُ مُلْبِيسَةٌ
وَخُضَّتْهَا غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَا
صَبَّرْتَ نَفْسًا لِعُقُوبِي الصَّبْرَ حَامِدَةً
فَلْيَهْنُ دِينُ الْهَدَى إِذْ كُنْتَ نَاصِرُهُ
لَا زَالَ مَلِكُكَ وَالتَّأْيِيدُ يَخْدُمُهُ
وَدَمْتَ فِي نِعَمٍ تَضْفُوا مَلَابِسُهَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَا
يَنْقُضُ وَسَطَ سَمَاءِ النَّقَمِ ثَابِتُهُ
وَفِي نَحْوِ أَعْدِيهِمْ مِغَارِبُهُ
فِي الْمُلْكِ أَوْ خَطَبِ الْعُلِيَاءِ خَاطِبُهُ
سَيِّفًا مِنَ الْعِزْمِ لَا تَنْبُو مِضَارِبُهُ
وَقَلَمًا أَدْرَكَ الْمَغْلُوبَ هَائِبُهُ
وَالصَّبْرَ مَذْكَانَ مَحْمُودٍ عَوَاقِبُهُ
أَمِنْ يُوَالِيهِ أَوْ خَوْفٌ يَجَانِبُهُ
تَقْضَى بِخَفْضِ مُنَاوِيهِ قَوَاضِيهِ
فِي ظِلِّ عِزٍّ عَلَا تَصْفُو مِشَارِبُهُ
سَارَتْ إِلَيْهِ بِمِشْتَاقٍ رَكَابِهِ (١)

ومن شعره ما قيده لي بخطه صاحب قلم الإنشاء بالحضرة المرينية (٢)،
الفقيه الرئيس الصدر المتقن [أبو زيد بن خلدون] (٣).

صحا القلب عما تعلمين فأقلعما (٤)
وأصبح لا يلوى على حد منزل
وأضحى من السلوان في حِرْزٍ مَعْقِلٍ
[يرد الجفان التُّجَلُّ عن شُرْفَاتِهِ
وعطل من تلك المعاهد أربعا
ولا يتبع الظرف الخليل المودعا
بميد على الأيام أن يتضعضا
وإن لحظت عن كل أجيد أتلعا] (٥)

- (١) إلى هذا ما نقلناه عن «فتح الطيب» ما نقله بادوره عن «الإحاطة» في ترجمة أبي القاسم البرجي خاصة بشعره، وهو كذلك ما دونه ابن الخطيب بكتابه «تفاحة الجراب» وكل ذلك حسبما قدمنا سابقا في مخطوطي «ج» و«الزيتونة». ونعود به ذلك لاستندف النقل عن المخطوطين.
(٢) الحضرة المرينية أو حضرة بني مرين، صاحب مدسة فاس سماها «ببلد العابد».
(٣) ما بين الخاصرتين مخطوطي «ج» و«ج» ورد في «الزيتونة» و«الفتح».
(٤) هكذا في «ج» و«فتح» وفي «الزيتونة» (دائما).
(٥) هكذا في «فتح الطيب» و«الفتح». وقد ورد محرفا في المخطوطين على النحو الآتي:
(يرى الحيوان الحل من شرفاته وإن لحظت عن كل أجيد أتلعا - ملعد)

عزیز علی داعی الغرام انقیاده
أهاب به للشيب أنصح واعظ
وكان إذا ناداه^(١) للوجد أخطما
أصاخ له قلباً منيباً ومسمما
وسافر في أفق التفكير والحجا
لعمري لقد انضيت^(٢) عزمي تطالبا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا
ومن شعره حسباً قيده المذكور :

نهاء النهى بعد طول التجارب
وخاطبه دهره ناصحاً
ولاح له منهج الرشيد لاجب
بألسنة الوعظ من كل جانب
فأضحى إلى نصحه واعياً
وأصبح لا تستبيه الغواني
ولا تزدرية حظوظ المناصب

وإحسانه كثير في النظم والنثر ، والقصار والمطولات . واستعمل في السفارة إلى ملك مصر [وملك]^(٥) قشتالة ، وهو الآن قاضي مدينة فاس ، نسيجٌ وحده ، في السلامة والتخصيص ، واجتناب فضول القول والعمل ، كان الله له .

محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن يوسف بن محمد^(٦) الصريحي

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن زمرك . أصله من شرق الأندلس ، وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة ، وبه^(٧) ولد ونشأ ، وهو من مفاخره^(٨) .

(١) وردت في «ج» ناداه . والتصويب من «الزيتونة» والنصح .

(٢) هكذا وردت في «ج» و«نصح» . وفي «الزيتونة» (يرتجى) .

(٣) هكذا في «الزيتونة» والنصح وفي «ج» أمضيت (٥) هكذا في «ج» و«النصح» وفي «الزيتونة» وقطعت

(٥) الزيادة من النصح . (٦) هذه الزيادة في النسبة والزيادة في «الزيتونة» .

(٧) هكذا في «ج» والنصح . وفي «الزيتونة» (ويج) . والشاعر أن الإحالة هنا على غرناطة .

(٨) هكذا في «ج» والنصح . وفي «الزيتونة» (مفاخرها) . والإحالة هنا على غرناطة .

حاله

هذا الفاضل صدر من صدور طلبه الأندلس وأفراد نخبائها، محتص، مقبول، هش، خلوب، عذب الفكاهة، حلوا المجاسة حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكرة، فطن بالمعارض، حاضر الجواب، شغلة من شغل الذكاء، تكاد تحتدم^(١) جوانبه، كثير الرقة، فكه، غزل، مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عفواً، طاهراً، كلفنا بالقراءة، عظيم الدؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظهر النبيل، بعيد مدى الإدراك، جيد الفهم، فاشهر فضله، وذاع أرجه^(٢)، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جملة^(٣) من الفنون، وأصبح [متلقف كُرّة]^(٤) البحث، وصار الخاتمة^(٥) وسابق الخلية، ومظنة الكمال. ثم ترقى [في] ^(٦) درج^(٧) المعرفة والاضطلاع، وخاض لجة الحفظ، وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلماً فوق الكرسي [المنسوب]^(٨) وبين الحفل المجموع، مستظهراً بالفنون التي بعد فيها شأوه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به [في] لُج النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقاً مع ذلك، إلى السلوك، صاحباً للصوفية، آخذاً نفسه بارتياض ومجاهدة، ثم عانى الأدب، فكان أملك به، وأعمل الرحلة

(١) هكذا في «ج» والنسخ. وفي «الزيتونة» (تحررم) وهو تحريف.

(٢) وردت في المخطوطين (رجله) والتصويب من النسخ.

(٣) هكذا وردت في المخطوطين. وفي النسخ (كثير).

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ. وقد وردت محرفة في المخطوطين كالآتي (متقلب

من كثرة).

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي النسخ. ووردت في «الزيتونة» (الملتقة).

(٦) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق.

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة». ووردت في «ج» والنسخ (درجة) والأولى أرجح.

(٨) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين. ووردت في النسخ.

في طلب العلم^(١) والازدياد ، وترقى إلى الكتابة ، عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، أبي سالم إبراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب ، ثم عن السائبان ، وعرف [في] باب الإجابة . ولما جرت الحادثة على السلطان^(٢) صاحب الأمر بالأندلس ، واستقر بالمغرب ، أنس به ، وانقطع إليه ، وكرّم صحبة ركابه ، إلى استرجاع حقه ، فأطاب مثد محله ، وخصه بكتابة سره . وثابت الحال ، ودالت الدولة ، وكانت له الطائفة^(٣) ، فأقره^(٤) على رسمه ، معروف الانقطاع والصاغية ، كثير الدالة ، مضطلعا بالخطة ، خطأ وإنشاءً ولسناً ونقداً ، فحسن منابه ، واشتهر فضاه ، وظهرت مشاركته ، وحسنت وساطته^(٥) ووسع الناس تخلفه . وأرضى السلطان حمله^(٦) . وامتد في ميدان النثر والنظم بأبعه ، فصدر عنه [من المنظوم]^(٧) في أمداحه . قصائد [بعيدة الشأو]^(٨) في مدى الإجابة ، حسبما يشهد بذلك . ما تضمنه اسم السلطان أيده الله في أول حرف الميم ، في الأغراض المتعددة من القصائد والميلاديات ، وغيرها . وهو بحاله الموصوفة [إلى الآن]^(٩) . أعانه الله وسدده .

شيوخه

قرأ العربية على الأستاذ رُحله الوقت^(١٠) في فتمها أبي عبدالله بن الفخار [نم]^(١١)

(١) ما ورد بين الحاصرين سابق في المخطوطين . ووارد في النسخ .

(٢) منذ كلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٣) وردت في المخطوطين (طائفة) . وواضحة من النسخ .

(٤) هكذا وردت في «التزوية» وفي «النسخ» . ووردت في «ح» (فأقر له) وهو تحريف .

(٥) هكذا في «ح» و«نسخ» . ووردت في «التزوية» (واسمه) .

(٦) هكذا وردت في «ح» و«نسخ» . ووردت في «ح» (حمنة) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ . ووردت في المخطوطين .

(٨) هذه العبارة واردة في «ح» وفي «نسخ» . وساقطة في «التزوية» .

(٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي النسخ (إلى هذا العهد) .

(١٠) هكذا وردت في «ح» . وفي «التزوية» . وفي النسخ (المغرب) .

(١١) الزيادة من النسخ .

على إمامها القاضي الشريف . إمام الفنون اللسانية ، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني ، والفقهاء العربية على الأستاذ المقتي^(١) أبي سعيد بن لب ، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق ، فأخذ عنه كثيراً من الرواية ، ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقرئ عندما قدم رسولا إلى الأندلس وذا كره ، وقرأ الأصول [الفقهية]^(٢) على أبي علي منصور الزواوي ، وروى عن جملة ، منهم القاضي أبو البركات بن الحاج ، والمحدث أبو الحسن بن التلمساني ، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي . والمقرئ أبو عبد الله بن بيش . وقرأ بعض الفنون [العقلية]^(٣) بمدينة فاس على الشريف الرحلة الشهير أبي عبد الله [المعالي]^(٤) التلمساني [واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة مران ، وحسنة في الصناعة]^(٥) .

شـمره

وشعره مترام إلى نَظ^(٦) الإجابة ، خفاجي^(٧) التزعة ، كلف بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصقيية . غزير المادة . فمنه في غرض النسيب :

رضيتُ بما تقضى عليّ وتحكم	أهان فأقصى أم أصافي فأكرم
إذا كان قلبي في يديك قياده	فمالي عليك في الهوى أنحككم
على أن رُوحى في يديك بقاؤه	بوصلك يحيي أو بهجرك يُعدم

(١) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في المخطوطين . وواردة في النسخ .

(٣) الزيادة من النسخ .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) ما بين الحصرتين ورد في «ج» وفي «النسخ» وساقط في «التريتونة» .

(٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي «النسخ» (هدف) .

(٧) وردت في المخطوطين (خفاجيد) . والتصويب من النسخ .

وَأنتِ إِلَى الْمُشْتاقِ نارٌ وَجَنَّةٌ
 ولى كَبِيدٍ تَعْدَى إِذا ما ذُكِرْتِمْ
 ولو كان ما بى منك بالبرق ما سَرى
 أراعى نَجُومَ الأفقِ فى اللَّيْلِ ما دَجى
 وما زلتِ أخفى الحُبَّ عن كلِّ عادِلٍ
 كَما نى الهوى ثوبَ السَّقامِ وإِنه
 فى ما نى له العَقلُ الجَميلُ سَجِيَّةٌ
 وعنه يُروى النَّاسُ كلُّ غَريبةِ
 إِذا أنتِ لم تَرَحِمِ خُضوعى فى الهوى
 وحلمك حِلْمٌ لا يَلِيقُ بِمَذنبِ
 ووَاللهُ ما فى الحىِّ حىٌّ ولم يَنلِ
 ومن قَبْلِ ما طَوَّقْتِنى كلِّ نَعْمَةٍ
 وَفَتَحْتِ لى بابَ القَبولِ مع الرضى
 ولو كان لى نَفْسٌ تَخونُكَ فى الهوى
 وآتَرَكَ أَهْلِي فى رِضاكَ إِلى الأسى
 أَمَا وَالَّذى أَشقى فَوادى فى الهوى
 يَبْعُدُكَ يَشقى أو بِقُرْبِكَ يَنعَمُ
 وَقَلْبٌ بَنيرانِ الشوقِ (١) يَتَضَرَّمُ
 ولا اسْتَصحبَ الأَنْواءَ تَبكى وتَبسُّمُ
 وَأَقْرَبُ [من عَينى للنَّومِ] (٢) أَنجمُ
 وتُشقى دَموعَ الصَّبِّ ما هو يَكتمُ
 متى صَحَّ حُبُّ الرءِ لا شىءٌ يَسْتَمُ
 ومن جُودِ يَمناه الحِيا يَتَعَلَّمُ
 تُخَطُّ على صَفْحِ الزمانِ وتُرسمُ
 فمن ذا الذى يَحْنى (٣) على وَيرحمُ
 فما بالِ ذَنبى عَندَ حِلْمِكَ يَعْظُمُ
 رِضاكَ وَعَمَّتْهُ أيا دِ وَأَنعمُ
 كَما نى وإياها سِوارِ وَمِعصَمُ
 [يَغضُّ الحىَّ طَرفى كَما نى مُجرَمِ] (٤)
 لِفارِقَتِها طوعاً وما كَنتِ أَندمُ
 وَأُسلمُ نَفْسى فى يَدَيْكَ وَأُسلمُ
 وَإِن كانَ فى تلكِ الشَّقاوةِ يَنعَمُ

(١) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (التشوق).

(٢) هكذا وردت فى «الزيتونة». ووردت فى «ج» (من نومي للعين). والأولى أنسب

للوزن والسياق.

(٣) هكذا وردت فى «ج». وفى «الزيتونة» (يحنو).

(٤) هكذا وردت هذه الشطر فى «ج». ووردت فى «الزيتونة» كالتالى: (فأبال ذاك الباب

دونى مبهم).

لأنت من قلبي ونزهة خاطري ومورد آمالي وإن كنت أُحرم^(١)
 [ومن ذلك ما خاطبني به ، وهي من أول نظمه . قصيدة مطامها : «أما وانصداع
 النور في مطلع الفجر» وهي طويّلة^(٢) . ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس
 قيس ، واشتهرت بالإحسان اشتهار الرهد بأويس ، ولم يحل بجاريه ومباريه
 إلا بويج وويس ، قوله في إعدار الأمير ولد سلطانه المنوره بمكانه ، وهي
 من الكلام الذي عنيت الإجابة بتذهيبه وتهذيبه ، وناسب الحسن بين
 مديحه وأسيبه :

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا	وأن يشغل الاوام بالعدل باليا
دعاني أعطِ الحب فضل مقادتي	ويقضى على الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صبوة	رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب إذا ما انبرق أومض موهنا	قدحت به زندا من الشوق واريبا
خليلى إني يوم طارقة النوى	شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالحيف يوم النفر يا أم مالك	تخلفت قلبي في جيبك عانيا
وذى أشر عذب الثنايا منحصر	يسقى به ماء النعيم الأفاقيا
أحوم عليه ما دجى الليل ساهرا	وأصبح دون لورد ظمان ضاريا
يضوء ظلام الليل ما بين أضلعي	إذا البارق النجدي وهنا بداليا

(١) وردت هذه القصيدة في «ج» ولم ترد في «نفتح الطيب» . ومن جهة أخرى فإن ترجمة ابن زمرك التي ينقلها إلينا المقرئ في نفتح «الطيب» من «الإحاطة» تتضمن عدة قصائد طويلة لم ترد في «المخطوطين» . وقد رأينا أن نتبع نص الترجمة في «نفتح الطيب» ، وأن نورد من هذه القصائد أجزاء فقط لأنها من المطولات . ثم نعود بعد ذلك فنتبع نص المخطوطين .

(٢) يقول في هذه القصيدة بعد أبيات :

لك الله فذ الجلالة أوحد تطارعه الآمال في النهى والأمر

أجیرتنا بالرمل والرمل منزل
ولم أر ربعا منه أفضى لبانة
سقت طله الغر الغواذى ونظمت
أبکم انى على النأى حافظ
أناشدکم والحرة أوفى بهده
مضى العيش فيه بالشبية حاليا
وأشجى حمامات وأحلى بجانيا
من القطر فى جيد الفصون لآليا
ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
ولن يعدم الخیر والأحسان جازيا^(١)

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب ورحمة الله تعالى عليه وفد الأحايش
بهدية من ملك السودان ، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة ، فأمر من
يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض ، فقال وهى من بدائعه :

لولا تألق بارق التذكار
لكنه مهما تعرض خافقا
وعلى المشوق إذا تذكر معها
أمدكرى غرناطة حلت بها
كيف التخلص للحديث وبيننا
وغريبة قدامت إليك على الونى
تُنسبه طيته التى قد أمها
يقتادها من كل مُشتمل الدجى
خاضوا بها لُجج الفلا فتخلصت
سَلِمَت بسعدك من غوائل مثلها
وأنتك ياملك الزمان غريبة
موشية الأعطاف رائقة الحلى
ما صاب واكف دعى المدوار
قدحت يد الأشواق زندا أوارى
أن يُغرى الأجفان باستعبار
أيدي السحاب أزرة النوار
عرض الفلاة وطافح زخار
بيداً تبيدُ بها هموم السارى
والركب فيها مئت الأخبار
وكأنما عيناه جنوة نار
منها خلوص البدر بعد سرار
وكفى بسعدك حامياً لدمار
قيد النواظر نزهة الأبصار
رقمت بدائعها يد الأقدار

(١) تقع هذه القصيدة فى أربعة وثمانين بيتاً . وقد وردت فى نفع الطيب ج ٤ ص ٢٧٥

واق العيون أديمها فكأنه
ما بين مبيض وأصفر فاقع
يُحكى حدائق نرجس في شاهق
وأُنشد السلطان في ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقِب ما فرغ من
البذنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى .

تأملَ أطلال الهوى فتألمَا
أخو زفرة هاجت له منه ذكرة
وسميا الجوى والسقم منها تعلمَا
فأنجَد في شُعب العزام وأتممَا
وأُنشد السلطان في وجهة للصيد أعمالها ، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك
الطراد وأرسلها قوله :

حيّاك يا دار الهوى من دار
وأعاد وجهه رُباك طلقاً مشرقاً
أمدكرى دار الصبابة والهوى
عاطيتنى عنها الحديث كأنما
إيه وإن أذكيت نار صبابتى
يا زاجر الأظمان وهى مشوقة
حنت إلى نجد وليست دارها
شأقت به برق الحمى واعتادها
ومن شعره في غير المطولات :

(١) تقع هذه القصيدة في نحو تسعين بيتاً . وقد وردت مع الاختصار في نفع الطيب ج ٤ ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٢) تقع هذه القصيدة في أربعة وسبعين بيتاً . وقد وردت في نفع الطيب ج ٤ ص ٢٨٠ - ٢٨٣ . وإلى هنا ينتهى ما أورده نفع الطيب من مطولات ابن زمرك . ومن بعدها نستأنف تدوين نص المخطوطين .

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى
تُشير وراء الليل منه [بفانة] (۱)
تلوح سناناً حين لا تنفح (۲) الصبا
تطمتُ به ليلاً يُطارحنى الجوى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى
لك الله يا مصباح أشبهت مُهجتي

[ومما ثبت له في صدر رسالة :

أرور بقلبي معهد الأُنس والهوى
ومهما سألتُ البرق يهفون من الحمى
فياليت شعري والأمانى تعالُّ
وهل جِبرتي الأولى كما قد عهدتهم
ومن أبياته الغراميات (۷) :

قيادى (۸) قد تملكه الغرام
ووجدى لا يطاق ولا يُرام

(۱) الزيادة من النفع .

(۲) هذا البيت وارد في «ج» وفي النفع . وسقط في الزيتونة .

(۳) هكذا وردت في «ج» والنفع . ووردت في «الزيتونة» (تفتى) .

(۴) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في النفع كالاتى (لا يخفى

الغيا . به كفا) .

(۵) هذا البيت وارد في «الزيتونة» وفي النفع . وساقط في «ج» .

(۶) لم يرد هذا الشعر في المخطوطين ، ونقلناه عن نفع الطيب .

(۷) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» وفي النفع . ووردت في «الزيتونة» كالاتى (ومنه

مثل ذلك) .

(۸) هكذا وردت في «ج» والنفع وفي «الزيتونة» (فؤادى) .

ودمى دونه صوب الفوادى وشجوى فوق ما يشدو الحمام
إذا ما الوجد^(١) لم يبرح فزادى على الدنيا وساكنها السلام
وفى غرض يظهر من الأبيات :

ومُشتمل بالحسن أحوى مهتف قضى رجع طرفى من محاسنه الوطر
فأبصرت^(٢) أشباه الرياض محاسناً وفى خده جرح^(٣) بدا منه لى أثر
فقلت لجلأسى خذوا الخنجر إنما به وصب من أسهم الفنج والخور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه ومن شأنها تدمى من [الأمح بالبصر]^(٤)
تُخيل للعنين جرحاً وإنما بدا كلف منه على صفحة القمر

ومما يرجع إلى باب الفخر، ولعمري لقد صدق فى ذلك :

يا لا يبي^(٥) فى الجود والجود شيمتى جُبلت على آثارها يوم مولدى^(٦)
ذرىنى فلو أنى أخذ بالغنى لكنتُ ضنيناً بالذى ملكت يدى
ومن مقطوعاته :

لقد علم الله أنى امرؤ أجرر ثوب العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه وفازت قِداحى بوصل الحبيب
وقيل وقيبك فى غفلة فقلت أخاف الإله الرقيب

- (١) وردت فى المخطوطين (المجد) . والتصويب من النسخ .
- (٢) وردت فى المخطوطين (فأبصر) والتصويب من النسخ .
- (٣) هكذا وردت فى «النسخ» . ووردت فى المخطوطين (حسن) والأولى أرجح .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة فى «النسخ» ووردت فى المخطوطين (اللعظ والبصر) والأولى أرجح .
- (٥) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى «النسخ» (الأئمة) .
- (٦) هكذا وردت فى «الذيتونة» و «النسخ» . ووردت فى «ج» (بولد) وهذه تحريف .

[وفي مدح كتاب الشفا^(١) طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع

في شرحه :

ومسرى ركب للصبا قد وُنت به
تسيل ميوف البرق أيدي حداثها
ونجائب سُحِب للتراب نزوعها
فتنهل خوفاً من سطاها دهوعها
ومنها :

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه
بمراة حُسن قد جلتها يد النهى
نجوم اهتداء والمداد يُجنمها
لقد حُزت فضلاً يا أبا الفضل شاملاً
ولله ممن قد تصدّى لشرحه
فكم يُجمل فصلت منه وحكمة
محاسن والإحسان يبدو خلالها
إذا ما أصول المرء طابت أرومة
بقيت لأعلام الزمان تُنيلها
فقد بان فيه للعقول جميعها
فأوصافه يُلناح فيه بديعها
وأسرار غيب والبراع تُذيعها
فُيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
فلباه من غرُ المعاني مطيعها
إذا كتم الإدماج منه تُشيعها
كما افتُر عن زهر البطح ربيعها
فلا عجب أن أُتبهتها فروعها
هُدى ولأحداث الخطوب ترُوعها^(٢)

ومما امتزج فيه نثره ونظمه ، وظهر فيه أدبه وعلمه ، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد ، وهم مع مولانا أيده الله بالُنكَب :

مالي بحمل الهوى يدان^(٣) من بعد ما أعوز التّداني
أصبحت أشكو من زمان ما بت منه على أمان

(١) هو كتاب «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» وهو أشهر كتب الحافظ الفقيه القاضي

عياض بن موسى السبتي المتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

(٢) تقع هذه القصيدة في عشرين بيتاً . وهي غير واردة في الخطوطان ، وقد وردت في

النفع (ج ٤ ص ٢٨٤) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي «ج» (يداني) .

ما بال عينيـك تسجـان والدمع يرفض كالجمان
ناداك والإلفُ عنك وانٍ والبعد من بعده كوان
ياشقة النفس من هوان لُجج^(١) في أبحر الهوان
لم يُثن عن هـواك ثان يا بغية القلوب قد كفان

يا جانحة الأصيل ، أين يذهب قرصك المذهب ، وقد ضاق بالشوق المذهب .
أمست شموس [الأنس]^(٢) محجوبة عن عيني ، وقد ضرب البعد الحجاب بينها
وبيني ، وعلى كل حال . من إقامة وارتمال . فما محلك من قلبي محلا بينها . وما كنت
لأقع من وجهك تخيلا وشبيها . ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه واتسقت ، ومن
بعض للمواقع والشمس لو قطعت^(٣) . صادق منذور . وأنت تتجمل بثوبى زور ،
وجيب الظلام على دينارك حتى الصباح مزرور ، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم ،
ومطالب تتقلب منه في كفه المطالب . ويا برق الغمام من أي حجاب تبسم ، وبأي
صبح ترسم ، وأي غفل من السحاب تسم . أليست مباسم الثغور لا تنجد بأفقى
ولا تغور . هذا وإن كانت مباسمك مساعدة . والجوئ ملبس لها من الوجوم شعارا ،
فلطالما ضحكت فأبكت الغواصي ، وعقت الرايح والغادي . أعوذ بواشم البروق ،
بنواسم الطفل والشروق ، ذوات الزايرات المتعددة الطروق ، فهي التي قطعت وهادا
ونجادا ، واهتدت بسيف الصباح من السحاب قرابا . ومن البروق نجادا . واهتدت
خبر الذين أحبهم مستظرفا مستنجادا ، فعالها ولعلها . والله يصل في أرض الوجود
نهلها وعلها ، وأن يُبل ظعين الشوق بنسيمها البليل ، وأن نعوضه من نار الغليل .
بنار الخليل ، وخير طبيب يداوى الناس وهو عليل . فشكواى إلى الله لا أشكو

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» ، (نحج) وهو تحريف .

(٢) أضيفت هذه الكلمة ليستقيم المعنى والسياق .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (الطقت) ، الألف الأولى .

إلى أحد . هل هو إلا فرد تَسَطَّوْ رِيَّاحَ الْأَشْوَاقِ عَلَى ذُبَالَتِهِ ، وَعُمَرَ الشُّوقِ قَدْ شَبَّ
عَلَى الطُّوقِ ، وَوَهَبَ الْجَمْعَ لِلْفِرْقِ . وَلَمْ يَقْنَعْ بِالْمَشَاهِدَةِ بِالْوَصْفِ دُونَ الذُّوقِ . وَقَلْبٌ
تُقَسِّمُ أَحْسَاؤَهُ الْوَجْدَ ، وَقَسَمٌ بِاللَّهِ الْغُورَ وَالنَّجْدَ . وَهَمُومٌ مَتَى وَوَرَدَتْ قُلُوبُ الْقَابِ ،
لَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تُعَدَّ ، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ .

أستغفر الله ياسيدي الذي يوقد^(١) أفكارى حلوا لقائه ، وأتنسّم أرواح القبول
من تلقاياه . وأسأل الله أن يُدِيمَ لِي آمَالِي^(٢) بدوام بقاياه . إن بُعد مداه ، قربت
منا يداه ، وإن أخطأنا رفدُهُ أَصَبْنَا نَدَاهُ . فَشَمَرَاتِ آدَابِهِ الزُّهْرُ تَجِيءُ إِلَيْنَا ،
وَسَحَابِيبُ بَنَانِهِ الْغُرُ تُصَوِّبُ دَوَالِينَا أَوْ عَلَيْنَا ، عَلَى شَحَطِ هَوَاهُ ، وَبُعْدِ مَنْتَوَاهُ .
وَلَا كَرَسَالَهٖ سَيْدِي الَّذِي عَمَّتْ فُضَايِلُهُ وَخَصَّتْ ، وَتَلَّتْ عَلَى أَوْلِيَاءِ نِعْمَتِهِ أَنْبَاءُ
الْكَمَالِ وَقَصَّتْ ، وَآيَ^(٣) قَفَى كُلِّ مِنْهَا عَجَبًا ، وَنَالَ مِنَ التَّمَّاحِ غُرَّتَهَا وَاجْتِنَاءُ
صَفْحَتِهَا أَرْبَابًا . فَلَقَدْ [كَرُمْتَ عَنْهُ]^(٤) بِالِاشْتِرَاكِ فِي بُنُوْتِهِ الْكَرِيمَةِ نَسَبًا ،
وَوَصَلْتُ لِي بِالْعِنَايَةِ [مِنْهُ]^(٥) سَيِّبًا . تَوَلَّى سَيْدِي خَيْرَكَ مِنْ يَتَوَلَّى خَيْرَ الْمُحْسِنِينَ ،
وَيُجْزِلُ شُكْرَ الْمُتَنَعِمِينَ . أَمَا مَا تَحَدَّثُ بِهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْبَعِيدَةِ الْعَدِيَّةِ ، وَأَخْبِرُ
عَنْهُ مِنَ الْمَعَانِي الْفَرِيدَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَالْأَسَالِيبِ الْمُطِيلَةِ ، فَيَعْبُزُّ عَنْ وَصْفِهِ ، وَإِحْكَامِ
رَاصِفِهِ ، الْقَلَمُ وَاللِّسَانُ ، وَيَعْتَرِفُ لَهَا بِالْإِبْدَاعِ الْمُسْتَوَلِيِّ عَلَى أَمْدِ الْإِحْسَانِ الْبَدِيعِ
وَحُسْنَانِ . وَلَقَدْ أَجْهَدْتُ جِيَادَ الْارْتِمَالِ ، فِي مَجَالِ الْاسْتَمْعَالِ . فَمَا سَمِعْتُ الْقَرِيحَةَ
إِلَّا بِتَوَقُّعِ الْأَجَالِ . وَعَادَتْ مِنَ الْإِقْدَامِ إِلَى الْكَلَالِ . فَعَلِمْتُ أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ
الْكَرِيمَةَ . مِنَ الْحَقِّ الْوَاجِبِ عَلَى مَنْ قَرَأَهَا وَتَأَمَّلَهَا ، أَنْ لَا يَجْرِي فِي لُجَّةٍ مِنْ

(١) وردت في «ج» (ترقدن) . وفي «الزيتونة» (توقدون) . وبالتصويب يستقيم المعنى .

(٢) وردت في المخطوطات (مالي) . وهو تحريف ظاهر .

(٣) وردت في «ج» (وألوان) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في «الزيتونة» . ووردت في «ج» (لايت عن) .

(٥) إضافة بقضيها السياق .

ميادينها ، ويديم يراع سيدي الإحسان كرينها . لا كن على أن يفسح الرياض
 للقصى مدى ويقندي بأخلاق سيدي التي هي نور وهدى . فإنه والله يبقية . وبقية
 مما يتقيه ، بعد ما أعاد في شكوى البين وأبدي . وتظلم من البعد واستعدى^(١) ،
 ورفع حكم العتاب عن ذرات النسيم والاعتباب ، ورعى وسيلة ذكرها في مُحكم
 الكتاب . وولى فضله ما تولى ، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صور^(٢)
 السعادة على رأيه . أيده الله تَجَلَّى ، وثمره فكره المقدس ، أيده الله تتَحَلَّى . شكر الله
 له عن جميع نعمه التي أولى ، وحفظ عليه مراتب الكمال التي هو الأحق بها
 والأولى . وقد طال الكلام ، وجمحت الأقلام . ولسيدي وبركتي الفضل ، أبقى
 الله بركته ، وأعلى في الدارين درجته ، والسلام الكريم بخصمكم ، من مملوككم
 ابن زمرك ، ورحمة الله وبركاته ، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة
 وستين^(٣) .

وخاطبني كذلك ، وهو من الكلام المرسل : أبو معار في . وولى نعمتي ، ومعيد
 جاهي ، ومقوم كمال ، ومورد آمالي ، ممن توالى نعمه عليّ ، ويتوفر قسمه لدي ،
 وأبوه له بالعجز . عن شكر أياديته . التي أحيت الأمل ، وملاّت أ كُفَّ الرغبة ،
 وأنظقت الحدايق ، فضلا عن اللسان ، وأياديته البيض وإن تعددت . ومننه العميمة ،
 وإن تجددت ، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس في الروض الممازور بيانه .
 فماذا أقول ، فيمن صار مؤثراً إلى بالتقديم ، [جالياً صورة]^(٤) تشريفي ،

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (استدعا) . والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (سور) .

(٣) وردت في المخطوطين (وسبعين) ، وهو تعريف ظاهر ، متى ذكرنا أن ابن الخطيب

قد توفى سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في «الزيتونة» (جاندا سورة) .

بالانتساب إليه في أحسن التقويم . . . (۱) وإني ثالث اثنين أشرف بخدمتها ،
وأسحب في أذيال نعمتها .

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من تمتى إليه عبيد
اللهم أوزعنى شكر هذا المنعم ، الذى أثقلت نعمه ظهر الشكر ، وأنهضت
كامل (۲) الحمد ، اللهم أدم بجميع حياته ، وأمتع بدوام بقاياه الإسلام والعباد ، وأمسك
بيمين آرائه رَمَق ثغر الجهاد . يا أكرم مسئول ، وأعز ناصر . تفضل سيدى ،
والفضل عادته ، بالتعريف بما يقر عين المتطلع (۳) ويقنع غلة التشوف . ولقد كان
الماليك لما مثلنا بين يدي مولانا ، أيده الله ، لم يقدم عملا عن السؤال [ولا] (۴) عن الحال ،
إقامة لرسم الزيارة ، وعملا بالواجب ، فإننى أرى الديار بطرفى ، فعلى أن أرى الديار
بعينى ، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله . وإن سألت سيدى شكر الله احتفائه ،
وأبقى اهتمامه ، عن حال الماليك ، من تعب السفر ، وكد الطريق ، فهى بحمد الله دون
ما يظن . فقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلافة ، محرزين شرف المساوقة ،
لمواكب (۵) المولى ، يمين الله وجهته . وكتب عِصْمَتَهُ . واستقر جميعنا بمحل
القَصْبَةِ ، وتاج أهبتها ، ومهب رباح أجزائها ، تحت النعم الثرة ، والأنس الكامل
الشامل . قرب الله أمد لقاءكم ، وطلع على ما يسر من تلقايتكم . ولما بلغنا هذه
الطية ، وأنخنا المطية . قننا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار ، ورفعنا مخاطبة
المالك على الابتداء . والسلام .

مولده : فى الرابع عشر من شوال ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

[انتهى السفر السادس هنا . والحمد لله رب العالمين]

(۱) كلمة غير مقروءة . (۲) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (كامل) .

(۳) هكذا فى «الزيتونة» . وفى «ج» (المتطلع) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .

(۴) ساقطة فى «ج» . وواردة فى «الزيتونة» .

(۵) هكذا فى «ج» . و«الزيتونة» (لمراكب) . والأولى أرجح .

ومن السفر السابع المفتوح بقوله
 ومن الطَّارئين منهم في هذا الباب *
 محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبَّاني
 سكن غرناطة يكنى أبا الحسن

حاله

كان مبرزاً في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، متقدماً في الكتابة والفصاحة،
 جامعاً فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته

روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش،
 وأبي علي الفسائي وغيرهم. وصحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

توالياه

صنّف في شرح غريب البخاري مصنفاً مفيداً.
 توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمس مائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجبي الحميري
 من أهل مالقة، وأصله من إستجة^(١)، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى
 أبا عبد الله.

(٥) هنا يبدأ مخطوط الإسكوريال رقم ١٦٧٣ ديرنبور.

(١) هي بلدة أندلسية متوسطة تقع على ضفة نهر شيل فرع الوادي الكبير، جنوب لجرى غربي قرطبة وبالإسبانية Ecija.

حالہ

كان من جملة^(۱) سحمة العلم، والغالب عليه الأدب، وكان من أهل الجلالة، [ومن بيت علم ودين]^(۲). أقرأ ببلده، وقعد بالجامع الكبير منه، يتكلم على صحيح البخاري، وانتقل في آخر عمره إلى غرناطة.

وقال الأستاذ^(۳)، كان من أبرع أهل زمانه في الأدب [نظماً ونثراً]^(۴).

شعره

منقولاً من خط الوزير الراوية أبي محمد عبد المنعم بن سيماك، وقد ذكر أشياخه فقال: الشيخ المتفنن الأديب، البارع، الشاعر الملقب، قرأ على أشياخها، وأقرأ وهو دون^(۵) العشرين سنة. وكانت بينه وبين الأستاذ المقرئ الشهير أبي العباس الملقب بالوزعي قرابة، وله قصيدة أولها:

« ما للنسيم لدى الأصيل عبيلا »

ومنها:

حتى النسيم إذا ألم بأرضهم خلعوا عليه رقةً ونحوها
[وكان يقول: كان الأستاذ أبو العباس، يستعيدني هذا البيت، ويقول
نعم أنت قريبي، وقدم على غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة]^(۶).

(۱) هذه الكلمة واردة في مخطوط الإسكوريال، وساقطة في المخطوطتين.

(۲) هكذا وردت في الإسكوريال، ووردت في المخطوطتين (من بيت أهل العلم والدين).

والأولى أرجح.

(۳) يقصد بها الأستاذ أبو جعفر أحمد بن الزبير، صاحب كتاب «صلة الصلة»، المتوفى

سنة ۵۷۰ هـ.

(۴) هذه العبارة واردة في الإسكوريال، وفي «ج». وساقطة في «الزيتونة».

(۵) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي المخطوطتين (بن).

(۶) الفقرة الواردة بين الحاصرتين مطموسة وممحاة في الإسكوريال، وقد نلناها عن «ج».

محتـه

قال الأسناذ جرى له قصة . نُقل بعض كلامه فيها . على بعض أحاديث
الكتاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها ؛ غالب أدبه . فإطاق عِنان الكلام ،
[وما أكثر مما يطاق فيما يأنفه ، إدراكات] (١) تلك الأفهام . ولكل مقام مقال .
ومن الذي يسلم من قيل وقال . وكان ذلك سبب الانقطاع . ولم يؤت من قصر
باع ، وانتقل إلى غرناطة ، فتوفي في أثر انقطاعه (٢) وانتقاله .

شعره

من ذلك قوله في غرض يظهر من الأبيات :

قضوا في ربي نجد [في القلب مرساه] (٣) وغنموا إن أبصرتهم ثم مغمناه
أما هذه نجد أما ذلك الحمى فهل عميت عيناه أم صمت (٤) أذناه
دعوه يوفي ذكـره بانثامه ديون هواه قبل أن يتوفاه
ولا تسأله مألوة فن العنا رياضة من قد شاب في الحب فوداه
أبحسب من أصلى (٥) فزادى بحبه أنى أسلو عنه حاشاه حاشاه
متى غدر الصب الكريم (٦) وفي له وإن أتلف القلب الحزين تلافاه
وإن حجروا معناه وصرحوا به فإن معناه أحق بمعناه
وياسابقا عيس الغرام سيوفه وكل إذا يخشاه في الحب يخشاه
أرحها فقد ذابت من الوجد والشرى ولم يبق إلا عظمها أو بقاياها

(١) ما بين الحاصرتين مكانه بياض في الإسكوريال .

(٢) واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وفي الحن مرزاه) . والاولى أبلغ .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال و«ج» (صم) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (أبل) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (الكتيب) .

ويا صاحبی عَجِبْ بِي عَلَى الْخَلِيفِ مِنْ مَنِي
وَعَرَّجْ عَلَى وَادِي الْعَقِيقِ لَعَلَّنِي (۱)
وَقَلِّ لِلْيَالِي قَدْ سَلَفَنَ بَعْدِشْ—
هَلْ الْعُودُ أَرْجُوهُ أَمْ الْعُمُرُ يَنْقُضِي

[ومن شعره أيضاً . قوله ، رحمه الله :

سَرَّتْ مِنْ رَبِّي نَجْدٌ مُعْطَرَةٌ الرِّيَاءِ
تَمْسَحُ أَعْطَافَ الْأَرَاكِ بَلِيَّةٍ
وَمَرْتَدٌ فِي حِجْرِ الرِّيَاضِ مَرِيضَةٌ
وَبَشَّرَتْ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ سَحْرَةٌ
سَقَنِي اللَّهُ دَهْرًا ذَكَرَهُ بِنَعِيمِهِ
مَلَنِي مُحْيِيَاءَ الْأَنْبِيَاءِ وَحُسْنُهُ
وَبِي رَشَاءً مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ غَدَا
رَمَانِي فَأَصَابَنِي بِأَوْلِ نَظْمَةٍ
وَبَدَّدَ جَسْمِي نُورَهُ وَكَأَنَّهُ
تَصَوَّرَ لِي مِنْ عَالِمِ الْحُسْنِ خَالِصًا
وَهُمْ بَأَنْ يَرِقَى إِلَى الْخُورِ جَسْمَهُ
إِذَا مَا انْتَهَى أَوْلَاحُ أَوْجَاحِ أَوْرُنَا
رَعَى اللَّهُ دَهْرًا كَانَ يَنْشُرُ وَصْلَهُ

يَمُوتُ لِمَا قَلْبِي وَأَوْنَةٌ يَحْيَا
وَتَنْثُرُ كَافُورًا عَلَى التَّرْبَةِ اللَّامِيَا
فَتُحْيِي بِطَيْبِ الْعُرْفِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْيَا (۲)
فَيَسْرِعُ دَمْعُ الْعَيْنِ فِي إِثْرِهَا جَرِيًا
فَكَمْ لَجَفُونِي عِنْدَ ذِكْرِهِ مِنْ مُقْبَا
وَمَنْ خُلِقَ قَدْ كُنْتَ لِأَحْمَلِ النَّيَا
يَجُودُ بِنَعْدِي وَيَبْخُلُ بِاللَّقِيَا
فِيَا عَجَبًا مَنْ عِلْمُ الرَّشَاءِ الرَّمِيَا
أَشْمَةُ شَمْسٍ قَابَلَتْ جَسْدِي مَلِيَا
فَنَ عَجَبٌ أَنْ كَانَ مِنْ عَالِمِ الدُّنْيَا
فَتَقَلَّتْهُ كُتُبًا وَحَمَلَتْهُ حَلِيَا
سَبَابَ الْقُضْبِ وَالْأَقْمَارِ وَالْمِيَاكِ وَالضِّيَا
بُرُودِ طَوَاهَا الْبَيْنِ فِي صَدْرِهِ طَيَا (۳)

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال وفي المخطوطين (ثباني) .

(۲) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (سكناء) .

(۳) وردت في المخطوط (فنجيا) وبالتصويب يستقيم السياق .

(۴) هذا الشعر المحصور بين الحاصرتين وارد فقط في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

مشيخته

ومما يشتمل على أسماء شيوخه ، ويدل على تبجّره في الأدب ورسوخه . إجازته
أبا الوليد إسماعيل بن تبر الأيادي ، وعندها يقال ، أتى الوادي .

إن لي عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين
نظرةً والتفاتةً أتني أن تسكوني حملت فيما تليينا

ما هذه الأنوار اللايحة ، والنوار الفايحة ، إني لأجد ربح الحكمة .
ولا مَفْنَدُ ، وأرد مورد النعمة ولا مَنُكَدُ (١) ، أمسك دارين يُنهب : أم المنذل
الرطب في الغرام الملهب ، أم نَفَّحت أبواب الجنة ففاح نسيمها . وتوضحت
أسباب المنّة ، فلاح وسيمها .

مُحْيَاك أم نور الصباح تبسماً وريّاك أم نور الأقاح تنسماً
فمن شمّ من ذا نفحة رق شيمةً ومن شام من ذا لمحة راق مبسماً

أجل خلق الإنسان من عَجَل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتفهموا
أسرار الحكم وتعووا ، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا ، يعني مجالس الذّكر ،
ومأنس النظر والفكر ، ومطالع المناظرة ، ومواضع المحاضرة ، فهذه بتلك ،
وقد انتظمت الجواهر النبوية في سبائك ، ولها من حمى العطار (٢) وطيس ، بين
مسك المداد ، وكافور القراطيس . فيا أيها المعلم (٣) الأوحده . والعالم الذي لا تنكر
أمامته ولا تُجحد ، حوّمت على علم الملوك ، ولزمت بحلم طريق الحكم السلوك ،
فلم تعد أمل الحكماء ، ولم تعد إلا بعمل العلماء ، وقد قال حكيمهم الفاضل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يكند) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (لمعاطرة) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (العلم) والأولى أرجح .

وعظیمهم [الذی لا مُناظر له ولا مُفاضل] (۱) . إذا خدمتَ الأُمراءَ ، فكن
 بین [استلطاف واستعطاف] (۲) ، تَجَنُّ المَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ ، دَانِيَةَ الْقِطَافِ .
 فَتَعَلَّمَهُمْ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ ، وَتُرَوِّبُهُمْ (۳) ، وَكَأَنَّكَ تَرَوِي عَنْهُمْ . فَأَجْرِيَتْ
 الْبَابَ ، وَامْتَرَيْتَ مِنَ الْعِلْمِ الْبَابَ ، ثُمَّ لَمْ تُبْعِدْ ، فَقَدْ فَعَلَ النُّحَوِيُّونَ ذَلِكَ
 فِي يَكْرُمٍ ، وَيَعِيدٌ ، وَيَعِزُّ (۴) ، وَلَا غُرُوَّ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيَّ مِنْ هُوَ دُونَكَ . وَتَسْتَجِيزُ
 الْإِجَازَةَ [عَنِ الْقَوْمِ الْعِظَامِ] (۵) ، يَقْصِدُونَكَ . فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَقْرَأَ عَلَيَّ [بِنِ كَبِّ] (۶) ، [فَهَلْ فِي حِيٍّ الْخَوَاطِرُ
 الذِّكْيَةُ مِنْ حِيٍّ] (۷) . فَقَالَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، [اللَّهُ أَمْرُكَ] (۸) أَنْ تَقْرَأَ عَلَيَّ ،
 وَالْعَنَایَةُ الرَّبَّانِيَّةُ ، تُنَادِي إِلَيَّ إِلَيَّ ، وَإِذَا قَالَ لِي مِنْ أَحَبِّ مَوْلَايَ ، وَاسْتَعَارَ
 لَزِينَتَهُ حُلَايَ :

فَمَا عَلَيَّ الْحَبِيبُ مِنْ اعْتِرَاضٍ وَاللَّطِيبُ تَصْرَفٌ فِي الْمُرَاضِ
 قَدْ يَرْحَلُ الْمَرْءُ لِمَطْلُوبِهِ وَالسَّبَبُ الْمَطْلُوبُ فِي الرَّاحِلِ

عَجِبْتَ مُتَوَاضِعًا ، فَمَا أُبْرِمْتَ فِي مَعَاجِكَ ، وَلَا ظَلَمْتَ فِي السُّؤَالِ ، نَعَجْتَهُ
 إِلَى نَعَايِكَ ، فَإِنَّ سِرَّهُ اللَّهُ ، لَا يَجِلُّ فِيهِ الْإِفْشَاءُ ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي

(۱) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين (ج ، والزيتونة) . ووردت في الإسكوريال
 كالأتي (الذی لا یناظر ولا یناضل) . و الأولی أرجح .
 (۲) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (استعطاف واستلطاف) .
 و الأولی أرجح .

(۳) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .
 (۴) ساقطة في الإسكوريال . و واردة في المخطوطين .
 (۵) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال مكانها (للإعلام) .
 (۶) الزيادة عن المخطوطين .
 (۷) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال وفي «ج» . وساقطة في «الزيتونة» .
 (۸) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (أمرك) . و الأولی أرجح .

الحكمة من يشاء ، وإن لبست من التواضع شعاراً ، ولبست عن الترفع تنبيهاً^(١) على السر المكتوم وإشعاراً . فهذه الثرياً من العجايب إذا ارتفعت في أعلى صعودها ، وأسمى راياتها الخافقه وبنودها . نهاية وجودها الحسنى عدم ، وغاية وصفها الشبهي ، أن تشبهه بقدم ، فإذا همت بالركوع ، وثمتت في المغرب ربح الوقوع ، كان لها من السمو القدح المملئ ، وعادت قرطاً تزين به الأذان وتتحلى .

وفي الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي وسط السماء قدم
هذه آثار التواضع متلوة الشور ، مجلوة الصور ، وكان بعضهم إذا أعلى
الصدقة . يعطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا تفهم المسائل . فإنه لما سمع النبوة
تقول ، اليد العليا خير من اليد السفلى . أراد أن يؤثر المقام^(٢) الأعلى . ولما
أعلى أبو بكر ، رضي الله عنه . ماله كله . أعطى عمر رضي الله عنه النصف
من المال^(٣) لا احتياطاً على ماله ؛ ولكن ليقيف لأبي بكر في مقام القصور
عن كماله ، تفويضاً وتسليماً ، وتنبيهاً لمن كان له قلب وتعلماً . وروى الدارقطني^(٤)
[رحمة الله عليه]^(٥) يجبس أباه^(٦) بركابه ، فلا ينكر عليه ، فليل له في ذلك ، فقال
رأيته يبادر إلى فضيلة فكرهت مخالفته .

فوق السماء وفوق الزهر ما طلبوا وإذا ما أرادوا غيبة نزلوا
وإلى هذا وصل الله حفظك . وأجزل من الخيرات حظك ، فإنه وصلني
الكرامة المباركة ، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة ، فبينما أنا أتلو الإجازة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (شبهاً) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بالمقام) . والتصويب من «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «ج» .

(٤) هو الخافظ الإمام أبو الحسن علي الدارقطني ، نسبة إلى دار القطن أو دار قطن وهي مجبة
كانت ببغداد ، وكان من أقطاب الفقه الشافعي ، وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٥) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال .

(٦) وردت في المخطوطات الثلاثة (أبوه) ، والتصويب يستقيم السياق .

وأريق صدور البيان وإعجازه ، ألقى إلى كتاب كريم ، إنه من أبي الوليد ،
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فخرت ، ووقفت كأنني سُحرت ، وقلت ساحران
تظاهرا معاً ، وأحدهما قاتلي ، فكيف إذا اجتمعا .

فلو كان رُحماً واحداً لاتَّقَيْتَهُ^(١) ولا كنه رُحٍّ وثان وثالث

| ومن لَعِبَتْ بشيمته المشانئ فأحرى أن تطير به المثالث |^(٢)

وطار بي الشوق كل مطار ، وقرأت سماء فكرتي سورة الانفطار ، وكِدْتُ
أصعد إلى السماء توقداً ، واختلط بالهواء تودداً .

كانت جواهرنا أو ايل قبل ذان^(٣) فالآن صارت بالتحول ثوان^(٤)

وُجِدَتْ وراء الحسن وهي كشيعة فوجودهن^(٥) الآن في الأذهان

ولم يكف أن بهرت بالحسن الخلوب ، حتى أمرت أن أنظم على ذلك الأسلوب ،
وبالحرى لذلك النثر البديع ، الحريري أو البديع ، ولذلك النظم العجيب ، المنبهي
أو حبيب ، ولذلك النصف الرقيق ، الحارث بن أسد ذي التحقيق . وأما
الحديث ، فما لك تقطع تلك المسالك ، إلا أن العربية^(٦) ليس لأحد معه فيها دليل ،
أستغفر الله إلا للخليل ، لا كن أصول الدين مجرية ، تركت تلك الميادين . هناك

(١) هكذا ، ردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لاستيته) . وفي «الزيتونة»
(لما التقيته) .

(٢) هذا البيت وارد بمكانه في «ج» و«الزيتونة» . ولكنه وارد في الإسكوريال بعد كلمة
(الانفطار) الواردة في الجملة التالية .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذا) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (تبيدان) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (فوجودها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

الله جَمَعَ كلَّ مَنْقَبَةٍ جَلِيلَةٍ ، فَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً ، فَهَرِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبَ
 غَضَنْفَرًا ، أَوْ الْمَدْعَى صِفَةً فَضَّلَ ، وَكَلَّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفِرَا . مِنْ يُزْحَمُ ^(١) الْبَحْرُ
 يَغْرَقُ ، وَمَنْ يُطْعَمُ الشَّجَرُ يَشْرُقُ . وَهَلْ يُبَارَى التَّوْحِيدَ بِعَمَلٍ ، أَوْ يُجَارَى الْبُرَاقُ
 بِجَمَلٍ . ذَلِكَ أَنْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . وَهَلْ ^(٢) أَنْبَرَى لِيَلْطَمَ خَدَّهُ فِي الثَّرَى .
 لَا تَقَاسُ الْمَلَائِكَةُ ^(٣) بِالْحَدَّادِينَ ، وَلَا حُكَّاءُ يُونَانَ بِالْفَدَّادِينَ . أَفَى طَرِيقِ
 الْكَوَاكِبِ يُسَلِّكُ ، وَعَلَى الْفَلَكَ الْأَثِيرِ يُسْتَمَلِكُ ^(٤) . أَيْنَ الْغَدُّ مِنَ الْأَمْسِ ، وَظُلْمَةُ
 الْفَسَقِ مِنَ وَضَحِ الشَّمْسِ . وَلَوْلَا ثِقَتِي بِغَمَامِ فَضْلِكَ الصَّيِّبِ لَمَثَلْتُ لِنَفْسِي ^(٥) بِقَوْلِ
 أَبِي الطَّيِّبِ :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي نَمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ
 فَإِنْ رَضِيَتْ أَيُّهَا الْعَلَمُ ، فَمَا لُجْرَحَ إِذَا أَوْضَاكُمُ أَلَمُ . [تَر] ^(٦) كَيْفَ أُجَارَى
 أَعْوَجُ بِمَغْرَبِ أَهْوَجٍ وَأُجَارَى ذَا الْعِقَالِ بِمَجْحَشٍ فِي عِقَالٍ . ظَهَرَ بِهِنَا الظُّلْمَةُ ، ذَلِكَ
 الضِّيَاءُ ، وَبِضْدِهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ . وَمَا يَزُكُو بِيَاضِ الْعَاجِ حَتَّى يُضَافَ إِلَى سَوَادِ
 الْأَبْنُوسِ . الْفَاظُ تَدْوِبُ رِقَّةً ، وَأَعْرَاضُ تَمَلِّكُ حُبَّ الْكَرِيمِ وَرِقَّةُ الزَّهْرِ ، وَالزَّهْرُ
 بَيْنَ بَنَانٍ وَبَيَانَ ، وَالدَّرُّ طَوْعٌ ^(٧) لِسَانٍ وَإِحْسَانٍ .

وَقَالُوا ذَاكَ سِحْرٌ بِأَهْلِي فَقُلْتُ وَفِي مَكَانِ الْمَاءِ بَاءُ

(١) وردت في الإسكوريال (يرحم) . ووردت في المخطوطين (يحزم) . ونعتقد أن التصويب أنسب للمعنى .

(٢) وردت في الإسكوريال (وهذا) . والتصويب من «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (الملوك)

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (يستغلب) . والأولى أنسب للسياق .

(٥) هذه الكلمة واردة فقط في الإسكوريال .

(٦) هذه الكلمة واردة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بين) .

وأما محاسن أبي الوليد ، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد .

معان لبسن ثياب الجمال وهزت لها الغانيات القُدودا
كسَوْن عَمِيداً ثياب عبيد وأضحى لبيدٌ لديها بليداً

وكيف أعجب من إجرايك هذه الجياد ، وأياديك^(١) من إياد . أورثت هذه
البراعة^(٢) المساعدة ، عن قس بن ساعدة . أجدك أنت الذي وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال ، كأنى أنظر إليه في سوق عكاظ على جمل أورق ،
وهو يقول أيها الناس : مطرٌ ونبات ، وآباء وأمهات ، إلى قوله :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

إيه بغير تمويه . وجع الحديث الأول إلى ما عليه المعول . سألتنى أيها السيد
الذى يجب إسعافه ، أن أرغم^(٣) أنف القلم حتى يجرى رُعافه ، وأن أكيّل جفون
الأوراق بمداد الأقلام ، وأن أجمع الطروس والأمدّة ، بين إصباح وإظلام ، وأطرز
بياض الشومن بنخضرة الآس ، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بنى العباس ، فقلت
مبادراً ممتثلاً ، وجئت في ميدان الموافقة متمثلاً :

لبيك لبيك أضعافاً مضاعفة إنى أجبتُ ولكن داعى الكرم
أتى من الحجر أمرٌ لا مرَدُّ له أمشى على الرأس فيه لا على القدم^(٤)

دعاه والله بحجاب ، ونداه لبس دونه بحجاب

(١) وردت محرفة في المخطوطات الثلاثة (وإنه إليك - وإذايك) . وبالتصويب يستقيم السياق .

(٢) هكذا الكلمة واردة في الإسكوريال . وسقطت في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في «ج» . ووردت محرفة في الإسكوريال (أرهف) .

(٤) وردت في المخطوطين (أهم) . والتصويب من الإسكوريال .

اكتبت ولو أنى أستطيع لإجلال قدرك بين البشر
قددت اليراعة من أنى وكأن المداد سواد البصر^(١)

نعم أجزتُ سيدى الفقيه الأجل ، الخطيب الأكرم ، العالم العلم ، الأوحد
الأكل ، الحبيب الأحفل الأطول ، أبى الوليد بن الفقيه الأجل . المعظم^(٢) الموقر ،
المكرم المبارك الأظهر . المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعيد^(٣) بن قترى الأيادى
القرموني^(٤) ، وبنيه السادات ، النجباء المباركين ، أبى القاسم أحمد . وأبى إسحق
إبراهيم ، وأبى الحسين بتزياً^(٥) . ونعمت الأغصان والشجرة ، والأقنان والنرة ، أقرت
الله بهم أعين المجد ، ولا زالوا بدورا فى مظالم السعد . ولا برحوا فى مكارم .
يجنون نوارها ، ويمجتلون أنوارها . وتفيض عليهم [يد]^(٦) العناية الإلهية ،
نهرها الكوثرى ونهارها ، جميع مارويته ، قراءة وسماعا ، وإجازة ومناولة من
العلوم على اختلافها ، وتباين أصنافها ، بأى وجه رويته ، وعلى أى وصف
تقلدته ودريته ، وكذلك أجزتهم جميع ما قلته وأقوله . من مسطور^(٧)
ومرسوم . ومنثور ومنظوم ، وتصرفت فيه من منقول ومفهوم ، وقصايدى
المسبأة بالروحانيات ، ومعثراتى الحبيبات . وما نظمته من الوتريات ،
وشرحى لشعر أبى الطيب المسمى^(٨) بظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ،

(١) هكذا ورد عذان البيتان فى الإسكوريال . وورد فى المخطوطين مرسلين على صفة

المشور .

(٢) واردة فقط فى الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال (إسماعيل) .

(٤) هكذا وردت فى «الزيتونة» . وفى الإسكوريال (القرموني) وفى «ج» (القرموني)

والأولى أرجح .

(٥) هكذا . وفى «ج» الإسكوريال . وفى «ج» فى «الزيتونة» .

(٦) واردة فى الإسكوريال . وفى «ج» فى المخطوطين .

(٧) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .

(٨) واردة فى الإسكوريال ، و«الزيتونة» ، وساقطة فى «ج» .

وكتابي المسعى « شمس البيان في لمس البنان » ، والزهرة الفايحة في الزهرة
 اللابحة ، ونفح الحكامات في شرح المقامات ، واقتراح المتعلمين في اصطلاح
 المتكلمين ، وكتاب التصور والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ، ورقم الخلل
 في نظم الجمل^(١) ، [ومفتاح الإحسان في إصلاح اللسان]^(٢) . وما أنشأته من
 السلطانيات نظماً ونثراً ، وخطابة وشعراً . والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه
 بمنه وكرمه . فليقل الفقيه الأجل ، وبنوه الأكرمون^(٣) رضي الله عنهم ، [أبنانا
 وأخبرنا وحدثنا]^(٤) أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية ، بعد تحرى الشروط المرعية ،
 في الإجازات الشرعية ، وإن ذهبوا حفظ الله كلامهم ، وأراعهم في الداوين آمالهم ، إلى
 تسمية من لى من المشايخ قدس الله أرواحهم ، وزحزح عن النار أشباحهم :

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير . العالم الفاضل الجليل ، البقية الصالحة . آخر
 الأدبا ، وخاتمة الفضلاء ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميرى القرطبي
 الدار ، رضي الله عنه . قرأت عليه بقرطبة ، شعر أبي الطيب ، قراءة فهم لمعانيه ،
 وأعراب لألفاظه ؛ وتحقيق لفته . وتنقير عن بديعه . وكذلك قرأت عليه أكثر
 شعر أبي تمام . وسمعتُ عليه كتاب الكامل لأبي العباس [المبرد]^(٥) ،
 ومقامات التيمي ، كان يرويها عن مُنْشِئِهَا ، وكانت عنده بخط أبي الطاهر . وتفقهت
 عليه « تبصرة الضمري » . وكان على شياخته^(٦) رحمه الله ، ثابت الذهن ، مُقبل
 الخاطر ، حافظاً المعيا .

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في «ج» (الدول) وهو تحريف لأن (رقم الخلل
 في نظم الدول) هو اسم كتاب لابن الخطيب .
 (٢) هكذا ورد اسم هذا الكتاب في الإسكوريال ، وورد في «ج» (مفتاح الإحسان في
 اصطلاح الإحسان) .
 (٣) هكذا وردت في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (الميركون) .
 (٤) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . ووردت في الإسكوريال (أحمد بن أو أنبأ) .
 (٥) أضفنا هذه الكلمة زيادة في الإيضاح .

بروع رَكَاةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا تَدْرِي أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامٌ
 نَأْتِيهِ بِمَقَاطِعِ^(١) الشَّعْرِ فَيُصَلِّحُهَا لَنَا . وَيَقِفُ عَلَيَّ مَا سَتَحَسِنُهُ^(٢) مَهْمَا ،
 فَنَجِدُهُ أَثْبَتَ مِنَّا ، وَلَقَدْ أَنْشَدْتَهُ يَوْمًا ، فِي فِتْيَ مَقْقُودِ الْعَيْنِ الْيَسْرِيِّ :

لَمْ تَزُوْا إِحْدَى زَهْرَتَيْهِ وَلَا اثْنَتَيْهِ
 عَنْ نُورِهَا وَبَدِيعِ مَا تَحْوِيهِ
 لَكِنَّهُ قَدْ رَامَ يُغْلِقُ جَفْنَيْهِ
 لِيَصِيبَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَرْمِيهِ

فاستفادها وحفظهما . ولم يزل رحمه الله ، يعيدهما مستحسنًا لهما ، متى وقع
 ذكرى . وكان يروى عن الإمام المازري بالإجازة ، وعن القاضي أبي مروان بن
 مسرة ، وعن الأستاذ عباس ، وعن أبي عبد الله بن أبي الخصال .

ومنهم الفقيه الأجل [العالم العدل]^(٣) ، المحدث الأكل : المتقن ، الخطيب ،
 القاضي أبو محمد بن حوط الله . سمعت عليه كتبًا كثيرة بمالقة ، بقراءة الفقيه
 الأستاذ أبي العباس بن غالب ، ولقيته بقرطبة أيضًا ، وهو قاضيا . وحدثني عن
 جدِّي ، وعن جماعة^(٤) شيوخ . وله برنامج كبير . وأخود القاضي الفاضل : أبو سليمان
 أيضًا منهم .

ومنهم الفقيه الأجل : العالم العلم : الأوحى ، الأديب المتقن : أبو علي عمر بن
 عبد المجيد الأزدي ، قرأت عليه القرآن العزيز مفردات ، وكتاب الجمل ، والإيضاح
 وسيبويه تفقهاً ، وكذلك الأشعار الستة تفقهاً . وما زلت مواظبًا له إلى أن توفي
 رحمه الله . وكان فريد عصره في الذكاء [والذكاء]^(٥) ، ولم يكن في حلبة الأستاذ

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال (بمقطعات) . وفي «ج» (بمقاطع
 والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (نسخناه) وهو تعريف .

(٣) هذه العبارة واردت في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذا . ذلك في المخطوطين . وفي الإسكوريال (جملد) ، الأول أرجح .

(٥) واردت في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .

أبي زيد السهيلي أنجب منه | على كثرتهم |^(۱) . وقد قال الأستاذ أبو القاسم
السهيلي للإمام المنصور رضى الله ، هو أقعدُ لسكتاب سيويه منا . وقال لى يوما ،
وقد نظر إلى طالب يُصغى بكليته إلى ثان ، فقلت ماذا ، فقال إن حُبَّ الشيء
يعنى ويصم^(۲) ، فقلت له ، ويعيد الصبح [ليلا]^(۳) مُدْلَمهم ، فاستحسنته .

ومنهم الفقيه الأجل ، الأديب الأريب الكامل ، اللغوى الشهير ، أبو على
ابن كسرى المورى ، قريبي ومعلمي . وكان من طلبة أبي القاسم السهيلي ، ومن
نبغ صغيراً . وهو الذى أنشد فى طفولته السبد أبا أسحق الكبير بإشيلية :

قسما بمُحص وإنه لعظيم فهمي المقام وأنت إبراهيم

وكان بالحضرة^(۴) الأستاذ أبو القاسم السهيلي ، فقام عند إتمامه القصيدة ،
فقال لمثل هذا كنت أحسبك الحسا ، [ولمثل هذا]^(۵) كنت أوصل فى تعليمك
الإصباح والإمسا . وقد أنشد هذا لأمير المؤمنين أبي يعقوب رضى الله عنه :

أمعشر أهل الأرض بالطول والعرض بهذا أنادى فى القيامة والعرض
فقد قال الله فىك ما أنت أهله فيقض بحكم الله فىك بلا نقض
فيايك يُعنى ذو الجلال بقوله كذلك مكنا ليوسف فى الأرض

ومنهم الفقيه الأجل ، العالم المحدث ، الحافظ الفاضل المؤثر ، السيد أبو محمد
القرطبي . قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات ، وتفتت فى الجمل والأشعار ،

(۱) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .
(۲) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ويصمى) .
(۳) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .
(۴) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (بالحاضرة) .
(۵) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى المخطوطين .

وأجازني [جميع] (١) ما رواه . وكذلك فعل كل واحد من تقدم ذكره . وكان رحمه الله آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق ، وجمال سمّت [وأبهة] (٢) ووقار ، وإتقان وضبط ، وجودة وحفظ .

ومنهم الفقيه الأجل ، الحاج الفاضل ، الشهيد في كائنة العقاب (٣) ، المحدث الورع ، الزاهد الطاهر ، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصاري ، وعليه كان ابتدأ للقراءة ، وكان مبارك التعليم . حسن التفهيم ، شديد التواضع .
ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع ، المحدث ، الحاج الملهم ، المجاب الدعوة ، الميمون النقيبة الأواب . أبو الحاج بن الشيخ . رضي الله عنه . وهذا الكتاب (٤) على الإطالة مني . ولكن القرطاس في ، والسلام الاتم عليكم ، ورحمة الله وبركاته . قال ذلك ، وكتبه ، العبد المعترف بذنبه ، الراجي رحمة ربه . محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستجى ، في أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستمائة .

وفاته

من خط الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك . قال ، قديم غرناطة ، أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وشكى علة البطن مدة ثمانية أشهر بدار أبي [رحمه الله] (٥) ، مرضاه الثلاثة الأخوة ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بمدفنه ، معني الألب ، بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك .

(١) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) كائنة العقاب هي الموقعة الكبرى التي نشأت بين الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة الموحدي الناصر لدين الله . والجيوش الإسبانية المتحقة بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، في مضربة سانتا إيرلينا شمال غربي مدينة ألبدة ، وهزم فيها الموحدون هزيمة ساحقة ، وذلك في شهر سنة ٦٠٥ هـ (يوليو ١٢١٢ م) . وتسمى بالإسبانية Las Navas de Tolosa .

(٤) وردت هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الكتب) . (٥) الزيادة من الإسكوريال .

محمد بن أحمد بن علي الهواري^(۱)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن جابر من أهل المريّة .

حاله

رجل كفيف البصر ، مدلّ على الشعر ، عظيم الكفاية والمينة ، على زمانته .
 وحل إلى المشرق ، وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري ، صاراً
 رَوْحِينَ فِي جَسَدٍ ، ووقع الشعرُ منهما بين نخاعي أسد ، وشمراً للكُندية ، فكان
 وظيف الكفيف النّظم ، ووظيف البصير الكُتب ، وانقطع الآن خبرها . وجرى
 ذكره في الإكليل بما نصه : محسوبٌ ، من طلبتها الجلّة ، ومعدود فيمن طلع
 بأفقه من الأهلّة ، وحل إلى المشرق ، وقد أصيب ببصره ، واستهان في جنب
 الاستفادة بمشقة سفره ، على بيان عذره ، ووضوح ضُرّه .

شعره

وشعره كثير ، فمنه قوله :

سلوا مسرّاً ذاك الخال في صفحة الخلد
 ومن هو غصن القدّ منها لفتنتي
 ومزمتي القُضْب اللدان بوصلها
 فتاة تفتّ القلب مني بمقالة
 تمنيت أن تُهدى إلى نهودها
 فقلت وللرمان بدّ من الجنّ فتاهت
 فقلت ليس لالقلب عندك حاصلٌ
 وقالت قلوب الناس كلهم عندي

(۱) لم ترد هذه الترجمة في «ح» ، ولا في «المتوفى» . ووردت فقط في الإسكوريال .

فَقَالَتْ كَفَانِي كَمْ لِحْسَنِي مِنْ عَبْدِ
هُوَئِي وَلَا تَشْكِي وَاصْبِرْ عَلَى أَلْمِ الصَّدِّ
لَأَجْلِ الَّذِي تَجَنَّبِيهِ مِنْ خَالِصِ الشَّهَدِ
لَمَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانَ مِنْ شَرَفِ الْمَدِّ
كَرِيمُ الْمَالِ فِي طَلْبِ الْمَجْدِ

وَقُلْتُ اجْعَلِينِي مِنْ عَيْبِيدِكَ فِي الْهَوَى
إِذَا شِئْتَ أَنْ أَرْضَاكَ عَبْدًا فُتُّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّحْلَ يُحْمَلُ ضَرْهًا
كَذَلِكَ بَذَلَ النَّفِيسَ سَهْلًا لَذَى النَّهَى
أَلَسْتَ تَرَى أَزْجَاتَهُ طَالَمَا أُضَاعَ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

وَأَنْشَدَ فَدَيْتُكَ إِنْ حَلَّ فَوَادِي
فَأَشْرَحَ هُنَاكَ لَوَعْتِي وَسُهَادِي
أَرْبَ الْأَحْبَةِ وَالْحِمَى وَالْوَادِي
فَانزَلَ فَدَيْتُكَ قَدْ بَدَأَ إِسْعَادِي
بَانَ الْعُدَيْبِ وَنُورَ حُسْنِهِ سَعَادِي
وَكَذَا الْهَلَالَ عِلَامَةَ الْأَعْيَادِ

عَرَّجَ عَلَى بَانَ الْعُدَيْبِ وَنَادَى
وَإِذَا مَرَّ عَلَى الْمَنَازِلِ بِالْحِمَى
إِيهِ فَدَيْتُكَ يَا نُسَيْمَةَ خَبْرِي
يَا سَعْدُ قَدْ بَانَ الْعُدَيْبِ وَبَانَهُ
خُذْ فِي الْبِشَارَةِ مَهْجَتِي يَوْمًا إِذَا
قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أَبْصِرَ حَسْبَهَا

وَمَا نَقَلْنَاهُ مِنْ خَبَرِ قَيْدِهِ لِصَاحِبِنَا الْقَقِيهِ الْأَسْتَاذِ أَبِي عَلِيٍّ مَنْصُورِ الزُّوَاوِيِّ ،
وَمَا أَدْعَاهُ لِنَفْسِهِ :

وَلِي بِمَدَارِكِ الْمَجْدِ أَهْتَامُ
وَصَحْبَتِهِ مَعَشَرٌ بِالْمَجْدِ هَامُ
عَلَى رِقْمِ النُّجُومِ لَهَا مَقَامُ
كَأَمْ مَالَتْ بِشَارَتِهَا الْمَسْرَامُ
لَيْسَفَرُ مِنْ مَرَادِهِمُ الظَّلَامُ
فَمَذْعَزَمُوا الرَّحِيلَ فَقَدْ أَقَامُ

عَلَى لِكْلِ ذِي كَرَمٍ ذِمَامُ
وَأَحْسَنُ مَالِدِي لِقَاءِ حُرِّ
وَأِنِّي حِينَ أَنْسَبُ مِنْ أَنْسَابِ
يَمِيلُ بِهِمْ إِلَى الْمَجْدِ أَوْتِيَا حُرِّ
هُمْ لَبَسُوا أَدِيمَ الْقَيْلِ بُرْدًا
هُمْ جَعَلُوا مَتُونِ الْعَيْشِ أَرْضَا

فمن كل البلاد لنا ارتحال
 وحول موارد العلياء منها
 تصيب سهامنا غرض المعالي
 وليس لنا من المجد اقتناع
 نثره عرضنا عن كل لوم
 ونبتل لا نقول العام ماذا
 إذا ما المحل عم بلاد قوم
 وإن حضر الكرام ففي يدنا
 وفينا المستشار بكل علم
 فميدان الكلام لنا مداه
 كلا الأمرين ليس له بقوم
 يُريق دم المهاد بكل طرس
 ونكتب بالثقة العوالي
 إذا عبست وجوه الدهر منا
 لقد علمت قلوب الروم أنا
 وليس يُضيرنا أناس قليل
 إذا ما الراية الحمراء هزت
 وما أحررت سدى بل من دياً
 تظلل من بني نصر ملوكا
 فكم قطعوا الدجى في وصل مجد
 أبا الحجاج لم تأت الليالي
 ولا سحلت ظهور الخيل أمضى

وفي كل البلاد لنا مقام
 لنا مع كل ذى شرف زحام
 إذا ضلت عن الغوص السهام
 ولو أن النجوم لنا قيام
 فليس يشين سُوددنا ملام
 سواء كان خصب أو حطام
 أثبتها فجاد بنا الغمام
 ملك أمورهم ولنا الكلام
 ومنا الأيثار والبطل الهمام
 وميدان الحروب بنا يقام
 سوانا يوم نازلة تمام
 وليس سوى البراع لنا سهام
 بحيث الطرس لبات وهام
 إليها فانتنت ولها انتقام
 أناس ليس يُعوزنا مرام
 لعمرو أبك ما كثر الكرام
 نعم فهناك للحرب ازدحام
 ليس على جوانبها انجسام
 حلال النوم عندهم حرام
 وكم سهروا إذا ما الناس نام
 بأكرم منك إن عد الكرام
 وأشجع منه إن هز الحسام

وَأَنى جئت من شرقٍ لغربٍ ورُمّت بي الزمان كما تُرام
وجزّبت الملوك وكل شخص تحدّث عن مكارمه الأنام
فلم أر مثلكم يا آل نصر جمال الخلق وأخلق العظام
ومنها:

لأندلس بكم شرفٌ وذكرٌ تودُّ بلوغ أدناه الشّام
سمى صوبُ الغمام بلاد قوم هم في كل مجدبة غمام
إليك بها مهذبةُ المعاني يرئنها ابتسام وانتظام
لها لجناب مجدم انتظام طواف وفي أركان إلام
نجزت وما كادت ، وقد وطى الإبطاء صروحكم ، وأعيان الإكثار حارثها
وسروجها ، والله وليُّ التّجاوز بفضله .

محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آثى

يكنى أبا عبد الله

حاله

شاعر مُفلق ، وأديب شهير ، مُشار إليه في التعاليم ، منقطع القرين منها ،
في الموسيقى ، مضطلع بفكّ المعنى . سكن المريّة ، واشتهر بمدح رؤسائها من بني
صُادح . وقال ابن بسام ، كان أبو عبد الله هذا ، شمسُ ظهيرة ، وبجر خبر
وسيرة ، وديوان تعاليم مشهورة . وضُح في طريق المعارف ، وضوح الصبح
التهلل ، وضرب فيها بقدم ابن مقبل ، إلى جلاله مقطع ، وأصاله منزع ، ترى
العلم ينمُّ على أشعاره ، ويتبين في مناظره وآثاره .

تواليفه

ديوان شعر كبير معروف . وله في العروض تصنيف ، مزج فيه بين الأنحاء^(۱) الموسيقية^(۲) ، والآراء الجليلة .

بعض أخباره

حدث بعض للمؤرخين ، مما يدل على ظرفه ، أنه فقد مسكناً^(۳) عزيزاً عليه ، وأحوجت^(۴) الحال إلى تكلف سلوة ، فلما حضر الندماء ، وكان قد رصد الخسوف بالقمر^(۵) ، فلما حقق أنه قد ابتداء ، أخذ العود وغنى :

ثقيتك غيب في لحده وتشرق يا بدر من بعده
فهلأ خسفت وكان الخسوف حداداً لبست على فقهه

وجعل يرددُها ، ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضه^(۶) الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب . قال ، وكان منى في صباه بصبية من الروم ، نصرانية ، ذهبت بلبة وهواه ، تسمى نؤيرة ، افتضح^(۷) بها ، وكثر نسيبه .

شعره

قال في الغرض المذكور :

- (۱) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الألحان) .
- (۲) هكذا وردت في الإسكوريال وفي الذخيرة . وفي المخطوطين (الوصفية) وهو تحريف .
- (۳) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مسكناً) .
- (۴) هكذا وردت في الإسكوريال . والنسخ . ووردت في المخطوطين (واحتاج) .
- (۵) هكذا وردت في المخطوطات . ووردت في الإسكوريال (القمر) .
- (۶) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واستعرضه) .
- (۷) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فتم) .

حديثك ما أحلى [فزيدي وحدثني] ^(١) عن الرُّشْبِ الفردِ الجمالِ اللثَّاتِ
 [ولانسأمي] ^(٢) ذِكْرَ اذْ فَالذِّ كَرْمُؤْنَسِي
 وبالله فاروق خبيل نفسي بقوله
 أحقاً وقد صرَّحتُ ما بي أنه
 وأقسيم بالإنجيل أني شابق ^(٥)
 ولا بد من قصي على الاتس قصتي
 ولم يأتهم عيسى بدين قساوة
 وقلبي من حلي التجلُّد عاظل
 سيصبح ^(٧) سرِّي كالصبح مُشهرًا
 ويُغري بذكري بين كأس وروضة
 ومن شعره في الأمداح العبَّادِحية :

لعلك بالوادي المقدس شاطيء
 وإني في ريبك ووجد عرف ريمهم
 ولي في السرى من نارهم ومناهم
 وكالعنبر الهندي ما أنت واطيء
 فروح الجوى بين الجوانح ناشيء
 هداة حداة والنجوم طوافيء

- (١) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين وفي الذخيرة . وفي الإسكوريال (فزيدي وحدث) .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال والذخيرة . ووردت محرفة في المخطوطين (ولانسأمي من) .
 (٣) الزيادة من الذخيرة .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والذخيرة ومكانها بياض في «ج» . وهذا البيت ساقط في « الزيتونة » .
 (٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . وفي الذخيرة (لما نن) .
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال والذخيرة . ووردت في المخطوطين (دمي) والأولى أرجح .
 (٧) هكذا في الإسكوريال والذخيرة . وفي المخطوطين (فيصبح) والأولى أكثر تمثيا مع السياق .
 (٨) هكذا في المخطوطين والذخيرة . وفي الإسكوريال (للتحدث) .

لذلك ما حننت وكأبي وحنمت
 فهل حاجها ما حاجني أو لعلها
 رويداً فذا وادي لبيني وإنه
 ميادين تهيأى ومسرح ناظري
 ولا تحسبوا غيباً حتمها مقاصر

ومنها :

محا ملة السلوان مبعث حسنه
 فكيف أرفى كلم طرفك في الحشا
 ومالى لا أحمو مراداً وهمة
 وما أخرتنى عن تناء مبادىء
 ولكنه الدهر المناقض فعله
 كأن زمانى إذ رآنى جذيله
 فداويت إعتاباً ودارات عاتباً
 فالقيت أعباء الزمان وأهله
 ولازمت سمت الصمت لا عن مذامة
 ولولا علا الملك ابن مومن محمد
 لآلى إلا أن فكرى غانص
 تجاوز حد الوهم واللخط والمنى

فكل إلى دين الصبابة صابىء
 وايس لتمزيق المهند رافىء
 وقد كرمت نفس وطابت ضاضىء
 ولا قصرت بى عن تباہ (۱) مناشىء
 فذوالفضل منحط وذوالنقص نامىء
 [يلابسنى منه] (۲) عدو ممالىء
 ولم يغنى أنى مدار مدارىء
 فما أنا إلا بالحقائق عابىء
 فلى منطق للسمع والقلب صابىء
 لما برحت أصدافهن الآلىء
 وعلى [ذوماء] (۳) ونطقي شاطىء
 وأعشى الحجا لألاؤم المتلاىء

(۱) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (تناء) مرة أخرى .

(۲) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذخيرة (قلان فلى) والأولى ارجح

(۳) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذخيرة (دأماء) .

فتنعكسُ الأبصارُ وهي حَوَاسِرُ^(١) وتنقلب الأفسكارُ^(٢) وهي حَوَاسِي^(٣) .
وقال من أخرى :

أقبلن في الخبرات يتصرن الخطا ويرين حُلل الوارشين القطا
سربُ الجوى لا الجوُّ عودُ حسنه أن يرتعى حبُّ القلوب ويلقطا
مالت معاطِفهن من سكر الصبأ ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وبمستط العلمين أوضح معلّم لمهفوف مسكن الحسا والمستقنا
ما أخجل البدر المنير إذا مشى يختال وأخروط النضير إذا خطا
ومنها في المدح .

يا وادى شرق البلاد وغربها أكرمتا خيل الوفادة فاربطا
ورأيتا ملك البرية فاهنا ووردتأ أرض المريّة فاحططا
يدى نُجور الدارعين إذا ارتأى ويذلُّ عزّ العالمين إذا سطا^(٣)
وإحسانه كثير . دخل غرناطة ، ومن بنات عملها وطنه^(٤) رحمه الله .

محمد بن إبراهيم بن خيرة^(٥)

يكنى أبا القاسم . ويعرف بابن الموعيني ، حرفة أبيه ، من أهل قرطبة .

- (١) هكذا وردت في الذخيرة . ووردت في الإسكوريال (الأبصار) مرة أخرى .
(٢) لم ترد من هذه القصيدة ، التي وردت كلها في الإسكوريال وفي الذخيرة ، في «ج» وفي «الزيتونة» سوى البيتين الأولين .
(٣) ورد هذا الشعر في الإسكوريال . ولم يرد في «ج» ولا «الزيتونة» .
(٤) يقصد بها مدينة وادي آش . وهي من أعمال ولاية غرناطة .
(٥) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

واستدعاه السيد أبو سعيد الوالى بغير ناطة إليه ، فأقام عنده مدة من عامين فى جملة من الفضلاء مثله .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان كاتباً بليغاً ، شاعراً مجيداً ، إمتكته أبو حفص ابن عبد المؤمن ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، لصهر كان بينهما بوجه ما ، ونال فى جاهاً عظيماً ، وثروة واسعة . وكان حسن الخط ، وابقه ، سلك فيه فى ابتدائه مسلك المتقن أبى بكر بن خيرة .

مشيخته

روى عن أبى بكر بن عبد العزيز ، وابن العربى ، وأبى الحسن شريح ، ويونس بن مغيث ، وأبى عبد الله حفيد مكى ، وابن أبى الخصال ، وابن بقر .

توالياه

له تصانيف تاريخية وأدبية منها « ربحان الآداب ، ورعيان الشباب » لانظير له . والوشاح المفضل . وكتاب فى الأمثال السائرة . وكتاب فى الأدب ، نحافه منحى أبى عمر بن عبد البر فى « بهجة المجالس » .
توفى بمرء أكش سنة أربع وستين وخمسمائة .

محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموى^(۱)

مُرسى الأصل ، غر ناطى النشأة ، ما آقى الإمكان ، يكنى أباً عبد الله .

(۱) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال . و ترد فى «ج» ولا «الزيتونة» .

حاله

من عايد الصلاة : كان رحمه الله ، كاتباً أديباً ذكياً ، لوذعياً ، يجيد الخط ، ويرسل النادرة ، ويقوم على العمل ، ويشارك في الفريضة . وبذ السباق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس . عمّر زماناً من عُمره ، محارفاً للفاقة ، يعالج بالأدب الكُدية ، ثم استقام له الميسم ، وأمكنه البتخت من امتطاء غاربه ، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر ، فأثرى ونما ماله ، وعظمت حاله ، وعهد عند ما شارف الرحيل ، بجملة تناهز الألف من العين ، لتُصرف في وجوه من البر ، فتوهم أنها [كانت] ^(١) زكاة امتك بها .

وجرى ذكره في التاج بما نصه : مديرٌ أكواس البيان المعثق ، ولعوبٌ بأطراف الكلام المُشقق ، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه ، فأبرز دُرّ معانيه من أصدافه ، وجنى ثمرة الإبداع حين قِطافه . ثم تجاوزه إلى المعرب وتخطاه ، فأدار كأسه المترع وعاطاه ، فأصبح لفنيّه جامماً ، وفي فلكيه شهاباً لامعاً ، وله ذكاء يطير شرره ، وإدراك تتبلج عُروه ، وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البارق الوامض ، وعلى ذلاقة لسانه ، وانفساح أمد إحسانه ، فشديد الضمانة يشعره . مُغلٍ لسيره .

شعره

أخبرني الكاتب أبو عبد الله بن سلمة ، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله ، في رويّه :

أحرز الخصل من بنى سلمة كاتبٌ تخدم الظبياً قلعه
يحمل الطرس عن أنامله إثر الطرس ^(٢) كلما رقه

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحسن) والأولى أرجح .

ويمدُّ البيان بفكرته مُرسلاً حيث يمتد ديمه
 خصي متحفاً بخمس إذا بسم الروض فن مبنية
 قلت أهدى زهر الربا خضلاً فإذا كل زهرة كلمة
 أقسم الحسن لا يفارقها فأبر أنتقاؤها قسمه
 خطاً أسطارها ونمقها فأت كالعقود منتظمة
 كامياً من حلاه لي خللاً رسمها من بديع ما رسمه
 طالباً عند عاطش نهلاً ولديه الغيوث منسجمة
 يبتغي الشعر من أخى بله أخرس العي والقصور فمه
 أيها الفاضل الذي حجت (١) ألسن المدح والثنا شيمه
 لا تكأن أخاك مقترحا نشر عارٍ لديه قد كتبه
 وابق في عزة وفي دعة صافي العيش وارداً شيمه
 ما ثى النصف عصفه طرباً وشدا الطير فوق نغمه

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي جعفر الزبير ، والخطيب أبي عثمان بن عيسى .
 توفي بمائة في اليوم الثامن والعشرين لمحرم عام اثنين وخسين وستائة ،
 وأوصى بعد أن حفر قبره ، بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي ،
 وأبي عثمان بن عيسى ، أن يدفن ، وأن يكتب على قبره هذه الأبيات :

ترحم على تبر ابن باقٍ وحيه فم حق مئت الحى تسليم حيه
 وقل آمن الرحمن روعة خائف لتفريظه في الواجبات وغيه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (حفظت) .

قد اختار هذا القبر في الأرض راجياً
 من الله تخفيفاً بقرب^(١) وليه
 وقد يشفع الجار الكريم لجاره
 ويشمل بالمعروف أهل نديه
 وإني بفضل الله أوثق واثق
 وحسبي وإن أذنبتُ حبُّ نبيه

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري^(٢)

من أهل المرية يدعى بالبيو، ويكنى أبا عبد الله

حاله

من الإكليل الزاهر^(٣)، شيخٌ أخلاقه لينة، ونفسه كما قيل هينة، ينظم الشعر سهلاً مساقه، مُحْكماً اتِّساقه، على فاقة مالها من إفاقة. أنشد السلطان بظاهر بلده قوله:

سَرَّتْ بِرِيحِ نَجْدٍ مِنْ رَبِّي أَرْضَ بَابِلِ
 وَذَكَرْنِي عَرَفُ النَّسِيمِ الَّذِي سَرَى
 فَأَصْبَحْتُ مَشْغُوقاً بِذِكْرِ مَنَازِلِ
 فَيَارِيحِ هَيَّ بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا
 وَمِيرَى بِجَسْمِي لِتَقَى الرُّوحَ عِنْدَهَا
 وَقَوْلِي لَهَا عَنِّي مُعَنَّاءُ بِالْهَوَى^(٤)
 فَهَاجَتْ إِلَى مَسْرَى سَرَاهَا بِبَابِلِ
 مَعَاهِدَ أَحْبَابِ سُرَاةِ أَفْضَلِ
 أَلْفَتْ فَوَاشِقِي لِتَلِكِ الْمَنَازِلِ
 وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
 فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ
 لَهُ شَوْقٌ مَعْبُودٍ وَعَبْرَةٌ ثَاكِلِ

(١) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (بقدر).

(٢) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة».

(٣) وعنوانه الكامل «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الخواهر» من كتب ابن الخطيب

الصفيرة. وفيه يترجم لبعض أعلام معاصرة. وذلك بإنجاز وأسلوب مسجع. وقد سبق التعريف به عند استعراض كتب ابن الخطيب في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة

(٤) هكذا في الإسكوريال. وفي النسخ (بالهوى).

فيا بأبي هيفاء كالغصن تَدَنَّى بَقْدُ يَقْدُ كَادُ يَنْقَدُ مَايِلُ
 فتاة براها الله من فِتْنَةٍ فمن رآها ولم يُفْتِنِ فليس بعاقِلُ
 لها مَنْظَرًا كالشمس في رَوْتِقِ الضُّحَا ولحظٌ كحيلٌ ساحر الطَّارِفِ بَابِلُ
 بطيب شذآها عَطَّرَتْ كلَّ عَاطِرِ كما بجلاها زِيدَتْ كلَّ عَاطِلِ
 رَمْتَنِي بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِ جُفُونِهَا فصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمِ مِنْ مِقَابِلِ
 فَظَلِمْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارِ مِنَ الْهُوَى وما الحُبُّ إِلَّا لُجَّةٌ دُونَ سَاحِلِ
 فَيَا مَنْ سَبَّتْ عَقْلِي وَأَفْنَيْتَ تَجَلْدِي صِلِيْنِي فَإِنَّ الْبُعْدَ لَا شَاكَ قَاتِلِ
 فلي كَبِدِ شَوْقِي إِلَيْكَ تَفَطَّرَتْ وقلب بنيران الجوى في مشاعِلِ
 ولى أَدْمَعُ تُحْكِي نَدَا كَفِّ يُوسِفِ أمير العلي الأَرْضِيِّ الْجَمِيلِ الْفَضَائِلِ
 إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَاْمِلُ لَمْ تَزَلْ بِحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَاْمِلِ
 ومن شعره قوله من قصيدة :

يَهَّرَتْ كَشْمَسٌ فِي غُلَّالَةِ عَسْجِدِ وَكَبَدْرِي تَمَّ فِي قَضِيبِ زَبْرَجِدِ
 تَمَّ انْتَنَتْ كَالْغَصْنِ هَزَّتَهُ الصُّبَا طَرِبًا فَتَزْرِي بِالْغُصُونِ الْمِيدِ
 حَوْرَاءَ بَارِعَةَ الْجَمَالِ غَرِيْدَةَ تَزْمِي فَتَزْرِي بِالْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ
 إِنْ أُذْبِرْتَ لَمْ تُبْقِ عَقْلٌ مَدْبُرٌ أَوْ أُقْبِلْتَ قَتَلْتَ وَلَكِنْ لَا تَدْرِ

تواليفه

قال شيخنا أبو البركات ، وابتلى باختصار كتب الناس ، فمن ذلك مختصره
 المسمى « بالدُرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة » ، وكتاب
 في حكايات تسمى روضة الجنان ، وغير ذلك .

توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبع مائة ، ودخل غرناطة

غير مرة .

محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
من أهل جزيرة شُقر^(١) ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن مَرَج الكُحل

حاله

كان شاعراً مُفلقاً غزلاً^(٢) ، باوع التوليد ، رقيق الغزل . وقال الأستاذ
أبو جعفر : كان شاعراً مطبوعاً ، حسن الكفاية ، ذا كراً للأدب ، متصرفاً
فيه . قال ابن عبد الملك : وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ،
ظهرت فيها إجادته . وكان مُبتذل اللباس ، تلى هيئة^(٣) أهل البادية ، ويقال
إنه كان أمياً .

من أخذ عنه

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد ، وأبو الربيع بن سالم ، وأبو عبد الله بن
الأبّار ، وابن عسكر ، وابن أبي البقاء ، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن برطلة ،
وأبو الحسن الرعيني .

شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّةِ نهر الغُنداق ، خارج بلدنا لَوْشَة بنت الحضرة ، والمحسوب

(١) هي بلدة من أعمال شرق الأندلس تقع شمال شاطبة بينها وبين بلنسية ، على نهر شُقر
El Jucar ، وعلى مقربة من مصبه في بقعة في منتهى الحصب والنضرة ، وقد كان إلى جانبها داخل
مصب النهر الجزيرة الشهيرة في الشعر الأندلسي - جزيرة شُقر - وهي التي اشتهرت بإنجابها رهطاً
كبيراً من العلماء . وبالاسبانية Alcira

(٢) هذه الكلمة واردة في «ج» والإسكوريال ، وسقطت في «البيوت» .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النسخ . وفي الإسكوريال (أهل) وهو سهو ظاهر في

تكرار نفس الكلمة .

من دخلها فقد دخل البيرة ، وقد قيل إن هذا النهر من أحواز بركة ، وهذا الخلاف داع إلى ذكره .

عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الكَثِيبِ الأَعْفَرِ بين الفُراتِ وبين شَطِّ الكونر
ولنَغْتَبِقَها قهوةً ذهبيةً من راحتي أَحوى المراثيفِ أحور
وعُشْبَةٌ قد^(١) كنت أرقب وقتها سمحت بها الأيام بعد تعذر
[نلنا بها آمالنا]^(٢) في روضة تُهدى لنا بشقها شميم العنبر
والدهر من ندم يسفه وأيه فيا مضى منه بغير تكدر
والورق تتدو والأراكة تثنى والشمس ترقل في قبص أصفر
والروض بين [مفضض ومذهب]^(٣) والزهر بين مدرم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والرُّبى بمصنَدَل من زهره ومُصَفَّر
وكأنه وكان خضرة شطه سيفٌ يسل على بساط أخضر
وكأنما^(٤) ذاك الحجاب فرنده مها طفا في صفة كالجوهر^(٥)
وكأنه وجهاته محسوفة بالأس والنعمان خد مدنر
نهر يهيم بحسنه من لم يهيم ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما أصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء ببراعة هذا النظم . وقال أيضا :

(١) هكذا وردت في «ج» و «الزيتونة» . ووردت في الإسكوريال والنفع (كم) والأولى

أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . ووردت في النفع (قلنا بهذا مالنا) ، وهو تعريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي المخطوطين (مذهب ومفضض) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي «ج» (وكان من) .

(٥) هذا البيت ساقط في «الزيتونة» .

أرأت جفونك مثله من مَنظر^(١) ظلّ وشمس مثل خدّ مَنذر
وهذا تنميم عجيب لم يسبق إليه . ثم قال منها :

وقراءة^(٢) كالعشر بين خيلة سالت مذائبها بها كالأسطر
فكأنها مشكولة بمضندل من يانع الأزهار أو بمضفر
أملُ بلغناه بهضب حديقة قد طرّزته يدُ الغمام المُنظر
فكانه والزهر تاجُ فوقه مُلكٌ تجلّى في بساط أخضر^(٣)
راق النواظر منه رايقُ مَنظر يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد [خاطر خاطر]^(٤) مُستوفز وكم استفزّ جماله من مُبصر
[لواح لي]^(٥) فيما تقدّم لم أقل عرج بمعرج الكئيب الأعرّ

قال ابو الحسن الرّعيّني ، واثدني لنفسه :

وعشيّة كانت قنينة فنية ألفوا من الأدب العرّيج شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها من الانحناء إلى الوقوع فخوراً
شملتهم آدابهم فتجاذبوا سرّ الشرور محدثاً ومُهيّنا
والورق تقرأ سيرة الطرب التي يُنسيك منها ناسخاً منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة فتيّمت من كان فيه مُنيّنا
فتخالهم حلل السماء كواكبا قد قارنت بسعودها المرّيّنا

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفح . وفي المخطوطين (إذا أجمانك مثله

منظر) . وهو تحريف

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح ، وفي المخطوطين (وقراءة) .

(٣) هذا البيت ساقط في المخطوطين ، «ج» و «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي «ج» و «الزيتونة» (كم قاد خاصر مستوفز) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و «الزيتونة» والنفح . وفي «ج» (لولا ذلتي) .

خرق العوائد في السُرورِ نهارهم
ومن أبياته في البديهة :

وعندي من مرآثيها حديث
وفي أجفانها السُّكرى دليل
تعالى الله ما أجرى دموعي
وأشجانى إذا لاحت بروق
ومن قصيدة .

[عذيري من الآمال خابت قُصودها^(١) ونالت جزيل الحُظ منها الأخابث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبهم
يهون علينا أن يبيد أثاننا
وما ضراً أصلاً طيباً عدمُ الغنى
وله يتشوق إلى أبي عمرو بن أبي غياث :

أبا عمرو متى تُقضى الليالى
أبت نفسى هوى إلا شريشاً
بلقياكم وهن قصصن ريشى
وما بعد الجزيرة من شريش
وله من قصيدة :

طفل المساء وللنسيم تَضوع
والأنسُ ينظِّم^(٥) شملنا ويجمع

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (له) . والأولى أنسب للسياق .

(٢) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال والنفع ، وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين وفي النفع . ووردت في الإسكوريال (قصورها) .

(٤) هذه الأبيات واردة في الإسكوريال والنفع . وساقطة في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال . ووردت في النفع (بجمع) .

رِيحَتِ لِشِيمِ سَيْوْفِ بَرْقِ تَلَعِ
وَالنَّصْنِ يَرْقُصُ وَالْحَمَامَةُ تَسْجَعُ
حَسُنَ الْمَصِيفُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْبَعُ
حَيْثُ التَّقَى وَادَى الْحِمَى وَالْأَجْرَعُ
كَسَفْتِ وَنُورِكَ كُلِّ حَيْنٍ يَسْطَعُ^(١)
بِسِنَاكِ أَيْلَ تَفْرُقُ يَتَطْلَعُ
وَجِلًّا مِنَ الظُّلْمَاءِ مَا يَتَسَوِّقُ
فَوَدَدْتُ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّكَ يَوْشَعُ

والزهر يضحك من بكاء غمامة
والنَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ يَصْفُقُ وَوَجْهَهُ
فَانْمِ أَبَا عِمْرَانَ وَالْهُ بَرُوضَةٌ
يَاشَادِنَ الْبَانِ الَّذِي دُونَ النَّقَا
[الشَّمْسُ يَغْرُبُ نُورُهَا وَلِرَبَّمَا
إِنْ غَابَ نُورُ الشَّمْسِ بِنَنَا^(٢) نَتَقَى
أَفْلَتَ فَنَابَ سِنَاكَ عَنِ إِشْرَاقِهَا
فَأَمَنْتُ يَا مُوسَى الْغُرُوبَ وَلَمْ أَقْلُ
وَقَالَ :

أَضْرَبُ بِهِ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ مَعَ الْبُكَاءِ
إِذَا اللَّيْلُ أُجْرَى [دَمَعَهُ]^(٣) وَإِذَا شَكَا^(٤)
فَلَمْ يَزَلِ الْكَافُورَ لِلدَّمِّ مُسْكَاءِ

أَلَا يَشْرُوا بِالصَّبْحِ مَنِي بَا كِيًّا
فِي الصَّبْحِ لِلصَّبِّ الْمُنِيمِ وَاحِدَةً
وَلَا عَجَبُ أَنْ يَمْسُكَ الصَّبْحُ عَبْرَتِي
وَمَنْ بَدِيعَ مَقْطُوعَاتِهِ قَوْلُهُ :

مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
فَإِذَا وُلِّيتَ عَنْهُ أَتْبَعَكَ

مَثَلُ الرُّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ
أَنْتَ لَا تَدْرِكُهُ مُتْبَعًا
وَقَالَ :

فَأْتَمَّ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّملِ

دَخَلْتُمْ فَأَفْسَدْتُمْ قُلُوبًا بِمُلْكِكُمْ^(٥)

- (١) هذا البيت ساقط في المخطوطين وفي الإسكوريال . وورد في النسخ .
(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال والنسخ (لسنا) . والأولى أرجح وأكثر تمثيلاً مع السياق .
(٣) هذه الكلمة واردة في المخطوطين وفي النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . ووردت في المخطوطين (بكا) .
(٥) هكذا وردت في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (بملكها) .

وبالعدل^(١) والإحسان لم تتخلقوا فأنتم على ما جاء في سورة النحل
وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور: رأيت لابن مرج الكحل مرّجاً أحمر
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُنجب، قلت:

يا مرّج كحلّ ومن هندی المروج له ما كان أحوج هذا المرح للكحل
يا حمرّة الأرض من طيب ومن كرم فلا تسكن طعماً في رزقها العجل
فإن من شأنها إخلاف أمليها^(٢) فما تفارقها كيفية الخجل
فقال مجيباً بما نصه:

يا قائلًا إذ رأيت مرّجى وحمرته ما كان أحوج هذا المرح للكحل
هو احمرار دماء الروم سيّلها بالبيض من مرّ من آباء الأول
أحببته إن من فتنت به في حمرّة الخلد أو إخلافه أمل

وفاته

توفي ببغداد يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وسبعمائة . ودفن في اليوم بعده .

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل مرسية . يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الجنان

حاله

كان محدثاً راوية ، ضابطاً . كاتباً بليفاً . شاعراً بارعاً ، رابح الخط ،

(١) هكذا في المخطوطين والإسكوريال . وفي النسخ (ورد لحد) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وريال والنسخ . وفي المخطوطين (أمليها) .

دينا فاضلا ، خيرا ، ز كيا . استكتبه بعض أمراء الأندلس ، فكان يتبرم من ذلك ، ويقلق^(١) منه . ثم خلصه الله منه . وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القراءة^(٢) ، حتى يظن وائيه إذا استدبره ، أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها . متناسب الخلقة ، لطيف الشايل ، وقورا . خرج من بلده ، حين تمكن العدو من بيضته عام أربعين وسماية ، فاستقر بأوريولة^(٣) . إلى أن استدعاه إلى سبتة ، الرئيس بها ، أبو علي بن خلاص ، فوفد عليه ، فأجل وفادته . وأجزل إفادته ، وحظي عنده حظوة تامة . ثم توجه إلى إفريقية ، فاستقر ببجاية . وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ، ظهرت فيها براعته .

مشيخته

روى بياده وغيرها عن أبي بكر عزيز بن خطاب^(٤) ، وأبي الحسن بن سهل ابن مالك ، وابن قطرال ، وأبي الربيع بن سالم ، وأبي عيسى بن أبي السداد ، وأبي علي الشلوبين ، وغيرهم .

من روى عنه

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل ، وأبو الحسن محمد بن رزبوق .

شعره

[قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك ، وكان له في الزهد ، ومدح النبي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و «ج» . وفي «الزيتونة» (ضيق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القراءة) وهو تحريف .

(٣) أوريولة وبالإسبانية Orihuela من بلاد شرق الأندلس . تقع على نهر شقورة شمال شرقي

مرسية . وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دورا هاما ، وسقطت في أيدي الأرجونيين في سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين (ابن مخاطب) وهو تحريف .

صلى الله عليه وسلم بدائع ، ونظم في المواعظ للذكورين كثيرا^(۱) . فمن ذلك قوله
في توديع رمضان وليلة القدر :

مضى رمضان وكأن بك قد مضى
فيا عهدَه ما كان أكرم مَعهدا
ألم بنا كالطيف في الصيف زائرا
فيا ليت شعري إذ نوى غربة النوى
قضى الحق فينا بالفضيلة جاهداً
وكم من يدٍ بيضاء أسدى لذي تقى
وكم حُسنٍ قد زاده حُسنًا وسنى
فلاهِ من شهرٍ كريمٍ تعرّضت
نفي بينه وبين شجورك معلما
وقِفْ بُشَيَّاتِ^(۳) الوداع فإنها
وإن قضيتَ قبل التفرُّق وقفةً
فيا حُسبًا من ليلة جلّ قدرها
لعل بقايا الشهر وهى كريمة
وقد كان أضنى ورده كى يفيضه
وقال اطلبوها تسعدوا بطلابها
جزى الله عنا أحمد الجزا على

وغاب سنّاه بعد ما كان أوامنا
ويا عصره أعزز على أن انقضا
فخيم فينا ساعة ثم قوَّضا
أبالسُّخط هنا قد تولى أم الرضا
فأى فتى فينا له الحق قد قضا^(۲)
بتوبته فيه الصحايف بيضا
مجاه وبالإحسان والحسن عوضا
مكارمه إلا إن كان أعرضا
وفى إثره ارسل جنونك فيضا
تمحص مشتاقا إليها وتمحضا
فمقضيها من ليلة القدر ما قضا
وحض عليها الهاشمي وحرضا
تبين سرا للأواخر^(۴) أغمضا
ولا كن تلاحى | من تلاحى^(۵) فقضيضا
فحرك أرباب القلوب وأنهضا
كريم أضفاه برداً وفضفضا

(۱) وردت هذه الفقرة التي بين الحاصرتين في المخطوطين . وتردد في الإسكوريال .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (مضى) والأول أنسب للسياق .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بشنيات) .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (في الاواخر) .

(۵) هكذا وردت الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (إثبات فيها) . وهى ساقطة في «ج»

وصلى عليه من نبي مبارك
له عزة أعلى من الشمس منزلا
له الذكر يهي فض مسك ختامه
عليه سلام الله ما انهل ساكب

ومن ذلك قصيدة في الحج :

[تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا
ركاباً سرت بين العذيت وبارق
تيمنن من وادي الأراك منازل
لهن من الأشواق حاد فإن
الابأ بي تلك الركاب إذا سرت
براهم سواح أو سراهم فأصبحوا
لهم في مني أسنى المنا ولدى الصفا
سماهم طوف بيت طامح
فأبدوا من اللوعات ما كان كامنا
ولما دنوا نودوا هنيئا وأقبلوا
وقضوا بتقبيل الجدار ولثمه
إذا اعتنقوا تلك المعالم خلتهم
فله ركب يمشوا نحو مكة لقد
أناخوا بأرجاء الرجاء وعرسوا
فبشروا لهم كم خولوا من كرامة

فعالجن أشجاناً يكاثرن عالجاً
نوايبج في تلك الشعاب نواعجاً
يطرنها إلا في الأراك سجاسجاً
ونت حدها يرجعن الخنين أهازجاً
هوادي يملأن الفلاة هوادجاً
رسوماً على تلك الرسوم عوآجلاً
يرجون من أهل الصفا المناجياً
أراهم قبأباً للعلى وموارجاً
وأذروا دموعاً بل تلويهاً مناضجاً
إلى الركن من كل النجاج أدارجاً
حقوقاً تقضى للنفوس حوايجاً
أساور في إيمانها وجهالجا
كروا قصداً وحلوا مناسجاً
فأصبح كل ما بز التذبح فالجا
فكانت لما قدموه نتايجاً

(١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وعزمت) والأولى أنسب بسبق .

بفتح بابٍ للقبول والرضا
 تَمَّزَ أَهْلُ السَّبِقِ لَا كُنْ غَيْرَهُمْ
 أَيْلَحِقُ جِلْسُ لِلْبَيْوتِ مَدَاهُمُ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي لِلضَّرُورَةِ هَلْ أُرَى
 لَهُ اللَّهُ مِنْ ذِي كُرْبَةٍ لَيْسَ يُرْتَجَى
 قَدْ أَسْهَمْتَ شَقِيَّ الْمَسَالِكِ دُونَهُ
 يَخُوضُ بِحَارِ الذَّنْبِ لَيْسَ يَهَابُهَا
 جَبَانٌ إِذَا عَنَّ الْهُدَى وَإِذَا الْهُرَى
 يَتِيهِ ضَلَالًا فِي غِيَابَةِ هَمِّهِ
 فَوَاحِرَبًا لَاحَ الصَّبَاحِ لِمُبْصِرٍ
 لَهْلٌ شَفِيعِي أَنْ يَكُونَ مَعَاجِلًا
 فَيُنْشِئُنِي بَيْتُ الْإِلَهِ نَوَاحِلًا
 فَمَا لِي لِإِمَاتِي سِوَى حُبِّ أَحْمَدٍ
 عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ
 وَلَوْ أَنْصَفْتَ أَجْفَانَهُ حَقٌّ وَجَدَهُ

وَوَفَدُهُمْ أَضْحَى عَلَى الْبَابِ وَالْجَا
 غَدَا هَمَجًا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ هَامَجَا
 وَلَمْ يَلْمَبْ فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ دَارِجَا
 إِلَى اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْمَحْجَبِ خَارِجَا
 لِمُرْتَجِبِهَا يَوْمًا سِوَى اللَّهِ فَارِجَا
 فَلَا نَهْجَ يَلْقَى فِيهِ اللَّهُ نَاهِجًا
 وَيُضْعَقُ ذُعْرًا إِنْ بَرَى الْبَحْرَ هَامِجَا
 يَمُنُّ لَهُ كَانَ الْجَرِيءُ الْمَهَارِجَا
 فَلَا حَجْرَ تَهْدِيهِ لِرُشْدِهِ وَلَا حِجَا
 وَقَلْبِي لَمْ يُبْصِرْ سِوَى اللَّيْلِ إِذْ سَجَا
 لِدَاءِ ذُنُوبٍ بِالشِّفَاءِ مُعَالِجَا
 وَيُحْبِقُ لِي قَبْرِ النَّبِيِّ نَوَاحِجَا
 وَصَلْتُ لَهُ مِنْ قَرَبِ قَابِي وَشَايِجَا
 حَلِيمِ شَجَا يَكْنِي مِنَ الْبَعْدِ نَاشِجَا
 سَفَّكَتُ دَمًا لِلدَّمْعِ مَوَازِجَا^(١)

کتابتہ

و کتابتہ شہیرہ ، تُضْرِبُ بِذِكْرِهِ فِيهَا الْأَمْثَالَ ، وَتَطْوِي عَلَيْهِ الْخُنَاصِرَ .
 قَالُوا ، لَمَّا عَتَرَ^(٢) أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ [بِنِ هُودِ]^(٣)
 الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ الْوَاقِ بِالْإِمَارَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، تَوَلَّى إِنْشَاءَهَا . وَجَعَلَ الْحَاءَ الْمَهْمَلَةَ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ التَّصْيِيدَةُ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ فَقَطْ ؛ وَفِي تَرْجُومَةِ الْخَطُّوطِ « ح . و » « تَرْبُوتَةٌ » .

(٢) دَعَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الْخَطُّوطِ (جَمَل) .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَّالِ .

سَجَعَهَا مُرْدَفًا إِيَّاهَا بِالْأَلْفِ ، نَحْوَ صَبَاحًا وَصَلَاحًا^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . طَالَ
مَجْمُوعَهَا فَنَاهَزَتْ الْأَرْبَعِينَ . وَطَابَ مَسْمَعُهَا^(٢) ، فَأَحْرَزَتْ بَغِيَةَ الْمُسْتَمَعِينَ :
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ عَمِيرَةَ ، رِسَالَتَهُ الشَّهِيرَةَ ، يَدَاعِبُهُ فِي ذَلِكَ . وَهِيَ
الَّتِي أَوْلَاهَا :

« تَحْيِيكَ الْأَقْلَامَ تَحْيِيَّةَ كَيْسَرِي ، وَتَقِفِ دُونَ مَدَاكِ حَسْرِي » . وَمِنْهَا
فِي الْفَرَضِ : « وَمَالِكُ أَمِنَتْ تَغْيِيرَ الْحَالَاتِ^(٣) ، فَشَدَنْتَ غَارَتِكَ عَلَى الْحَامَاتِ ،
وَنَفَضْتَ عَنْهَا الْمَهَارِقَ : وَبَعَثْتَ فِي طَلِبِهَا السَّوَابِقَ ، وَلَفَظْتَهَا مِنَ الْأَفْوَاهِ ، وَطَلَبْتَهَا
بَيْنَ الشُّفَاهِ ، حَتَّى شَهِدَ أَهْلُ اللِّسَانِ^(٤) ، بِتَرْحُزِهَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَتَوَارَتْ
بِالْحُلُوقِ . وَلَوْ تَغَلَّغْتَ إِلَى الْعُرُوقِ ، لَأَثَرْتَهَا جِيَادُكَ . وَاقْتَنَصَهَا قَلَمُكَ وَمِدَادُكَ »
[وَهِيَ طَوِيلَةٌ]^(٥)

فَرَاغَهُ^(٦) بِقَوْلِهِ : « مَا هَذِهِ التَّحْيِيَّةُ الْكَيْسَرِيَّةُ ، وَمَا هَذَا الرَّأْيُ . وَمَا هَذِهِ
الرُّوِيَّةُ ، [أُنْثَكَيْتِ مِنَ الْأَقْلَامِ ، أَمْ تَبْكَيْتِ مِنَ الْأَعْلَامِ ، أَمْ كَلَا الْأَمْرِينَ
تُوجِّهُ الْقَصْدَ إِلَيْهِ]^(٧) وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْأَفْعِيدَى بِالْقَلَمِ ،
يَتَسَامَى عَنْ عَكْسِهِ ، وَيَتَرَامَى إِلَى الْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ بِنَفْسِهِ ، فَمَنْ لَانَتْ أُنَايِبُهُ لِلْعَاجِمِ ،
وَدَانَتْ أُعَارِبُهُ^(٨) بَدِينِ الْأَعَاجِمِ . وَاعْجَبْنَا لَقَدْ اسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ ، وَاخْتَلَفَ الْقَوْلُ

(١) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وفلاحا) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (مسوعها) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الخارات) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الشان) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال .

(٦) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (فجابه) .

(٧) ما بين الخاصرتين وورد في «ج» والإسكوريال . وسقط في «الزيتونة» .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ح» . وفي «الزيتونة» (إعرابه) .

والعمل . لأمر ما جَدَعَ أَنْفَهُ قَصِيرٌ ، وارتد على عقبه الأعمى ^(١) أبو بصير . أمسُ
استسقى من سحابه ، فلا يُسْتَقِي ، واستسقى بأسمائه فلا يُشْفِي . واليوم يُحَلِّي
محلُّ أنو شروان . ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان ، ويزعم أني
أبطلت سحره ، كما أبطل سحرُ بردوران . ويخفي في نفسه ما الله مُبْدِيهِ ،
ويستجدي بالأثر ^(٢) ما عند مُسْتَجْدِيهِ . فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعة ،
والطريقة المبتدعة ، أيظن أن معناه لا يفك ، وأنه لا يتجلى هذا الشك . هل
هذا ^(٣) منه إلا إحاض النية ، وإحاض تَفْنِيَةِ ، ونشوة من خمرة الهزل ، ونخوة
من ذى ولاية آمين العزل . تالله لولا محله من القسَم ، وفضله في تعليم النسم ،
لأسمعه ما ينقطع به صلفه . وأودعته ما ينصدع به صدقه ، وأشدتُ بشرف
المشرفي ومجده ، وأشرتُ إلى تعاليه عن اللعب بجده . ولكن هو القلم الأول ،
فقوله على أحسن الوجوه يتأول ^(٤) ، ومعدود في تهذيبه ، كلُّ ما لسانه يهنى به .
وما أنسانيه ^(٥) إلا الشيطان أياديه أن أذكرها ^(٦) ، وإنما أقول لبت التحية
كانت لي فأشكرها ، ولا عتب إلا على الحاء ، المبرحة بالبرحاء ، فهي التي
قيمت قياتي في الأندية ، وقامت على قيام المعتدية ، يتظلم وهو عين الظالم ،
ويُلين القول ، وتحنه سُمُّ الأرقام ، ولعمر البراعة وما نصعت ، والبراعة وما
صنعت ، ما خامرني هواها ، ولا كلفت بها دون سواها . ولقد عرّضت نفسها
على مرادا ، فأعرّضت عنها أزراراً ، ودفعتها عنى بكل وجه ، تارة بلطف ،

(١) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بالأسد) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذلك) .

(٤) وردت في المخطوطين (يتأمل) والتصويب من الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنسى) .

(٦) وردت في المخطوطين (أذكره) والتصويب من الإسكوريال .

وأخرى بنجته، وخفتُ منها السامة، وقلت انكحى أسامة. فرضيت منها بأبي جهنم
وسوء سلوكته. وابن أبي سفيان وصعدككته، وكانت أسرع من أم خارجة
للخطبة. وأصبح من سباح في استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخف من انتقال
الطباع في عثرتها، واستنقال الاجتماع من عثرتها^(١). وأرى من الغبن والسفاه^(٢)
[أخذها، وترك بنات الأفواه والسفاه]^(٣) إذ هي أيسر مؤنة. وأكثر معونة. فغلطى
فيها، أن كانت بمنزل تتواري صوتاً عن الشمس، ومن نسوة خفرات لا ينطقن
إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنان للكف، والعنان للوكف، والمعنى للإسم،
والمعنى للرسم، والظل للشخص، والمستبدل للنص. فما عرفت منها إلا خيراً^(٤) أرضاه
[حتى حسبتها]^(٥) من الحافظات للغيب بما حفظ الله به. فعميت لها الآن كيف زلت
نعماً، ونشزت فنشرت ما استكتمها بملها، واضطربت [في رأيها]^(٦) اضطراب
المختار أبي عبيد. وضربت في الأرض تسعى على بكل مكر وكيد، وزعمت أن
حرف الجيم خدعها. والآن أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بنخبرها الخابور،
وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور. فقد جاءت إفكاً وزوراً،
وكرت من أمرها شزوراً، وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص والمرادة،
قالت ما جزاء، وهي التي قدت القميص، وربما يظن بها الصدق، وظن الغيب

(١) هكذا ورد ترتيب هاتين الكلمتين في المخطوطين. وفي الإسكوريال (عثرتها) ...
عثرتها).

(٢) هكذا وردت في «ج». وفي «الزيتونة» (والسافة). وفي الإسكوريال (سفة) والاولى
أكثر تمشياً مع السياق.

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال. وسقط في المخطوطين.

(٤) هكذا وردت في «ج». ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال (خيرا). والاولى
أنسب للسياق.

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (وحسبتها).

(٦) هذه العبارة وردة في المخطوطين. وساقطة في الإسكوريال.

ترجم ، ويقال [لقد خففت الحاء . بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم]^(١) ، وتنتصر لها أختها^(٢) التي خيَّمت بين النرجسة والزَّيْحَانة ، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم [نبيُّ على الله سبحانه]^(٣) ، فإن امتعضت هذه المتظلمة ، تلك التي سبقت بكلمتها بشارة المتكلمة ، فأنا ألوذ بعدها ، وأعوذ بفضلها ، وأسألها أن تقضى قضاء مثلها ، وتعمل بتمتضي : فابعثوا حكماً من أهله ، وحكماً من أهلها . على أن هذه التي قد أبدت مئنها ، ونسيت الفضل بيني وبينها ، أن قال الحكمان منها كان النشور ، عادت حرورية المعجوز ، وقالت التحكم في دين الله لا يجوز ، فعند ذلك يُخصِّص الحق ، ويعلم من الأولى بالحكم والأحق ، ويصيبها ما أصاب أروى ، من دعوة سعيدة حين الدعوى ، ويأويحها أن أرادت [أن تجني على فجننت لي ، وأناخت]^(٤) لي مرَّ كَب^(٥) السعادة ، وما ابتغت إلا ختلي ، فأني شرها بالخير ، وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بما يثيره اعوجاجها ، وينجلي عنه عجاجها . فقد أفادت عظيم الفوائد : ونظم الفرايد ، ونفس الفخر ، ونفيس الذخر^(٦) ، وهي لا تنكر^(٧) أن كانت من الأسباب . ولا تذكر إلا يوم الملاحاة والسباب . وإنما يستوجب الشكر جسيماً ، ، والثناء الذي يتضوع نسباً ، الذي شرف إذ أهدى أشرف السحاهات^(٨) ، وعرف بما كان من انتحاء تلك

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . ووردت في «الزيتونة» . (لقد حفظت الحوار بالحوار) .

وفي الإسكوريال (لقد خففت بالحوار هذا الجيد) .

(٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال . وسقطت في «ج» .

(٣) ما بين الحاصرتين وورد في «ج» . وسقط في «الزيتونة» والإسكوريال .

(٤) ما بين الحاصرتين وورد في الإسكوريال و «ج» . وسقط في «الزيتونة» .

(٥) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (موكب) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال و «الزيتونة» . وفي «ج» (الدر) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (تشكر) .

(٨) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (السجلات) .

الحاء المذمومة في الحاءات ، فإنه وإن ألم بالفكاهة ، فما أملى من البدهاة ،
وسمى باسم السابق الشكيت ، وكان من أمر مداعبته كيت وكيت ،
[وتلاعب بالصفات] ^(١) ، تلاعب السيل ^(٢) بالصفة . والصبا بالبانة ، والصبا
بالعاشق ذي اللبانة ، فقد أغرب بفنونه ، وأغرى القلوب ^(٣) بفتونه ،
ونفت بجفنه ^(٤) الأطراف ، وعبث من الكلام المشقق الأطراف ، وعلم
كيف يُلخَص البيان ، ويُخَلَّص العقيان . فمن الحق أن أشكره على أيديه
البيض ، وأن آخذ لفظه من معناه في طرف النقيض . تالله أيها الإمام الأكبر ،
والغمام المُستَطر ، والخبر الذي يُشفي سايله ، والبحر الذي لا يرى ساحله ،
ما أنا المراد بهذا المسلك ، ومن أين حصل النور لهذا الحلك ، وصح أن
يقاس ، بين الحداد والملك . إنه لتواضع الأعرزة : [وما يكون للأكارم عند
المكارم من العزة] ^(٥) ^(٦) ، وتحريض الشيخ للتلميذ : في إجازة الوضوء
بالنبيذ . ولو حضر الذي قضى له بجانب الغربي أمرُ البلاغة ، وارتضى
ماله في هذه الصناعة ، من حُسن السبك لِحليتها والصياغة ، وأطاعته فيما أطلعته
طاعة القوافي الحسان ، وأتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان لأذعن كما أذعنت ،
وظعن عن محل دعوى ^(٧) الإجابة ، كما ظعننت . وأنى يُضاهى الفرات للمعين ^(٨)
بالنغبة ، ويباهى بالفلوس من أوتى من السكروز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، وأى

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وتلاعبت الصفات) .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (القلب) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بخفيه) .

(٥) وردت في الإسكوريال «ج» (الهزة) . والتصويب من «الزيتونة» .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . «الزيتونة» . وفي «ج» (وما يكون عند

الكرام من الهزة)

(٧) واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٨) واردة في الإسكوريال . وساقطة في «ج» .

حفظاً للكَلالة في الذَّشب ، وقد اتصل للورثة عمود النَّسب . هيهات والله بُعد^(۱)
المَطْلَب : وشتان الدر والخلب . وقد سيم الغلب ، ورجع إلى قيادة السلب ،
وإن كنا ممن تقدم لشدة الظمأ إلى المنهل . وكن أقدم إلى عين تبوك بعد النهي
للعل والنهل^(۲) . فقد ظهرت بذلك المعجزة عياناً ، وعلى ما هناك جناناً ، وما
تعرضنا بإساءة الأدب واللوم ، ولكن علمنا أن آخر الشراب ساقى القوم ، وإن
أسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الإيجاز ، وإن اعرقنا فهوانا في الحجاز ، فلم
قصيرات الحجال . ولنا قصيرات الخطا في هذا المجال ، وإكثارنا في قلة ، وجارنا
من الفقر في فقر^(۳) وذلة . ومن لنا بواحدة يُشرق ضياؤها ، ويخفى للنجوم خجلها
منها وحياتها ، إن لم تطل فلأنها للفروع كالأصل ، وفي المجموع كلبلة الوصل .
فلوسطع^(۴) نورها الزاهر ، ونورها الذي تطيب منه الأنوار الأزاهر ، لسجدت
النيران ليوسف ذلك الجمال ، ووجدت نفعات ربها في أعطاف الجنوب والشمال ،
وأسرعت نحوها النفوس إسراع الحجيج يوم النفر ، وسار خبرها^(۵) وسرى ، فصار
حديث المقيم والسفر . وما أظن تلك السأخرة في تدائنها ، إلا السأخرة بتجنُّبها ،
إذ كانت ربيبتها ، بل ربيثتها ، هذه التي سبقتنى لما سبقتنى بسينها ، ووجدت
ريحها ، لما فصلت من مصرها غيرها . وحين وصلت ، لم يداني على سابقها^(۶)
إلا عبيرها ، وكم رامت أن تستر عنى بليل خبرها في هذه المغاني . فأغراني
بهاؤها^(۷) ، وكل مغرم مغرم ببياض صبح الألفاظ والمعاني . وهل كان ينفعها

(۱) واردة في «الزيتونة» . وساقطة في الإسكوريال و«ج» .

(۲) واردة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

(۳) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(۴) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (قطع) والأولى أنسب للسياق .

(۵) هكذا وردت في الإسكوريال و«ج» . وفي «الزيتونة» (حديثها) .

(۶) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (ساريتها) .

(۷) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (ها) . وساقطة في «الزيتونة» .

تَلْفَحُهَا بِمِرْطِهَا وَتَلْفَعُهَا ، إِذْ نَادَتْهَا الْمَوْدَةُ ، فَقَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةَ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى شَمِّ نَشْرِهَا ، وَعَرَفْتُهَا وَلَمْ سَطَّرْهَا وَحَرَّفْتُهَا ، وَقَرَيْتُهَا^(١) الثَّنَاءَ الْحَافِلَ ، وَقَرَأْتُهَا فزُيِّنَتْ بِهَا الْمُحَاضِرُ وَالْمُحَافِلُ . وَرُمْتُ أَمْرَ الْجَوَابِ ، فَعَرَّثَنِي فِي الْخُطَابِ . لَكِنْ رَسَمْتُ هَذِهِ الرَّقْعَةَ الَّتِي هِيَ لَدَيْكُمْ بِعَجْزِي وَاشْيَاءِ . وَإِلَيْكُمْ مَنِيٌّ عَلَى اسْتِحْيَاءِ مَاشِيَةٍ ، وَإِنْ رَقَّ وَجْهَهَا فَمَارَقَتْ لَهَا حَاشِيَةٌ ، فَمُنُوا بِقَبُولِهَا عَلَى عِلَائِهَا^(٢) ، وَانْقَمُوا بِمَاءِ سَمَاحَتِكُمْ حَرًّا غَلَمِلِهَا ، فَإِنَّهَا وَافِدَةٌ مِنْ اسْتَقَرَّ قَلْبُهُ عِنْدَكُمْ وَثَوَى ، وَأَقْرَبُ بَأَنَّهُ يَلْقُطُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا يُبْقَى لِلْمَسَاكِينِ مِنَ النَّوَى . بِقِيَّتُمْ . سَيِّدِي الْأَعْلَى لِلْفَضْلِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَدَمْتُمْ غُرَّةً فِي جَبِينِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ . وَاقْتَضَيْتُمْ السَّعَادَةَ الْمَتَّصِلَةَ مَدَّةَ الْإِقْتِضَاءِ ، بِبَيْمَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ . انْتَهَى .

وَمَحَاسِنُهُ عَدِيدَةٌ ، وَأَمَادُهُ بَعِيدَةٌ .

دخوله غرناطة

دخُلَهَا مَعَ الْمُتَوَكَّلِ مَخْدُومِهِ ، أَوْ وَجَدَهُ بِهَا .

مَنْ رَوَى عَنْهُ : رَوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ .

وفاته

قَالَ الْأَسْتَاذُ فِي الصَّلَاةِ : انْتَقَلَ إِلَى بَجَايَةِ فَتَوَفَّى بِهَا فِي عَشْرِ | الْحَمْسِينَ |^(٣)

وَسِتِّمِائَةٍ .

(١) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (وَزَوْدَتْهَا) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي الْمَخْطُوطَيْنِ (عَلَائِهَا) .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الْإِسْكُورِيَالِ .

محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي^(١)

من أهل المريّة ، يكنى أبا عبد الله . من وجوه بلده وأعيانه ، نشأ نبيه البيت ،
ساحباً بنفسه وبماله ذيل الحظوة ، متحلّياً بنخصل من خطّ وأدب . وزيراً ، متجنّداً ،
ظريفاً ، درباً على ركوب البحر وقيادة الأساطيل . ثم انحطّ في هواه انحطاطاً ،
أضاع مروءته ، واستهلك عقاره ، وهدّ بيته ، وأجأه أخيراً إلى اللحاق بالعدوة
فهلك بها .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : مجموع شعر وخطّ ، وذكاه عن درجة
الظرفاء ، غير منْحَط إلى مجادة أئبىة البيت ، شهيرة الحى والميت . نشأ في حجر
الترف والنعمة ، محفوفاً بالماليّة الجمّة ، فلما غفل عن ذاته ، وترعرع بين لذّاته ،
أجرى خيول لذّاته ، فلم يدعّ منها ربعاً إلا أقفره ، ولا عقاراً إلا عقّره ، حتى حطّ
بساحلها ، واستولى بسعر^(٢) الإنفاق على جميع مراحلها ، إلا أنه خلّص بنفسه
طيبة ، وسراوة سماؤها صيبة ، وتمتع ماشاء من زير وبم ، وتأنس لا يعطى
القياد لهم . وفي عفو الله سعة ، وليس مع التوكل على الله ضعة .

شعره

من شعره [قوله]^(٣) يمدح السلطان ، وأنشدها إياه بالمضارب من وادى
الغيران عند قدومه من المريّة

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ، ولا «الزيتونة» . ويبدو
من لقب هذا الشاعر وهو شلبطور - وبالإسبانية Salvador - أنه ينتمى إلى أصل من المولدين ،
أعنى الإسبان الذين دخلوا في الإسلام . منذ فتح الأندلس . وينتمى إلى هؤلاء المولدين كثر من أمته
الأدب والتفكير الأندلسيين .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي فتح العنت (١٥٤) .

(٣) الزيادة من الفتح .

وريتك أم مسك به الراح تُنخَم
 وفرعك أم دايج من الليل مُظلم
 وهل ينفع التعليل والخطب أعظم (٢)
 لو ان جفوني بالنسام تنعم
 سلوت لاني بالمكارم مُغرم
 فؤادي مشغوف بها ومُتيم
 فها أنذا في جنة الخلد أنعم
 ويحسن فيه النظم من ليس ينظم
 وقام منار الحق والشرك مُغرم
 والله مُهدٍ إلى الرشـد مُلمهم
 فمن فعله في جوده يتعلم
 لألقوا إليه الأمر طوعاً وسلم
 لكم يا بني نصر مقامٌ معظم

حمايل شكر طيرها مترنم
 إذا يفوه لراو في الندى بها فم
 ويعزى في أقصى البلاد ويشم
 وأجدني فيه حبيبٌ ومسلم
 ومن بعض ما نشدت وتولى وتنعم

أغرُك أم سحط من الدر يُنظم
 ووجهك أم بادٍ من الصبح نير
 أعلل منك النفس والوجد مُتلفي (١)
 وأفتع من طيف الخيال يزورني (٢)
 حملت الهوى حيناً فلما علمته
 ولي في أمير المسلمين محبة
 بلغت المنى لما لثمتُ يمينه
 يصوغ قومي الشعر في طيب ذكره
 فاستمسك الدين الحنيف زمانه
 له نظرٌ في المشكلات مُؤيدٌ
 ويستغرق طارحاً فيه وابل جوده
 فلو أن أملاك البسيطة أنصفوا
 وفي الدين والدنيا وفي البأس والندى
 ومنها:

إليك أمير المسلمين اقتضيتها
 ثم بعرف المسك أنفاسها
 فباصمك سيرت في السامع ذكرها
 ولو أني في المدح سحبان وائل
 لما كنت إلا عن علاك مُقصر

(١) هكذا وردت هذه الشطبة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كذلك في (اعلل منك الوجد . الليل ملتق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مؤيد) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مؤيد) .

بِهِتِ مَلَاذًا لِلْأَنَامِ وَرَحْمَةً وَسَاعَدَكَ الْإِسْمَاعِدَ حَيْثُ يُنْتَمِعُ

وَمِنْ شَعْرِهِ مَذِيلاً عَلَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ حَسَبًا نُسِبَ إِلَيْهِ :

نَامَتْ جَفْوَنُكَ يَا مُؤُولَى وَلَمْ أَنْمِ مَاذَاكَ إِلَّا لِفِرْطِ الْوَجْدِ وَالْأَلْمِ (١)
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مَا بِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا نَلَقَى مِنَ السُّقْمِ (٢)
إِنْ كَانَ سَفَنُكَ دَمِي أَقْصَى مَرَادِكُمْ فَمَا غَلَّتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفَنِكَ دَمٍ

وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ :

قِفْ بِي وَنَادِ بَيْنَ تِلْكَ الطَّلُولِ أَيْنَ لِيَابِنَا بِهِمُ وَالْمُنَى أَيْنَ الْأَلَى كَانُوا عَلَيْهَا نُزُولُ
لَا حَمَلُوا بَعْضَ الَّذِي حَمَلُوا نَجْنِيهِ غَضًّا بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ
إِنْ غَبْتُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَنِي يَوْمَ تَوَلَّتْ بِالْقِيَابِ الْحُمُولِ
وَمَا خَاطَبَنِي بِهِ : قَلْبِي أَنْتُمْ وَضُلُوعِي حُلُولِ

تَاللَّهِ مَا أَوْرَى زِنَادَ الْقَلْقِ سَوَى رِيحٍ (٣) لَاحِ لِي بِالْأَبْرِقِ
أَيَقَنْتَ بِالْحَيْنِ فَلَوْلَا نَفْحَةُ نَجْدِيَّةٍ مِنْكُمْ تَلَاَفَتْ رَمَقٌ (٤)
لَكُنْتُ أَقْضَى بِنَلْظِي زَفْرَةَ وَحَسْرَةَ بَيْنِ الدَّوْعِ تَلْتَقُ (٤)
فَأَهْ مِنْ هَوْلِ النَّوَى وَمَا جَنِّي عَلَى الْقَلُوبِ ، وَقَفَ النَّفْرُقُ
يَا حَاكِيَ الْغُضْنِ انْثَنِي مُتَوَجًّا بِالْبَدْرِ تَحْتَ لَمَّةٍ مِنْ غَمَقِ
اللَّهُ فِي نَفْسٍ مُعْنَى أَقْصَدَتْ مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ بِمَا لَمْ تُطَقْ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (والمسقم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (رمق ، نلتق) .

دع ما مضى منها وأدرك ما بق (١)
 إن ساعد الجفن رقيب الأرق
 أقر عيني وإن لم يصدق
 أصبح وقتي في يديه معتق (١)
 عن النصابي وفنون القلق
 نوابب الدهر مشيب المفرق
 منها بشكوى روعة أو فرق
 بابن الخطيب إلا من مما أتق (١)
 بدره علا في مغرب أو مشرق
 من صرفه من مرعد أو مبرق
 جواره (٣) الأمتع رخل أينق
 وأن مسمى بغيتي لم يخفق
 تناسبت في الخلق أو الخلق
 تبهرجت أنوار شمس الأفق
 عليه من نور السماح المشرق
 كالسيف في حدّ الظبا وازدهاق
 بوابل من غيث جود غدق
 ليل دجها عن سنى مؤتلق

أنى على أكثرها برح الأسي
 ولو بالمسام خيال في السكرى
 فرب زور من خيال زائر
 شفيت من برح الأسي لو أن من
 ففي معادة الليالي عائق
 وفي ضمان ما يعانى المرء من
 هذا لعمري مع أنى لم أبت
 فقد أخذت من خطوب غدورها (٢)
 فخر الوزارة الذى ما مثله
 ومن أرائيه زمانه لم أبل
 لاسيا مذ حططت في حيا
 أيقنت أنى في رجائى (٤) لم أخب
 ندب له في كل حُسن آية
 في وجهه مسحة بشر إن بدت
 تُعتبر الأبصار في لأتيا (٥)
 كالدهر في استينائه وبطشه
 إن يخل الغيث استهلّت يده
 وإن وشت صفحة طرس انجلا

(١) هكذا وردت كلها في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأتي (بى ، معتق ، اتق ، أينق) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . ووردت في الإسكوريال (دعره) . والأولى أنسب للمعنى .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (مقامه) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (رجا) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الألاء ما) .

بمثلها من حَبَرَات أُخْجِلت حواشي الرُّوضِ خُدُودِ المَهْرَقِ
 ما راق في الآذانِ أَشْناقِ سِوَى ملتَقِطاتِ لفظه المَفْتَرَقِ
 تودُ أَجِيادِ الغواني أن يُرى حَلِيهاً من درُّ ذاك المنطقِ
 فسَلَّ به هل آده الأمر الذي كَمَل في شَرخِ الشَّبابِ الموثِقِ
 إذا رأى الرأى فلا يخطئه يَمُنُّ اختيارِ للطريقِ الأوفِقِ
 أيه أبا عبد الإله ها كها عذراء تَحْشُو في وجوه السَّبِقِ
 خذها إليك بِكِرِ فِكْرِ بَزْدِرى لَدِيكَ بالأعشى لَدِي المُلْحَقِ
 لازلت مرهوب الجناب مُرتَجِي مَوْصُولِ عَزِّ في سَعُودِ تَرْتَقِ
 مَبْلَغُ الأمالِ فيا تَبْنِي مُؤَمِّنُ الأغراضِ فيا تَتَّقِ
 ناب في القيادة البحرية عن خاله القايد أبي علي الرُّنداحي ، ووُلَى أسطول
 المُنْكَبِ برهة . توفي بمراكش في عام خمسة وخمسين وسبعمائة رحمه الله .

محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمَلِ الأَسْلَمِي (١)

من أهل المربة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالبلياني .

حالُه

قال شيخنا أبو البركات ، ناب عني في بعض الأعمال بالمربة ، وخطب بِنحانِسِ
 من غربيها ، ثم خطب بجمعة مُرْشانة ، وهو الآن بها . وعقد الشروط قبل بالمربة .
 عفيفٌ طاهر الذليل . نبيل الأغراض . مهذب الأخلاق . قِيمٌ على القراءات ،

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» و«و» ولا في «د» .

والنحو والأدب ، جَيْدُ الشعر والكتابة (١) من الضبط ، وإجادة العبارة عن المعنى المراد .

تواليفه

قال ، له رَجَزٌ في علم الكلام جيد ، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب ، عَرِيٌّ عن الحشو ، على تَقْعِيرٍ فيه يُغْتَفَرُ لما جمع من اقتصاره ، وله تأليف في الوبا سماه بإصلاح النية في المسئلة الطاعونية .

مشيخته

قال ، أخذ عنى وعن أبيه جملة من الدواوين ، وعن غيرى من أهل بلده .

شعره

قال ، ومما أنشدنى من شعره قوله :

هَفا بى من بين المغانى عتيقها ومن بينه انفضت لعينى عتيقها
ومالت ليد قباه وأشرقنى بالدمع منها شروقها
يهيج أنفاسى غراماً نسيماً وتقدح نار الشوق عندى بروقها
ومن دون واديهما ظباً خوادل حكى لحظهما ماضى الشفاروقيةها
فلوبرزت الشمس منهن فى الضحى مخدرة أضحت كالأ تفوقها
نسيم الصبا أن سبرت نحو الحمى فقل تحي الديار النازحات تشوقها
غريب كيب مستهام منىم جريح الجفون الساهرات عريقها
فقل عطفة ترجى وهل أمل يرى بعودة أيام تقضى أنيقها
سقى وتعلم من أدمع الصب جودها من ديم الغيث الملتات ويقها

(١) مكانها بالخطوط كلمات مشوهة وممعاة .

قال وأنشدني أيضاً ، وقال كيفت إجازة هذا البيت الأول من هذه القصيدة ،

إذ ليس لي :

مَنْ عَادِي وَمَنْ نَاصِرِي وَمَنْصِفِي
أَوْ مَنْ يُخَلِّصُنِي وَقَدْ أَوْهَى صَحِيحُ
جَفْنُ تَحْيِيرِ وَالْهُوَى يُهْدِيهِ
مُتَنَاعِسُ يُهْدِي الشُّهَادَ وَيَصْرَعُ
تَبْدُو وَتَشْدُو لِلْعِيُونَ وَالْمَسَامِعُ
مَلَكَتْ بِصَنْعَتِهَا عِنَانِ عِنَانِهَا
تُعْنَى إِذَا غَنَّتْ بِطَيْبِ صَوْتِهَا
أَمَا تَغَنَّتْ أَوْ تَذَنَّتْ تَهْتَفُ
يَأْتِي عَلَى تَكَرُّرِ مَا عَنَّتْ بِهِ صَدَقًا
تُهْدِي لِلنَّفُوسِ عَلَى اخْتِلَافِ طِبَاعِهَا
كُنَّا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عِنَانِ نَاعِسُ
حَتَّى وَشَى بِالسَّرِّ دَهْرُ حَامِدِ
وَإِخْبَلْنَا إِنْ لَمْ أُمَّتْ يَوْمَ النَّوَى
لَسَكُنِي مِمَّا نَحَلْتِ وَذُبَّتْ لَمْ
كَمْ ذَا أَيْتِ وَإِسْ لِي مِنْ مُسْعَدِ
يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانَ وَصِرْفَهُ
صَبْرًا أَبَا يَمْقُوبِيهِمْ فَهِيَ النَّوَى

قال وأنشدني أيضاً لنفسه ، والبيت الأخير لغيره :

مَالِ الْأُجِيَّةِ فِي أَحْكَامِهِمْ جَارُوا
نَاوَا جَمِيعًا فَلَا خِيْلٌ وَلَا جَارُ

كيف البقا وقد بانَّت قبايهم
 حُداة تمسهم بالقلب قد رحلوا
 جار الزمان علينا في فراقهم
 ساروا فحيمت الأشواق بعدهم
 تراك ياربهم ترجو رجوعهم
 ودعت منهم شحوساً ما مطالعها
 أستودع الله من فاز الفراق بهم
 قلت ، ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة ، والله يقبض ويديسط ،
 وشافِعنا عرضُ الإكثار .

توفى في آخر أربعة وستين وسبع مائة .

محمد بن محمد بن حزب الله

من أهل وادي آش ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف باسم جدّه .

حاله

دَمَتْ ، متخلق ، سهل الجانب ، كثير الدُّعابة ، خفيف الروح ، له خطٌ حسن
 ووراقة بديعة ، وإحكام لبعض العملية ، واقتدار على النظم . اتصل بباب السلطان
 ملك المغرب ، وارتسم كاتباً مع الجملة ، فارتاش ، وحسنت حاله .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر^(١) بما نصه : واقم واشي ، رقيق الجواب
 والحواشي ، تزهى بنخه المهارق والطرّوس ، وتتجلى في حلل بدايعه ، كما تتجلى

(١) هو من كتب ابن الخطيب الصغرى . وقد سبق التعريف به .

العَرُوس ، إلى خَلْق كثير التَّجَمُّل ، ونفس عظيمة التَّحَمُّل . ودود^(١) سهل الجانب ،
عذب المذاذب . لما قُضيت الواقعة بطريف^(٢) ، أقال الله عثاها ، وعَجَّل
ثارها ، قذف به موج ذلك البحر ، وتفتت إفلات الهَدَى المقرب إلى النحر ،
ورمى به إلى رُنْدَة^(٣) القرار ، وقد عرى من أثوابه ، كما عرى الغرار ، فتعرَّف
للحين بأديبها المفلق ، وبارقها المتألق أبي الحجاج المُنْتَشَا فرى ، فراقه ببشر
لغايه ، ونَهَلَ على الظما في سِقَاتِه ، وكانت بينهما مخاطبات ، أنشدنيها بعد إيباه ،
وأخبرني بما كان من ذهاب زاده ، وسَلَب ثيابه .

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه : ولما دخلت رُنْدَة الأنيقة
البطاح ، المحتوية على الأدب والسَّامِح ، والعلم والصلاح ، أبرز القدر أن لقيت بها
شيخنا المَعْمَرُ رئيس الأدباء ، وقُدْوَة الفقهاء ، أبا الحجاج المُنْتَشَا فرى ، وكنت
لم أشاهده قبل هذا العيان ، ولا سَمَّح لي بلقاية صرفُ الزمان ، ولم أزل أكلَّفُ
بمقطوعاته العجيبة ، وأولع بضرايبه الغريبة ، وتأتى منه مخاطبات تُزرى بالعقود
بهجة ، وتطير لها العقود باجعة . نَظْمٌ كما تنفس الصبح عن نَسِيمِه ، ونثر كما
تأسس الدر بتنظيمه ، فأحاي منه محلَّ الروح من الجسد ، وشهد لي أنى أعزُّ
مَنْ عليه وَرَد ، ورواى قد ظهرت على مَضَاضَة الا كَتِيَاب ، لكوني قريبُ عهدٍ
بالإيب ، مهزوماً انهزام الأَحْزَاب ، خالى الوطاب ، نَزْر الثياب ، فقال فيم
الجزع ، ذهب بحول الله الخوف ، وأمِنَ الفزع ، فأجبتُه عَجَلًا ، وقلت
أخاطبه مرتبجلاً .

(١) وردت في المخطوط (وود) وبالنصوب يستقيم المعنى .

(٢) سبق أن عرفنا بموقعة طريف ، وهي التي نشبت بين المسلمين والنصارى على ضفاف
نهر - لادو على مقربة من طريف في سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وعزم فيها المسلمون هزيمة فادحة
(راجع ص ١٨٠) .

(٣) هي من قواعد الأندلس الحادثة ، وتقع في شمال المنث الإسباني ، غربي مالقة ،
وجنوبي نهر وادى لكه . وقد سقطت في أيدي النصارى في سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) .

لا تُجزعني نفسى لفقْد معاشرى
ورُندةِها أنتِ خير بلادِه
سُيرِكِ حُسنُ فرايدِ من نظمه
فأجابني مرتبجلاً :

سُراي يا قلبى المشوق وناظرى
روضُ المعارفِ زهرها الزاهى
ولو ادِ آسٍ فخر لم يزل
وافى يُشرفُ رُندةً بقدمه
من روضةِ الأديباءِ أبدى زهرة
جمع المآثرِ بالسَّنةِ وبالسنِّا
مازلت أسمع من ثناءِ مآثرِ
حتى رأى بصرى حقائق وصفه
لا زال محبوباً بكل مسرَّة
ثم خاطبه القاضى المنتشافى بعد انصرافه إلى وطنه بقوله :

أبى اللمع بعدك إلا انفجاروا
أذاق اللقاهِ الحلو لو لم يصل به
رعى الله لَمَحَ ذاك اللقاهِ وإن
قصاراي شكواى طول النوى
سَقَدَ القِداحِ من بعده
ألا يا صَباباً هُبْ من أربعى
ألا خُصَّ من رَبْعها منزلاً
لدهر بيُمدك فى الحُكم جارا
للنوى جَرعاتٍ مُراوا
بِكُ أشواقنا قد أثاراً
وفقدى أناة وصل قِصاراً
فوادى القريح قد أذكت أوارا
إلى وادِ آسٍ تُحبي الديارا
بأوابيه الأكرمين استنارا

وهم إلى حزبِ إلاته الألى
فأجابه بأبيات منها :

تساموا كخاراً وطابوا نجاراً
فأجج إذ لاح في القلب ناراً
تألق بَرَقُ العُلا واستناروا
وذكرني وقت أنسٍ مضاً بُرُندة
حيث الجلال استشارا
طوالا فأصبحت لديها قصاروا
وكانت لِنَفْسِي سَنًا في حماها
فأجريت دمع العيون اشتياقاً
ففاضت لأجل فراقى بحارا
وقالت لى النفس من لم يجد
نصيراً سوى الدمع قل انتصاروا
قطعتُ المُنَا عندها لمحمة
وودعتها وامتطيت القفاروا
وضيمنت تلك المُنَا غفلة
ووافيت أبني نابس دياروا

ومنها :

أرقتُ لَذاكَ السَنا ليلة
وجسى أجلُ الجسوم التهابا
وما نومها ذقتُ إلا غرارا
إلى أن تجمعت كأس النوى
وقلت زمانى على الشمل جلوا
وصبرتُ نَفْسِي لِفِقْدَانِهَا
وقلبى أشدُّ القلوب انكيارا
هنالك بالرغم ليس اختيارا

وقال من قصيدة :

حللتُ لبرق لاح من سرحتى نَجْدُ
وقلت لعل القلب تبرا كلومه
حين تهاى تمحنُ إلى نجد
إن شاركتني في المحبة فرقة
ومن ذا يصدُّ النار عن شيمة الوقد
فها أنا فى وجدى وفى كلنى وجدُ

وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة .

محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري (١)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن عيسى

حاله

كان أديباً ، حسن الخط ، جيد النظم ، متظرفاً ، لودعياً ، مطبوعاً ، مُنحطاً في هواه ، جامعاً في ميدان بطالته ، معاقراً للنبيذ ، على حفظ للرسم ، واضطلاع بالخدمة ، وإيثار للمروءة ، ومعرفة بمقادير الأمور ، وتشبث بأذيال الحظوة . كتب للرياسة السعيدية بمالقة ، ونظر على ألقاب جبايتها ، وانتفع الناس بجاهه وماله ، ووقع الثناء على حسن وساطته . ثم سافر عنها ، وقد سمّت بجادة السلطان في غرض انتقالها إلى المدونة ، معوضة بمدينة سلا من مالقة . وكان ما كان من معاملة الأمر ، والقبض على الرئيس ، وقيام ولده بالأمر ، فأنبت المذكور بالمدونة ، وكانت بها وفاته .

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه : [عَلمٌ]^(٢) من أعلام هذا الفن ، ومشعشعي راح هذا الدن ، بمجموع أدوات ، وفارس يراعة ، ظريف المنزع ، أنيق المرأى والمسمع ، اختص بالرياسة ، وأدار فلک إمارتها ، واتسم باسم كتابتها ووزارتها ، ناهضاً بالأعباء ، راقياً^(٣) في درج التقريب والاجتباء ، مُصانفاً دهره في راح وراحة ، آوياً إلى فضل وسماحة ، وخضب سماحة ، كلما فرغ من شأن خدمته ، وانصرف عن ربّ نعمته ، عقد شرباً^(٤) ، وأطفاً من الاهتمام

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال . ولم ترد في «ج» و«ذ» «الزيتونة» .

(٢) تزييدة من نفع الطيب .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ صاعداً .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نسخ (تربا) والأولى أنه ب اللهم والسياق .

بغير الأيام حرباً ، وعكف على صوت يستعيده ، وظرف يديه ويعيده . فلما تهللت
بالرياسة الحال ، وقوضت منها الرحال ، استقر بالمغرب غريباً ، يقلب طرفاً مستريباً ،
ويلحظ الدنيا تبعه عليه وتريباً ، وإن كان لم يهدم من أمرائها حظوةً وتريباً ،
وما برح يبوح بشجنة ، ويرتاح إلى عهد وطنه .

شعره وكتابه

مما كتبه ، وبين فيه أدبه قوله :

يا نازحين ولم أفارق منهم شوقاً تأجج في الضلوع ضرامه
غيبتم عن ناظري وشخصكم حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شملى فشئت نظمه^(۱) والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فينا وجداً مبالغا وجرت بمحكم جوره أحكامه
أترى الزمان مؤخرأ في مدنى حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملها يا نسيم نجدية النفحات . وجدية اللفحات ، يؤدي عن نعمها^(۲) إلى
الأحبة سلاماً ، ويورد عليهم لفتحها برداً وسلاماً ، ولا تقل كيف تحملنى ناراً ،
وترسل على الأحبة منى إعصاراً . كلا إذا أهديتهم تحية إينامى ، وأنسوا من
من جانب هبوبك^(۳) نار ضرام أنفاسى ، وارتاحوا إلى هبوبك ، واهتزوا في
كف مسرى جنوبك ، وتعللوا بها^(۴) تعليلاً ، وأوسعوا آثار مهيبك تقيلاً ،
أرسلها عليهم بليلاً ، وخاطبهم بلطافة تاعظك تعليلاً . ألم ترونى كيف جتكم
بما حملنى عليلاً .

(۱) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شمله) .

(۲) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(۳) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (حقوقك) . والأولى أنسب للمعنى والسياق .

(۴) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (بك) .

كذاك تركته مُلقَى بأرض له فيها التعلُّل بالرياح
 إذا هبَّت إليه صبا إليها وإن جاءت من كل النواح
 تساعده الحمام حين يبكي فما ينفكُ موصول النباح
 يخاطبن مها طرن شوقاً أما فيكنَّ واهيةُ الجناح

ولولا تعلقه بالأمانى ، وتحدثت نفسه بزمان التَّدانى ، لكان قد قضى نَجْمه ،
 ولم آبلُفكم إلا نَعْييه أو نَدْبِه ، لا كنهه يتعلل من الآمال بالوعد المَمطول ،
 ويتطَّرح^(١) باقتراحاته على الزمن المجهول ، ويحدث نفسه ، وقد قنعت من برُوق^(٢)
 الآمال بالخُلب ، ووثقت بمواعيد الدهر القُلب : فيناجيتها بوحى ضميره ، وإيماء
 تصويره ، كيف أجِدك يوم الالتقاء بالأحباب ، والتخلُّص من رِبقة الاغتراب ،
 أبائنة الحضور أم بادية الاضطراب . كأننى بك وقد استفزك وله السرور ، فصرفك
 عن مشاهدة الحضور ، وعاقنتك غشاوة الاستعبار للاستبشار ، عن اجتلاء محيا
 ذلك النهار .

يوم يداوى زماناتى من أزمانى أزر^(٣) تنغيص أحيانى فأحيانى
 جعلتُ لله نذراً صومه أبدأ أنى به وأوفى شرط إيمانى
 إذا ارتفعنا وزال البُعد وانقطعت أشطان دهر قد التفت بأشطانى
 أعدده خير أعياد الزمان إذا أوطانى السعد فيه تُرب أوطانى

أرأيت كيف ارتياحى إلى التذكار ، وانقيادى إلى معاللات توهمات الأفكار ،
 كأن البُعد باستغراقها ، قد طويت شقته ، وذهبت عنى مشقته . وكأننى بالتخيل
 بين تلك الحمائل أتسم صباها ، وأتسم رباها . وأجنى أزهارها . وأجتلى

(١) هكذا فى النسخ وفى الإسكوريال (بطارح) والأدب فى أنسب المعنى .

(٢) هكذا فى النسخ . وفى الإسكوريال (بروق) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى النسخ (أزان) .

أنوارها ، وأجول في خمايلها . وأتعمم بيكرها وأصايلها ، وأطوف بعالمها .
 وأتنشق أزهار كإيمها . وأصيح بأذن الشون إلى سنجع حمايمها ، وقد داخلتني
 الأفراح ، ونالت مني نشوة الارتياح . ودنا الشرور لتوسم (۱) ذهاب الأتراح . (۲)
 فلما أفقت من غمرات سُكري ، ووثبت من هفوات فكري ، وجددت مرارة
 ما شابه أبي في استغراق دهرى . وكأني من حينئذ عالجت وقفة الفراق . وابتدأت
 منازعة الأشواق . وكأنا أغمضتني للنوم ، وسمح لي بتلك الفكرة الحلم :

ذَكَرَ الدِّيَارَ (۳) فَهَاجَهُ تَذْكَارُهُ وَسَرَّتْ بِهِ مِنْ حِينِهِ أُنْكَارُهُ
 فَاحْتَلَّ مِنْهَا حَيْثُ كَانَ حُلُولُهُ بِالْوَهْمِ فِيهَا وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُ
 يَا قُرْبَ الْأَمَالِ مِنْ هَفْوَاتِهِ لَوْ أَنَّهُ قَضَتْ بِهَا أَوْطَارُهُ

فإذا جيتها أيها القادم ، والأصيل قد خلع عليها برداً مُورساً ، والربيع قد
 مدَّ على القيعان منها سُندساً ، اتخذها فديتك مُعرساً . واجرر ذبولك فيها
 تَبَخُّراً ، وبت فيها من طيب نَفحاتك عذيراً ، وافق عليها من نوافح أنفاسك
 مِنْكَ أذفراً ، واعطف بعاطف بانها ، وارقص قُصْب ربحانها ، وصافح صنفحات
 نهرها ، وناجح نَفحات زهرها . هذه كلها أمارات ، وعن أسرار مقاصدى عبارات ،
 هنالك تنتمش بها صبايات ، تعالج صبايات ، تتعامل بإقبالك ، وتمكف على لثم
 أذبالك ، وتبدو لك في صفة الغاني المتهالك ، لاطفها بملذافة اعتلاك ، وترفق
 بها ترفق أمثالك ، فإذا أمالت بهم إلى هواك الأشواق ، ولووا إليك الأرواس
 والأعناق ، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق . وتقلي بين الأشام والأعراق ، فقل
 لهم عَرَضْ لَهُ (۴) فِي أَسْفَارِهِ ، مَا يَعْضُ لِلْبَدْرِ فِي سَرَّارِهِ ، مِنْ سِرِّ السَّرَارِ ، وَطَاقِ

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخة (النوم)

(۲) وردت في الإسكوريال (الانتزاح) والتصويب من النسخة

(۳) هكذا وردت في النسخة وفي الإسكوريال (الغيب) والذوق - المعنى

(۴) هكذا في النسخة وفي الإسكوريال (هم)

المُحَاق ، وقد تركته وهو يُسامر الفرقَدين . ويُسائر النُّيرين ، وينشد إذا راعه
البَيْنُ :

وقد نسكون وما يُخشي^(١) تفرُّقنا واليوم نحن وما يُرحى تلاقينا
لم يفارق وعشاء الأسفار ، ولا ألقى من^(٢) يده عصا التسيار ، يتهاداه للغور
والنَّجد . ويتداوله الأرقال والوخذ . وقد لفحته الرَّمضاء ، وسيمه الإنضاء . فالجهاث
تلفُّظُه ، والآكام تُبهظه . تحمل هومَه الرِّواسم ، [وتحنى به النِّواسم]^(٣) .
لا يستقرُّ بأرض حين يبلُغها ولا له غير حدِّو العيس إيناس
ثم إذا استوفوا سؤالك عن حالي ، وتقلبي بين حالي^(٤) حلي وترحالي ،
وبلغت القلوب منهم الحناجر ، وملأت الدموع المحاجر ، وابتلت ذبولك بمائها ،
لا بل تضرَّجتُ بدمائها . فخيَّمتُ عني تحية مُنفصل . وودَّعهم وداع مُرتحل . ثم
اعطف عليهم ركابك ، ومهد لهم جنابك ، [وقل لهم]^(٥) إذا سألتني عن المنازل
بغد سُكَّانها ، والرُّبوع بعد ظنِّ أظمانها ، بماذا أجيبه ، وبماذا^(٦) يسكن
وجيبه . فسيقولون لك هي البلاقيعُ المُقفرات التي أصبحت نكرات .
مَمَّ صَداها وَعَفَى رَمُّها واستعجمت عن منطق السائل
قل لهم كيف الرُّوض وآمه ، وعمَّذا^(٧) تتأرجح أنفاسه ، عهدي به والكمامُ يردد

(١) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (ولا) والأولى أنسب للسياق .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (عن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، ووردت في النسخ (وتحيتاه البواسم) .

والأولى أكثر تشابهاً مع المعنى والسياق .

(٤) هذه الكتابة: أئدة في الإسكوريال .

(٥) هذه الكتابة: من النسخ .

(٦) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وبماذا) . والأولى أنسب للسياق .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعمَّذا) . والأولى أنسب للمعنى .

أَسْجَاعِهِ، وَالذُّبَابُ يَفْنَى بِهِ هَزِجًا، فَيَحْكُ بِذِرَاعِهِ ذِرَاعَهُ، وَغُصُونُهُ تَمْتَنِقُ، وَأَحْشَاءُ
 جِدَاوِلِهِ تَصْطَفِقُ، وَأَمْحَارُهُ تَتَنَسَّمُ، وَأَصَالُهُ تَمْتَبِقُ^(١). كَمَا كَانَتْ بَقِيَّةَ نَضْرَتِهِ،
 وَكَمَا عَهْدَتِهَا أُنَيْقَةَ خُضْرَتِهِ، وَكَيْفَ التَّفَاتَةَ عَنْ أَرْزَقِ زَهْرِهِ، وَتَأْتِيهِ فِي تَكْلِيلِ
 أَكْلِيلِهِ بِيَانِعِ زَهْرِهِ. وَهَلْ رِقُّ نَسِيمِ آصَالِهِ، وَصَفَتْ مَوَارِدَ جِدَاوِلِهِ، وَكَيْفَ
 انْفِسَاحُ سَاحَاتِهِ، وَالتَّفَافُ دَوَّحَاتِهِ، وَهَلْ تَمْتَدُّ كَمَا كَانَتْ مَعَ الْعَيْشِيِّ فَيُنَاثَةِ
 سَرَحَاتِهِ. عَهْدِي بِهَا، الْمَدِيدَةُ الظَّلَالُ، لِلزَّعْفَرَةِ السَّرْبَالِ، لَمْ تُحْدَقِ الْآنَ بِهِ
 عَيْونُ تَرْجِسِهِ، وَلَا مُدَّ بِسَاطِ سُنْدِسِهِ. وَأَيْنَ مِنْهُ مَجَالِسُ لَذَاتِي، وَمَعَاهِدُ غَدَاوَاتِي
 وَرَوَّحَاتِي، إِذْ أَبَارِي فِي الْمَجُونِ لِمَنْ أَبَارِي، وَأَسَابِقُ إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ مَنْ يُجَارِي.
 فَيَقُولُونَ لَكَ ذَوْتَ أَفْنَانِهِ، وَانْقَصَتْ أَغْصَانُهُ، وَتَكَدَّرَتْ غُدْرَانُهُ، وَتَغَيَّرَ
 رِيحُهُ وَرِيحَانُهُ، وَأَقْفَرَتْ مَعَالِمُهُ، وَأُخْرِسَتْ كُحَايِمُهُ، وَاسْتَحَالَتْ بِهِ حُلُلُ خَيَالِهِ،
 وَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُ بُكْرِهِ وَأَصَابِلِهِ. فَإِنْ صَلَّاهُ حَنِينٌ رَعْدِي، فَعَنَ قَلْبِي لِفِرَاقِهِ خَفَقُ،
 وَإِنْ تَلَّاهُ بَرْقُ، فَعَنَ حَرَّ حَشَايَ اتْتَلَقُ، وَإِنْ سَحَّتْ السُّحُبُ فَمُسَاعَدَةٌ كَلْفَتِي،
 وَإِنْ طَالَ بِكَأْوِهَا فَعَنِي، حَيَاةَ اللَّهِ مَنَازِلَ لَمْ تَنْزَلْ بِمَنْظُومِ الشَّمْلِ أَوَاهِلِ. وَحِينَ
 انْتَثَرَتْ نُثِرَتْ أَزْهَارُهَا أَسْفَا، وَلَمْ تُثْنِ الرِّيحُ مِنْ أَغْصَانِهَا مِعْطَفًا، أَعَادَ اللَّهُ الشَّمْلَ
 فِيهَا إِلَى مُحْكَمِ نِظَامِهِ، وَجَعَلَ الدَّهْرَ الَّذِي فَرَّقَ يَتَأَنَّقُ فِي أَحْكَامِهِ. وَهُوَ سَبْحَانَهُ
 يَجْبُرُ الصَّدْعَ، وَيَجْعَلُ الْجَمْعَ، إِنَّهُ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. إِلَيْهِ بَنِي
 كَيْفَ حَالٍ مِنْ اسْتَوْدَعْتَهُمْ أَمَانَتَكَ، وَالزَّمْتَهُمْ صَوْنَكَ وَصِيَانَتَكَ، وَالْبَسْتَهُمْ
 نَسَبَكَ، وَمَهَدْتَ لَهُمْ حَسَبَكَ، اللَّهُ فِي حِفْظِهِمْ، فَهُوَ اللَّائِقُ بِفِعَالِكَ، وَالْمُنَاسِبُ
 لِشَرَفِ خِلَالِكَ، إِزْعَلَهُمُ الْإِغْتِرَابَ لَدَيْكَ، وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْكَ، فَهُمْ أَمَانَةُ اللَّهِ

(١) كَمَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ. وَوَرَدَتْ فِي النَّفْحِ (تَنْوِيمٍ). وَالْأَوَّلُ أَذْكَرُ تَمْشِيًا مَعَ

[تعالیٰ]^(۱) فی یدیک ، وهو سبحانه یحفظک بحفظهم . ویوالی بلحظک أسباب لحظهم ، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال ، فنعم الله ممتدة الظلال ، وخیراته^(۲) ضافية^(۳) السربال ، لولا الشوق الملائم ، والوجد الذي سكن الحیازم .

ووقتت من شعره علی قصیده من جملة رسالة ، أثبتتها وهي :

واللورق تشدو وتسهل السوايح	اللبرق يبدو تسطير الجوانح
ووجدی للورق الشکالی مطارح	وقلبی للبرق الخفوق مساعده
فللوجد فی زند الصباية قادح	إذا البرق أوری فی الظلام زنادی
أغاد بها شکوی الجوی وأراوح	وكم وقفة لی حیث مال بی الهوی
ویکثر بنی عندها فاساح	تنازعنی منها للشجون فاشتکی
ویسعدنی فیما تبیح التبارح	أبت شجونی والحمام یصبح لی
إلی صفحة النهر الثقیل تصافح	وتطرب أغصان الأراك فتنثنی
فهدی إليها عرفها وتنافح	فتبتسم الأزهار منها تعجباً
وطرفی أبدي هزة وهو مارح	كذلك حتی ماد عطف شفنی
فقلت أمثلی یشکی الوجد ناج	فلما التظی وجدی ترتم صاهلاً
وقلت له ثمر فإنی ساج	صرفت عدو البید أرخو عنانه
سیلقاك غیظان بها وممايح	تہیا لقطع البید واعتسف السری
بمئلی تلقى هذه وتكافح	لختم لو یستطیع نطقاً لقال له
فقام به مستقبلاً من یناطح	وحلته عزماً تمود مثله
سوی جلد لا یتقی منه فاضح	ویمت بیداً لم أصحاب لجوها

(۱) هذه الزيادة من النسخ .

(۲) مكذافی النسخ . وفي الإسكوريال (وغیره) .

(۳) مكذافی الإسكوريال . وفي النسخ (وارفة) .

وماضي الغرايين استجدت مضاہ
ومندجٌ صدق الأنايب نافذٌ به
وميرتٌ فلا ألقى سوى الوحش نافرأ
تُحدق نحوي أعيننا لم يلح لها
وقد زارت أسدٌ تقحمت غيلها
وكم طاف بي للخبر من طائف بها
ويعرض لي وجهاً دميّاً ومنظراً
فما راعى منه تلون حاله
فلما اكدست شمس العشي شجوبها
تسرّبت للإدلاج جنح دجنة
فخضت ظلام الليل والنجم شاخص
يرده شزراً إلى كائنا
وراقب من شكلي السماء نظيره
يخط وميض البرق لي منه أسطراً
إذا خطها ما بين عيني لم أزل
ومازلت سرّاً في حشي النبل كما مناً
وهب نسيم الصبح فانمطفت له
بمجادب ذكري أحاديث لم أزل
وميلت إلى التعريس لما انقضى السرى
ومال الكرى بي ميلة مسكنت لما
كم أخذت منه الشمول بثارها
وقربت الأحلام لي كل ما مل

إذا جرّدت يوم الجلال الصفايح
عند كرى في الحروب أفاع
وقد شرّدت في الظبا السواح
سناً لك أسنى ولا هو لايح
فقلت تماوت إنها لنواجيح
فلم أصيغ سمماً نحوها وهو صايح
شنيعاً له تبدو عليه القبائح
بل أيقظ عزمي فأنشئ وهو كالح
ومالت إلى أفق الغروب تنازح
فها أنذا غرسي إلى القصد جامع
إلى بلخط طرفة لي لايح
على له حقة به لا يسامح
خلا لزمكلى أعزل وهو رايح
على صفحة الظلماء فهي لواجيح
أكلّف دمي نحوها فهو طامح
إلى أن بدا من ناسيم الصبح فأيح
قدود غصون قدرقتها صواح
يردّها مني بحمد ومازح
أروض له نفسي وعزمي جامع
على نصب الوعشاء مني الجوارح
فبات يشقى وهو ريان طافح
فأدنته مني وهو في الحق نازح

أرتنى وجوهاً لو بذلتُ لقرَّبها
 أقلُّ لها عمرى وما ملكتُ يدي
 وما زلتُ أشكو بيننا غصص النوى
 ففهمنا ثغوراً للشُّرورِ بواسمِ
 تُقرِّبها الأحلامُ مِنِّي ودونها
 وبجرُّ طمَّت أمواجه وشآيب
 قضيتُ حقوق الشوق في زورة
 يُقرِّن آمالاً تباعدُ بينها
 فلما تولى عنى النومُ أعقبَت
 وعُدتُ إلى شكوى البلاء ولم أزل
 وما بلغتُ عنى مشافهة الكرى
 وحسبُك قلبٌ في أسارِ اشتياقة

حياتي لمن بالقرب منه يساح
 وحدثت نفسي أن تجرى راجح
 وما طوَّحت بي في الزمان الطوايح
 لقربه ومنها للفراق نوايح
 مهابة فيها للهجير لوافح
 وقفر به للسالكين جوامح
 للكرى فإن زيارات الكرى لموايح
 وتمبث فيها للنفوس الطوايح
 هموم أثارها الشجون فوادح
 أرددها والمدر منى واضح
 تبلغها عنى الرياح اللوافح
 وقد أسلمته في يديه الجوامح

وفاته

قال شيخنا أبو بكر بن شبرين ، توفى بسجلماسة في صفر عام
 ستة عشر وسبعماية .

محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل

من أهل مالقة ، يكنى أبا بكر .

(١) وردت هذه الترجمة فقط في الإسكوريال ، ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

حـالہ

من کتاب الإِکلیل : نابغة مالقیة ، وخلف وبقية ، ومغربي الوطن أخلاقه
 مشرقية . أزمع الرحيل إلى المشرق ، مع اخضراو العود ، وسواد المفرق ، فلما
 توسّطت السفينة اللجج ، وقارعت الثبج ، مال عليها البحر ، فسقاها كأس الحمام ،
 وأولدها قبل التمام ، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها ، وانضم على نوره
 سوادها ، جملة من الطلبة والأدباء ، وأبناء السراة الحسباء ، أصبح كل منهم
 مطيعاً لداعي الردى وسميعاً ، وأحيوا فرادى وماتوا جميعاً ، فأجرُوا الدموع حزناً ،
 وأرسلوا العبرات عليهم مژنا . وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدّها ،
 وأحال هضبة سفينتهم وهدّها ، غار على نفوسهم النفيسة واستردها . والفقير
 أبو بكر ، مع إكثاره ، وانقياد نظامه ، ونشاره ، لم أظفر من أدبه إلا بالقليل التافه ،
 بعد وداعه وانصرافه .

فمن ذلك قوله وقد أبصر فتى عائراً :

ومُهْهَف هافي المعاطف أحورُ
 زلت له قدم فأصبح عائراً
 لو كنت أعلم ما يكون فرشت في
 وقال متغزلاً :

أيا بني الرفاء تُنضي (١) ظباؤهم (٢)
 لقد قطع الأحشاء منهم مههف
 يسدّد إذ يرمي قسي حواجب
 وتُسَمّي عيناه وهي سقيمة
 جفون ظباؤهم والفؤاد كليم
 له الثبر خدّ واللجين أديم
 وأسبها من مقلتيه نسوم
 ومن عجب سقم جناه سقيم

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تمضي) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ظباؤهم) .

ويذبلُ جسي في هواه صبايةً وفي وصله للعاشقين نعيم
توفي في حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة غريقاً بأحواز الغبطة
من ساحل المربة .

محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي (١)

ولد الشيخ أبي الظاهر ، من أهل مالقة .

من كتاب الإكليل : نبيلٌ فنان ، متحرك ذهن ، كان أبوه رحمه الله ،
يتبرم بمجداله ، ويخشى مواقع رشق نباله ، ويشيم بأوق الاعتراض في سؤاله ،
فيشتق من اختلال خلاله ، إذ طريقه إنما هي أذواق لا تشرح ، وأسرار لا تفضح .
وكان ممن اخترم ، وجدَّ حبلُ أمله وصرم ، فأفل عقب أبيه ، وكان له أدب
يخوض فيه .

فمن ذلك ، وقد أبصر فتى وصيا على ربحانه :

بدرٌ تجلَّى على غصن من الآس يُبْرِى وَيُسْتَمُّ فهو المعرض الآسى
عادي المنازل إلا القلب منزلة فماله وجميع الناس من ناس

وقال :

يا عالماً بالسُّر والجهر وما جأى في العُسر واليسر
جدُّ لي بما أمِلته منك يامولاي واجبرُ بالرُّضا كسرى

وفاته : في عام خمسة وسبعمائة .

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في "ج" ولا «الزيتونة» .

محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوى^(١)

من أهل المريّة ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بنسبه ، وقدم ذكر أبيه

في العمّال .

حالہ

هذا الرجل من أبناء النعم ، وذوى البيوتات ، كثير السكون والحياء ، آل به ذلك أخيراً للوثة ، لم يستفق منها لطف الله به . حسن الخط ، مطبوع الأدب ، سيال الطبع ، معينه . وناب عن بعض القضاة ، وهو الآن رهين ما ذكر ، يتمنى أهل وفاته ، والله وليّ المعافاة ، بفضله .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أولى الخلال البارعة والخصال ، خطأ رايقا ، ونظما بمثله لايقا ، ودُعابة يسترها مجهم ، وسكوتاً في طيه إدراك وتمهم . عُنى بالرواية والنقييد ، ومال في النظم إلى بعض التوليد ، وله أصالة ثبتت في السمر وعروقها ، وتألقت في سما المجادة بروقها ، وتصرف بين النيابة في الأحكام الشرعية ، وبين الشهادات العملية المرعية .

شعره

ومن شعره فيما خاطبني به ، مهنثاً في إعدار أولادى أسعدهم الله ، افتتح ذلك

بأن قال .

قال ، يعتنر عن خدمة الإعدار ، ويصل المدح والثنا على بُعد الدار ، وذلك^(٢)

بتاريخ الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعمائة :

(١) هذه الترجمة واردة فقط في الاسكوريال . ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

(٢) ورد في المخطوط (ولان) وهو تحريف اقضى التصويب .

لا عُدُولِي عن خِدْمَةِ الإِعْدَارِ
 أو عَاتِي عَنْهُ الزَّمَانُ وَحِرْفُهُ
 قد كنت أرغب أن أفوت بخدمتي
 باب المسرة بالضيع وأهله
 من شاء أن يلقي الزمان وأهله
 فليأتِ حِيَّ ابن الخليل ملبياً
 كم ضمُّ من جيدِ كرام فضلهم
 إذ حيث ناديه فقف عني
 يا من له الشرف القديم ومن
 يُهنيك ما قد نلت من أمل به
 نَجْلَاك قُطْبَا كل تَجْرٍ باذخ
 عبد الإله وصنوه قمر العلا
 ناهيك من قرين في أفق العلا
 زاكي الأرومة مفرق في مجده
 رقت طبايحه وراق جماله
 وجلت شمائل حسنه فكأنما
 فإذا تكلم قلت ظل ساقط
 أوفت مسك الخبر في قرطاسه
 تنسم الأقلام بين بنانه
 فتخال من تلك البنان كأنما
 وإن نأى وطني وشطّ مزارى
 تقصُّ الأمان عادة الأعصار
 وأخطر حلي عند باب الدار
 متشمرّاً فيه بفضل إزار
 ويرى جلا الإشعاع^(١) في الأفكار
 فيفوز بالإعظام والإكبار
 يسو ويعلو في ذوى الأقدار
 وقل نلتُ المني بتلطف ووقار
 له الحَبُّ الصميم المدُّ يوم فجار
 في الفرقدين النيرين يسار
 أملان مرجوان في الاعتبار
 فرعان من أصل زكا وبحار
 ينميها نورٌ من الأنوار
 جم الفضائل طيب الأخبار
 فكأنما خلقا من الأزهار
 خلعت عليه رقة الأسحار
 أو وقع درٌّ من نُحُورِ جوار
 بالروض غبُّ الواكف المدرار
 فيريك نظم الدرِّ في الأسطوار
 نهلت تفتح ناصر النور

(١) وردت في المخطوط (الإشعاع)، وبالتصويب يستقيم المعنى والسياق.

تلقاه فيأض الندى متهللاً
بحر البلاغة قسبها وأياؤها
إن ناظر العلماء فهو أمامهم
أرْبَى على العلماء بالصيت الذي
ماضره إن لم يجيء متقدماً
إن كان أخره الزمان لحكمة
الشمس تحجب وهي أعظم تبر
يا ابن الخطيب خطبتها لعلامكم
جاءتك من خجل على قدم الحيا
وأنت تؤدي بعض حق واجب
مدت يد التأميل نحو علامكم
فابذل لما في النقد صفحك إنها
لازلت في دعة وعز دايماً

ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها :

تبسم ثغر الدهر في القضب للمد
ونبه وقع الطل الحاظ نرجس
ونم سبر الروض في مسكة الدجا
وغطى ظلام الليل حمره أفته
ويأت قلوب الشهب تخفق رفة
وأهمى علي الغيم أجنان مشفق
ومنها

فأذكي الحيا خجلة وجنة الورد
فقال الوثمان وعاد إلى الشهد
نسيم شذا الخير كالمسك والند
كما دار مسود العذار على الخد
لما حل بالمشاق من لوعة الوجد
بذكره فاستمطر الدمع للخد

غداة افترقنا والنوى رُندها يُمدُّ
لعلني أبثك وجدى إن تمر على نجد
سوى الملك المنصور في الرفق والرؤد

وحلوني ولو بطيف خيال
لست أنفك إلا عن عقال
وفؤادي من سحر كم في اشتغال
حبي بما قد جر... (١) ال
حلل الحجر بعد طيب الوصال
طال منه الجوى بطول الليال
ورماه من غنجه بنيسال
قصده في النوى بذاك النحال
مذروى في الغرام باب اشتغال
غير تاج العلاء وقطب الكمال
المجد بذر أفق الجلال
هو شمس الهدى فريد المعال
صفحة الطرس حليت باللال
راية الصبح في ظال الضلال
صادق العزم ضيق المجال
جل في الدهر يا أخي عن مثال
لا لجدوى ولا لنيل نوال

كأني لم أقي في الحى وقفة عاشق
وناديت حادى العيس عرج
فقال أتيد يا صاح مالك ماجأ
ومما خاطبني به قوله :

علموني ولو بوعد محال
واعلموا أني أسير هواكم
فدموعي من بينكم في انسكاب
يا أهيل الحى كفاني غرامى
من مجبرى من لحظ ريم ظلوم
ناعس الطرف أسمر الجفن منى
يا بلى اللحاظ أصمى فؤاده
وكسا الجسم من هواه نحولا
ما ابتدا في الوصال يوماً يعطف
ليس لى منه في الهوى من مخبر
علم الدين عزه وسناه ذرورة
هو غيث النداء وبجر العطايا
إن وثقى في الرقاع بالنقش قلنا
أو دجا الخطب فهو فيه شهاب
أوينا العصب فهو في الأمن ماض
لست تلقى مثاله في زمان
قد نأى حبي له عن ديارى

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال يتخللها البياض .

لكن اشتقت أن أرى منه وجهاً نوره فاضحٌ لنور الهلال
وكما همت فيه أتم كفاً قد أتت بالنوال قبل السؤال
سألها ابن الخطيب هذراً أجابت تلمّ النعل قبل شنع النعال
وتوفى حقّ الوزارة عمن هو ملكٌ لها على كل حال

محمد بن محمد بن الشُّديد^(۱)

من أهل مالقة ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

ذكر في الإكليل بما نصه : شاعر مجيد ، حوَّك الكلام ، ولا يقصر فيه
عن درجة الأعلام . رحل إلى الحجاز لأول أمره ، فطال بالبلاد المشرقية نواؤه .
وعُميت أنباؤه . وعلى هذا العهد وقفتُ [له] على قصيدة بخطّه غرضها نبيل ،
ومرعاها غير وبيل ، تدل على نفس ونفس . وإضاءة قبس . وهي :

لنا في كل مكرمة مقام ومن فوق النجوم لنا مقام
روينا من مياه الحمْد لما وردناها وقد كثر الزحام
ومنها :

فنحن همُّ وقل لي مَنْ سوانا لنا التّقديم قُدماً والكلام
لنا الأيدي الطوال بكل ضرب يهزّ به لدى الروح الحسام
ونحن اللابسون لكل درع يصيبُ الشمس منهنّ انشلام
بأندلس لنا أيام حرب موافقهن في الدنيا عظام

(۱) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط . وقد نقلت عن الإحاطة نبذة في ترجمة
المذكور جاء فيها أنه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجياني الأصل ثم المالقي . ثم نقل عنه
بعد ذلك ما أورده ابن الخطيب في الإكليل (النسخ ج ٤ ص ٤٢٥) .

تُؤَى مِنْهَا قُلُوبُ الرُّؤْمِ خَوْفًا
 كَحَمِينَا جَانِبَ الدِّينِ احْتِسَابًا
 وَتَحْتَ الرَّايَةِ الْحَمْرَاءِ مَنَّا
 بَنُو نَصْرٍ وَمَا أُدْرَاكَ (١) مَا هُمْ
 لَهْمُ فِي حَرْبِهِمْ فَتَكَتْ عَمْرُو
 يَقُولُ عِدَاتُهُمْ مَهْمَا أَلْمُوا
 إِذَا شَرَعُوا الْأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبٍ
 كَأَنَّ رَمَحَهُمْ فِيهَا نَجْمُومُ
 أَنَسٌ تَخْلَفُ الْأَيَّامُ مِينَتًا
 وَأَيْنَا مِنْ أَبِي الْحِجَابِ شَخْصًا
 مُوَفَّى الْعِرْضِ مُحَمَّدِ السَّجَايَا
 يَجُولُ بِنَهْنِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
 قَوِيمُ الرَّأْيِ فِي نَوْبِ اللَّيَالِي
 لَهُ فِي كُلِّ مَعْضَلَةٍ مَضَاءُ
 رَوْفٍ قَادِرٍ يَنْضِي وَيَعْفُو
 تَطُوفُ بَيْتِ سُؤْدُدِهِ الْقَوَافِي
 وَتَسْجُدُ فِي مَقَامِ غُلَاهِ شُكْرًا
 أَفَارِسُهَا إِذَا مَا الْحَرْبُ أُخْنِتْ
 وَمَمَطَرُهَا إِذَا مَا السَّحْبُ كَفَّتْ

يُخَوِّفُ مِنْهُ فِي الْمَهْدِ الْغَلَامُ
 فَهَا هُوَ لَا يُبْهَانُ وَلَا يُضَامُ
 كِتَابِيْبُ لَا تَعْلَاقُ وَلَا تَرَامُ
 أَسُودَ الْحَرْبِ وَالْقَوْمِ الْكِرَامِ
 فَلِلْأَعْمَارِ عِنْدَهُمْ انْصِرَامُ
 أَتُونَا مَا مِنْ الْمَوْتِ اعْتِصَامُ
 فَحَقُّقُ أَنْ ذَاكَ هُوَ الْحِمَامُ
 إِذَا مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَ الْغَمَامُ (٢)
 بِحَيٍّ مِنْهُمْ فَلَهُمْ دَوَامُ
 عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ لَهُ قِيَامُ
 كَرِيمِ الْكَفِّ مَقْدَامِ هَمَامِ
 فَيَدْرِكُهُ وَإِنْ عَزَّ الْمَسْرَامُ
 إِذَا مَا الرَّأْيِ فَارَقَهُ الْقَوَامُ
 مِضَاءُ الْكَفِّ سَاعِدُهُ الْخَسَامُ
 وَإِنْ هَظُمَ اجْتِنَاءُ وَاجْتِرَامُ
 كَمَا قَدْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْأَنَامُ
 وَنِعْمَ الرَّكْنُ ذَلِكَ وَلِلْمَقَامِ
 عَلَى أَبْطَالِهَا وَدَنَا الْحِمَامِ
 وَكَفُّ أَخِي النَّدَى أَبْدَاءَ غَمَامِ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي المخطوطات (ما أدريك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (القتام) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بيجيا) .

لك الذكر الجميل بكل قطار
لقد جينا^(۱) البلاد فحيث سيرنا
فضلت ملوكها شرقاً وغرباً
فأنت لكل معلوة مدار
جعلت بلاد أندلس إذا ما
مكان أنت فيه مكان عز
وهبتك من بنات الفكر بكرا
فتزّه طرف مجدك في حلاها

لك الشرف الأصيل المُستدام
وأينا أن مُلكك لا يرام
وبتً لملكها يقظاً ونام
وأنت لكل مكرمة إمام
ذكرت تغار مصر والشام
وأوطان حلت بها كرام
لها من حُسن لقياك ابتسام
فللمجد الأصيل بها اهتمام

محمد بن مسعود بن خالصة^(۲) بن فرج بن مجاهد

ابن أبي الخصال، الغافقي

الإمام البليغ، المحدث الحجّة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فرغليط من
شقورة، من كورة جيان، وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله

قال ابن الزبير عند ذكره: ذو الوزارتين. أبو عبد الله بن أبي الخصال.
كان من أهل المعارف الجمّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله،
والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة^(۳) والأدب، والنسب

(۱) وردت في الإسكوريال (جنت). والتصويب من النسخ.

(۲) هكذا وردت في «ج»، وفي «الزيتونة». وفي الإسكوريال (خلصة).

(۳) وردت في الإسكوريال و«الزيتونة». وساقطة في «ج».

والتاريخ متقدماً في ذلك كله . وأما الكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحكما فيهما إليه .

ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال : لم يكن في عصره مثله ، مع دين وفضل وورع .

قال أبو عمرو بن الإمام الإستجى في سَمَطِ الْجَمَانِ ، لما ذكره : البحر الذى لا يُبْمَاح ولا يُبَاطِر ، والغيث الذى لا يُسَاجِل ولا يُقَاطِر^(١) ، والروض الذى لا يُفَاقِح ولا يُعَاطِر ، والطُود الذى لا يُزَاحم ولا يُنَاطِر ، الذى جمع أشتات المحاسن ، على [ماء غير ملح]^(٢) ولا آسِن ، وكثرت فواضله ، فأَمِنَت المُمَاطِل والمُحَاسِن ، الذى قُصِرَت البلاغة [على مَحْتَدِه]^(٣) ، وألقيت أزمة الفصاحة فى يده ، وتشرفت الخطابة والكتابة باعترائهما إليه ، فنشَل كِنَانَتِهَا ، وأرسل كِلَابِنَهَا ، وأوضح أسرارها ودفاينها ، فحَسِبُ الماهر التُّحرير ، [والجُهْد العلامة البصير]^(٤) إذا أبدع فى كلامه ، وأينع فى روض الإِجادة نِشَارُه ونِظَامُه ، [وطالت قَنَى الخَطِيبة الذبل أعلامه]^(٥) . أن يستنير بأنواره ، [ويقتضى بعض مناهجه وآثاره]^(٦) وينثر على أثوابه مِسْكَ غُبَارِه ، وليعلم كيف يتفاضل الخبِر والإِنشاء . ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء .

[وعضه العقور أبو نصر]^(٧) فى قلائده . حيث قال . وهو وإن كان خامل المُنشأ نازله . لم يُنزلهُ المجدُ منازلَه ، ولا فرغ للعلاء هِضَابَا . ولا ارتشف للسنا وضاها ،

- (١) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (بخاطر) والأولى أرجح .
 (٢) هكذا وردت هذه العبارة فى «ج» و «الزيتونة» . ووردت فى الإسكوريال (على غير طوق) . والأولى متمشية مع المعنى والسابق .
 (٣) هكذا وردت فى «ج» . ووردت فى الإسكوريال (عليه) . والأولى أن نسب للسبق مقتضيات السجع .
 (٤) و (٥) هذه العبارات الثلاثة المحصورة بين الخواصر . ووردت فى الإسكوريال . والأولى منها ساقطة فى المخطوطين . والثانية والثالثة ساقطة فى «ج» . ووردت فى «الزيتونة» .
 (٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين (وذكره الفتح فى قلائده) وأبو نصر هو كنية الفتح بن خاقان صاحب القلائد .

قد تميّز بنفسه ، وتمييز من [أبناء] ^(١) جنسه ، وظهر بذاته ، ونخر بأدواته .

مشيخته

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، في الصلة : روى عن الفسائي ، والصدفي ^(٢) وأبي الحسن بن الباذش ، وأبي عمران بن تليد . وأبي بحر الأسدي ، وأبي عبد الله النفزي ، وجماعة غيرهم .

تواليافه

قال الأستاذ ، وأما كتبه وشعره ^(٣) وتواليافه الأدبية ، فكل ذلك مشهور . متداول بأيدي الناس ، وقل من يُعلم بعده ، أن يجتمع له مثله . رحمه الله .

من روى عنه

روى عنه ابن بشكوال ، وابن حبيش ، وابن مضاء وغيرهم . وكل ذلك ذكره في رحاله ، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

شعره ^(٤)

وله شعر كثير . فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحاق بن خفاجة :
هبّ النسيم هبوب ذى إشفاق يُذهبن الهوى بجناحه الخفاق

(١) وردت هذه الكلمة في المخطوطين . وهي ساقطة في الإسكوريال . وفي القلائد

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الصدقي) .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

(٤) لم يرد في «ج» و «الزيتونة» من شعر ابن أبي النعمان سوى عشرة أبيات ، في حين

أن شعره في مخطوط الإسكوريال يملأ عدة صفحات من لوحة ٢٢ إلى لوحة ٢٨ ، ويرد ضمن ذلك الأبيات العشرة التي وردت في المخطوطين . ومن ثم فقد رأينا أن نتبع مخطوط الإسكوريال في إيراد

شعره .

باحت لها سراير العشاق
 لعب الغرام بهجة المشتاق
 لم يبق من تلك الصباية باق
 أنا قد أذنتك مفارقي بفراق
 والموت في نظري وفي استنشاق
 قرْبته هَدِيًّا إلى أشواق
 والأمن ظلي والشباب رواق
 ضيزى لأن السكر من أخلاق
 ولذلك قام السكر باستحقاق
 بها من بعدما انبسطت بين أسواق
 هامت بها الوسطى من الأغلاق
 أنى أدين اللهو دين نفاق
 سدكت يد الماسوع منه براق
 نور تجسّم من ندى الأحداق
 فأثارها وسرى عن الأحداق
 فتانة الأوصاف والأعراق
 وهي السريرتى في هواها الباق
 لو شعثت برضا أبى إسحاق

وكأنما صبح الغصون بنشوة
 وإذا تلاعبت الرياح بيانه
 مهً يانسيم فقد كبرت عن الصبا
 إن كنت ذاك فليست ذاك ولا
 ولقد عمّدت سُراك من عدد الهوى
 أيام لو عن السلو نخطارى
 الهوى إلفى والبطالة مرّ كبحي
 في حيث قُسمت المدامة قسمة
 لا ذنب للصبياء أنى غاصب
 ولقد صدّدت الكأس فانقبضت
 وتركت في وسط الندامى خلة
 فاستسرفوني مذكرين وعندهم
 وحبابها نفث الحجاب وربما
 وكأنه لما توقر من فوقها
 لو بارح نفّح النوى في روضة
 ولقد جنوا بالله يدرا كيدهم
 أغوى بها إبليس قدماً أدمًا
 تالله أصرف نحوها وجدّ الرضا

ومن نسيبه :

رويت فيها السرور من طرق
 ناراً من الرّاح برّدت حرق

وليد عنبرنة الأفق
 وكنت حرّار فاقندحت بها

وافت بها عاطلا وقد لبست
فأجابها الدهر من بنيه دُجا
قامت لنا في المقام أوجهُهم
وأطلع البدر من ذوى غصن
من عبء شمس بداسناه
مُدَّ بحمراء من مُدامته
فخلتها وردة مُنعمة
نشرت في الراح حين نشرتها
وقال :

| يا حبذا ليله لنا سلفت
دارت بظلمائها المدام فكم
وقال | في مُغَنِّ زار ، بعده أغب وشطء المزار |^(٢)
| وافي وقد عظمت على ذنوبه
في غيبة قُبِحت^(٣) بها آثاره
فحما إسائه لنا إحسانه
واستغفرت لذنوبه أوتاره^(٤) |^(٥)
وقال يعتذر عن استبطاء مكاتبة :

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم
يخبئكم عنى بمُضجره بعدى

(٢) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .
(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وقد ورد مكانها في المخطوطين (في غائب
آب بعد ما غاب المزار) . ويلوح لنا أن عبارة الإسكوريال هي الأرجح . حيث وردت في السيب
الذاني كلمة (أوتاره) . وهي بما يقترن بذكر المعنى .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (حظيت) .
(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أنواره) . وفي الزيتونة (أماره) .
(٥) ورد هذان البيتان في «ج» و «الزيتونة» .

فلو قلبتني الحادثات مكانكم
لم تعلموا اتي واهلي وواحد
لانبيتها وفري واو دلاتها خدي
فدا ولا ارضي بتفديتي وخذني

ومن قوله في غرض المسح يخاطب تاشفين بن علي^(۱) ويذكر الواقعة
بكركي ، يقول فيها :

الله أعطاك فتحاً غير مشترك
أرسل عينان جواد أنت راكمه
حتى يصبر إلى الحسني على ثقة
قد كان بعدك للأعداء مملكة
سارت بك الجردا وطار القضا بها
فما تركت كميّاً غير منقفر
ناموا وما نام موتور على حنق
فصبّحتهم جنود الله باطشة
من كل مبدور كالنجم منسكدر
فطاعنوك بأرماع وما طعنت
تعجل النحر فيهم قبل مواسمه
فالطير عاكفة والوحش واقفة
عدت على كل عاد منهم أسر
كلى هنيئاً مريئاً واشكرى ملىكاً

ورد عزمك عن فوت إلى درك
واضمم يديك ودعه في يد الملك
يهدى سبيلك هاد غير مؤتمك
حتى استدرت عليهم كورة الفلك
والحين قد قيد الأعداء في شرك
ولا تركت نجيماً غير منسك
أسدى إذا فرصة من السلك
والصبح من عبرات الفجر في مسك
تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
وضاربوكم بأسياف ولم تحمك
وقدم الهدى منهم كل ذي نسك
فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
بعثه في حنجر رخب وفي حنك
قرنك أسيافه في كل معترك

(۱) هو الأمير تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي ، أمير المسلمين بالمغرب والأندلس (۵۰۰ - ۵۳۷ هـ) . وقد ولاء أبوه شتون الأندلس : سنة ۵۲۲ هـ . وقد خاض تاشفين عدة معارك ظافرة ضد القشتاليين ، كانت منها معركة كركي في سنة ۵۳۱ هـ (۱۱۳۶ م) . وكركي بلدة حصينة تقع على مقربة من قلعة رباح جنوب نهر وادي يانه .

فلو كَنَصَّدتِ الهَامَاتِ إِذْ نَشَرْتِ
 أَبْرَحَ وَطَالِبَ بِيَاقِي الدَّهْرِ مَاضِيهِ
 وَكَمْ مَضَى لَكَ مِنْ يَوْمِ بِنْتِكَ لَهُ
 بِالنَّقْعِ مَرَّتَكُمْ بِالْمَوْتِ مُلْتَمِمْ
 فَحَصُّ القِيَابِ إِلَى فَحْصِ الصَّعَابِ
 وَكَمْ عَلَى حَبْرٍ مَحْمُودٍ وَجَارَتِهِ
 وَفِيَتْ لِلصَّفْرِ حَتَّى قَبِيلٍ قَدْ غَدَرُوا
 فَأَسْلَمْتَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ غَدَوْتَهُمْ
 يَا أَيُّهَا المَلِكُ السَّامِيُّ بِهَمَّتِهِ
 مَا زِلْتِ تُسْمِعُهُ بُشْرَى وَتُطْلَعُهُ
 بِيَضَّتِ وَجْهَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بِهَا
 فَاسْتَشْعَرَ النُّصْرَ وَاهْتَزَّتْ مَنَابِرُهُ
 فَأَخْلَدَكَ وَلَمَنْ وَالَاكَ طَاعَتُهُ
 وَافِيَتْ وَالغَيْثُ زَاخِرٌ قَدْ بَكَأَ طَرَبًا
 وَتَمَّمَ اللهُ مَا أَنْشَأْتَ مِنْ حُسْنِ
 وَعَنْ قَرِيبِ تَبَاهَى الأَرْضِ مِنْ زَهْرٍ سَمَاهَا بِهَا غَضَّةَ الحَبِيبِ

فَعُدُّ وَقْدٌ وَاعْتَمِدْ وَأُحْمَدُ وَسُدُّ وَأَبْدُ
 وَقُلْ وَصِلْ وَأَسْتَعِظِلْ وَاسْتَوْلِ وَأَنْتَهَكِ
 وَحَسْبُكَ اللهُ فَرْدًا لَا نَظِيرَ لَهُ تَفْنِيكَ نُصْرَتُهُ عَنْ كُلِّ مُشْتَرِكِ
 وَمِنْ قَوْلِهِ فِي غَرَضِ الرِّثَاءِ ، يَرِنِي الفَقِيدُ أبا الحَسَنِ بْنِ مَغِيثٍ :
 الدَّهْرُ لَيْسَ عَلَى حُرٍّ بِمُؤْتَمِنٍ وَأَيُّ عِلْقٍ نَخَطْتَهُ يَدِ الزَّمَنِ

كأن أدبر لم يسكن إلى مسكن
 هلاً بكيت فراق الروح للبدن
 وانحاز عنواً وخلي الطين في الكفن
 حتى تخلص من سقم ومن درن
 فيالها صفقة بتت على دغن
 أظنها محرقة كانت على دخن
 وافي وقد نبت المرعى على الدمن
 يدعو إلى الرشد أو يهدي إلى السنن
 من صاحب كرم أو سيد من
 فمن لنا بالذي أعيأ أبا حسن
 فهاج ماشاء ذاك القرن من شجن
 كل ذي خلق عمرو وذى فطن
 حياته لعزیز الفقد والظمن
 بما يقاوم ذاك الطيش من مسكن

يأتي العفاً على الدنيا وما كنها
 يابا كيا فرقة الأحباب عن شحط
 نور تقيّد في طين إلى أجل
 كالطير في شرك يسمو إلى درك
 إن لم يكن في رضى الله التقا وهما
 يا شد ما افترقا من بعد ما اعتنقا
 ورب سار إلى وجه يسر به
 أتى إلى الله لا سمع ولا بصر
 في كل يوم فراق لا بقاء له
 أعيأ أبا حسن فقد الذين مضوا
 كأن البقية في قوم قد انقرضوا
 يعد فداً وفي أثوابه رمز من
 وإن من أوجدتنا كل مفتقد
 من للملوك إذا خفت حلومهم
 ومنها :

نشكو اغتراباً وما بنا عن الوطن
 في كل أمر على الإسلام مؤتمن
 فرجتها بحسام مل من لسن
 عنانه خلوة هزت ذرى وتر
 لحس واردة في الفرض والسنن
 هوى فمن قدر عال إلى فدن

يا يونس لا تسر أصبحنا لو حشتنا
 ويامطاعاً مطيماً لا عناد له
 كم خطت كارتجاج البحر مبهمة
 طود المهابة في الجلا وإن جذت
 أكرم به سيباً تلقى الرسول به
 ناهيك من منهج سم القصور به

من كل وادي التقي يسقى الغمام به
تجملت بك في أحسابها مضر
من دولة حولها الأنصار حاشدة
من الذين هم رووا وهم نصروا
إن يبدؤ مطلع منهم ومستمع
ما بعد منطقه وشي ولا زهر
أقول وفيها فضل سودده
محمد ومغيث نعم ذا عوضاً
تقيلاً هديه في كل صالحة
ما حل حبوته إلا وقد عدا حباً
غر الأجابة عند حسن عهدها
علماً وحلماً وترحيباً وتكرمة
يا وafd الغيث أوسع قبره نزلاً
وطبق الأرض وبلا في شفاعته
وأنت يا أرض كوني مرةً بأبي
وإن تردت بترب فيك أعظمه

فيستهل شروق الضرع باللبن
وأصل مجدك في جرثومة اليمن
في طامح شامخ الأركان والقنن
من عيسة الدين لا من جذوة الفتن
فارغب بنفسك عن لخطو عن أذن
ولا لأتلاق ذاك الدر من تمن
استغفر الله ملء السر والعلن
ها سلاة ذاك العارض الهتن
نصر السوابق عن طبع وعن مرين
بما اختار من أيد ومن ممن
وإن يونس في الأثواب والجنن
للزائرين وإغضاء على زكن
وروماً حول ذاك الدميم من تكن
فنعم رابد ذاك الريف واليمن
منوى كريم ليوم البعث مرتين
فكم لها في جنان الخلد من رذن

ومن شعره قوله مخسماً [كتب بها] (۱)، وقد أقام بمراكش يتشوق إلى

قرطبة:

بدت (۲) لهم بالغور والشمل جامع بروق بأعلام العذيب لوامع

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال. ووردت في المخطوطين (وكتبتها).
(۲) هكذا وردت في المخطوطين. وفي الإسكوريال (سحت) والأولى أنسب للسياق.

فباحت بأسرار الضمير المدامع ورب غرام لم تنله المسامع
[أذاع بها]^(١) من فيضها التصويب^(٢) .

[ألا في سبيل الشوق قلب مؤثّل] بركب إذا شاء والبروق تحمل
هو المسوت إلا إنني أتحمّل إذا قلت هذا منهل عز منهل
وراية برق نحوها القلب يجنب .

أبي الله إماما كل بُعد فتابت وإما دنو الدار منهم ففايت
ولا يلفت البين المصم لافت ويارب حتى البارق المهافت
غراب بتفريق الأحبة ينعب .

خذوا بدمي ذاك الوسيق المضرّجا وروضا بغيض العاشقين تأرجا
عنى الله عنه قاتلا ما تهرّجا تمشى الردى فى نشره وتدرّجا
وفى كل شيء للمنية مذهب .

سقى الله عهدا قد تقلص ظله حيا قطره يحيى الربا مستهله
وعى به شخصا كريما أجله يصح فؤادى تارة ويعله
ويلمه بالذكر طورا ويشعب

رمانى على قرب بشرخ ذكائه فأعشت جفونى نظرة من ذكائه
وغصت بأدنى شعبة من سمايه شيبابى وجا البحر فى غلوائه
فكل قرب ودع خدييه يركب

ألم يأتته أنى ركنت قمودا وأجمعت عن وفز الكلام قمودا
ولم أعتصر للذكر بعدك عودا وأزهقتنى هذا الزمان صعودا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ودام بها) .

(٢) هذه المقطوعة الحماسية واردة فى المخطوطين .

فربّع الذى بين الجوانح سَبَسَب .

وذ كرت رَوْضًا بالعقاب مَرِيحًا
وسرَبًا بأَكناف الرِّصافة رِيحًا

على تلك من حال دَعَوْتُ سَمِيحًا
وتملأُ الشعب المَذْحِجِي جَمِيحًا
وأحداق عينِ بِالْحَمَامِ تُقَلِّبُ

بِحَيْثُ تَجَانِي الطُّودِ مِنْ دَمِيثِ سَهْلٍ
ولسكنه لَلْمَلِكِ قَامَ عَلَى رِجْلِ

ولم أنسَ مِمَّ شَانَا إِلَى الْقَصْرِ ذِي النُّخْلِ
وأشرفُ لَا عَنْ عَظْمِ قَدْرٍ وَلَا فَضْلِ
يَقِيهِ تَبَارِيحَ الشَّمَالِ وَيَحْجُبُ .

ويرتحل الفتي بأرجل عِيِيهِ
كسحق اليماني مُعْتَلِيهِ نَفْسِيهِ

فكم توجعُ يَنْتَابُهُ بِرَمِيْسِهِ
إِبْقِ أُمَّ عَمْرُو فِي بَقَايَا دَرِيْسِهِ
فَرُفَعْتَهُ تُسَبِّي الْقُلُوبَ وَتُعْجِبُ

وَتَعْتَرُّ بِالْبَانِ جَلَالًا وَتَنْتَرِي
كسَاهَا الْبَيْلَى وَالشُّكْلَ أَثْوَابَ مُعْوِزِ

وَبِيضَاءَ لِلْبِيضِ الْبِهَالِيلِ تَعْتَرِيهِ
سَوَى أَنبَاهَا بَعْدَ الصَّنِيْعِ الْمُطْرُزِ
يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدِبُ .

ووقفه مُنْسَقِ الْجَمَاعِ مُقْصِدِ
وَيَهْتِكُ حُجْبَ النَّاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ

وَكَمْ لَكَ بِالزَّهْرَاءِ مِنْ مُتَرَدِّدِ
يَسْكُنُ مِنْ خَفَقِ الْجَوَانِحِ بِالْيَدِ
وَلَا هِيَّةَ تُنْخَشِي هِنَالِكَ وَتُرْهَبُ .

وكانت في محلِّ الْعَبْشَمِينَ الْمَلِكِ
وَإِنْ يَسُمُّ نَحْوَ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ يَمْلِكُ

لَنْعَمِ مَقَامِ الْخَاشِعِ الْمُتَنَسِّكِ
مَتَى يُوْرِدُ النَّفْسَ الْعَزِيْزَةَ يَسْفِكُ
وَأَيُّ مَرَامٍ دَامَهُ يَتَصَعَّبُ

فَطَوْرًا يَدْرِي تَاجًا بِمَفْرِقِ أَهْلَاهَا

قُصُورٌ كَانَ الْمَاءُ يَهْشِقُ مَبْنَاهَا

إذا زلَّ وَهَنًا عن ذوايبِ يرواها

وكلُّهُ مُنِيفٌ للجُومِ مُراهقٌ
فأودَعَ في أحشائها والمفارق

تناصف أقصاها جمالا مع الأدنى
توافقن في الإتيان واختلف المعنى

وأين الغُصون المائسات بها مَيْلا
وأين الثرى رَجلا وأين الحِصاخِلا

وكم فَاوَحَّتْ فيها الرِّياضُ المِجْمِرا
وكم قد أُجابَ الطيرُ فيها المِزامِرا

ويُجِبِي إلى خِزائِنِها البرُّ والبحرُ
ويُصْبِحُ مَخْتوماً بِطِينَتِها الدهرُ

وناصِحَةٌ تُعزِي قديماً لِناصِحِ
يُخبرُ عن عهدِ هِناكَ صالحِ

وطوراً يرى خُلجخالَ أُسوقِ مُفلاها
يقول هَوَى بَدراً أو اتقَضَ كوكب

أناها على رَغَمِ الجبالِ الشَّواهِقِ
وكم دَفَعَتْ في الصِّدرِ منه بَعانِقِ
حساباً بأنفاسِ الرِّياحِ يَدْرَبِ

هي الخُودُ من قرنِ إلى قدمِ حُسْنًا
ودَرَجِ كالأفلاكِ مَبْنِي على مَبْنِي
وأَسبابِ هذا الحُسْنِ قد تَنشَعِبِ

فأين الشُّموسُ الكالِفاتِ بها ليلًا
وأين الظُّبيا السابِحاتِ بها ذيلًا
فوا عَجِبوا لو أن من يَتعَجِبِ

كم احتَضَنَتْ فيها القِيانُ المِزاهِرا
وكم ساهَرَتْ فيها الكواكبُ سامِرا
عَظِيمِ من الدُّنيا شِماعِ مُطَنَّبِ

كأن لم يَكُنْ يُقضى بها النُهْيُ والأمرُ
ويُسْفَرُ مَخفُورًا بِذَمَّتِها الفِخْرُ
وأَيامه تُعزِي إليها وتُنسَبِ

ومالِكِ عن ذاتِ القِريِّ النواضِحِ
وذِي أثرٍ على الدهرِ واضحِ
ويَعْمُرُ ذِكرَ الذاهِبينِ ويخربِ

تَصَدُّدٌ مِنْ سِيفٍ وَأَقْبَلٌ مِنْ عِلٍّ
وَمَا اتَّفَقَا إِلَّا إِلَى خَيْرٍ مَنَزَلٍ

فَسَارَا إِلَى وَصْلِ التَّضَاءِ وَمَسَافِرَا
فَقَالَ وَلِيُّ الْحَقِّ مَهْلًا تَظَافِرَا

وَأَرِ الذِّي لَا يَقْبَلُ النُّصْفَ مُنْبِتٌ
فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَقُّ وَأَتَجَّهُ السَّمْتُ

وَمُسْتَشْرَفًا يُلْهِى الْعِيُونَ وَمَنْظَرًا
وَجَوْسِقَ مَلِكٍ قَدْ عَلَا وَتَجَبَّرَا

وَأَثْبَتُهُ فِي مَلْتَقِي كُلِّ وَارِدٍ
وَكُلُّ فِتْيَةٍ عَنْ حُرْمَةِ الدِّينِ زَائِدٍ

وَأُفْحَرُ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءِ لِيَصْرَخَا
كَذَلِكَ مِنْ جِاسِ الدِّيَارِ وَدَوَّخَا

قَضُوا مَا قَضُوا مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ وَدَّعُوا
تَأَمَّلْ فَبِذَا ظَاهَرَ الْأَرْضِ بَلْقَعُ

تَلَاقِي عَلَيْهِ فَيْضُ نَهْرٍ وَجَدُولٍ
فَبِذَا جَنُوبِيَّ وَذَلِكَ شِمَالِيَّ
وَإِلَّا فَإِنَّ الْفَضْلَ مِنْهُ بِجَرَّبِ

كَأَنَّهُمَا فِي الطَّيِّبِ كَانَا تَنَافِرَا
وَمَا تَلَاقَى السَّابِقَانِ تَنَافِرَا
فَكُلُّكَا عَذْبُ الْمَجَاجَةِ طَيِّبِ

أَلَمْ يَعْلَمَا أَنَّ الْأَجَاجَ هُوَ الْمَقْتُ
وَمَا مِنْكَا إِلَّا لَهُ عِنْدَنَا وَقْتُ
تَقَشُّعٍ مِنْ نَوْرِ الْمَوْدَةِ غَيْهَبِ .

وَإِنْ لَهَا بِالْعَامِرِيَّةِ لَمَظْهَرَا
وَرَوْضَنَا عَلَى شَطْرِ خَضَارَةِ أَخْضَرَا
لَهُ تَرَّةٌ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ تُطَلَبِ

غَيْرِهِ فِي عُنْفُونِ الْمَوَارِدِ
وَأُبْرُزِهِ لِلْأَرِيحِيِّ الْمَجَاهِدِ
حَفِيظَتُهُ فِي صَدْرِهِ تَتَلَمَّبِ

تَقَدَّمَ عَنْ قَصْرِ الْخِلَافَةِ فَرَسَخَا
فَحَالَتُهُ أَرْضِ الشَّرْكِ فِيهَا مُنَوَّخَا
فَرَدَّعَتْهُ فِي الْقَلْبِ تَسْرِي وَتُرْهَبِ

أَوْلِيكَ قَوْمٌ قَدْ مَضُوا وَتَصَدَّعُوا
فَهَلْ لَمْ رِكْزٌ يُحْسُّ وَيُسْمَعُ
إِلَّا أَنَّهُمْ فِي بَطْنِهَا حَيْثُ غُيِّبِ .

وَأَنْ بِيَاضِ الصُّبْحِ لَيْسَ بِنَذَى خَفَا
وَكَأَنَّ حَدِيثًا لِلْوَفُودِ مُعْرِفًا

أَخْلَاءَ صِدْقٍ كَالنَّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأَرْجَعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ

وَلَا يَبْتَلِ إِخْوَانِي بِعَنَّاكَ إِخْوَانِ
وَإِكُنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهْ شَانِ

وَأَنْتِ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعِ
وَكَلِّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعِ

وَدَانَتْ لَمْ فِيهَا مَلُوكِ الطَّوَايِفِ
بِكُلِّ حَسَامٍ مُرْهَفِ الْحَدِّ وَاعْفِ

وَكَبَيْتُهَا نَدَا الْوَفُودِ وَيَمَّعُوا
وَغَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرِهِمْ وَتَحَرَّمُوا

هُوَ أَذُكَ مَخْتَارٌ وَتُرْبُكَ مُنْتَقَا
وَبَيْتُكَ مَرْبُوعِ الْقَوَاعِدِ بِالتَّقَا

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا
وَكَمِ رَسْمِ دَارٍ لِلْأُجْنَةِ قَدْ عَفَا
فَأَصْبَحَ وَحْشَ الْمُنْتَدَى يُتَجَنَّبُ

وَاللَّهُ فِي الدَّارَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
أَشْرَعَ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَبْيَضٍ نَاصِعِ
فِيَالْيَتْنِي فِي رِقْسَتِي أَنَهَيْبِ

أَقْرَبِي لَمْ يُثْنِي عَنْكَ سُؤْلَانُ
وَإِنِّي إِذَا لَمْ أُسْقَ مَاءَكَ ظَمَّانُ
وَمَوْطِنِي آثَارُ تَعَدُّ وَتُكْتَبِ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطْوَى وَيُرْفَعُ
إِلَيْكَ تَنَاهَى وَالْحَسُودُ مُعَذَّبُ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخَلَائِفِ
وَعَضَّ نِقَافِ الْمُلْكَ كُلِّ مُخَالَفِ
بِهِ تَحْقِنِ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسْكَبِ

إِلَى مُلْكِهَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا
وَفِيهَا اسْتَفَادُوا شَرْحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا
فَنَسَبَ عَنْهُمْ صَرْفَهُ الْمُنْسَحَبِ

عَلَوْتَ فَمَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَبَا
وَجِسْرُكَ لِلدُّنْيَا وَاللَّذِينَ مُلْتَقَى

إلى فضله لا كباب تُنضى وتُضرب

توتلى خيار التابعين بقاءه

ومدوا طويلا صيته وثناء

ولا زال سعى الكايدين يُخيب

وبالغ فيه كل أروع أصيد

وشادوا وجادوا سيّداً بعد سيد

طويل المعالي والمكارم واليد

فبادوا جميعاً عن صنيع مُخلّد

يقوم عليه الثناء ويخطب

مصابيحهم مثل النجوم الشوابك

تمزق أثواب النجوم الخوالك

أجادل تنقض انقضاض النيازك

وتمفظه من كل لاه وسالك

فإبشارهم بالطبّطبية تُنهب

أجدك لم تشهد بها ليلاة القدر

وقد جاش برّ الناس منه إلى بحر

فلو أن ذلك النور يُقبس من فجر

وقد أُسْرِجت فيه جبال من الزهر

لأوشك نور الفجر يَفني وَيَنْضَب

ذوايبه تهفو بأدنى تنفس

وأنفاسه في كل جسم وملبس

كأن لائثريّات أطواد من نرجس

وطيب دخان الندم من كل ممطس

وأذياله فوق الكواكب تُسحب

إلى أن تبدت راية الفجر ترحف

تولوا وأزمار المصاييح تُتطف

كما تُنصل الأرواح ثم تُركب

وقد قضى الذى لا يُسوف

وأبصارها صوتاً تغض وتُطرف

سلام على غيابها وحضورها

سلام على أوطانها وقصورها

سلام على صحرايين و قبورها
فحسن دفاع الله أنحى وأرهب
وفي ظهرها المشون كل مرفع
متى تاته شكوى الظلّامة تُرفع
من الله في تلك المواطن يُقرب
وكم كربة مليء الجوانح والقلب
بروعتها قبر الولي لى وهب
فأبت بما يهوى الفؤاد ويرغب
فياصحبى حان قبلك مصرى
فخطّ بضاحى ذلك السرى مضجعى
فندم للجار أهـ لـ ومرحب
رعى الله من يرعى العهود على النوى
ولبيته من مستحكم الودّ والهوى
وأهدى سبيله الذى يتجنّب

ولا زال سور الله من دون سورها
وفي بطنها الممشوق كل مُشفع
وكل بعيد المُستغاث مُدفع
طارت وقد نام المواسون من حُب
وناديت فى التراب المقدّس يارب
وكنت على عهد الوفا والرّضا معى
وذرتى فجار القوم غير مُروّع
ويظهر بالقول المُخبر ما نوى
يرى كلّ وادٍ غير واديه مجتوى

[(١)]

كتابه

وكتابة ذى الوزارتين رحمه الله ، كالشمس^(٢) شهرة ، والبحر^(٣) والقطر

(١) إن جميع شعر الحماسى المحصور بين الحواضر وارد كله فى الإسكوريال . وساقط فى المخطوطين .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (الشمس) .

(٣) سافى . ج . ووردت فى الإسكوريال والزيتونة .

كثرة ، ونحن نثبت له شيئاً من ذلك ليلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه .
كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز ، من رسالة ، كتب بها إليه مع حاج
يضرب القرعة :

أطال الله بقاء وليي^(١) ، وإمامي^(٢) ، الذي له إكباري وإعظامي ، وفي سلكه
اتسامي وانتظامي ، [وإلى ملكه انتسابي واعتزالي ، وبودده افتخاري وانترابي]^(٣) ،
للفضائل مجيباً ومبدياً ، وللمحامد مشتملاً ومرتدياً^(٤) ، وبالغرايب متحفاً ومهدياً ،
[ولازال الرُخاء وأزل ، وجدّ من المصافاة وهزل ، وسحت من المراعاة وجزل]^(٥) .
وصل كتابه صحبة عراف اليمامة . وفخر^(٦) نحمد وتبامه ، [يقرّظه ويزكّيه ، ويصفه
بالخب^(٧) يفسره ويجلّيه]^(٨) ، والخفي^(٩) يظهره ويبيديه . ولعله رائد ، لابن
أبي صايد ، أو هاد للمسيح الدجال قايد . أشهد شهادة إنصاف ؛ أن عنده لعضباً
صاف^(١٠) . ولو كان هناك ناظر صادق^(١١) طاف ، والله خايا الألطاف ، لقلتُ
هو بادٍ غير خاف ، من بين كل ناعلي وحاف . وسأخبرك أيديك الله ، بما
اتفق ، وكيف طار وتمعق . وتوسّد الكرامة ، وارتفق ، [طرق له وصفك

- (١) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (ريسي) .
(٢) ساقطة في «ج» وواردة في الإسكوريال و«الزيتونة» .
(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في «ج» و«الزيتونة» .
(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (مجتدياً) .
(٥) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال و«الزيتونة» مع فروقات يسيرة ؛ وساقط في «ج» .
(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي «ج» (وحدى) . والزيتونة (وحراً) .
(٧) هكذا في الإسكوريال وفي الزيتونة (الحق) .
(٨) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والزيتونة . ومكانه في «ج» عبارة (بفرظه
ويجلّيه) فقط .
(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (والخند) .
(١٠) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (أمداف) .
(١١) وردت في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .

وَنِعْمَتِكَ ، وَثَقَّفَهُ بِرِيكَ وَنِحْنِكَ ، وَرَفَعَهُ لِلْعِيُونَ جَدُّكَ وَبِنِحْنِكَ ^(١) . وَامْتَدَّتْ
نَحْوُهُ النَّوَاطِرُ ، وَاسْتَشْرَفَهُ الْغَايِبُ وَالْحَاضِرُ ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ النَّابِهَ ^(٢) وَالخَامِلُ ،
وَازْدَحَمَ عَلَيْهِ الْعَاظِلُ وَالْمَاعِلُ . هَذَا يَلْتَمِسُ مَزِيدًا ، وَذَلِكَ يَبْتَغِي حِطًّا ^(٣) جَدِيدًا ،
وَهَذَا يَطْلُبُ تَقْلِيدًا ، [وَذَلِكَ يَسْأَلُ إِلَى مَغَالِيْقِهِ إِقْلِيدًا] ^(٤) . فَكَلِمَا حَزَبٌ ،
وَعَلٌّ وَجَلْبٌ ، حَلْبٌ وَاسْتَدْرٌ ، وَتَلْقَاهُ [وَإِنْ سَاءَ الْغَيْبُ] ^(٥) بِمَا سَرَّ . وَكُنْتُ
وَاتَعْتُ جَمَاعَةَ مِنَ الْأَعْيَانِ ، وَوَأَقَمْتُ نُتْلَةً مِنْ جِلَّةِ الْإِخْوَانِ ، عَلَى تَمْشِيَةِ أَمْرِهِ ، وَتَوْشِيَةِ
ذِكْرِهِ ، فَلَمَّا صَدَقَتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ، وَاسْتَوَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ ، أَحْضَرَ نَاهٍ لِسَبَابِ ،
وَأَقْعَدَنَاهُ لِلنَّقْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَأَرْدَنَاهُ أَنْ تَقِفَ عَلَى جَلَالِهَا تِلْكَ الْأَخْبَارُ ، فَأَحْضَرْنَا
طَحْنًا وَنَطْعًا ، وَسَرَيْنَا عَنْهُ مِنَ الْوَحْشَةِ قَطْعًا ، وَقَانَاهُ خَيْدَ صَفْوِكَ ، وَلَا تَوَرَّدْنَا ^(٦)
إِلَّا صَفْوِكَ ، وَلَا تَصَانِعُنَا فِي الْكَرْهِيَةِ الَّتِي نَرَاهَا ، وَالْحَادِثَةَ تُسْتَفْظَعُ ذِكْرَاهَا ؛
فَمَا عِنْدَنَا جَهْلٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا مُحْتَمِكٌ كَهْلٌ ، لَا يَتَسَكَّدُهُ حَزَنٌ ، وَلَا يَسْتَخْفُهُ
سَهْلٌ ، فَسَكَنَ جَائِشُ فَوْزِهِ ، وَضَرَبَ بِلَحِينَتِهِ عَلَى زُورِهِ ، ثُمَّ صَدَّدَ فِينَا النَّظَرَ وَصَوَّبَ ،
وَاسْتَهْلَ صَارِخًا وَثَوَّبَ [وَتَمَجَّجَ مِنَ الْكُذْبِ وَتَحَوَّبَ] ^(٧) ، وَقَالَ لَسْتُ لِلْعَشْرَةِ
خَابِدًا ، وَلَا لِلْأَرْفِ غَامِضًا ، وَلَا عَنِ الصِّدْقِ إِذَا صَدَعَ حَايِدًا ، وَلَا لِلْفَدْرِ مَمَّنْ وَقَعَ
مِنْهُ ذَائِدًا ، وَلَا بِمَعْجَزَاتِ النَّبُوَّةِ لَاعِبًا ، وَلَا لِمَرْيَجِ الْجِدِّ مُدَاعِيًا ، وَلَا تَطْيِبُنِي
مَسْأَلَةٌ وَلَا حُلُوانٌ ، وَلَا تَسْتَفْزِنِي نَضَائِدُ كَثِيرَةٌ وَلَا أُلُوانٌ . إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ وَخَطٌّ ،

(١) ما بين الحاصرتين وورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الثانية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (ثانية) .

(٤) ما بين الحاصرتين وورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في المخطوطين .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (تزدنا إلى) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والزيتونة . وساقطة في «ج» .

ورفع وخط ، ونحس وسعد ، وتقد ووعد ، ويوم وغد^(١) . فقلنا له الآن صحى
 الو فاده [واينعت الإزاده]^(٢) . ثم نظر إلينا نظر المستقل واجتذب النطم اجتذاب
 المدل^(٣) ، ونثل الدأجن وهاله ، وأداره حتى [استدار هاله]^(٤) ، ثم قال يا أيها
 الملاء هذا للبندأ^(٥) ، فأيسكم يبدأ . فرمى القوم بأبصارهم ، وفقرأوا وكبرأوا ،
 وليتهم [عند ذلك]^(٦) صفرأوا . فقلت يا قوم قد عضضت على ناجدى جلمأ ،
 [وقلت شأنى كأء علمأ]^(٧) ، [وعقدت يدى وبين غد سلمأ]^(٨) ، فكيف
 أسكشيف عما أعرف ، وأسبقتهم عما لا يستبهم . على الرحمن توكلت ، وعلى
 الشيمان ترشكت ، ومن كسبى أكلت ، [وفى مبرك السلامة بركت]^(٩) ،
 وجيات الأمور تر كتنى وتر ككت ، والنفس^(١٠) المطمئنة رجوت ، ولعلمى
 قد نجوت ، [وأصبت فيما نحتت]^(١١) . فلحظتى عند هذه المقالة عينه ،
 وطوانى^(١٢) صدقه ومينه . [ثم صار القوم دونى أنجيه ، وأعد له كل تورية

- (١) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (وبعد) والأولى أرجح .
 (٢) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين و «ج» و «الزيتونة»
 (وتعينت الزيادة) .
 (٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» (المستقل) . وفى الزيتونة (المقل) .
 (٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (استبالمها) .
 (٥) هكذا فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (النبا) .
 (٦) هذه العبارة واردة فى المخطوطين وساقطة فى الإسكوريال .
 (٧) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال و «الزيتونة» . ووردت مكانها فى «ج» (وقلت
 كل ذلك أتقنه حفظا) .
 (٨) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى المخطوطين .
 (٩) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال و «الزيتونة» . ووردت فى «ج» كالتالى
 (وعن مبرك الشيطان نكلت) .
 (١٠) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (المسة) .
 (١١) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت فى «ج» و «الزيتونة» (صدقت -
 أصبت فيما قد رجوت) .
 (١٢) هكذا وردت فى الإسكوريال و «الزيتونة» . وفى «ج» (هذه شئ) .

وتعمية . فقال قائل منهم ، تعالوا نشترك في ضمير ، ونزّمه بهذا الطاغية
ابن رُذَيمِر |^(١) ففي كل قلب منه ندب كبير ، والسؤال عنه دين وأدب ،
فإن أصابه استرحنا من النَّصَب والشُّخُوص . وجرنا من العموم إلى الخصوص ،
وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ ، ولما يدعيه ويريدُه منه أبطأ . فقالوا نعم
ما عرضت ، وأحسن بما رويت وفرّضت . فلما رأيناها يُثقل التعريض ، ويحكم
التقرير والتعويض ، قلنا له حقّ ضميرك كل التحقيق ، وضع مسبحتك في
في الدقيق . [فابتدر ما أمر]^(٢) وحسّر عن ذواعه وشعر ، ومرت أصبمه
في خطّه مر الذر المتهاك . ووقعت وقع القطار المتدارك . [لا تمس الطحن
إلا تحليلا ، وغمزاً كالوهم قليلا]^(٣) فطوراً يستقيم سبيلاً . وتارة يستدير إكليلاً ،
وأونة يأتي بالسماء ونجومها قببلاً . فكان هنالك لنعش من بنات . وللثريا من
إخوات ، وطير قابضات ، وصافات وأسراب ناشرات خافقات . فلما استوفى
عدده ، وبلغ أمدّه ، وختم طرائقه وقده ، وأعطى الأصول وفروعها ، وتدبر
تفاريقها وجرعها . فجمع وتقبض ، وفتر ثم انتفض ، [وصعد ذهنه وآسافه ، وأخذ
الطحن فسافه]^(٤) . وزفر وشهق ، وعشر ونهق ، وألصق بظهره حشاه ، وكنم
الرّبو ثم أفشاه ، وقال هذا الذي كنت أخشاه ، عميم الأثر . [وكنتم حقيقة
الخبر]^(٥) . [وعثرتم خاطي فما عثر ، ونثرتم نظام الحدس فما انثر]^(٦) .

(١) هذه العبارة ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال . ولم يرد منها في المخطوطين سوى
عبارة (ثم صار القوم إلى ذكر الطاغية ابن رذيمير) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال وساقطة في المخطوطين .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «الزيتونة» كالاتي (لا تمس
الضحى إلا غليلاً ، وغمزاً كالوهم ولو خليلاً) . وهي ساقطة في «ج» .

(٤) ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقطة في «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين واردة في المخطوطين وساقطة في الإسكوريال .

(٦) ما بين الحاصرتين واردة في الإسكوريال و«الزيتونة» وساقطة في «ج» .

سألتم عن رُوح شارِدٍ، وشيطانٍ ماردٍ، وصادرٍ مع اللَّحظَاتِ واردٍ. لا بوطن داراً .
 ولا ياوى قراراً . ولا يُطعم النَّومُ إلا غِراراً . نعم أُمْرُهُ عندي مستقر . هو
 زِنْدِيقٌ مُسْتَمْتِرٌ، وشهابٌ من شُهْبِ الكُفْرِ مستمر . ثم رجَّع البصرَ واختصر .
 وعاد إلى الحسابِ يتقرّاه، والصوابِ يتحرّاه . وتتبعُ أديمَ الطَّحنِ فقراه . وقال
 أعودُ بالله من شرِّ ما أراه . إلى كم أرى في غلاءٍ وبلاءٍ ؛ كَأَنِّي لست ذا أُمْرارٍ
 وأحلاءٍ ، تالله لو كانت قرعةُ رفعةٍ وعلاءٍ ؛ ما غاب عني اللّحياني ذو السَّجَلَةِ ،
 ولو أجهنا البياضُ ذو الغرَّةِ المستقلة ، مواجهةً حسانَ كَلْبَلِهِ . النَّحْسُ على هذه
 الروحِ قد رُتِبَ (١) ؛ وكُتِبَ عليه [من الشقاء] (٢) ما كُتِبَ ، وأخرج النُّصرة
 الداخلة من العَتَبِ . ثم أشار إلى الحِمْرةِ ، وكأنما وضع يده على جِمْرةٍ ، وقال
 كَوَسَجَ نَمِيٌّ ، وسِنِيطُ الوجهِ شَقِيٌّ ، وثِقَافٌ وطريقٌ ، وجماعةٌ وتفريقٌ ، وقَبْضُ
 خَولِجٍ ، ومَنسُكوسٌ مارج . ثم وضع عمامته ، ولَوَّابٌ (٣) هامته ، وأمال وجهه
 فجراً طلقاً ، ثم عرضهُ بَحْنًا مُطْرَقًا ، وعقد أنامله عَضًّا . [وأدَمِي صدره دَعًّا ورضًا ،
 وقطع بَصْرَهُ لِحًا وِعَضًّا ، وتكفأ وتقلع] (٤) وأدْلَعَ لسانه فاندلَع . فقلنا شرٌّ
 تأبطه ، أو شيطانٌ يتخبَّطه . أو قَرِيبٌ يستنزله ويختله (٥) أو رؤى في الذرة
 والغارب يفتنه . [ثم تماحظ وتماذر . وتضاهل وتنازِر] (٦) ، وقال ، والذي أحيأ
 عازِرٍ ، وأخرج إبراهيم (٧) من آزرٍ ، وملاك عِنانِ الرِّيحِ وأذعن له كل شيء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (غلب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (من التوراة) . وهي ساقطة في «ج» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (أندى) . والزيتونة (م أركب) .

(٤) ما بين الخاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» . وفي «الزيتونة» (ويختله) .

(٦) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال . وفي المخطوطين (ثم تماحظ وتكادن ،

وتضاهل وتبادن) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (البرائح) .

بالسجود والتسبيح ، إنه لمن عبّاد المسيح . هيهات هيهات . لا أضعف بظنّ ، ولا يُقعّق لي بشنّ ، ولا أنزع من هذه الفنون في فنّ . قد ركبت أثباج البحار ، وقدمت نياط المفاوز والقفار . وشافهني الحرم والبيت ، وصافهني الحجر الكميّت ، وأحرمت وأبّيت ، وطُفت ووفيت ، وزُرت المصطفى صلى الله عليه وسلم ونحفت . ثم ملّت على عدنّ ، وانحدرت عن اليمين ، واستسقيت كل راعدة ، وأتيت كل قاعدة ؛ ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعدة ، ووردت عكاظ ، وصدقت الحفاظ ، وقُدت العصية بنسع ، ومسحت الشامات بأخمس وتسع ، ووقفت حيث وقف الحكمان ، وشهدت زحف التركان ، وكيف تصاولت القروم ، وغلبت الرثوم ، | وهزم المدبر المقبل ، واكتسحت الجحاش الإبل [(١)] . فقلنا لله أنت ، لقد جَلّيت عن نفسك ، وأرّبت يومك على أمسك ، ولقد صدق مطريك ، ووفت صحيفة تزكّيك ، | وما كانت فراستنا لتخبّيك [(٢)] . فماذا تستقرى من اللوح ، وترى في ذلك الروح ، بعيشك [ألا ما أمتعتنا] (٣) بالإفشاء والبوح . فرجع في البحث أدواجه ، وطلّع كواكبه وأبراجه ، وظل (٤) على مادة الطحن ، يرقم ويرمق ، ويفتق ويرتق . ثم جعل ينسم ، وقال أحلف بالله وأقسم . لقد استقام النسم ، وإنه لكما أرسم وأسيم ، وإني لا أجده إلا لاغياً مبهوراً . ومنكرداً مقهوراً . ولن يلبث إلا شهوراً ، قد أفل طالع (٥) جدّه ، وفلّ حدّه ، وأتى عليه نقي خدّه ، وصي لم يملك أبوه ومالك

(١) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال . وساقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (وما كذب

مراصة - فراست لتناء فيك) والأولى أرجح

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (الاما أمتعت) .

(٤) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في الإسكوريال و«الزيتونة» .

(٥) هذه الكلمة واردة في «ج» . وساقطة في «الزيتونة» والإسكوريال .

جَدُّهُ . قَتَلْنَا صَّرَحْتَ وَأَوْضَحْتَ ، وَشَهَرْتَ هَذَا الْمَسْتَوْرَ وَفَضَحْتَ وَإِنْ سَاعَدَكَ
 قَدْرٌ ، وَكَانَ لَكَ عَنْ هَذَا الْوُرُودِ صَدْرٌ ، فَحَظُّكَ مُبْتَدَرٌ ؛ وَحَظُّكَ ^(١) صَافٍ لَا يَشُوبُهُ
 كَدْرٌ . فَقَالَ هَذَا أَمْرٌ قَدِ انَّ أَوْ كَانَ . وَسِيَّاتِكُمْ الْخَبْرُ الْآنَ . فَاَنْفَصَلْنَا وَأَصْفَيْنَا
 الْآذَانَ ، وَجَعَلْنَا نَتَلَقَى الرُّكْبَانَ ، فَلَمْ يَرُعْنَا إِلَّا النَّعْمَى النَّاجِمَةَ ، وَالْبُشْرَى
 الْهَاجِمَةَ بِمَا بَانَ ، فَأَدَهْنَا فِي شَأْنِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يِعَاوِدُهُ خَوْفٌ طَفِيَانَهُ ، فَإِذَا الْخَبْرُ لَمْ
 يَخْطُ صِمَاخَهُ ، وَكَأَنَّهَا كَانَ عَوْدًا وَافِي مَنَاخِهِ ، أَوْ طَائِرًا أُمَّ أَفْرَاخِهِ . فَلَمْ يَنْشِبْ
 أَنْ أَقْبَلَ يَصُودُ نَحُونَا أَيْ صَدَّ ، وَيَتَعَرَّضُنَا عَلَى عَمْدٍ ، تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنَّجُومِ ؛
 [وَيَنْقُضُ انْقِضَاضَ نَيْزَاكَ النُّجُومِ] ^(٢) ، وَقَالَ أَلَمْ يَأْنُ أَنْ تَدِينُوا لِي بِالْإِكْبَارِ ،
 وَتَعْلَمُوا أَنِّي مِنَ الْجَهْمِ بَابِذَةِ الْكِبَارِ ، فَقَلْنَا مِنْكَ الْإِسْبَاحَ ، فَقَدْ مَلَسَكْتَ وَمَنْكَ
 وَلَكَ النُّجَاحَ ، أَيْةً سَلَسَكْتَ . فَاطَّرَقَ زَهْوًا ، وَأَعْرَضَ عَنَّا لَهْوًا ، وَقَالَ اءَعْلَمُوا
 أَنَّ الْقُرْعَةَ لَوْ طَوَّتْ أَسْرَارَهَا ، وَمَنْعَتِي ^(٣) أَخْبَارَهَا ، لَمَزَقْتُ صِدَارَهَا ، وَذَرَوْتُ
 غُبَارَهَا ، وَاسْكَنْ لِي عَنْهَا أَوْسَعَ مُنْتَدِحٍ ، وَأَنْجَدَ زِنَادَ يُقْدَحِ ، أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ
 رَضَى الْأَحْلَاكِ ، وَعِلْمِي بِالْأَفْلَاكِ ، أَنَا فِي مَرَجِ الْمَوْجِ ، وَأَوْجِ الْأَوْجِ ، وَالْمُتَفَرِّدِ
 بَعْلَمِ الْفَرْدِ وَالزَّوْجِ ، وَمُسْتَرْطِ السَّرَطَانِ ، وَمُسْتَدِيرِ الدُّبْرَانِ ، وَبَايَعِ الْمُشْتَرَى
 بِالْمِيزَانِ ، وَالْقَابِضِ بِيَوْمِ ^(٤) الْحِسَابِ وَالْعَمَلِ ، عَلَى رَوْقِ الثُّورِ وَذَنْبِ الْكَلْبِ ،
 [أَعْقِدْ نَصْلَ الْعَقْرِبِ] ^(٥) ، وَأُقَيِّدُ الْأَبْعَدَ وَالْأَقْرَبَ ، لَصَيْدِ أَوَابِدِهَا بِالْدَقَائِقِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال و"الزيتونة" . وفي "حج" (ولحظك) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واذتض انقضاض المارد

المرحوم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (سييتي) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (بيد) . والأولى أرجح

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وفي الإسكوريال (عندى نهر العقرب)

و الأولى أرجح .

والدرج ، حتى اضطرَّ سارحها إلى الحرج ، وأصبِحها في أضيق مُنْعَرَجٍ (١) ،
 [أنا استدركت بالأنبياء فرحة الإقبال وترحة الإدبار] (٢) ، وطالمت إقليدس ،
 فاستنبطته ، وصارعت الجسطي فحسطنته ، وارتتمت إلى الأرتماطيقى ، [وأطقت
 الألوطيقى] (٣) . ولحظت التحليل محل ما عقده ، وانتضيت ما مطأل به الجهابذة ،
 فنغذه . وعابنت (٤) زحل ، حين استقلَّ على بعيره (٥) ورحل ، وضايقته في ساحته ،
 وحصرته في مساحته ، وحضرت قرانه ، وشهدت تقدمه ومُرانه ، وشاهدته
 [شَفْرًا بِشَفْرٍ] (٦) ، وناجاني برقاً بعد في الكفر ، وتخريبه لملك الصفر ،
 [وتفريقه لبلاد اللطينة] (٧) وإنجاز الوعد في فتح قسنطينة . أنا عقدت رشا
 الدلو ، وذروت غبار الحوت للفيلو . أنا اقتدحت [سقط الجوزهر] (٨) ، فلاح
 بعد خفايه وظهر . أنا استشرت (٩) الهلال من مكان سريره ، [وأخذت عليه
 ثياباً بقره] (١٠) ، وقددت قلامته من ظفره ، ودلت طير الصاير على شجره ،
 فجنيت المر من ثمره . أنا طرقت الزهرة في خذوها ، وصاغتها من الفكرة بيد

(١) هكذا وردت هذه الفقرة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (واضطر من ها هنا إلى
 الحرج ، وأجمعهم في ضيق المنعرج) .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (أنا استدركت بالانبياء ، حركة الإقبال
 والإدبار) . والأولى أبلغ معنى .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزينونة » . وساقطة في « ج » .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين وفي الإسكوريال (أنا عادلت) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال و « الزينونة » . وفي « ج » (رحله) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (شيرا وشيرا - شيرا بشيرا) .

(٧) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (وثقت به البلاد طينه) . والأولى

أدل على المعنى .

(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (رلة جوراله - الجوراه) .

(٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (استخرجت) .

(١٠) هذه العبارة واردة في الإسكوريال و « الزينونة » . وساقطة في « ج » .

لم تَدْرِهَا . أنا إذ كيت على ذكاء فظلمت تلتهب . وأخرزتها من الوهم شطناً .
 [أجذبها به فتنجذب] (١) . أنا أنعى المعتبرين حياتها ، [فيشبهون الحسنه ،
 ويتحررون أوقاتها ، حتى تنتشر بعد الطي حياتها] (٢) ، وتستقبل من العنار
 آياتها . أنا انتضيت للشباب شرخاً ، وأضرمت للمريخ عقاراً ومرخاً ، حتى أتفاني
 بإلحاح حُرُوبه ، وحوادث طلوعه وغروبهِ ، وتلمظهِ إلى النجيع ، وولوغه في مُهجة
 البطل السَّجِيع . أنا أبرى من اللأم ، وأشفي من الصم ، وأنقل العَطس إلى الشَّم .
 فقلنا أما الأولى : فقد سلمنا لك جميعها ، وأما هذه الثلاثة فلن نستطيعها . قال
 فلم تمجزون ولا تستخزون . فقلنا من كان له علاج فينفسه يبدأ ، ونغب بغيره .
 ولسنا نريدك ، ولكن تهترئ يدك . قال أما من بينهم روى . وألقى في رُوعه
 ما ألقى في رُوعى ، فثأه كالصارم ، حُسْنُه في فِرْنْدِه ، لا غمده ، وجماله في
 حَدِّه لافي خدِّه ، والمرء كما قيل بأصغريه ، لا بمنخريه ، والشأن في الخيزوم ،
 لافي الخيشوم ، وفي الذكرين ، لافي الأثيين . وبعد فهو كلام ظاهره إجمال ،
 وباطنه احتمال ، وسأنبئكم [بغزارة سيئه . وفجر ليله] (٣) . أما الأفتس فيدلى
 الضغنة ، ويتزوج في آل جفنه . فإن الله أنم ، جاء الولدُ أنم ، وإن نام عرقُ
 خاله ، بتي الولد بحاله . وأما الأصم ، فيخرج عن الغلام ، وبلا قال ، ويدلب في بني
 السَّمِيعَةِ بَرَكَةِ الإِسْمِيَّةِ والفعال ، فإن الله أراد ، ظفر بالمراد ، وجاء ابنه (٤)
 أمم من قراد . فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً . وعين طرفاً غَضِيضاً ،

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في المخطوطين (حتى جرت جرى

المهذب) .

(٢) هذه العبارة واردة فقط في «الزيتونة» .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ح» (بفجر سيئه لا بفجر ليله) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (الولد) . والمزدي واحد .

افتعكر وتشذر^(١) ، وطوف وحذر . وقال صاحب الشريعة ، ستمم بنى السميعه ، قوموا يا بنى الكريمة ، فقد قطعتم رزقي ، وأذيتم^(٢) طريقي ، وأذلتكم ضربى وطريقي ، وسددتكم طوقى ، وأخذتم على أفقى غربى وشرقى . [ذرونى التى هى للبلية تجنى ، ثم الوجد يعنى . لو شرب نواديه إثر تجنى]^(٣) . ثم نجا بعزمته سميلاً ، وأرسل بنات نعش ذيلاً ، وقد أفاد بما استصحب من ميامينك ليلاً [كذبى أيدك الله عند نواه]^(٤) ولم يطلعنى طلع ما نواه ، وما ذاك إلا لمطمع نواه ، ومغتم هواه فرفعت لى بعد وداعه نجومه ، ورممتنى بشخصه نجوة [فقلت ما أراك إلا غائل ، أوردت عنك الجبائل]^(٥) . فسراك سرى قين ، وحدثك ميين ، ألم تعبر دجياً . ويئمت سهيلاً . فقال طربت إلى الأصفية الصغار . وشاقنى الشوق بين الطواغيت والأصفار . فقلت له هلم إلى خط نعيده . وحظ استفيده . فقال لولا أن تقولوا الساعة متى ، وتطالبونى بإحياء الموتى ، لما أجمعت إلى الغرب غروباً ، ولأريتكم من الحدق ضروباً . ثم قال إن لى بالحضرة أفراناً ، وأما استصرخت عليها استصراخاً ، وانسلخت منها انسلاخاً ، وأعيا على أمره . فلم أعلم له ظعنًا ولا مناخاً . فلبنت كذلك أياماً ، قد اعتم على أمره اعتيماً . ولم أعرف له إنجاداً ولا اهتماماً^(٦) ، فإذا به وقد اضمرت عنه بأساً ، ولم أطمع فيه رأساً ، قد أشب لى شباباً . ولعت صامته شهاباً ، تكنته صرة ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (فكار وتشور) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى «ج» (وداريم) . و«الزيتونة» (براديم) .

(٣) هكذا وردت هذه الفقرة التى بين الحاصرتين فى «الزيتونة» . وهى ساقطة فى «ج» . وفى

الإسكوريال وردت على النحو الآتى : (ذرونى التى هى الليل نجى ، ثم للوقد يعنى ، لو شرب نواديه ترن) .

(٤) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . و«الزيتونة» . وساقطة فى «ج» .

(٥) ما بين الحاصرتين واردة فى المخطوطين وساقطة فى الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (تهدم) . و«الزيتونة» (تهدم) .

وَبَيْعَنَاهُ قَوْدَمَةً . وَتَوُوذُ يَسْرَاهُ جِرَةً . فَقُلْتُ لَهُ قَاتِلْكَ اللَّهُ . [مَا أَشَدَّ فَقْدَانِكَ ،
 إِلَّا فَقْدَتِكَ . وَمَا أَذْكَرُ وَجْدَانِكَ إِلَّا وَجْدَتَكَ] ^(١) أَيْنَ أَفْرَاخُكَ ، وَالْأُمُّ الَّتِي
 جَذِبَهَا اسْتِصْرَانُكَ . فَقَالَ الصَّمْلُوكُ ، لَوْ أَعْلَمُ مَذَاهِبَهُ . تَحْرَمُ مَنَاهِبَهُ . وَتُحْدِمُ
 مَرَاهِبَهُ . ذَرْتَنِي وَعِلَاجِي ، أَحَاجِي وَأُدَاجِي ، وَأَعَايِنُ وَأَنَاجِي ، وَأَتَقَابُ فِي بَرَكَةِ
 دُعَاءِ الْبِيَاجِي . فَقُلْتُ لَهُ مَالِكُ وَالْمَيْتُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَيِّتٌ . قَالَ ، لَمَّا أُذِنَ لِلَّهِ
 فَالْتَأَمْتُ ^(٢) الشَّيْمَةَ ، وَتَمَزَّقْتُ عَنِي الْمَشِيْعَةَ ، هَمَمْتُ بِالسَّرْمَقِ . وَلَفَفْتُ فِي الْخُرُوقِ ،
 [وَفَارَقْتُ مِنَ الضِّيْقِ مُنْتَدَاهُ] ^(٣) ، وَأَفْلَتَنِي يَدَاهُ ، فَخَنَكَنِي السَّمْدُ ^(٤) بِشَمْرِ
 الْمَدِينَةِ ، وَسَقَانِي مِنْ مَاءِ الْبَلْدَةِ الْأَمِينَةِ ، وَعَوَّذَنِي بِدَعْوَاتِ مَتِينَةٍ . فَمَا أَنَا كَمَا
 تَرَى [أَتَهَادِي وَاجْتَنِبُ] ^(٥) وَأَسْتَحْلِي وَأَسْتَعْذِبُ . فَقُلْنَا لَعَمْرُكَ ^(٦) إِنَّهُ لِفَضْلِ عَمِيمٍ ،
 لَوْلَا الصَّمِيمُ ، [وَإِنِهَا لَمَنْقَبَةٌ] ^(٧) ؛ لَوْلَا الْعَقْبَةُ [وَأَثَرَةٌ مُلْتَمَسَةٌ ، لَوْلَا الْعَطْسَةُ] ^(٨) .
 فَقَالَ دَعْنَا مِنْ زَخَاوَيْفِكَ ، وَأَغْضُضْ مِنْ عِنَانِ تَصَارَيْفِكَ . الْبَازِلُ لَا يَكُونُ
 إِلَّا ذَمِيًّا ، وَاللَيْثُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا شَمِيًّا ^(٩) ثُمَّ [قَامَ وَحَمَلُ] ^(١٠) ، وَابْتَدَرَ وَارْتَمَجَلُ :
 عَيْشُنَا كُلُّهُ خُذَعٌ فَاتْرِكِ الْيَوْمَ عَنكَ وَدَعِ
 أَنَا كَاللَيْثِ وَاللَيْثُوثُ بِأَرْسَانِهَا ^(١١) تَرُعُ

- (١) هذه الفقرة وارادة في الإسكوريال . ووارد منها في "الزيتونة" عبارة (ما أشد بفقدك إلا
 وما أدركها) وهي ساقطة كلها في "ج" .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (بتمام) .
 (٣) هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطين . وورد مكانها في الإسكوريال (ومثلت في متناه) .
 (٤) هذه الكلمة وارادة في المخطوطين . وساقطة في الإسكوريال .
 (٥) هكذا وردت هاتان الكلمتان في الإسكوريال والزيتونة . وفي "ج" (استحلى واستجذب)
 (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (لعمراش) .
 (٧) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي "ج" (بشوائن معتقة) .
 (٨) ما بين الحاصرتين واردا في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في "ج" .
 (٩) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (سجيا) .
 (١٠) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (قل وأحمل) .
 (١١) هكذا في الإسكوريال وفي المخطوطين (بأسانها) والأولى أرجح .

ولها الأوجه السيمة من يلقها يرع
 أي حسن لمازن بيد الدال يُخترع
 أنا كالسيف حده لا يبالي بما وقع
 إنما الحسّن للهاته وللظبي يا أكع

قلت تبا لك ساير اليوم ، إنك لتريش وتبرى ، وتُمدُّ وتفرى ، وتحاسن
 وتُجاج (١) ، وتُهارش وتُنابج ، [وتُحب وتُأمل ، وتُحسن وتُغافل] (٢) وتُشاعر
 وتُراجز ، وتُنطاح وتُنأجز . وأنت على هذا كله مُصير^(٣) ، ما جزاؤك إلا ربح فيها
 صير ، فما هو إلا أن غفلت عنه لمحة طرف ، أو نفحة عرف ، ثم التفت ، وإذا
 به قد أفلس ، وكأنا ما كان برقاً خُلس ، ولم أدو أقام أو جلس .

رحاسنه القطر^(٤) الذي لا يُعد ، والأمر الذي يأخذه الحد . وكفى به هذه الرسالة
 دليلاً على جلالته مقداره ، وتدفق بحاره [وفخازه] (٥) ، لما اشتملت عليه من بلاغة
 وبيان ، وبساط حال أنت على خبره ببيان ، وعلوم ذات افتنان ، خلد الله عليه
 الرحمة . وضاعف له [المنة والنعمة] (٦) .

[مولده : بأوايل ربيع الثاني عام خمس وستين وأربع مائة] (٧) .

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (وتخاشن) .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في المخطوطين كالأتي . (وتُحب وتُحب وتُنقل
 وتُخائل - تحامل) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معجيب به - مغرماً) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي المخطوطين (كالقطر) .
 (٥) هذه الكلمة واحدة في المخطوطين ، وساقطة في الإسكوريال .
 (٦) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (المحة) .
 (٧) هكذا ، ردت هذه النقطة في «الزيتونة» وهي ساقطة في الإسكوريال .
 الإسكوريال (ولد سنة خمس وستين وأربع مائة) .

وفاته

من خطأ الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال رحمه الله . كان ممن أصيب أيام
 الهرج بقرطبة ، فعظم المصاب به ، الشيخ ^(١) الأجل ، ذو الوزارتين ، السيد الكامل
 [الشبير الأثير] ^(٢) ، الأديب [اللغوي السرى] ^(٣) الكاتب البليغ ، معجزة زمانه
 [وسابق أقرانه] ^(٤) ، ذو المحاسن ألجمة ، [الجليله الباهرة] ^(٥) ، والأدوات الرفيعة
 الزكية ، العاهرة الكاملة ، المجمع على تنهاى نباهته ، وحمد ^(٦) خصاله وفصاحته ،
 [من لا يُشق غباره ، ولا تلحق آثاره ، معجزة زمانه فى صناعة النثر والنظم] ^(٧) ،
 أبو عبد الله بن أبي الخصال [رحمه الله تعالى ورضى عنه] ^(٨) ونظر وجهه . أُلْفى مقتولا
 قرب [باب داره] ^(٩) بالمدينة ، وقد سلب ما كان عليه ، بعد نهب داره ، واستيصال
 حاله ، وذهاب ماله . وذلك يوم السبت الثانى عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين
 وخمسمائة . فاحتمل إلى الرّبض الشرقى ^(١٠) بحومة الدوب ، نُفِّل هنالك وكُفن ، ودفن
 بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده ، ونعى إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا
 بسبيله من الفتنة . فكثرت التفجع لفقدته ، والتأسف على مصاب مثله ، وأجمعوا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الخطوطين (الفقيه) .

(٢) هذه الزيادة من المخطوطين . .

(٣) هذه الزيادة واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الخطوطين .

(٤) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٥) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الكلمة واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٧) هذا واردة فى الإسكوريال ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٨) هذا واردة فى المخطوطين ، وساقطة فى الإسكوريال .

(٩) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (وردت)

(١٠) كان « ربض سرى » من مرسية . مع فى اسمه . يسمى « سرى » .

شمالها شرقى ، عند منحنى نهر ودى خبير

بأنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحملاً، وفيها ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة،
وجلالة ونباهة، وتفناً في العلوم. وكان له [رحمه الله] (١) اهتمام بها، وتقدم
في معرفتها وإتقانها. وكان رحمه الله، صاحب لغة وتاريخ (٢) وحديث، وخبر
وسير، [ومعرفة برجال الحديث، مضطماً بها] (٣)، ومعرفة [بوقائع العرب] (٤)،
وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلوا الكلام
[عذب الفكاهة] (٥) فصيح اللسان، بارع الخط [حسنة ومثقته] (٥). كان في ذلك
كله واحد عصره. ونسيج وحده، يُسَلَمُ إليه في ذلك كله، مع جمال منظره، وحسن
خلقه، وكرم فعالة، ومشاركته لإخوانه. وكان مع ذلك كله [جميل التواضع،
حسن المعاشرة لأهل العلم] (٦) مسارعاً لمهاتهم، نهائياً بتكاليهفهم، حافظاً لعهدهم،
مكرماً لنهائهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جهم
الإفادة. له تصانيف جليلة (٧) نبهية، ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه
مع سائر ما كان يحمله ويتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم،
وقرأ عليهم (٨).

وقال غيره: قتل بدوب الفرعوني بقرب رَحْبَةَ آبان، بداخل مدينة قرطبة،
قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام

(١) زائدة في المخطوطين .

(٢) زائدة في المخطوطين .

(٣) الزيادة من المخطوطين .

(٤) الزيادة من المخطوطين .

(٥) الزيادة من المخطوطين .

(٦) هذه الزيادة من المخطوطين .

(٧) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي نسخة (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) .

(٨) تتبعنا في هذه الفقرة الأخيرة نص المخطوطين والإسكوريال . وأخرجها في صياغة
مشتركة .

ابن محمد بن علي بن غانية المسوفي [الملثم المرابطي] (١) يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين وخمسمائة . قتله بربر المصامدة وجمالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه ، ولم يعرفوه ، وقتلوا معه [ابن أخته] (٢) عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ، وكان أنكحه ابنته ، فقتلا معا . وكان محمد خيرة الشيوخ ، وعبد الله خيرة الأحداث ، ورحمهما الله تعالى .

محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي (٣)

يكنى أبا بكر من أهل شلب (٤) من العليا .

حاله

قال الأمتاذ أبو جعفر بن الزبير ، كان منقبضاً عن الناس ، أديباً ، شاعراً ، خمس عشرينيات الفنازازی ، رحمه الله تعالى . وذكره صاحب الذيل . وقال لي شيخنا أبو البركت . وهو جدّه ، أبو أبيه ، ما معناه : كان شريفاً ، على الهمة ، عظيم الوقار ، الوفا ، صموتا ، نحيف الجسم ، آدم اللون ، خفيف العارض ، مقطب الوجه ، دائم العبوس ، شاخ الأنف ، إلا أنه كان رجلاً طالما راسخاً ، عظيم النزاهة ، حافظاً للمروءة ، شهير الذكر ، خطيباً مصقماً ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي المخطوطين (من المرابطين) .

(٢) زائدة في الإسكوريال .

(٣) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال فقط . ولم ترد في «ج» . ولا «الزيتونة» .

(٤) هي بلدة برتغالية صغيرة ، تقع في نهاية ولاية الغرب الأندلسية ، في جنوبي البرتغال

على مقربة من المحيط . وينسب إليها الشاعر الكبير أبو بكر بن عمار . وبالبرتغالية Silves

مهيّبا كشيهرته . قديم الرياسة ، يُعزّد حديثه قديمه . واستقر بالمريّة ، لما تغلب العدو على بلد سلفه . ولما توفي شيخ المشايخ : أبو إسحاق بن الحجاج . تنافس الناس من البلدين ، وغيرهم ، في خطبة بنته . قال شيخنا أبو البركات : ومن خصّة نقلت ، وكان ابن مهيّب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة ، متقدما في حلّبتهم ، بجيوش الأشعار . ورام غلبته ذوو اليسار ، من حيث كان بمجرأ جيش الإعرار ، فأذلهم بالمقابلة في عقر الدار ، فلم يرجعوا من الغنيمة إلا بالفرار . قلت ، وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً ، ناسب الغرض . ونال من المتغلب على المريّة ، على عهد ، حظوة . فاستظهر به تارة على معتل مرشاة^(١) وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس . ولما آب من سفره إليها ، سعى به لديه بما أوجب أن يحجر عليه التصرف ، وسجنه بمنزله . فلما قصد المريّة الغالب بالله^(٢) ، مُستخلصا إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرّميمي^(٣) ونزل بمدينتها ، وحاصر قصبها ، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين ابن مهيّب ، بمحاولة الأمر ، وعقد الصلح ، ورضى بدينه وأمانته ، فعقد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرّميمي القصبه ، ويُعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده ، فتأى ذلك واكتسب عند الغالب بالله ، ما شاء من عزّة وتبجلة .

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني ، صدر عن الأمير الغالب بالله ، يدل على جلالة قدره نصه :

(١) سبق تعريفها .

(٢) الإشارة إلى الغالب بالله هنا يقصد بها محمد بن يوسف بن نصر أو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكة نواظرة ، وكانت المريّة وقت قيامه ، في يد محمد بن نصر بن دود ، وعليها من قبله نوازير أبو عبد الله بن الرّميمي . ونوى ابن دود في المريّة في سنة ٦٣٥ هـ . فلما ملك ابن الأحمر نواظرة واستقر بها في رمضان من هذا العام ، سار إلى المريّة وحاصرها واستولى عليها .

هذا ظهيرٌ كريمٌ، أظهر العناية الحافلة لمُسْتَوْحِبِهَا ومُسْتَحِقِّهَا، وأجراه من الرعاية الكاملة على الحُبِّ طَرَقُهَا. أمرٌ بإحكام أحكامه، والتزام العمل بفصوله وأقسامه، الأمير عبد الله محمد بن يوسف بن نصر، نصر الله أعلامه، وأدام لإقامة قِسْطِ العَدْلِ أيامه، ولولِيهِ العَلِيُّ المَسْكَانَةَ، وصفِيهِ المَلِيءُ بِأَثَرَتِي المَعْرِفَةِ وَالدِّيَانَةِ، الحَرِيُّ بِمَا اخْتَصَهُ، أَيده الله، من الحفظ لمرتبته السامية والصيانة. للشيخ الفقيه، الجليل، العالم، الأوحد، العَلَمُ، الأَتَقِيُّ، الأزهر، الفاضل، الخطيب الأرفع، المحدث الثقة، الراوية، الصالح، السَّيِّئِي، الحافظ، الحافل، الماجد، السَّرِيِّ، الطاهر، المُكْرَمُ، المبرور، الكامل، أبي بكر بن الشيخ الوزير الأجل، الفقيه، الحسيب، الأصيل. الأجد، المكرم، المبرور، الأفضل، المرحوم، أبي عمرو ابن مَهْيَبٍ، أدام الله عزّة جانبه، ووصل بالعلم والعمل أرتقاء مراتبه، أقام به الشواهد على اعتقاده، أنه أَخَاصُ أوليائه وَوَدَّاءُ، وأفضلهم قَصْدًا، وأكرمهم عهدًا، حين ظهرت له. أَيده الله، آثار آوايه الأصيلة، وبانت في الصلاح والإصلاح، مَيَامِينُ مناقبه الجميلة، ووجب له من العناية والمزيّات: أتمّ ما توجبه معارفه، وتقنضيه مجادته وزهادته، التي لا يَفْنُدُ في وصفها واصف. وأعلان، بأنه دام عزّه، أحقُّ من حَفِظَتْ عليه، مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم، وأُبْقِيَتْ مزيّةُ ما تميز به من التَّقَى وَالْوَرَعَ الكافي وَالْحِلْمَ، وبرّع بصلة العناية بجانبه، لما أهلته إليه معرفته من نفع المتعلمين، وإرشاد من يَسْتَرْشده في مسابيل الدين من المسلمين، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجلّة والتوقير، وأجدُرُ مَنْصُوصٍ على أن قدره لديه معتمدٌ بالتكريم والتكبير. وأمرًا، أعلى الله أمره، أن يستمر له، ولزوجه الحرّة الأصيلة الزكية، النقية الصالحة، المصونة المكرمة المبرورة. عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السَّيِّئِي، الزاهد الفاضل، المرحوم المقدس. الأَرْدَنِيُّ. أبي إسحاق بن الحاج، ما أطردت به العادة لها قديمًا

وحدثنا، وتضمنه الظهيران الكريمان المزوخ أحدهما بالعاشر الأواخر لشوال عام
خمس وثلاثين وستماية، من صرف النظر في أعشارها وزكواتهما إليهما، ليضما
ذلك في أحق الوجوه، ويؤديا فيه حق الله تعالى، ما مثلهما علما ودينا من يؤديه،
موكولا ذلك لله، إلى مالديهما، من نشر الأمانة، مصروفا إلى نظرها الجاري،
مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظهاير والأوامر القديمة والحديثة.
المتضمنة تسوية الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما
ولأعقاب أعقابهما، على التأيد والتخليد، والمخاشاة من اللوازم، والمعاوز
وللمغارم، وأن يطرد لشركائهما، وعمرة أملاكهما، ووكلايهما، وحواشيهما،
ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار
الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتتوالى التمشية له، من غير انصرام على الدوام،
موفى بذلك، ما يحق لجانب الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله
عزته، من حظوظ الإجلال، منتهى فيه، إلى أبعاد العنايات الشريفة،
الفسحة المجال، مقضى على حق ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين
أضفيا عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاة
والعمال وسائر ولاة الأشغال، وليتلقه بغاية الائثار والامتثال، إن شاء الله.
وكتب في الثاني عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وأربعين وستماية.

مشيخته

أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية، وعلى عباس
ابن عذابة أبي عمرو، وروى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، وسحب
أبا الحسن بن زرقون وثقه عليه، وانتقل إلى المرية، فصحب أبا إسحق البجليقي
وأخذ عنه، وتزوج ابنته، وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره.
ثم انتقل آخر عمره إلى سبنة.

شعره

نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية :

أيل التوى هل من سبيل إلى فجر	ويا قلبُ كم تأسى ويا دمعُ كم تجرى
أبي القلبُ إلا أن يهيم بحببكم	وأن تبحروا إلا القليل عن الفكر
رحلتُ عنكم لا بقلبي وإنما	تركتُ لديكم حين ودعنتكم سري
أعود بدهر الوصل من حين هجركم	وربَّ وصال مُستعاد من الهجر
للعباب نفسي لست أنفق قربكم	لزهدى فيكم بل حرصت على البرِّ
تقطعُ أكبادُ عليكم صباية	فأصبر إن الخير أنجمع في الصبر
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم	وإن كان خيرا فهو عنهم من الشرِّ
فلولاهم ما كنت أحسبُ ساعة	فقدتكم فيها عياناً من العمر
إلا يا أخى فاسمع وصاتي فإنها	لبتكَ أمري من أخ صالم الصدر
يُحبك في ذات الإله وبيتغى	بحبك عند الله مدخر الأجر
إلا إنما التوفيق كنت من أهله	مراة حق الله في السر والجر
بتوحيده في ذاته وصفاته	وأفعاله أيضا وفي الندى والأمر
فتأبر على القرار والأثر الذى	يصحُّ عن المختار والتمادة الغرِّ
وعدتُ لك الخبرات عما سواها	وكن بها مُستمسكا أبد الدهر
إذا يسلك الشيطان نجسا سوى الذى	سلكت ولا يلفى سبيلا إلى مكر
وفرق الأجناس حاشى تقيهم	فقد ظهر الإفساد فى البرِّ والبحر
ولا تنبني واذكر أخاك بدعوة	فإنك منه يا أخى لعلى ذكر

قال شيخنا أبو البركات . ومن شعره ، ومن خطه نقلت :

لاصالحين إلى الصلاح طريق رَحِبَتْ بهم وعدت عليك تضيق

صرفوا النفوس من الهوى عن صوابها
منها بعد أبيات :

يا قرّة العين استمع من ناصح
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لي
لا تخدع عنك ترهات أحدثت
واعكف على القرآن دهرك واجتمع
إن الحديث وفهقه وعلومه
واهجر نبي الدنيا فإن بهجرهم
والحق بقوم قد عموا بتجارة
واحفظ لسانك عن إذابة مسلم
لا تبك هم الرزق فهو مقدر
وانرض بالرحمن رباً حاكماً
حلوا عقال عقولهم وتحكموا
ولقد أتتك نصيحتي واشمسيها
فكن التريب مكانه من نفعها
واصطد بباري العزم أطيار الرضا
ولتجعل التسبيح شأنك إزه
واقنع بعلم الوحي علماً ثم لا
لا ترض فيه بالدنية ولتمت
ما كل علم يبتدى بمصولة
كمدارك الأصوات منها طيب
وعليكم من تحبه من له

في صدره قلبٌ عليك شقيق
روحٌ لروحك في الخلوص شقيق
وخز عبلات للجهول تروق
فالشغل عنك لغيره تفريق
هذا الذي للمؤمنين يليق
يتضاعف الإيمان والتصديق
نفقت لهم يوم القيامة روق
فسيباه قال الرسول فسوق
والعبد طول حياته مرزوق
ودع الفضول فمنه ضل فريق
إن التحكم بالعقول مروق
في أوق حُبك يا حبيب شروق
فكان مدتها إليك سحيق
فأخوك غايةً بازه التحليق
في الصعب من شأنه التصفيق
ينهب بك التشقيق والتوفيق
عطشاً إذا لم تُسق منه رحيق
منه الرّكك نعم ومنه رقيق
تسلو النفوس به ومنه نهيق
قلبٌ إليكم أجمعه مشوق

وقال ، ألفت بخطه ما نصه ، وكان بعض السفهاء قد كتب إلى يثنين

من شعرهما :

إليك أبا بكر رفعت وسيلتي ومثلك من تلقى إليه الوسائل
غرقت ببحر الذل يوما وليس لي بأرضكم إلا اهتمامك ساحل
وأساء المحاولة في دفعها ، فصرفته ، ولم أقف عليهما ، فضرب عليهما ،

وكتب في ظهرهما :

حللت أبا بكر بموطن عزة فأنسبت ما قد كنت فيه من الذل
وأصلك من كبر وكن متكبرا وكيف يطيب الفرع من ذلك الأصل

وكتبت إليه صحيفة دراهم وجهت بها إليه :

جفوت وما زال الجفا صجية لمثلك ما إن زال تُبلى بها مثل
وما قلت في أصلي فكذبة فاجر رأي الفرع محموداً فعاب على الأصل
وبالإفك ما عثرت لا بحقيقة فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل
وما زلت والله الحميد مكرماً وفي نائبات الدهر للعقد والحل
ولو كنت من يتقى الله لم تكن تمد متى تسخط وعند الرضا تحل
أما قلت أني ساحل لك عندما غرقت ببحر الذل في زمن التحل
وكيف نسخت المدح بالذم قبل أن تبث لي الشكوى وتذلي بما تذل
ولكن لؤم الطبع يحمل أهله على الصعب من سب الكرام أو الثمل
إن كان بعض الكبر تقصا فإنه عليك من الأوغاد يحسب في الفصل
وما الذل إلا ما أتى بك نحونا فقيراً من التقوى سلباً من العقل
ومطلوبك الدنيا فخذها خسيصةً توافي خسيس النفس والقول والفعل
وما الجود إلا ما أصبت مكانه ومهما فقدت الأصل لا عار في البخل

ومثلك من يُجنى ويقلب خالصاً
ولكنني عودت نفسي عادةً من
فإنها لحاك الله غير مبارك
ومثلي من يُوذى فيحتمل الأذى
وقد قال من لا شك في قوله
فإن زدنا زدنا وإن كنت نادماً
ففي كل شيء لست عنك مقصراً
فلمت لإسداء الصنعة بالأهل
البذل لم أعدل بها قط عن نذل
لسميك فيها يا بن خانية النعل
ولكنه قد يُدر الجهل بالجهل
من الحكما القتلُ أذهب للقتل
قبيلناك أخناً في أمورك بالعدل
بما شئت من قطع وما شئت من وصل

قال الشيخ ، قول الهاجى ، وأصلك من كبر . معناه التعريض يكون سلف أبى بكر بن مهيب ، علوا فى أنفسهم وتكبروا ، فثاروا بسبب ذلك بطبيرة^(١) وجهاتها ، ثار منهم عبد الرحمن جدُّ أبى بكر ، ثم حسن ، ثم عامر أخوه ، وإلى هذا أشار أبو بكر بن مهيب بقوله فى بعض شعره :

إن لم أكن ملكاً فكنتُ رئيساً

وأنشد فى الصلة الزبيرية^(٢) قوله رحمه الله :

أملى من الدنيا المباحة كيرة
قد أضرب الزمان عن سكانها
أبقى بها رمقى ودارُ نابية
فكانها فى القفر دارُ خالية
ومن شعره فى المقطوعات :

ترحل صبرى والولوع مقيم
فيا ليت شمري هل أفوز بعطف
وصحَّ اشتياقى والسو سقيم
من زينت خدى ورداً عليه أقوم

(١) طبيرة Tavera ، هى بلدة من بلاد ولاية الغرب الأندلسية تقع فى جنوبى البرتغال على شاطئ المحيط ، على مقربة من مصب نهر وادى يانة . وقد وقعت بها عدة ثورات فى أوائل العهد الموحدى فى ، منتصف القرن السادس الهجرى .

(٢) الصلة الزبيرية ، ينصدها كتاب «صلة الصلة» لأبى جعفر بن الزبير .

ويا جنة قد حيل بيني وبينها بقلبي من شوقتي إليك جحيم

دخوله غرناطة

قال الشيخ ، دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ الفاضل أبو الحسن ابن عُبَيْدَةَ ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، ومن رافق جده في الكتّاب عن بعض الأمراء مدة ، وفي الخزانة بالمرية أخرى .
توفي بسبته أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسماية

محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله

من صلة ابن الزبير : كان كاتباً بارعاً ، شاعراً مجيداً ، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام ، وغير ذلك ، مع نباهة وحسن فهم ، [ذو فضل وتعمق]^(١) وحسن سمّت . وورد على غرناطة ، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة ، وكان معلوم^(٢) القدر ، معظماً عند الكافة^(٣) . ثم إنه رجع إلى مرسية ، وقد ساءت أحوالها ، فأقام بها مدة ، ثم انفصل عنها ، [وقد اشتدت أحوالها]^(٤) ، وانقر بالعدوة بعد مكابدة .

قلت ، أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب رحمه الله ، قال ، كان شكس^(٥)

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال و"الزيتونة" . وفي «ج» (ذا نباهة) .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (عظيم) .
- (٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (صنفة) .
- (٤) هذه الجملة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .
- (٥) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (شكس) وهو تحريف .

الأخلاق ، تتقاطبا ، زاهياً^(١) بنفسه ؛ ابتداء يوماً كتاباً ، صَدَّراً بخدايته ، فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « عفو العفو »^(٢) ، وتركه لأمر عرض له ، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشي ، وهو كاتب المقام السلطاني ، فظن له صورته أنه وهم ، وأراد « الصفوة » فأصلحه ، فلما عاد ونظر إليه مزقه ، وكسر الآلة ، وقال لا أقم بموضع [بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر]^(٣) ، وبتسور به الإصلاح ، على قلم يطمع بعد في مقامه . وانعرف ، واستقر بتأسان ، كتاباً عن صلواتها أبي يحيى بغير أسن^(٤) بن ريان . وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله بن الأمير أبي زكريا ، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير والعلماء^(٥) وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين ، فاعتذر ورد عليه المال ، وكانت^(٦) . أشق ما مر على المستنصر ، [وظهر له علو شأنه]^(٧) ، وبعد همته .

مشيخته

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السداد ، وأبي بكر بن محرز ، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي ، وقرأ وسمع على هؤلاء ببغداد ، [وأجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم وغيره]^(٨) .

- (١) مكذبي المخطوطين . وفي الإسكوريال (ذاهبا) .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ومعناها (خيرة الخيرة) . ووردت في المخطوطين (صفوة الصفوة) .
- (٣) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (يحصل فيه هذا المقام) .
- (٤) هكذا وردت في المخطوطين . وهو الاسم الكامل . ووردت في الإسكوريال (ينموز) وهو مختصر الاسم .
- (٥) واردة في الإسكوريال ، وساقطة في المخطوطين .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (فكان ذلك) .
- (٧) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال «والتريوتنة» (لأجل أنه) .
- (٨) هذه الجملة واردة في الإسكوريال «والتريوتنة» وساقطة في «ج» .

شمسه

من ذلك قوله :

أقنع بما أوتيته تنل الغنا
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو
والله أرحم بالعباد فلا تسل
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة
وانظر إلى من كان دونك^(٢) تدكر
وإذا دهتك ملة فتصبر
رُمتنا زيادة ذرة لم تقدر
أحدًا تعيش عيش الكرام وتؤجر
ووأيت نفسك [قد غوت فاتبصر]^(١)
لعظيم نعمته عليك وتشكر

[ومما قاله في صباه :

يا دعوة شاكٍ ما قد
ظبي تصدى لالوب يصيدها
ورمى وإن قالوا رننا عن
قد كنت أحذر بدائش لو أننى
أو ما عليه ولا عليه حاكم
أو ما لبارك ذمة مرعية
إنى استتمت إلى ظلالك ضلة
مالي أخطب بانه ما أن تعى
أكريمة الحيين هل لتسيم
أصبتى بعد المشيب وليس من
لولا ما جذبت عنانى لوعه
دهاء من لحاظ رثاك
من ناظرية فى سلاح شاك
فأرى ساج عليه سيم الذئك
أبصرت منه مخايل الفتاك
يحمى ثغورك أو يحوط حماك
أبدا يظل دم الغريب طلاك
فإذا ظباءك ماضيات خباك
قولا ولا ترنى لدمعة بساك
رحمى لديك فأرتجى أرحماك
عذر لمن لم يصبه ثراك
والله يشهد أنى لولاك

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (قد ثبت فاستغفر) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (إلى من دون حالك) .

لما دعا داعي هـواك أجبتُهُ
أصليتني نار الصدود وإنني
وأبحت ما منع التشريع من دمي
وتركتُ قلبي طائراً متخبّطاً
ومنعتُ أجفاني لذيذ منامها
ولقد عجبتُ وأنتِ جدُّ بخيلة
إني لأياسُ من وصلك تارة
أسماك أنك قد خفضت مكانتي
إني مُعناك المتيم فليكن
ثنى معاطفك الصباً خوطة
أبعدتني منها بطعنة راح
أموت من عطشٍ وثغرك مَورِدُ
هـلاتي عن حلوةٍ فليلة
وقال يجيب أبا عبد الله بن خميس رحمه الله، عن قصيدة بعث بها

إليه أولها:

رُد في حديق مايبها مرتادُ
زُرُق الأسنه دون زُرُق إحمأها
قد لذ مَورودُ وطاب مُراد
وظبأ كما رنت العيون حداد

هذه الأبيات:

نعم المراد لمن غدى يرتاد
سألت على العاقى جداوله
مرعى يرف نبتاته ومهاد
كما صالت على العادى بدا ناد
فشددت رحل معيتي منه
إلى حيث السيادة تبتني ونشاد

وركبتُ ناجيةً مبارية الصبا
 يفتادها سكانها قلب على
 عجباً لهم أحلامهم عادية
 خبر تلمساناً باني جيتها
 وعاقبها سمعاً ولم أر حسنها
 ولربِّ حسنٍ لا ثوابه ناظر
 ودخانها فدخلت منها جنة
 ورأيت فضلاً بهرا ومكارما
 أهل الرواية والدراية والنداء
 فهم إذا سئلوا بحار معارف
 درجاتها ينحط عنها غيرهم
 فأجلهم وأحلهم من مهجتي
 وأودع حين أخط أطيب ذكرهم

خفراً فوق خضارة تُعتاد
 من كان من مكانها استبداد
 تنفى عليهم حكمها أعواد
 لما دعاني نحوها الرواد
 إلا أناساً حادثوا فأجاد
 وبراه لا يخفى عليه فزاد
 سكانها لا تخفى ولا حياء
 وعلاً تفاضروا دونها التعداد
 في نورهم أبداً لنا استمداد
 ولدى السكنة والنهي أطواد
 ومن الوري قترٌ ومنه وهاد
 بمكانة ما فوقها مژداد
 لو أن أسود مقلتي مِداد

وقال بخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة :

رقت حواشي طبعك ابن خميس
 ولما يصبوا الحلِيم ويمتري
 فهنا قريضك بي وهاج رسي
 لك في البلاغة والبلاغة
 نظمٌ ونثر لا تُبارى فيهما
 تهمدت ذاك وذاب علم الطوس^(١)

وقال عند وفاته وربما نسبت غيره :

ربُّ أنت الحلِيم فاغتر ذنوبي
 ليس يعفو عن الذنوب^(٢) سواكا

(١) شعر المحصورين الحصارين . وردت في إسكوريال وسقط في المخطوطين .

(٢) هكذا وردت في إسكوريال . وفي المخطوطين (تدب) .

ربُّ ثبَّتْ عند السؤال لسانى وأمنى على طريق هدا كما
 رب كن إذا وقفتُ ذليلاً ناكسَ الرأى استحى أن أرا كما
 رب من لى والنار قد قرُبت لى [وأنا قد أجمت عهدِ حما كما (١)]
 رب مالى من عُدَّةٍ لمالى (٢) غير أنى أعددت صدق رجاء كما
 رب أقررتُ أنى عبداً سوء حِلْمُك الجُم غرّه فعصا كما
 رب أنت الجواد بالخير دوماً لم تنزل واحماً فهب لى رضا كما
 رب إن لم أكن لفضلك (٣) أهلاً باجترابى فانت أهلٌ لذا كما

نثره

ومن نثره ما خاطب به صديقهين له بمرسية من مدينة إشبيلية :
 كتبته ، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى ، وأجنا كما من ثمرات (٤) إحسانه
 أكثر ما يُجنى . من إشبيلية ، وحالى بحمد الله حسنة ، ونفسى بحب قربكما
 مرهنة ، وعلى بما لديكما من السراوة التى جُبِيتا على فِطرتكما ، [وامتزتما فى الاجتلاء
 بغرَّتكما] (٥) ، علم لا يدخله الشك ، ويسبى إلى ودك الذى لبسته معلماً وتقادته
 محرماً . لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال . ولا ينفك . فلنن عنان القلم عن
 مداده ، ونأخذ فى حديث سواه . وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع
 الآخر ، ولقينا الإفانت (٦) على مياين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنايه بقرار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة فى الإسكوريال . ووردت فى المخطوطين كالاتى (وانا تحت
 أحد وحا كما) .

(٢) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لما بى) . الأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى الإسكوريال (لذلك) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (ثمرة) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى المخطوطين (وامتزتما بتقوتكما) .

(٦) الإفانت هنا يقصد بها «الإفانتى» Infante ، وهو لقب يطلق على ولى عهد ملك إسبانيا ،

ويجب أن نذكر أن إشبيلية كانت فى الوقت الذى يتحدث فيه الكاتب عنها قد سقطت فى أيدي القشتاليين
 وذلك فى شعبان سنة ٦٤٦ هـ (نوفمبر ١٢٤٨ م) ، وغدت مدينة نصرانية ، ثم جعلت عاصمة لملكة قشتالة .

الخطاطر ، وقررة العين ، ونزلنا في الأخبية خارج البلد ، موضعا (١) يعرف بالقنّب ،
 فد تفجر عيوننا ، وجمع ماؤه وهو اژه من المحاسن فنونا ، وعرض علينا النزول
 في الديار داخل المدينة ، فرأينا المقام فيه (٢) ، أحد الأسباب السعيدة (٣) على
 حفظ الصحة المعينة . ورغبنا عن المدينة لحرّها الوهاج ، وغبارها العجاج ،
 ومايها الأجاج . ولما تاب من النشاط البارح ، واستقل من المطى الرازح ، طفت
 في خارجها وداخلها ، ووقفت (٤) على مباينها المشيدة ومنازلها ، ورأيت انسياب
 أراقشها ، وتقصيت آثار طريانتها (٥) وبراقشها (٦) فشاهدت من المباني العتيقة ،
 والمنارة (٧) الأنيقة ، ما يلا (٨) أعين النظّار ، وينفّح فيه مجال الاعتبار . على
 أنى ما رأيتها إلا بعد ما استولى عليها الخسف . وبان عنها الظرف ، ونبا عنها
 الظرف ، فلا ترى من مغاينها إلا طلالا دارسا ، ولا تلح من بدايعها (٩) إلا محيّا
 عابسا ، لكن الرأى إذا قدر وضعها الأول ، وركب وهمه من مباينها ما تحال ،
 وتخيل في ذهنه حسنها وتمثل ، تصور حسنا يدعو إلى المجون ، ويؤلى عن الشجون

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (سيوضع) .
 (٢) هكذا وردت في «الزيتونة» وفي الإسكوريال (فيها) . وفي «ج» (القنّب) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (المساعدة) .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (واطلعت) .
 (٥) طريانتها يقصد بها طريانة Triana ضاحية إشبيلية الجميلة الواقعة إزاءها على الضفة
 الغربية من نهر الوادى الكبير . وما تزال طريانة حتى اليوم من أجل ضواحي إشبيلية .
 (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (وفلسها) . وفي الزيتونة (وعشبا) والأولى
 أرجح وأنسب للسياق .
 (٧) المنارة يقصد بها منارة الجامع الأعظم الواقعة في قلب إشبيلية ، وهي التي حولت
 فيما بعد من أتلاها إلى برج لأجراس كنيسة إشبيلية العظمى ، التي بنيت فوق موقع الجامع ، وما تزال
 حتى اليوم من أعظم الآثار الأندلسية الباقية . وتعرف بالإسبانية باسم (لاخيرالدا) La Giralda .
 (٨) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي «ج» (بستيل) .
 (٩) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

[لولا أنها عُرِضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ . لِمَا دَانَ الْإِبْدَانَ ، وَلَا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قَارِبٍ]^(١)
 وحسبي أن أصفها بما يقبها من القبول ، وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من
 الفصول ، ولولا أن خاطري مقسم وفكري حده مثلم ، لقصيت من الإطناب وطراً ،
 ولم أدع من معاهدها^(٢) عيناً إلا وصفتها ولا أنراً .

توفي بتهسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستماية .

محمد بن عبد الله بن محمد بن اب الأُمى^(٣)

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن الصايغ ، بالصاد المهملة ، والغين المعجمة ،
 من أهل المريّة .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات في «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» . كان
 سهلاً ، سلس القياد ، لذيذ العشرة ، دَمِثَ الأخلاق ، ميالاً إلى الدّعة ، نفوراً
 عن النّصب ، يركن إلى فضل نباهة وذكاء ، يُحاسب بها عند التحصيل والدراسة ،
 والدُّؤوب على الطلب ، من رجل يجري من الألحان على مضمار لطيف ، ولم يكن
 له صوت رخيم ، يُساق إنطباعه في التّلحين ، يخبر ذلك بالأوتار . وحاول من
 ذلك بيده مع أصحابه ، مالاذبه الظرفاء منهم . واستعمل بدار الأشراف بالمريّة ،
 فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان ، وجاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه . ثم

(١) مابين الحاصرتين ورد في الإسكوريال و«الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) ممد في إسكوريال . وفي المخطوطين (معالمها) .

(٣) وردت هذه الترجمة في مخطوط الإسكوريال فقط ولم ترد في «ج» ولا «الزيتونة» .

نَهَضَتْ بِهِ هَمَّتُهُ إِلَى أَرْفَعِ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَارَ إِلَى غِرْنَاطِهِ ، وَقَرَأَ بِهَا الْعَرَبِيَّةَ وَغَيْرَهَا ،
وَانْخَرَطَ فِي سَبِيلِكَ نَهْيَاءَ الذَّلِيلَةِ لِأَدْنَى مَدَّةٍ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ فِي حُدُودِ
الْعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَلَمْ يَتَجَاوِزِ الْقَاهِرَةَ لِوَافِقَةِ هَرَاةَا عَائِلَةٍ ... كَانَ يَشْكُوهَا ، وَأَخَذَ
فِي إِقْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِهَا ، وَعُرِفَ بِهَا إِلَى أَنْ صَارَ يَدْعَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّحْوِيِّ . قَالَ
شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ ، وَرَأَى فِي صَفْرِهِ قَارَةَ أَنْثَى ، فَقَالَ هَذِهِ قَرِينَةٌ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ ،
وَصَارَ هَذَا اللَّقْبُ أَغْلَبَ مِنْ إِسْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ .

وَجَرَى ذِكْرَهُ فِي النَّاجِ بِمَنْصَبِهِ : لِحُجِّ مَعْرِفَةٍ لَا يَغِيضُ ، وَصَاحِبِ فَنُونٍ
يَأْخُذُ فِيهَا وَيَفِيضُ . نَشَأَ بِبِلَادِهِ مَسْتَمِرًّا عَنْ سَاعِدِ اجْتِهَادِهِ ، وَشَارَكَ فِي كُنْزِ الْعِلْمِ
وَوَهَادِهِ ، حَتَّى أَيْنَعَ رِيضَهُ ، وَفَهَّقَ حَوْضَهُ . ثُمَّ أَخَذَ فِي إِرَاحَةِ ذَاتِهِ ، وَشَامَ بَارِقَةَ
لذَاتِهِ ، ثُمَّ سَارَ فِي الْبَطَالَةِ سِيرَ الْجُمُوحِ ، وَوَاصِلَ الْغُبُوقِ بِالصُّبُوحِ ، حَتَّى قَضَى وَطْرَهُ ،
وَسَمِيَ بِطَرِّهِ ، وَرَكِبَ الْفُلْكَ ، وَخَاضَ الْأَجْبَجَ الْحُلْكَ ، وَاسْتَقَرَّ بِبَصْرٍ عَلَى النِّعْمَةِ
الْعَرِيضَةِ ، عَلَى شَكِّ فِي قَضَائِهِ ، الْحَبِجَةَ الْعَرِيضَةَ ، وَهُوَ بِمَدْرَسَتِهَا الصَّالِحِيَّةِ ، نَبِيهِ
الْمَكَاةِ ، مَمْلُودٍ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِيَانَةِ .

مَشِيخَتُهُ

قَرَأَ بِالْمَرْيَةِ عَلَى الْمَكْتَبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَيْرُتِيُّ ، وَأَخَذَ عَنْ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ أَبِي
الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ ، وَقَرَأَ بِالْحَضْرَةِ عَلَى الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَيْجَاطِيِّ وَغَيْرِهِ .
وَأَخَذَ بِالْقَاهِرَةِ عَنِ الْأَسْتَاذِ أَبِي حَيَّانَ ، وَانْتَفَعَ بِهِ وَبِحَبَاهِهِ .

شَمَرُهُ

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ ، وَكَانَ أَخَذَ مِنْ قَرْضِ جَيْدِ الشَّعْرِ بِالْحِظِّ الْوَافِرِ .
فَمِنْ شَمَرِهِ مَا نَقَلَهُ إِلَيْنَا الْحَاجُّ الْحَافِظُ الْمَكْتَبِيُّ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ غَصْنِ ، حَسَبًا
قَبْدَهُ عَنْهُ بِبَصْرٍ .

بُؤَدُ الْمَسْزَارِ وَلَوْعَتُهُ أَشْوَاقُ حُكْمًا بِفَيْضِ مَدَامِعِ الْأَمَاقِ

أذكى لهيب فزادى الخلفاق
من ذا الذى اغدى فديتك باق
وإذا تولت لم تنفل بلحقاق
صوب الغمام الواكف الرقراق
قلب سليم ياله من راق
لا كان فى الأيام يوم فراق
يفترى للعلا بنجايب ونياق
خير البرية ذى المنخل البراق
حفظ العهود وصحة الميثاق
والظاهر الأخلاق والأعراق
وجبينه كالشمس فى الإشراق
بالجود والإرفاد والإرفاق
سارت رسالته إلى الآفاق
قبضت عنان المجد باستحقاق
حجى الوطيس وشمرت عن ساق
وتجول سبغاً فى الدم المهرق
من بعد إشراق مضى ونفاق
ظل ظليل وارف الأوراق
ما ناله كسف ونكس تحاق
أمن السفين غوايل الإغراق
ذابت نفوسهم من الإشفاق
والجاء والشرف القديم الباق

وخفوق نجدى النسيم إذا سرى
أمعللي إن التواصل فى غدى
إن الليالى سبتت قد أقبلت
فصفح تدونه على الحمى سقى الحما
فيه لدى القلب السليم وداده
قلب غداة فراقهم فارقت
يا سارياً والليل ساج عاكف
عرج على مشوى النبی محمد
ورسول رب العالمين ومن له
الظاهر الآيات قام دليلها
بدر الهدى البادى آياته
الشافع المقبول من عم الورى
والصادق المأمون أكرم مرسل
أعلى الكرام نداء وأبسطهم يداً
وأشد خاق الله إقداما إذا
أمضاهم والخيل تعثر فى القنا
من صير الأديان ديناً واحداً
وأحلنا من حرمة الإسلام فى
لو أن للبدر المنير كماله
لو أن للبحرين جود يمينه
لو أن للآباء رحمة قلبه
ذو العلم والخفى المنجلى

آياته شُهَبٌ وغرث بنسائه
 فاحت فيوح الأرض وهو غياثها
 ذو رافة بالمؤمنين ورحمة
 وخصال مَجْدُ أفردت بالخصل في
 ذو المعجزات الغر والأي التي
 نقت المعارض خيراً لما حكمت
 يقظ الفزاد سرى وقد هجع
 وسما وأملك السما تحفة
 منها:

ياذا الذي اتصل الرجا بحبائه
 حبي إليك وسيلتي وذخيرتي
 وإليك عملت الرواحل ضمراً
 تهباً إذا نشرت تلك الفلا
 يحدو بهن من النحيب مردد
 غرض إليه فوقنا أسهماً
 وأنختها بفنايك الرحب الذي
 وقوى مؤملاك الشفاعة في غد
 وعليك يا خير الأنام تحية
 تارج الأرجاء من لفحاتها
 منها:

قسماً بتيب تراب طيبة إنه
 وأبصار مسجده الذي برحابه
 مسك الأنوف وأئمة الأحداق
 لمعامل الرحمن أي نفاق

لا جود فيه بأدمع أسلاكها
 أغدو بتقبيل على حصبائه
 وعليك ذا الثورين تسليم له
 كفواً لنبي وكفوا على جنّة
 وعلى أب السبطين من سبق الألى
 الطاهر الصهر ابن عم المصطفى
 مُبدي القضا من وراء حجابها
 يغزو العدا بغلظة فيعيدهم
 وإياته لا شيء من عقباتها
 وعلى كرام سنة عثرت بهم
 ما بين أروع ما جد نيرانه
 وأخى حروب صده رشف القنا
 ما غرّدت شجواً مطوقة وما
 وعلى القرابة والصحابة كلهم

ولما سني الله في الروم الواقعة المبيرة والواقعة الشهيرة^(١)، التي أجلت عن قتل مليكهم
 معركتها، وانتهت للفتح معركتها وحركتها، وعمت الإسلام بإتعاث فل الكفر بركتها،
 قدّم مع الوفود من أهل بلده، وهنأ أمير المسلمين^(٢) بفتح ذلك، وطلوع ولده، فقال:

(١) الإشارة هنا إلى الموقعة التي نشبت بين القشتاليين بقيادة اندون بيدرو والدون خوان
 الوصيين على ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر، والجيش الغرناطي بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان
 ابن أبي العلاء في هضبة إلبيرة على مقربة من غرناطة، وذلك في ٢٠ ربيع الثاني سنة ٧١٨ هـ (مايو
 سنة ١٣١٨ م) وهزم فيها النصارى هزيمة فادحة، وقتل دون بيدرو وزميله دون خوان وجمهرة
 من النبلاء والقادة والكبراء النصارى، وغرق من النصارى عدد جم بنهر شنيل، وحمل المسلمون على
 مقادير عظيمة من الغنائم والأسلاب. وكان ذلك في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل (٧١٣ - ٧٢٥ هـ)
 (٢) أمير المسلمين المشار إليه هنا هو السلطان أبو الوليد إسماعيل السابق ذكره.

أمليك أم بدرُ الدُّجَا الوضاح
 أعلى المسالك ما بنته يدُ الشُّقى
 وأحقُّ من يدعى خليفة ربُّه
 كأَمير أندلس وناصرها الذي
 أسمى الملوك أبو الوليد المرتضى
 هو دَوْحَةُ الملك العَلِيّ فروعها
 وبمحو رسم عُداته بلبساته
 بدرُ الكمال لو أن بدرًا مثله
 بحرُ النّوال لو أن بدرًا مثله
 ولمثله قاد الجياد عُدوه
 أهواه شيطان الهوى في جُلّة
 طمعُ الشُّقى أضلّه وأذله
 فأبادهم وملوكهم فتحُّ بدا
 وقواصل تُبرى بهن مفاصل
 لم تُقن كلهم سيوفُ الهند بل
 ما زال حتى عُداك يحدّ ميسّتهم
 فاقتلُ كبيرهم واحي صغيرهم
 تستبيح ما حاط العُداة وما حوا
 يامّة الكُفران تفتيداً وهـل
 أتركتهم بطرو^(١) وحيدا مفردا

وحُسامه أم بارق لُـساح
 وعمادها الأعلام والأرماح
 ملك خلافته هُدَى ونجاح
 أفنى العُداة حُسامه السّفاح
 وأعزُّ من شَرُفت به الأمداح
 وبراحتينهُ نرزق الأذواح
 نطق الكتابُ وخُطت الألواح
 لم يبد خِشية نوره الإصباح
 لارتاع خِشية فيضه المـلاح
 فخبأ له قِدحٌ وخَب قِداح
 إن الهوى بأليفه طمّاح
 كَل المطامع للغبي فُصاح
 وبَسعد جدك ربنا فتاح
 وصفاح يُفري بهن صِفاح
 لسيوف جودك في النفوس جراح
 ويحثُّ فوّتاً عاجلاً فيُراح
 واسب النّسا فما عليك جُناح
 وِحاك يامنصور ليس يُباح
 لجفون أعمى ينجلي مصباح
 يثدو عليه الطائر الصّباح

(١) بطرو هنا هو الدون بيدرو (وبالعربية بطروه) الرصي علي ملك قشتالة المتقدم ذكره .

وجوان^(١) يرتشف الندى فندمه غربانه ووساده الصفاح
 وكذلك المطران جاد رسومه قطر المنايا الصارم الففاح
 أروس أم تببيض النعام بمرجنا أصنافكم هدى أم الأشباح
 ما للمطامير اشتكت من ضيقها بالمال والأسرى وهن فساح
 جارت بكم أبطالنا فكأنكم كشح وجيش المسلمين وشاح
 تبا لرؤى بهم براحة أيرام عن خيل الإله براح
 قصت قوادمكم فما إقدامكم ولليل جنح الكفر تفيض جناح
 هذا فلا تستعجلوا ببلادكم سترون كيف يكون الاستفتاح
 قد انثنت بطحاونا بحطامكم ونباتها الريحان والنفاح
 تالله ما كنتم بأول عسكر أمل النجاح وحينه يجتاه
 القس غركم ليهالك نسلكم بسيوفنا إن إفككه لصراح
 كم ذا يسخركم ويسخر منكم غداً ومكراً إنه لوفاح
 منها:

وفوادس نشوا لنهب فراس طلبوا انتشاو الدما للـراح
 أربوا على الأمد المزبر بسالة مع أنهم غره الوجوه صباح
 خاضوا بحار الحرب يطهرو بحرهما ووطيسها حامى الصلى لفاح
 ما هم يبذل نفوسهم ونفيسهم عن النوال والنزال سباح
 وإذا هم ذكروا بناد فاندشق مسكا تزوع عرفه النفاح
 ففدا وراح النصر يقدم جمعهم ويحفهم حيث اعتدوا أورااح
 سناك مولانا بسعد قبل خالصاء قد عمتهم له أفراح

(١) جوان هو الدون خوان الوصي على ملك قشتالة المشار إليه فيما تقدم.

وَبِنَجْلِكَ الْبَدْرُ الَّذِي آفَاقَهُ
 بَدْرُ الْبَدُورِ فَلَا يَدَارُ عَلَيْهِ
 فَلَكُمْ عَدُوًّا أَفْلًا بِزَوْغِهِ
 وَمُنَاوِنًا لَكَ بِالْأَمِيرِ تَجِدُّهُ
 قَدْ جَاءَ بَعْدَ الْعَسْرِ يَسْرًا شَامِلًا
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّ خَصَّنَا
 وَعَلَى الْمَقَامِ الْمَوْلُودِي تَحِيَّةً
 مَا خَطَّ مَدْحُكَ فِي الطُّرُوسِ مُحِبَّرًا
 مُلْكٌ وَمِهَالْتُهُ هُدًى وَصَلَاحُ
 وَبِذَا نَارَتْ أَرْبَعٌ وَبِطَاحُ
 خَسَفَتْ بِهِ الْأَوْجَالُ وَالْأَتْرَاحُ
 كُلُّهُ بِحُبِّكَ نَفْسُهُ تَرْتَاحُ
 قَدْ جَاءَ بَعْدَ الشَّدَةِ الْإِنْبَاحُ
 وَلَنَا بِحَمْدِكَ بَعْدَهُ إِفْصَاحُ
 كَالزَّهْرِ إِذْ تُهْدَى شَذَاهُ رِيَّاحُ
 وَمُحْيِي دَجَاجِرِ الْأَصِيلِ صَبَاحُ

وقال يرثي الخطيب بياده ، الشهير الفاضل ، أبا الحسن بن شعيب
 رحمه الله .

بَوَادِي لَقَدْ حَمَلَتْ مَالِيَسَ لِقَوَاهُ
 بُلَيْتَ بَذَا التَّفْرِيقِ فَاصْبِرْ فَرِيمًا
 شَجَا كُلِّ نَفْسٍ فَقَدْ أَنْفَسَ جَوْهَرُ
 بَكِي كُلُّنَا حَزَنًا عَلَيْهِ كَمَا بَكِي
 فَلَهُ خَطْبٌ جَلِيلٌ لَقَدْ رَمَى
 فَلَوْلَا كَمْ يَغْلِبُ تَأْسِينَا الْأَسَى
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ جَفَا جَفْنُهُ الْكَرَى
 وَفَاةَ لِمَرَى وَفِي فُؤُوفِي أُجْرُهُ
 أَبِي الْحَسَنِ الْعَدْلِ الرَّضَا الْمُحْسَنِ الَّذِي أَتَتْهُ بِأَضْعَافِ الزُّبَادَةِ حُسْنَاهُ
 خَطِيبٌ جَلَا فَصَلَ الْخَطَابِ بَيَانُهُ
 وَجَسَمُ الْهُدَى الرَّحْبِ السَّبِيلِ وَرُوحُهُ
 وَلَفْظُ الْعُلَى الْفَخْرِ الْأَصِيلِ وَمَعْنَاهُ
 فِرَاقٌ وَلِي شَرَفِ الْأَرْضِ تَقْوَاهُ
 بَلَفَتْ بِحَسَنِ الصَّبْرِ مَا تَمَنَّاهُ
 تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى كِرَامِ سَجَايَاهُ
 لَفَرَّقَتْهُ مَحْرَابُهُ وَمُصَلَّاهُ
 أَجْلٌ خَطِيبٌ بِالْجَلَالَةِ مُصَنَّاهُ
 وَلَمْ يَشْمَلِ الشَّمْلَ التَّفَجُّعَ لَوْلَاهُ
 وَمَنْ جَانَبَتْ وَصَلَ الْمُضَاجِعَ جَنْبَاهُ
 وَأَصْنَفِي بِإِصْفَاءِ الْإِلَهِ وَصَافَاهُ
 وَأَعْدَلَ قَاضٍ فَاضِلٌ فِي قَضَائِهِ
 وَجَسَمُ الْهُدَى الرَّحْبِ السَّبِيلِ وَرُوحُهُ
 وَلَفْظُ الْعُلَى الْفَخْرِ الْأَصِيلِ وَمَعْنَاهُ

حليم طاهر القلب أوّاه
 تميد خجلا أرض بها حطّ نعلاه
 تلد بها الأسماع ما كان أحلاه
 فما زال يخشى الله والكل يخشاه
 وتبحر بالليل للتغمض عيناه
 وكم غاسق من حيندس الليل أحياء
 ومنه استفاد الطيب أطيب رياه
 وأمن منى شمس الضحى من محياه
 فتعرفه في الصالحين بسياه
 كذا من أحبّ الله حبه الله
 وآثر ذياك الضريح وأنداه
 ورضوان بشره بذلك بشره
 لهم يعترى من بعده العزّ والجاء
 ولم تكن الشمس المنيرة إلّا
 نعمّ وأسنيه بحبه ماواه
 وغاداه صوب الغاديات ومياه
 من الغيث وكاف السحاب وأسخاه
 فقد رضى الرحمن عنه وأرضاه
 صلاة بها يمحو المسىء خطاياها
 إن سرت سحراً وريح الصبا يخزماه

مطيعٌ رفيع خاضع متواضع كريم
 متى يمشى هوّناً ليس إلا لمسجد
 تكلمه عرفٌ وذكرٌ وحكمة
 كذا صمته خوفٌ وفكرٌ وخشية
 يصوم وقد طال النهار مهجراً
 فكم دارس أحياء من أربع الثقا
 فيأطيباً أصلاً وذكراً وترية
 وفي حشقة تحن ومرتبجاً وباطنا
 محياً يروى الناظرين تهلاًلاً
 بحبك هامت كل نفس منيية
 فما أنعم الأرض التي بك قدّست
 بشراك إنا قد شغلنا بحزننا
 عزاً لأهليه الأهية أنهم
 نال شعيب في الزمان بدوره
 أعزى أولى الإيمان كلا بفقده
 سقى الله ونسبى الحيا ذلك الثرى
 كما قد سقاه ليلة الدفن وبه
 ترضوا عن القاضى الإمام خطيبكم
 وصلوا على هادى الأنام نبيكم
 عليك سلام الله ما الروض فاح

توفي رحمه الله في رمضان تحميماً من سنة خمس على شك وسبع مائة^(١) ،
أخبرني بذلك من يوثق به .

محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة^(٢)

من أهل مالقة ، وتردد كثيراً على الحضرة ، مُسترفداً ومُنشداً ، وفي غير
ذلك من الأغراض يكنى أبا عبد الله .

حاله وشعره

من الإكليل^(٣) : شاعر اتخذ النظم بضاعة ، وما ترك السعي في مذاهبه
ساعة ، أجرى في الملا ، لا في الخلا ، وجعل ذكره دلوه في الدُّلا ، وركض
في حلبة النجبا النجايب ، ورمى في الخراطي بسهم صايب ، فخرج بهرجه ونفق ،
وارتقد بسببه وارتنق . وهو الآن قد سالمته السنون ، وكأنا أؤمن المنون ، من
رجل مكفوف الأذى ، حسن الحالة إلا إذا ، هذا قلت ، ثبت هذا والمذكور
حي ، وقد مات رحمه الله .

ومن شعره :

(١) من الواضح أن تاريخ وفاة ابن لب الأمي ، لا يمكن أن يكون سنة ٧٠٥ هـ حسبما يذكر ابن الخطيب
وقد فاتته ما ذكره من قبل من أنه قدم مع الوفود إلى غرناطة للتهنئة في النصر الذي أحرزته أمير المسلمين
على نصارى في الواقعة التي حدثت سنة ٧١٨ هـ ، وأنه أي ابن لب قد ذكر في شعره دون يدرو
ودون خوان قناري القشايين الذين أكا في الواقعة . كما أنه هنا السلطان أي الوليد بن شعراء .
ولم يحكم السلطان أبو الهلبا إلا من سنة ٧١٣ هـ . وربما كان التاريخ الصحيح لفظة ابن لب الأمي هو
سنة ٧٢٥ هـ .

(٢) . ردت هذه الهمزة فقط في مخطوط الإسكوريال .

(٣) سبق التعريف بكتاب «الإكليل الزاهر» .

رجای فی المولی العظیم عظیم غنیت به حیث الغنی بدیم
وحسبى الرجا فيمن عليه معوّلى حديث حديث لم يزل وخدم
وما عرفت نفسى سوى باب فضله على ثقة أن الكريم كريم
فإن قيل عني مذنب قلت سيئاً كفيل بغفران الذنوب رحيم
وما اعتصم المملوك إلا بحبّه فجانبه نعمى لنا ونعم
رضاه سبيلٌ للنجاة وحبّه طريق لجنات النعيم قديم
وأشده يوماً الأمير ثالث الأمراء من بنى نصر^(١) يهنيه بالملك ويعزّيه :
على من تُنشر اليوم البُعود وتحت لواء من تُمرى الخنود
وقال | على هذا الكذا ، الذى بين يديك |^(٢) فحجل ، وعظم استظراف
الحاضرين لذلك .

توفى فى كذا وسبعمائة .

محمد بن عبد الله بن فطيس^(٣)

يكنى أبا عبد الله من أهل مالقة . وقال الأستاذ^(٤) من بيت فطيس
الألبيريين .

(١) ثالث الأمراء من بنى نصر هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد الفقيه . وكان ضريراً ،
ويلقب بمحمد الخلع . وقد حكم من سنة ٧٠١-٧٠٨ هـ (١٣٠١-١٣٠٨ م) .
(٢) وردت هذه العبارة فى اللوحة البدرية كالاتى (على هذا الترخيل الذى ترى قدامك - يعنى
نفسه ص ٤١) .

(٣) وردت هذه الترجمة فقط فى مخطوط الإسكوريال .

(٤) الإشارة هنا إلى الأستاذ أبى جعفر بن الزبير صاحب كتاب صلاة الصلوة .

حـالـه

قال ، طبيبٌ ماهر ، وأديبٌ شاعر ، كان في أيام بنى حُسُون^(١) ، يَخْنُفُ عليهم ،
وله فيهم أمداح كثيرة . يُذْكَرُ أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حُسُون ،
بعد انقطاع عن زيارته ، فعتبه القاضي ، فاعتذر ، ثم أنشد :

يا حاملاً من عُـلـاه تاجاً ومن سنا وجهه سراجا
لو كان رودي عـدـيل وُدـى لكنت من بابك الرُتاجا
إن لم يُـرْج عليك شخصي نفسي وروحي عليك عاجا
وذكره ابن عسکر^(٢) في كتابه .

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح
[ابن محمد بن أيوب]^(٣) ابن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين

يكنى أبا عبد الله رندي النشأة ، إشبيلي الأصل ، برجع بينه ، وبيت بنى
حجاج ، وبيت بنى عباد ، إلى جُرْثومة واحدة ، وانتقل سلفه إلى رندة [في دولة
بنى عباد ، ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لعائجه . وقدم ذو الوزارتين على

(١) الإشارة هنا إلى القاضي أبي الحكم بن حسون قاضي مالقة في أواخر العهد المرابطي .
وقد ثار على المرابطين بمالقة واستولى على الحكم وذلك حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وتسمى بالأمير ، وجعل
أخاه أبا الحسن بن حسون قائداً لجيشه . ولكن المرابطين في القواعد المجاورة تألبوا عليه ودبروا
إسقاطه بالتفاهم مع بعض خدامه ، واستطاعوا الاستيلاء على القصبه . فامتنع ابن حسون بقصره ،
واضطر في النهاية إلى الانتحار . فانتقم المرابطون القصر ، وبعثوا برأسه إلى مراكنس (سنة ٥٤٧ هـ) .
(٢) هو محمد بن علي بن الحضرمي بن هارون الغساني ويعرف بابن عسکر . وقد ترجم

له ابن الخطيب فيما تقدم من هذا المجلد (ص ١٧٢-١٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من الإسكوريال .

حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر ، إثر قُفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى ، فألحقه السلطان بكتابه ، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء ، إلى أن توفي هذا السلطان ، وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع ، فقلده الوزارة والكتابة ، وأشرك معه في الوزارة . أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني . فلما توفي أبو سلطان . أفرد السلطان بالوزارة ، ولقبه ذا وزارتين . وصار صاحب أمره ، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً ، نفعه الله تعالى . غدوة يوم الفطر ، مستهل شوال سنة ثمان وسبعمائة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه ، وخلافة أخيه أمير المسلمين . أبي الجيوش ، مكانه [(١)] .

حالته

[كان رحمه الله تعالى عالماً في الفضيلة والسراوة ، ومكارم الأخلاق ، كريم النفس ، واسع الإيثار ، متين الحُرمة ، عالي الهمة ، كاتباً بليغاً ، أديباً ، شاعراً ، حسن الخط ، يكتب خطوطاً على أنواع ، كلها جميلة الانطباع ، خطيباً ، فصيح القلم ، زاكي الشيم ، مؤثراً لأهل العلم والأدب ، برّاً بأهل الفضل والحسب ، نفقت بدمته للفضائل أسواق ، وأشرقت بإمداده للفضائل آفاق] (٢) . ومن «عائد الصلاة» : كان رحمه الله فريد دهره سماحة (٣) ، وبشاشة ، وكودعية ، وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزيمة (٤) ، مبتزاً للديج ، طلقاً للأمل . كمفاً للغريب ، برمكي

(١) هذه فقررة الطويلة المحصورة بين الحصرين واردة في النسخ وساقطة في «الزيتونة» وفي الإسكوريال . ونقط ورددت في هذين المخطوطين بعد كلمة رندة ، وقبل بداية الفقرة ، هذه العبارة «الذيك من أسالة وجلالة وكرم طعمة» .

(٢) ما بين الحصرين ساقطة في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال . ووردت في النسخ .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» : (ساحة) .

(٤) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (العزيمة) .

للأئمة ، مهلبى الحلوى^(١) . ريان من الأدب ، مضطاماً بالرواية ، مستكثراً
من الفائدة . يقوم على المسائل الفقهية ، ويتقدم الناس في باب التحسين والتبحيح ،
ورفع رواية^(٢) الحديث والتحديث ، نفق بضاعة الضلب . وأحيا معالم الأدب ،
وأكرم العلم والعلماء^(٣) ، ولم تُشغله السياسة عن النظر ، ولا عاقه تدبير الملك ، من
المسألة والسماع ، والإفراط^(٤) في اقتناء الكتب ، حتى ضاقت قصوره عن
خزائنها ، وأثرت أنديته من ذخائرها . قام له الدهر على رجل ، وأخدمه صدور
البيوتات ، وأعلام الرياسات ، وخوطف من البلاد النازحة ، وأمل من^(٥)
الآفاق النائية .

رحلته ونبأته

رحل إلى الحجاز الشريف من بلده ، على فتاء مینه ، أول عام ثلاث وثمانين
وسمائة ، فحج وزار ، وتجول في بلاد المشرق ، مُنتجعاً عوالى الرواية في مظاهرها ،
ومُنقراً عنها عند مُسني شيوخها ، وقيدهم الأناشيد الغريبة ، والآيات المُرْقِصَة ،
وأقام بمكة شرفها الله ، من شهر رمضان إلى انتضاء الموسم ، فأخذ بها عن جماعة
يأتى ذكرهم في مشيخته . وانصرف إلى المدينة المشرفة ، ثم قفل مع الركب
الشامى إلى دمشق ، ثم كُرَّ إلى المغرب ، لا يمر بمجلس علم أو تعلم إلا روى
أوروى . واحتل رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وسمائة ، وأقام بها
عينا في قرابته ، وعلماً في أهله ، مُعظماً عندهم^(٦) ، إلى أن أوقع السلطان بالوزراء

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخلوة) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (رواية) . وفي الإسكوريال (آية) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (العامل) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (وأفراط) .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (ى) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (لديهم) والمؤدى واحد .

من بنى حبيب ، اوقية البرمكية . وورد رندة في أثر ذلك . [في شهر جمادى الآخرة من عام ستة وثمانين وسنماية]^(١) فتمرض إليه ، ومدحه^(٢) ، وهنأه بقصيدة طويلة ، من أوليات شعره ، أولها :

هل إلى ردّ عَشِيَّات الوصال سبب أم ذلك من ضرب المحال
فلما أنشدها إياه . أعجب به . وبمُحَسَّن خَطِّه ونصاعة ظرْفِه ، فأثنى عليه .
واستدعاه إلى الوفادة على حضرته^(٣) ، [فوفد إليها في آخر العام المذكور]^(٤) .
فأثبته في خراسان دولته ، [وأحفظاه لديه]^(٥) إلى أن رَقَّاه إلى كتابة الإنشاء ببابه . واستمرت حاله ، مُعَظَّم القَدْر ، مخصوصاً بالمزية ، إلى أن توفي السلطان ،
ثاني الملوك من بنى نصر ، وتقلد الملك بعده ، وليَّ عهده أبو عبد الله ، فزاد في إحفظائه وتقريبه ، وجمع له بين الكتابة والوزاوة . ولقبه بذي الوزاوتين :
وأعطاه العلامة ، وقتله الأمر ، فبعُد الصَّيْت وطاب الذِّكْر ، إلى أن كان من الأمر ما يأتي [به الذكر]^(٦) قريباً إنشاء الله تعالى .

مُشِيخَتُهُ^(٧)

قرأ بُرْنَدَةُ عَلَى الشَّيْخِ النَّحْوِيِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ الْعَبْدَرِيِّ السَّفَّاحِ .

- (١) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٢) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» . وساقطة في «ج» والإسكوريال .
- (٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الخطرة) .
- (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال و«الزيتونة» . ووردت في «ج» ثلاثاً :
(فوفد آخر عام ستة وثمانين) .
- (٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي «الزيتونة» (وآخر ملده) . وفي الإسكوريال (وأحفظاً ملده) .
- (٦) هذه الزيادة واردة في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٧) جاء في مخطوط الإسكوريال تحت كلمة «مُشِيخَتُهُ» ما يأتي : «قلت لم أر في هذا الكتاب مُشِيخَةً أَطْوَلَ مِنْهَا وَخَتَصَرَّتْهَا لِطَوْلِهَا» . على أن في هذا الاختصار لهذا الكتاب أفيد المُشِيخَةُ قاصداً لشرك بذكر شيوخ العلم وحمله الدين وقادته ، جماعى الله من انتظم في غمارهم ، وسلك مسلك أتباعهم =

القرآن العظيم بالروايات السبع . والعربية وغير ذلك . وعلى الخطيب بها أبي القاسم ابن الأيسر ، وأخذ عن والده جميع مروياته . واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان ، وأخذ في رحلته عن الجلة [من الجملة]^(١) الذين يضيق عن أمثالهم الحصر .

فمنهم أبو اليمين جارا لله بن عساكر ، لقيه بالحرم الشريف ، وانتفع به ، واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني المعروف بابن هبة الله الحراني . [ومنهم الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطى بن الإمام الجزائري ، جزائر المغرب ، نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي ، لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطنطيني أبو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي إمام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها]^(٢) . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمي شهاب الدين أبو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن علي ، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها :

يا مُطَلِّباً^(٣) ليس لي في غيره أوب إليك آل النقي وانهي الطالب

وأنارهم . وبعد ما نقل الشيخ ابن الخطيب منها نحو ثلاثة أوراق ، قال في آخر ذلك ، « إلى طائفة كثيرة من أهل المشرق والمغرب » . ومن الواضح أن هذا كلام الناسخ الذي قام « باختصار » الكتاب . ولكننا رأينا أن لا نجاريه في ذلك ، وأن نذكر مشيخة ابن الحكيم مفصلة حسبما وردت في مخطوطي « ج » و « الزيتونة » .

(١) هذه الزيادة من « الزيتونة » .
 (٢) وردت الأسماء المحصورة بين الحاصرتين في مخطوط الزيتونة على النحو الآتي : « وشرف الدين أبو المباسي من أهل الجزائر عمارة إفريقية ونزيل بغداد ، ومنهم خليل بن أبي بكر بن بكر بن محمد المرادي نايب قاضي الحنابلة بالقاهرة المصرية يكنى أبا الصفا لقيه بالندرة المعزية ، ومنهم أبو بكر بن عمر بن علي القسطنطيني رضى الدين ، ومنهم عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن ابن شرف الدين الحضري لدمياطى ... » .
 (٣) هكذا وردت في « ج » ، وفي النسخ . وفي الزيتونة (ياطالبا)

ومنها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه :

يا بارقاً بأعلى الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك السبب^(١)

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البعابكي، مولده سنة إحدى عترة وستائة.
ومنهم محمد بن بكر بن خاف بن أبي القاسم الصفار . ومنهم الشيخ أبو الفضل
الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن
يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق . ومن تخريج الأربون المروية
بالأمانيد المصرية . وسمع الحلبيات^(٢) من ابن عماد الحراني ، والشيخ
أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسة .
ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ
محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنطاقي . ومنهم أبو البدر بن عبد الله
ابن أبي الزبير الكاتب المصري . ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن
خلف التدميري . ومن رؤساء شيوخه : الشيخ محيي الدين أبو الفضل . ومنهم
زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف [بن محمد بن علي]^(٣) البغدادي ،
تُكنى أم الفضل ، وسمعت^(٤) من أبيها . ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن
أحمد الخراساني ، أبو عبد الله موقر الدين ، وألبسه خرقه التصوف . ومنهم
الشيخ محمد بن يحيى بن هبيرة الشيباني شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السلفي . ومنهم الشيخ
علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي ، أبو الحسن . ولد سنة سبع وتسعين

(١) هذا البيت وارد في «ج» . وساقط في «الزيتونة» .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (تحمل عن) .

وخمسة . ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي . ومنهم
 الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بمحرم الخليل .
 سمع من أبي الحسن علي بن شجاع . [ومنهم يوسف بن دواد بن عيسى بن أيوب
 الحنفي]^(١) .

ومنهم الملك الأوحدي يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ، وداود بن الملك
 المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن
 إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ
 ابن بدوان ، ويدعى علي الدين من أهل بانياس ، سمع من ابن صيمري . ومنهم
 الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم
 ابن يوسف بن أسلم القرشي ، جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي
 شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي [البغدادي الإمام تقي الدين .
 ومنهم عبد الجميل بن أحمد بن الزجاج]^(٢) . ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن
 محمود بن جوهر البعلبكي ، الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف
 ابن أبي ناصر السقاوي . ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد [بن مزروع]^(٣)
 أبو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري
 شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي .
 ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي
 الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن
 أبي بكر بن زريق الكاتب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله
 الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي الأديب نزيل دمشق ، ومولده بتلمسان .

(١) ما بين الحصريين وورد في «الزيتونة» . وساقط في «ج» .

(٢) ما بين الحصريين وورد في «الزيتونة» وساقط في «ج» .

(٣) هذه الزيادة من «الزيتونة» .

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستى القسطلاني قطب الدين ، الإمام المفتي شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة المعزّية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق ، سمع على ابن المغيرة البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الفسائي^(١) . ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين ، سمع من علم الدين الشيخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي إمام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يدعى شمس الدين ، سمع من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري ، يعرف بابن عز الدولة .

وأجاز له جماعة ، منهم ابن عماد الحرّاني ، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين ، وسمع من ابن الزجاج وابن رَوّاح الحميري . ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي ، عرف بابن الجوزي سمع على جماعة ، منهم شعيب الزعفراني ، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاكر الحماكي . ومنهم الإمام مفتي المساهين رضي الله عنه . ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي . ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن رُحيمة الكِنَافِي خطيب مجايه . ومنهم قاضي القضاة بيلاد إفريقية أبو العباس

(١) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» ، وساقطة في «ج» .

ابن النعمان^(١) البلمندى ، لقيه بتونس . ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي السكابي . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابي . ومنهم الشيخ المغربي أبو محمد الحجاج ابن يوسف بن إبراهيم بن عتاب ، لقيه بتونس . ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن يربوع السبتي . ومنهم الإمام قدوة النحاة أبو الحسين^(٢) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي . ومنهم الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد ابن عبد الحق الزواوي المشدالي من أهل بجاية . ومنهم الخطيب القاضي أبو عمرو إسحاق بن أبي إسحاق بن عبد الوهاب الرندي . إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

محتة

أغرَى به الأمير ولي العهد ، بسبب أمورٍ اختلف فيها ، منها أبيات في هَجْوِ الدولة النصرية ، الله أعلم بصحة نسبتها إليه ، فأوقع به [وناله بين يديه نكالٌ كبير]^(٣) أفلت منه برفق^(٤) ، واختلف مدة في المآذن المتقدمة والأماكن الخفية ، حتى أصحى له جو سخطه ، [ونقض الله برده أمره إليه ، واستيلايه على ما وراء بابه]^(٥) .

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «زيتونة» (نعمان) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أبو الحسن) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» «والزيتونة» . ووردت في الإسكوريال على النحو الآتي (فتنول بين يديه بنكال كبير) .

(٤) هكذا وردت في المخطوطين . وفي الإسكوريال (برسه) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال «والزيتونة» . ووردت في «ج» (ونقض الأمر

من روى عنه (١)

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي ، وتدبج معه رفيقه
عبد الله بن رُشيد وغير واحد . وكان ممدوحاً ، ومن مدحه الرئيس أبو محمد
عبد المهيمن الحضرمي ، والرئيس أبو الحسن بن الجيَّاب ، وناهيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجيَّاب له ، قصيدة رائية رائقة ، يهنيه فيها بعيد الفطر منها
في أولها :

يا قادمًا عمت الدنيا بشائره	أهلاً بمقدمك الميمون طائره
ومرحباً بك من عيد تحف به	من السعادة أجناد تظاهره
قدمت فأنخلق في نعمي وفي جدال	أبدى بك البشر ياديه وحاضره
الأرض قد لبست أثواب سندسها	والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حُملاً	لما سقاها دواكاً منك باكره
فلاح فيها من الأنوار باهرها	وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلاً	والزهر قد رُصمت منه منابره
موشى ثوب طواه الدهر آونة	فها هو اليرم للأبصار ناشره
فالغصن من نشوة يثنى معاطفه	والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها	كما بدت لك من خل ضمائرُه
لله يومك ما أذكي فضائله	قامت لدين الهوى فيه شعائرُه
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت	وكم جمال بدا للناس ظاهره
فأفخر بحمق على الأيام قاطبة	فما لفضلك من ندى يظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا	قيست بفخر أولي العُلما مفاخره

(١) وردت الفقرة التي تست هذا العرآن والقصيدة التي تليها ، وهي من نظم ابن الجيَّاب
فقط في مخطوط جانجوس ترد في « الزيتونة » ولا في « الإسكوريال » .

يَلْتَأَحُّ مِنْهُ بِأَفْقِ الْمَلِكِ نَوْرَ هُدًى
 بِجِدِّ صَمِيمٍ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ كَمَا
 وَزَاوَةَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الَّذِي رُفِعَتْ
 وَلا يَسُ هذا يَبْدَعُ مِنْ مَكْلُومِهِ
 يَلْتَقِي الْأُمُورَ بِصَدْرِ مَنْ مِنْهُ مَنُشَرِّحُ
 رَاعِي أُمُورِ الرِّعَايَا مُعْمِلًا نَظْرًا
 وَالْمَلِكِ سَيْرٍ فِي تَدْبِيرِهِ حُكْمًا
 سِيَاسَةَ الْحُكْمِ لَا بَطْشٌ يَكْدُرُهَا
 لَا يَصْدُرُ الْمَلِكُ إِلَّا عَنِ إِشَارَتِهِ
 تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى أَقْصَى إِرَادَتِهِ
 وَكَمِ مَقَامِهِ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
 فَفَضْلُهَا طَبَقَ الْآفَاقِ أَجْمَعِهَا
 فَلَيسَ يَجْحَدُهُ إِلَّا أَخُو حَسَدٍ
 لَا مُلْكَ أَكْبَرَ مِنْ مُلْكِ يَدْبِرُهُ
 يَا عِزَّ أَمْرٍ بِهِ اشْتَدَّتْ مَضَارِبُهُ
 تُنْثَنِي الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا بِمَا عَرَفُوا
 بُشْرَى لَأَمَلِهِ الْمَوْصُولِ مَأْمَلُهُ
 فَالْعِلْمُ قَدْ أَشْرَقَتْ نُورًا مَطَالَعُهُ
 وَالنَّاسُ فِي بَشَرٍ وَالْمَلِكُ فِي خَفَرٍ
 وَالْأَرْضُ قَدْ مَلَّتْ أَمْنًا جَوَانِبَهَا
 وَإِلَى أَيْدِيهِ مِنْ مَشْنَى وَوَاحِدَةٍ
 فَكُلُّ يَوْمٍ تَلْقَانَا عَوَارِفُهُ

تضاهل الشمس مهما لاح زاهره
 طالت مبانيه واستعلت مظاهره
 أعلامه والندى الفياض زاخره
 ساوت أوائله فيه أوآخره
 بحرٌ وآراؤه المظهى جواهره
 كمثل علياه معدوماً نظائره
 تنال ما عجزت عنه عما كره
 فهو المهيب وما تُخشى بوادوه
 فالرشد لا تتعداه مصائرُه
 كأنما دهره فيه يُشاوره
 أنت موارده فيها مصادره
 كأنه مثلٌ قد سار سائرُه
 يرى الصباح فيُعشي منه ناظره
 لا مُلْكُ أَسْعَدَ مِنْ مُلْكِ يُوَازِرُهُ
 يا حُسْنَ مُلْكِ بِهِ ازْدَانَتْ مُحَاضِرُهُ
 ويشهد الدهر آتية وعابره
 نعمًا لحاسده المقطوع دابره
 والجود قد أمسبت سحًا مواطره
 عل على كل على القدر قاهره
 يمين من خلصت فيها سرائره
 تساجل البحرين فاضت زواخره
 كساه أمواله الطولى دفاتره

فمن يؤدّي لما أولاه من نعم
يا أيها العبد بادِرْ لَنَمِ راحتهِ
واخر بان لَقِيْت ابن الحكيم على
ولّى الصيام وقد عَظمت حرمتُه
وأقبل العيدُ فاستقبل به جَدلاً
شكراً ولو أن سَحَبانا يُظاهره
فلثمها خيرُ مأمول تُبادره
عصرِ يُباريك أو دهر تُفاخره
فأجره لك وافية ووافره
واهنأ به قادمآ عمت بشائره

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي له قوله :

ترأى سَحيرا والنسيم عليل
وللفجر نهرٌ خاضه الليل فاعتلت
بريقٌ بأعلى الرّقمتين كأنه
فمزق ساجي الليل منه شرارة
تبسمُ ثغرُ الروض عند ابتسامه
ومالت غصون البان نشوى كأنها
وغنمت على تلك الغصون حمام
إذا سَجَمَت في لحنها نم قرقرت
سقى الله ربّما لا يزال يشوقني
وجاد ريتاه كلما ذرّ شارق
ومالى أستسقى الغمام ومدّمي
وعاذلةٌ باتت تلوم على السرى
تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربةٌ
ذريني أسعى لاق تُكسب العلاء
فأما ترينى من مُمارسة الهوى
وفوق أنابيب البراعة صفوة

وللنجم طرفٌ بالصباح كليل
شوى أدهم الظلماء منه خجول
طلائع شهبُ والسماء تجول
وخرق ستر الغيم منه نُصول
وقاضت عيونُ للغمام همول
يُدار عليها من صباه سُمول
لهن حفيفٌ فوقها وهديل
يطيح خفيفٌ دونها وثقيل
إليه رسومٌ دونها وطلول
من الودق هتانُ أجشٌ هطول
سفوحٌ على تلك العراص همول
وتكأثر من تعذالها وتُطيل
ونأى على ما خيلت ورحيل
سناء وتُجبق الذُكر وهو جميل
نحيلا فعدُّ المشرقي نحييل
تزين وفي قد القنساء ذبول

ولولا السرى لم يحتل البدر كاملا
 ولولا اغتراب المرء في طلب الملا
 ولولا نوال ابن الحكيم محمد
 وزير سما فوق السماك جلالة
 من القوم أما في الندى فإنهم
 حووا شرف العلياء إرثا ومكسبا
 وما جونة هطالة ذات هيدب
 لها زجل من رعداها ولوامع
 كما هدرت وسط القلاص وأرسلت شقاشقها عند الهياج فحول
 بأجود من كف الوزير محمد
 ولا روضة بالحسن طيبة الشذا
 وقد أذكت للزهر فيها مجامر
 وفي مقل النوار للطل عبرة
 بأطيب من أخلاقه الغر كما
 حويت أبا عبد الإله مناقبا
 فغرناطة مصر وأنت خصيبتها
 فذاك رجال حاولوا درك العلا
 تخيرك المولى وزيراً وناصحا
 وألقى مقاليد الأمور مفوضا
 وقام بحفظ الملك منك مؤيد
 وساس الرعايا منك أشوس باصل
 وأبلج وقاد الجبين كأنما
 ولا بات منه للسعود تزيل
 لما كان نحو المجد منه وصول
 لأصبح ربع المجد وهو تحيل
 وليس له إلا نجوم قبيل
 هضاب وأما في الندى فسيول
 وطابت فروع منهم وأصول
 مرتها شمول مرجف وقبول
 من البرق عنها للعيون كلول
 إذا ما توالى للسنين محول
 يتم عليها أذخر وجليل
 تعطرها منها للنسيم ذيول
 ترددها أحنانها وتجميل
 تفاقم خطب للزمان يهول
 تفوت يدى من راما وتطول
 ونائل يملك الكريمة نيل
 يبخل وهل نال العلاء بخيل
 فكان له مما أراد حصول
 إليك فلم يعدل يمينك سؤل
 نهوض بما أعياسواك كفيل
 مبيد العدا للمعتفين تحيل
 على وجنتيه للنضار ميل

نسيم به العلياء حتى كأنها
 له عزّات لو أغير مضاؤها
 سرى ذكره في الخاقين فأصبحت إليه قلوب العالمين تميل
 وأغدَى قَرِيضِي جودُه وثنائُه
 فأصبح في أقصى البلاد يجول
 إليك أيا فخر الوزارة أُرقلت
 برحلي هوجاء الشجاء ذلول
 فليتُ إلى لقياك ناصيةَ الفلا
 بأيدي ركبٍ سيرهنّ ذميل
 تُسدُّني سهماً لكل ثنية
 ضوامرُ أشباه القبيّ نحول
 وقد لفظتني الأرض حتى رمتُ إلى
 ذراك برحلي هوجل وهجول
 فقيدت أفراسي به وركائبِي
 ولذَّ مقامُ لي به وحلول
 وقد كنت ذا نفسٍ عزوفٍ وهمّة
 عايبها لأحداث الزمان دحُول
 وتهوى العُلا حظي وتغرى بضده
 لذاك اعترته رقةٌ ونحول
 وتأبى لي الأيام إلا إدالةً
 فصونك لي أن الزمان مُدِيل
 فكل خضوعٍ في جنابك عِزّةُ
 وكل اعترازٍ قد عدّكُ نحول^(١)

شعره

وبضاعته في الشعر مُزجاة ، وإن كان أعلم الناس بنقده^(٢) ، وأشدّهم
 تيقظاً^(٣) | لمواقفه الحسنة وأضدادها^(٤) . فمن ذلك قوله ، ورفعهُ إلى السلطان

- (١) وردت هذه القصيدة في «ج» فقط . ولا ترد في الزيتونة . ولا في الإسكوريال .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» (بد) والزيتونة . (بشره) .
 (٣) هكذا وردت في «ج» والزيتونة . وفي الإسكوريال (تنظن) .
 (٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (لموافقة الحسن ونسده)

بيلده رُنْدَة ، وهو إذ ذاك فتى يملأ العين أُبْهَة ، ويستميل القلوب لباقه ، وهي (١) ،
ومن خطه نقلتُ :

هل إلى رد عَشِيَّات الوصال
حالة يسرى بها الوهم إلى
وليالي ما تبقى بعدها
إذ مجال الوصل (٢) فيها مسرحي
ولحالات التراضي جـوله
فيوادي الخيف خوفي مُسَعَّدُ
لست أنسى الأُنىس فيها أبدأ
وغزالٌ قد بدا لي وجهه
ما أمال التيه من أعطافه
خُصَّ بالحسن فما أنت ترى
من تسلى عن هواه (٣) فأنا
فلئن أتعبني حُسبي له
إذ لآلىء حبيده من قبلي
خَلَفَ النومَ لي السُّمُّدُ به
فيداوى بِلِمْاهِ ظمئى
أو أشادت ثنا المَلِكِ الأوحـد الأسمى المُمَامِ المُتَعَالِ
مَلِكُ إن قلت فيه مَلِكاً لم تكن إلا محققاً في المقال

(١) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفي «ج» (الليل) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» «والزيتونة» (هواها) . والأولى

أنسب للسياق .

أيد الإسلام بالعدل فما
ذو أبادٍ شملت كلَّ الوری
همة هامت بأحوال التقی
وقف النفس على إجهادها
ومنها في ذكر القوم الموقع بهم :
وفريق من عُنَاة^(٣) عاندوا
غرَّهم طولُ التجافي عنهم
فلقد كانت بهم رُنْدَةٌ أو
ولقد كان النِّفاق مَذْهَبًا
ما يعود اليوم إلا بادرُوا
طُوقُوا النُّعْمَى فلما أنكروا
[ماطل الدهر بهم غريمه
ولقد كنت غريم الدهر إذ
ولكم نافرته مجتهداً عندما
أعقبوا جزاء ما قد أسلفوا
وهي طويلة ومنها :

أيها المولى الذى نعاؤه أعجزت عن شكرها كُنْه المقال

- (١) هكذا في «ج» والنفع . وفي «الزيتونة» ، الإسكوريال (أرباب) .
(٢) هذا البيت وارد في «ج» ، الإسكوريال ، وساقط في «الزيتونة» .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «ج» (عقاد) ، وفي «الزيتونة» (عنان) ، والأولى أرجح .
(٤) هكذا وردت في «ج» «الزيتونة» ، وفي الإسكوريال (النكال) .
(٥) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «ج» (دال) .
(٦) هذه الأبيات الثلاثة ، اُرْدَتْ في الإسكوريال ، وساقطة في «ج» ، و«الزيتونة» .

ها أنا أنشدكم مهنتاً من
فأنا العبد الذي حبكم
أورقت روضة آمالي لكم
واقنيت الجاه من خدمتكم
ومنها :

يا أمير المسلمين هذه
هي بنت ساعة أو لياة
ما عليها إذ أجدت مدحها
فهي في تأدية الشكر لكم
خدمة تنبي عن أصدق^(٣) حال
سهلت الحب في ذاك الجلال
من بعيد الفهم يُلغِيها وقال
أبدأ بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس :

حيُّ حيُّ بالله ياربِّ نَجْدِ^(٤)
وإذا ما بنثت حالي فبلغ
ما تناسيتهم [وهل في مغيبى]^(٥)
بي شوق إليهم ليس يُعزى
يا نسيم الصبا إذا جئت قوماً
[فتلطف عند المرور عليهم
وتحمل عظيم شوقى ووجدى
من سلامى لهم على قدر وُدَى
هم^(٦) نسونى على نطاوُلِ بَعْدَى
لجميل ولا لسكان^(٧) نَجْدِ
ملئت أرضهم بشيح ورُند
وحقوقاً لهم على فادَّ

(١) وردت هذه الشطرة في «الزيتونة» والإسكوريال والنفح على النحو الآتى : (مذ تولاها

الرباب المتوال).

(٢) هذا البيت وارد في «الزيتونة» والإسكوريال ، وساقط في «ج» .

(٣) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (صادق) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة والإسكوريال . ووردت في «ج» (مجد) وهو تحريف .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» و«الزيتونة» والنفح . وفي الإسكوريال (وها في يقينى)

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والنفح والإسكوريال (ما) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . و«ج» (أسكان) . وفي الزيتونة (كساكن) .

قل لهم قد شأوت من وجدتم (١) في حال شوق لكل رُند (٢) وزند (٣)
 وإن استنسروا حديثي فإني باعتناء الإله بلغت قصدي
 فله الحمد إذ حباني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

[قال شيخنا أبو بكر ولده ، وجدت بخطه رحمة الله عليه ، رسالة خاطب بها أخاه
 أبا إسحاق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها] (٤) .

ذَكَرَ اللَّوِي شَوْقًا إِلَى أَمَّارِهِ وَعَلَا زَفِيرُ حَرِيقٍ (٥) نَارِ ضُلُوعِهِ
 لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ خَطَّهُ فِي خَدِّهِ يَا عَاذِلِيهِ اقْصِرُوا فَلَرَبِّمَا (٦)
 إِنْ لَمْ تَعِينُوا عَلَيَّ بِرَجَائِهِ مَا كَانَ أَكْثَمَهُ لِأَسْرَارِ الْهَوَى
 مَا ذَنْبُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ بِخَيْلِ اللَّوَى بِالسَّاكِنِيهِ وَطَيْفِهِمْ
 يَا بَرِقُ خُذْ دَمِي وَعَرِّجْ بِاللَّوَى
 فَقَضَى أُمِّي أَوْ كَادَ مِنْ تَذْكَارِهِ
 فَرَمَى تَلِي وَجَنَاتِهِ بِشِرَارِهِ
 لَقَرَأَتْ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
 أَنْضَى عَنَابِكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
 لَا تُنْكِرُوا بِاللَّهِ خَلْعَ عِدَارِهِ
 لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّرِّ مِنْ أَنْصَارِهِ
 أَسْفَا وَأَذْكَى النَّارِ فِي أَعْتَارِهِ
 وَحَدِيثِهِ وَنَسِيمِهِ (٧) وَمِزَارِهِ
 فَأَنْفَجَهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ

(١) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (أجلهم) .

(٢) هكذا وردت هاتان الكلمتان في «ج» . وفي «الزيتونة» (ورغد وندي) .

(٣) عذات البيتان ساقطان في الإسكوريال وواردان في «ج» وفي «الزيتونة» والرج .

(٤) هكذا وردت هذه المقبرة في الإسكوريال . وردت في «ج» على النحو الآتي :
 (وانتسح مخاطبته لأبي الأكبر أبي إسحاق إبراهيم بقصيدة أولها) .

(٥) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (رحيق) .

(٦) هكذا وردت في «ج» والنسخ . وفي الإسكوريال (فالشديا) .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي «ج» (ونسيم) .

وإذا لقيت بها الذي بإخذه
فاقر السلام عليه قدر محبتي
وألمم بسائر أخوتي وقرابتي
ما منهم إلا أخ أو سيد
فأثبتت لذاك الحسى أن أخهم
ما منزل اللذات في أوطانه
ألقى خطوط الدهر أو بجواره
فيه وترفعني إلى مقاداره
من لم أكن لجوارهم بالكاره
أبدأ أرى دأبي على إكباره
في حفظ عهدهم على استبصاره
كلاً ولا السلوان من أوطاره^(١)

وقال رحمه الله في غرض كأنه ساطانه القول فيه :

ألا واصل مواصلة العقار
وقم واخلع عذارك في غزال
قضيف مائس من فوق دِعْص
ولاح بخدته ألف ولام
رمانى قاسم والسين صاد
وقد قسمت محاسن وجنتيه
فذاك الماء من دمي عليه
عجبت له أقام بربع قاسمي
ألفت الحب حتى صار طبعاً
فمالي عن مذاهبه ذهاب
ودع عنك التخلُّق بالوقار
يحق لمثله خلع العذار
نعم بالدجى فوق النهار
فصار مرفقاً بين الدراي^(٢)
بأشفار تنوب عن الشفار
على صيد من ماء ونار
وتلك النار من فرط استعمار
على ماشب فيه من الأوار
فما احتاج فيه إلى ادكار
وهذا فيه أشعاري شعار

وقال العلامة ابن رُشيد في «دلى العبيبة»، لما قدمنا المدينة سنة ٥٦٨٤هـ، كان
معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم، وكان أرمداً، فلما دخلنا
ذا الحليفة أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، وقوى الشوق لقرب المزار، فقل وبأدر

(١) هذا البيت زائد في الإسكوريال. هذا ولم ترد هذه الفصيحة في مخطوط الزيتونة.

(٢) هكذا في «ج». وفي الإسكوريال (الدراي).

إلى المشى على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظماً لمن حلّ في تلك الديار ،
فأحسن بالشفاء ، فأشده لنفسه في وصف الحال قوله :

ولما رأينا من ربوع حبيبتنا
وبالتُّرب منها إذ كحلنا جفوننا
وحين تبدى للعيون جمالها
نزلنا من الأكوار نمشي كرامة
نُسحُ سِجَالِ الدَّمعِ في عَرَصاتها
وإنَّ بقائِي دونه نَحساره
فيا عجباً ممن يحبُّ بزعمه
وزلاتٍ مثلي لا تعدُّ كثيرة
ومن شعره قوله :

وما أحسن العقل وآثاره
يصون بالعقل الفتي نفسه
لا سيما إن كان في غربة
وقوله رحمه الله :

إني لأعير أحياناً فيلحقتني
يقول خيرُ الوري في سُنَّةٍ ثبتت
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .

ومن شعره قوله :

يُسْرٌ من الله أن العسر قد زال
أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا^(٣)

(١) لم ترد هذه القصيدة في مخطوط «الزيتونة» ولا في الإسكوريال .

(٢) لم ترد هذه الأبيات في «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذان البيتان في «الزيتونة» .

فقدتُ حياتي بالفراق^(١) أو من غدا بحال نوى عن محبوب فقد فقد
ومن أجل بُعدي من ديار ألقمها جحيم فزادى قد تلمظى وقد وقد
وحسكى أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبي مدين.
أنشده ابن أبي مدين :

عشقتُكمو بالسمع نبل لقاكم وسمعُ الفتى يهوى لعمري كطرفه
وسببني ذكرُ الجايس إليكمو فلما التقينا كنتم فوق وصفه^(٢)

فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله :

مازلت أسمع عن عليك كل مني أبهى من الشمس أو أجلى من القمر
حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت أذننى فوق بين السمع والبصر^(٣)

ومن نظمه مما بكتب على قوس :

أنا عُدَّةٌ للدين فى يد من غدا ، لله منتصراً على أعدائه
أحكى الهلال وأنهمى فى رجبها لمن اعتدى تحكى وجوم سمائه^(٤)
قد جاء فى القرآن أنى عُدَّةٌ إذ نصَّ خير الخلق تحكم آية^(٥)
وإذا العدو أصابه سهمى فقد سبق القضاء بهلكه وفائه

ومن توقيعه ما نقلته من خط ولده أبى بكر فى كتابه المسمى «بالموارد المستعذبة»،
وكان | بمدينة وادى آش |^(٦) الفقيه | الكندى أبو عبد الله محمد بن غالب |^(٧)

(١) هكذا وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال . وفى «ج» (بالعراق) .

(٢) لم يرد هذا البيت فى «الزيتونة» .

(٣) لم يرد هذا البيت فى «الزيتونة» .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» و«الزيتونة» (نجوم) والأولى ووجه .

(٥) هذا البيت ساقط فى الزيتونة .

(٦) هكذا وردت فى الزيتونة والإسكوريال . وفى «ج» (بوادى آش) .

(٧) هذه كلها زيادات وردت فى «الزيتونة» والإسكوريال .

الطريفي ، فكتب يوماً إلى [الشيخ]^(١) خاصة والدي [وخلصته]^(١) أبي جعفر
ابن داود قصيدة [طويلة]^(١) على روى السنين يشتكى فيها من [جور]^(١) مشرف
بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان منها :

فياصنيّ أبي العباس كيف ترى وأنت كيّس^(٢) من فيها من أكياس^(٣)
ولو إن كان ممن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف في فاس^(٤)
ومنها يستطر ذكر ذى الوزارتين [رحمه الله]^(٥) :

للشرق فضلٌ منه أشرقت شهبٌ من نورهم اقْبَسُونَا كلِّ مِقْبَاسٍ^(٦)
فوق عليها رحمة الله تعالى عليه [ورضوانه]^(٧) :

إن أفرطت بآبن حسان غوائله فالأمريكسوه ثوب الذل والياس^(٨)
وإن تزلُّ به في جورهِ قَدَمٌ كان الجزاء له ضرباً على الرأس
فقد أقامني المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل في الناس

كتابه

وهي مرتفعة^(٩) عن نمط شعره^(١٠) . فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح
مدينة قيجاطة^(١١) :

- (١) هذه كلها زيادات وردت في «الزيتونة» والإسكوريال .
- (٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (أكياس) .
- (٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .
- (٤) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (جلاس) .
- (٥) هذه الزيادة من الإسكوريال .
- (٦) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (أقباس) .
- (٧) الزيادة من الزيتونة .
- (٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الياس) . والأولى أرجح .
- (٩) هكذا في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (مرتفعة) وهو تحريف .
- (١٠) هكذا في «ج» و«الزيتونة» وفي الإسكوريال (نطمه) .
- (١١) قيجاطة وبالإسبانية Quesada ، مدينة أندلسية من أعمال ولاية جيان تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير شمال شرق مدينة جيان . وينتسب إليها عدد من العلماء .

من الأمير فلان ، أيده الله ونصره ، [ووقفه لما يجب ، حتى يكون ممن قام
بفرض الجهاد ونشره]^(١) . إلى ابنتنا الذي نمنحه الحب والرضى ، [ونسأل الله
أن يهبه الخلال التي تُستحسن]^(٢) ، والشيم التي تُرتضى ، الولد الأنجب^(٣) ،
الأرضى ، الأتجد ، الأرشد ، الأسعد ، محمد ، والى الله تعالى إسعاده ، وتولى
بالتوفيق والإرشاد سداً^(٤) ، وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر
الممنوح : ما يكمل من بُغيته في نصر دين الإسلام [ويُسنى]^(٥) مراده .

أما بعد حمد الله ، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال ، [الذي يقربه
إلى رضاه]^(٦) ، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه ، فقال يا أيها النبي حرّض
المؤمنين على القتال ، تنبئها على محل الثقة ، بأن الفئة القليلة من أوليائه ، تغلب
الفئة الكثيرة من أعدائه ، وتُدارك دين الإسلام بإنجاز وعده في قوله ، ولينصرن
الله من ينصره ، على رغم أنف من ظن [أنه خاذله ، تعالى الله عن خذلان
جنده]^(٧) . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومُجتباه ، لهداية الخلق لسلك
سبيل الحق ، والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل : قاتلوا الذين يلوونكم من
الكفار ، تحريضاً على أن يمحوا ظلام ضلالهم بنور هداة . صلى الله عليه وسلم ؛ وعلى
آله الأبرار ، وأصحابه الأشداء على الكفار ، الذين جرّدوا في نُصرة دينه

(١) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال كالاتي (وكافاً سعيه الذي وقفه
على إقامة فرض الجهاد ونصره) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونشكر الله على ما وهبنا من

الخلال) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الأحب) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (مراده) .

(٥) الزيادة من الإسكوريال . وورد مقابلها في «الزيتونة» (وينسى) .

(٦) الزيادة من الزيتونة .

(٧) ورد مكان هذه العبارة في الزيتونة والإسكوريال ما يأتي (إنه إن خذله أفاض الكفر دما) .

صَوَارِمَ^(١) العزم ، وأمضوا ظُبَاه . وفتحوا مازوئى له من مشارق الأرض ومغاربها ، حتى عمَّ الإسلام حدَّ المعمور ومنتهاه . فإنا كتبنا لكم . كتب الله لكم من سماع البشائر ما يعود بتحويل^(٢) الأحوال ، وأطلع عليكم من أنباء الفتوح ما يلوح بآفاق الآمال^(٣) ، مُبَشِّرًا بِالْيَمِينِ وَالْإِقْبَالِ . من قيجاطة ، وبركات ثقتنا بالله وحده ، تُظْهِرُ لَنَا عَجَائِبَ مَكْنُونَاتِ الطَّافَةِ ، وَتَجْنِينًا نَمَارِ النَّصْرِ فِي إِبَانِ قِطَافِهِ ، وَتُسَخِّرُ^(٤) لَنَا وَرْدَ مَشْرِعِ الْفَتْحِ فَتَرِدُ عِنْدَ نِطَافِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَأَنْ نَتَّقِلْدَ نِجَادَهَا ، وَنَمْتَلِي جَوَادَهَا ، وَنَسْتَوْرِي زَنَادَهَا ، وَنَسْتَفْتِحُ بِهَا^(٥) مَغَالِقَ الْمَآرِبِ ، [وَلطائف المطالب]^(٦) حتى دَخَلَتْ الْمَلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، أَغْوَارَهَا وَأَنْبِجَادَهَا . وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ اشْتِهَارُ الصَّبْحِ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ ، أَنَا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَنَسْمَحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ ، لِأَلْفَرَضِ^(٧) دُنْيَا ، وَأَنَا مَا قَصَرْنَا فِي الْاِسْتِنْفَارِ وَالْاِسْتِنْفَارِ [وَلَا قَصَرْنَا عَنِ الْاِعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمَلْنَا مَعُونَتَهُ^(٨) وَالْاِسْتِظْهَارِ]^(٩) ، وَلَا اِكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ الرِّسَائِلِ وَبِنَاتِ الْاَفْكَارِ ، حَتَّى اِقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا أَلْبَجِجَ الْبَحَارِ ، وَسَمَحْنَا بِالطَّارِفِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَالتَّلَادِ ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ [نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ]^(١٠) مَوْفُورِ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ ،

(١) هكذا وردت «في الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (صارم) .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (بتمهيد) .

(٣) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (الإيمان) . والأولى أرجح وأنسب للسياق .

(٤) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (وتسجل) . والأولى أرجح .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في «ج» . وفي الإسكوريال (ونستسهل . صاعب المطالب) .

(٧) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال . وفي «ج» (لعرض) .

(٨) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي «ج» (معاملته) . والأولى أرجح .

(٩) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال .

(١٠) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (نصر الله) .

واشترينا بما أنعم الله به علينا، ما فرَضَ اللهُ على كافة أهل الإسلام من الجهاد، فلم يكن بين تلبية المدعوِّ ورُده، وبين قبوله وردِّه، إلا كما يجسُّو العائر ماء الثَّاد، وبأبي الله أن يكل نصر هذه الجزيرة إلى سواه، وأن يجعل فيها سبباً^(١) إلا لمن أخلص لوجه الكريم علانيته ونجواه. ولما أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية^(٢) إلى مشاويهِ، وبقي المسلمون يتوقعون حادثاً ساءت ظنونهم لمباده، ألقينا إلى الثقة بالله تعالى [وحده]^(٣) يد الاستسلام، وشمرنا عن ساعد الجدِّ والاجتهاد في جهاد عبدة الأصنام، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى، وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُخَذُ الْعِزَامُ، فأمَدَّنَّا اللهُ تعالى بتوالي البشائر، ونَصَرْنَا بِالطَّافِ أَعْنَى فِيهَا خُلُوصُ الضمائر عن قواد^(٤) العساكر، ونقلنا على أيدي قوادنا ورجالنا من السببِ والغنائم، ما عدُّ ذكره في الآفاق كالمثل السائر، وإن تعدُّوا نعمة الله لا تُحصوها، وكيف يُحصيها المحصى أو يُحصُرُها الحاصر. وحين أبدت لنا العناية الربانية وجوه الفتوح^(٥) سافرة الحياء. واندثقتنا [مسيم]^(٦) النصر المنوح عبق الريا، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا، ونعم المُستخار، وكتبنا إلى من قرب من عمالنا بالحض على الجهاد والاستنفار. وحين وافى من خف للجهاد من الأجناد والمطوعين، وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم، ونَصَرُ اللهُ تعالى أهدي دليل، وعناية الله بهذه الفئة المفردة من المسلمين، تقضى^(٧) بتقريب

(١) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (شينا).

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال. وفي «ج» (الغربية) والزيتونة (العربية). والأولى

أرجح بالنسبة للمعنى المقصود.

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال.

(٤) هكذا في «ج». وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قود).

(٥) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال. وفي «ج» (الفتح) والأولى أرجح وأكثر

شيئاً مع السياق.

(٦) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال.

(٧) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال. وفي «الزيتونة» (تقتضى).

البعيد من آمالنا، وتكثير القليل . ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادة الرضا والقبول ، وأن يرشدنا إلى طريق يقضى إلى بلوغ الأمنية والمأمول ، إلى أن حملنا عشية يوم الأحد ثانی يوم خروجنا بمقربة^(١) حصن اللقوة^(٢) ، فأدرنا به . التدبير ، واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير ، فاقضى الرأى المقترن بالرشاد ، المؤذن بالإسعاد ، قصد قبحاظة [لما رجى من]^(٣) تيسير فتحها ، وأملا في إضاءة فجر الأمانى لديها ، وبيان صُبْحها ، فسرنا [نحوها]^(٤) في جيش ، يجرُّ على المجرَّة ذيل النقع المثار ، ويضيق عن كثرتة واسع^(٥) الأقطار ، ويقرُّ عين الإسلام ، بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار [تطير بهم نياتهم]^(٦) بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار . فلما وصلنا إلى وادى يانه^(٧) على مقربة منها ، نزلنا به نريح الجياد ، ونكمل التأهب للقتال والاستعداد ، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم^(٨) الإعانة بتأييده والإمداد . وحين فجر الفجر وأنار النهار ، وقدحت به الأصباح زُند الأنوار ، رَكِبنا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها ، والسيوف قد كادت تافظها غمودها ، وبصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معبودها . فلما وصلناها ، وجدنا نامنا قد سبَقوا إليها بالبُوس ، وهتَكوا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (بمقربة) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (اللقون) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في «ج» (رغبة في تيسير) .

وفي «الزيتونة» (من تيسير) .

(٤) هذه الكلمة رائدة في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (واسعة) وفي الإسكوريال (واسعات) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت بحرفة في «ج» (يطير بهم نياتهم) و«الزيتونة»

(يطير بهم نياتهم) .

(٧) الإضاءة هنا إلى نهر وادى يانه وبالإسبانية Guadiana ، الذي تقع قبحاظة على مقربة

من شرقيه .

(٨) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» (يلهم) وفي الإسكوريال (لهمهم) .

سِتْرَ عِصْمَتِهَا المحروس، [وَأُذِنَ لَهَا] ^(١) بزوال النعم، وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها حُمر المنايا من زُرُق النَّصَالِ، [ورَشَقُوا جنودها بالنُّبَالِ، وجَدُّوا بنات الآجال] ^(٢)، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به، لاذوا بالفرار من الأسوار، وولوا الأدبار، وودَّعوا الديار وما فيها من الآثار. وتَسَنَّم المسلمون ذِرْوَةَ البلد الأول فملكوه، وخرَّقوا حجاب السِّتْرِ المسدول عليه وَهَتَّكُوهُ، وتسرعوا إلى البلد الثاني، [وقد ملأ النصارى أسواره] ^(٣) من حُماة رجالهم، وانتقوهم من مُتَخَيَّرِ أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم ^(٤) المسلمون حَمَلَةَ عَرَفُوهم بها كيف يكون اللقاء، [وصرَّفوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشقاء] ^(٥)، وأظهروا لهم [من صدق العزائم] ^(٥) ما علموا به أن لدين الإسلام أنصاراً لا يرغبون بأنفسهم عن الذَّبِّ عنه وحماية آياته، ولا يَصْدُرُونَ إلا إلى طاعة الله ابتغاء مَرْضَاتِهِ. وبادر جماعة إلى إضرار باب المدينة بالنيران، وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدُّخَانِ، ورموا النصارى [من النَّبَالِ] ^(٦) بِشُهْبٍ تتبع منهم كلُّ شيطان. فهزم الله النصارى؛ وولوا أدبارهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فأخَلُّوا بروجهم وأسوارهم، وتَسَنَّمها المسلمون مُقْلِنِينَ شعار الإسلام، رافعين من الرايات الحُرُوكَا كَبَ فِي سَمَاءِ السُّعَادَةِ

(١) وردت في «ج» (وخذلوها) وفي «الزيتونة» (وأخرجها). والتصويب من الإسكوريال.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في الإسكوريال و«الزيتونة» كآلآي: (ورشقوا جردها بمدنيات من الآجال).

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال. ووردت في «ج» (وقد ملئوا أسواره). وفي الزيتونة (القصرالى).

(٤) وردت في «ج» (عليه). والتصويب من «الزيتونة» والإسكوريال.

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في «ج». ووردت في الإسكوريال والزيتونة كآلآي: (وأعلموهم بصدقها أن أقرب الأحوال إليهم الشقاء).

(٥) وردت هذه العبارة في «ج» (وأظهروا لهم من الصدق عن الغنائم). والتصويب من

«الزيتونة» والإسكوريال.

(٦) الزيادة من إسكوريال.

تُبَشِّرُ بتيسير كل مرام^(١) . ودخلوا المدينة ، فألقوا بها من القوت والعتاد ، والمتاع الفاخر . الذي يربو على التعداد ، [ما ملأ^(٢) كل يمين وشمال ، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على الكمال ، [وقتلوا بها من الحماة أعداء ، أبدوا في حماية ضلالهم ماضى الفنا والاعتزام]^(٣) وأعملوا فيهم ماضى العوامل وشبا الإضرار . وارتفع النصارى إلى القصبية لائذين بامتناعها ، معتصمين بملوؤها وارتفاعها ، مُتَخِيلِينَ [لضلالهم ، وعدم استبصارهم]^(٤) أن نور الهدى لا يحمل بديارهم . فرأينا أن تُرقي الرجال إلى أبراج البلد وأسواره ، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على من اعتصم بالقصبية في حصاره ، وعمدنا بالمسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق ، ولاح وجهه^(٥) الغزاة طارحاً شعاعه على الأفق ، أمرنا بترتيب العساكر على القصبية للحصار ، وعيننا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشد^(٦) البدار ، فانتهى المسلمون من ذلك [إلى غاية لم]^(٧) تخطر للكافرين ببال ، وجرعواهم كؤوس المنايا . وأداروا بها بنات الحنايا ، [فأفضت السجال]^(٨) وأظهر الكفار ، مع وقوعهم في بحر الموت صبرا وطمعوا ، أن يقيموا بذلك لصلبانهم

(١) هكذا وردت في «ج» والإسكوريال . وفي «الزيتونة» (مراد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وفي «ج» (فملثوا) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» مع تحريف يسير . ووردت

في «ج» كآلى (وقتلوا من بها من أهل الضلال والظلام) .

(٤) هكذا وردت في «ج» . ووردت في الإسكوريال و«الزيتونة» (متخيلين لاستبصارهم

في ضلالهم) .

(٥) هكذا وردت في «ج» وفي الإسكوريال و«الزيتونة» (قرن) .

(٦) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (أوفى) .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي «ج» (الذى لم) والأولى أفسح

وأنسب للسياق) .

(٨) الزيادة من الإسكوريال .

عُدُوا . فلما رأوا من عَزَمْنَا ما لم تتخيله ظنُونَهُمْ وأوهامهم ، وصابِرَهُم المسلمون عند
النَّزَالِ مصابِرَةً عَظُمَ فِيهَا إِقْدَامُهُمْ [وثَبَّتَتْ أَقْدَامَهُمْ]^(١) أَلْقُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ . إلقاء [من هاله لمعان الأسننة ، واهتزاز رُدَيْنِيَاتِ القَنَا]^(٢) ، ولاذوا
بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل ، بعد ما أشرف على الفناء وهبط زعيمهم ،
مقتحماً خطر تلك المسالك ، متضرعاً تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي
المهالك ، وشرط أن يَمْلُكُنَا القصبَةَ . ويبقى خديماً لنا بما بيده من البلاد الكثيرة
[والكَتِيْبَةُ]^(٣) المنتخبة ، فلم نظهر له عند ذلك قَبُولاً ، [ولم نجعل له]^(٤) إلى
تكميل ما رغب فيه سبيلاً ، فقادته البأس الشديد إلى الإذعان . ورغب أن يُكْمَلَ
ما نريده على شرط^(٥) الأمان . فأسعقنا رغبته على شروط ، بعد عهد المسلمين
بمثلها ، [وهَيَّئَتْ الأسباب بما نعتمده]^(٦) من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها ،
وذلك على كذا وكذا . وحين كُملت الشروط حق التكميل ، وظهرت لنا
[منه]^(٧) إمارات الوفاء الجميل ، دخلنا القصبَةَ حماها الله ، وقد أغنى [يوم]^(٨)
النصر عن شَهْرِ السلاح ، كما أغنى ضوء الصبح [عن نور المصباح]^(٩) ، ورُفِعَتْ
على أبراجها حمر الأعلام ، ناطقةً عن الإسلام ، بالتعريف والإعلام . وفي الحين
وجهنا من يَمْبِيضُ تلك الحصون ، ويُزِيلُ ما بها من جُرم^(١٠) الكفر المأفون ، أمناه

(١) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في «ج» و«الزيتونة» .

(٣) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (ولا جعلنا له) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «ج» و«الزيتونة» (شروطاً) .

(٦) هكذا وردت في «ج» و«الزيتونة» . وفي الإسكوريال (وهيات أسبابها ما يعتمد) .

(٧) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٨) هذه الكلمة زائدة في الإسكوريال .

(٩) هكذا وردت في «ج» . وفي الإسكوريال (عن فعل الصفايح) و«الزيتونة» (عن فعل

المصباح) .

(١٠) هكذا وردت في «ج» وفي الزيتونة والإسكوريال (حريم) .

رجالنا . فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارا ، وخففت
 [عَلَمَ التَّثْلِيثِ] ^(١) ، ورفعت للتوحيد منارا ، وأظهرت للملّة الخنيفة على أعدائها
 اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح | وإن كان ^(٢) سَامِي الْفَخْرِ . باقى الذكر
 بقاء الدهر ، فإننا نرجو من فضل الله أن يُتَّبِعَهُ ^(٣) بما هو أعلى منه متانة ،
 وأعظم ^(٤) فى قلوب أهل الإيمان موقعا وأعز مكانة ، وأن يرغم بما يظهر على
 أيدينا من عز الإسلام ، أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح
 العظيم وبشّروا ، واشكروا الله عليه ، فواجب أن تشكروا . وقد كتبنا هذا ، ونحن
 على عزمنا فى غزو بلاد الكفار . والسعى الحميد [إلى التنكيل بهم] ^(٥) والإضرار ،
 والمسلمون أعزهم الله فى أرضهم يشنون المغار ^(٦) ، ويمتلكون الأنجاد منها
 والأغوار ، ويكثرون القتل والأسار ، ويحكّمون أينا نزلوا السيف والنار ،
 | والسلام ^(٧) .

ومن نثر آخر إجازة ما صورته :

| وها أنا أجرى منه على حسن مُعْتَقَدِهِ ، وأكِّفُهُ فى هذا الغرض إلى ما آه
 بمقتضى توَكُّدِهِ ، وأُجِيزُ لَهُ ولولديه ، أقرَّ اللهُ بهما عينه ، وجمع بينهما وبينه ،
 رواية جميع ما نقلته وحملته ، وحُسْنُ اِطْلَاعِهِ يُفْضِلُ من ذلك ما أجملته ، فقد
 أَطْلَقْتُ لِمِ الإِذْنِ فى جميعه ، وأَبَحْتُ لِمِ الحَمْلِ عَنِي ، ولهم الاختيار فى تنويحه . والله
 سبحانه وتعالى يُخْلِصُ أعمالنا لذاته ، ويجعلها فى ابتغاء مُرَضَاتِهِ . قال هذا محمد بن

(١) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (علما) . وفى الإسكوريال (لشرك علما) .

(٢) هذه الزيادة من الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت فى «ج» و«الزيتونة» . وفى الإسكوريال (يشفعه) .

(٤) هكذا وردت فى «ج» . وفى الإسكوريال . وفى «الزيتونة» (وأسنى) .

(٥) هكذا وردت فى «ج» . وفى الزيتونة والإسكوريال (فى القطع بهم) .

(٦) هكذا وردت فى «ج» . وفى «الزيتونة» (الغارات) . وفى الإسكوريال (المغوار) .

(٧) واردة فى «الزيتونة» والإسكوريال . وساقطة فى «ج» .

عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عز وجل ، وه مسلماً^(١) .

وفاته

قُتل رحمه الله صبيحة عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمئة ، وذلك لتاريخ خلع سلطانه . واستولت يد الغوغاء على منازله . شغلهم بها مدبر الفتنة . خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره . فضاع بها مال لا يُكتب ، وعروض لا يُعلم لها قيمة من الكُتُب ، والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخزائن ، وأخفرت ذمته ، وتعدى به عدوة القتل إلى المثلة ، وقانا الله مصارع السوء . فطيف بشلوه ، واتهب فضاع [ولم يُقبر]^(٢) ، وجرت فيه شناعة كبيرة ، رحمه الله تعالى .

مولده

برُندة ظهر يوم الإثنين الحادى والعشرين من ربيع الأول المبارك ، من عام ستين وستمئة^(٣) . ومن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله تعالى بقوله :

وما غَضَّ من مقدارها حادث البلاء	[سقى الله أشلاء كرم من على البلى
وأهل قدر ما عهدناه مهملًا	ومما شجاني أن أهين مكانها
فما كنت إلا عبدها المتذللًا ^(٤)	ألا أضنع بها يادهر ما أنت صانع
لقد جثتها شنعاء فاضحة الملا	سفكت وما كان الرقوء نواله
عدا ففدا في غيه متوغلًا	يكفى سبنتى أزرق العين مُطرق
قتيلٌ تبكيه المكارم والعُلا	لننم قتيلاً القوم في يوم عيده

(١) هذه الفقرة التي بين الحاصرتين وردت فقط في «ج» . ولم ترد في «الزيتونة» ولا

في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في «ج» . وفي «الزيتونة» والإسكوريال (فلم يجبر) والأولى أرجح وأكثر

تمشياً مع السياق .

(٣) هذه الفقرة الخاصة بمولده ابن الحكيم لم ترد في «ج» . ووردت في «الزيتونة» والإسكوريال

(٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي وردت فقط من القصيدة في «الزيتونة» .

فؤادى فما ينفك ما عشت مُشكلاً
 ففى الحشِرِ نلقاه أغرَّ مُحجلاً
 فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
 كريماً سحافوق السما كين منزلاً (١)
 فناء بصدرٍ للعلوم تحملاً
 فمن مبلِّغ الأحياء أن مهلهلاً
 تبارك ما هبت جنوباً وشمالاً
 له فأرى للترب منه مقبلاً
 فبالأمس ما كان الهماذ المؤملاً
 وقد ظلَّ فى أوج العلاء متوقلاً
 بدمع إذا ما أمحل العام أخضلاً
 ولم ندرِ ماذا منهما كان أطولاً
 له كان يهدى الحى والملا الألى
 من الناس حتماً أو تقدم مقبلاً
 كريم إذا ما أسبغ العرف أجزلاً
 على حامل القرآن يتلى مفصلاً
 مكارمه فى الأرض مسكاً ومندلاً
 وضعنا لديه كل إصرٍ على علا
 وما كان فى حاجاتنا متعللاً
 يميناً لقد غادرت حزننا مؤثلاً
 عليك صلاةً فيه يشهدنا الملا

إلا إن يوم ابن الحكيم لشكل
 فقدناه فى يوم أغرَّ مُحجلاً
 تمت نحوه الأيام وهو عميدها
 تعاورت الأسياف منه ممدحاً
 وخاتته رجلٌ فى الطواف به سمعت
 وجدلٌ لم يحضره فى الحى ناصر
 يد الله فى ذاك الأديم ممزقاً
 ومن حزنى أن لست أعرف ملحداً
 رؤيدك يا من قد غدا شامتاً به
 وكنا نغادى أو نراوح بابَه
 ذكرناه يوماً فاستهلت جفوننا
 وما زج منه الحزن طول اعتبارنا
 وهاج لنا شجواً تذكُر مجلس
 به كانت الدنيا تُؤخر مديراً
 لتبكِ عيونُ الباكيات على فتى
 على خادم الآثار تتلى صحائفها
 على عضدِ الملك الذى قد تضوعت
 على قاسم الأموال فينا على الذى
 وأنى لنا من بعده متعللاً
 ألا يا قصير العمر يا كامل العلاء
 يسوء المتعللى أن هأسكت ولم تقم

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى «ج» (مرحلاً) . والأول أرجح .

وذاك لأن الأمر فيه شهادة
 فيا أيها اللئيم الكريم الذي قضى
 لتنهّل من ربّ السماء شهادة
 وثبتك عن حبّ ثوى في جوانحي
 ويارب من أوليته منك نعمة
 تناسك حتى ما تمرّ بيـاله
 يرابض في مشواك كلّ عشية
 كحى الله من ينسى الأذمة وافضاً
 حنانيك يا بدر الهدى فلشدّما
 وكنت لآمالى حياة هنيئة
 فلا وأبيك انخير ما أنا بالذى
 فانت الذى آويتنى متغرباً
 [فإن لم أنل منك الذى كنت آملاً
 فآليت لا ينفك قلبى مكمداً

ومثّتها محفوظة لن تبدّلاً
 سعيداً حميداً فاضلاً ومفضلاً
 تلاقى ببشرى وجهك المتهللاً
 فما ودّع القلب العميد [وماقلاً] (١)
 وكنت له ذخراً عتيداً وموتلاً
 ولم يدكر ذاك الندى والتفضلاً
 صيف شواء أو قديداً معجلاً
 ويذهل مهما أصبح الأمر مُشكلاً
 تركت بدور الأفق بعد أفلاً
 فغادرت منى اليوم قلباً مقتلاً
 على البعد ينسى من ذمامك ما خلا
 وأنت الذى أكرمتنى متطفلاً
 فما كنت إلا المحسن المتفضلاً (٢)
 عليك ولا ينفك دمعى مُسبلاً

محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوى (٣)

من أهل وادى آش، وسكن غرناطة.

حاله

فقيه أديب متطبيب، متقن في علوم جمة، شاعر مطبوع، يكنى أبا بكر.

(١) مكذافى وج. وفى الإسكوريال (ولاقلاً).

(٢) هذا البيت زائد فى الإسكوريال.

(٣) هذه الترجمة واردة فقط فى مخطوط الإسكوريال.

مدح الأمير علي بن يوسف اللمتوني بقوله :

رحلوا الركائب موهناً فأذاع عُرْفُهُمُ السَّنا
والخلى قد أغرى بهم لما ترّتم مُعلنا
كم حفّ حول حِمام من كل خطار القنا

قال أبو جعفر بن الزبير ، ينفك منها قصايد :

رحلوا الركاب موهناً ليكتموا ظعن الحمول وهل تواري الأنجم
فأذاع سرهم السنا ورمى بهم فلّ الذميل شذام المتنسم
كم حفّ حمل قباهم وركابهم من ليث غاب في برائنه الدم
من كل خطار القناة مموه بين الرحيل نصبه يستسلم

وهي طويلة ، خاطب بها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين . وقال

في وصف القصيدة :

أيا ملكا يسمو بسعد مُساعد وقد رعى علو الكواكب صاعد
نظمت قصيداً في علاك مُضماً ثلاث قواف في ثلاث قصايد
إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإز وصلت كانت ككعب وساعد
فأجازه بظهير كريم بتحرير ماله وتنويه .

محمد بن عبد الرحمن ^(١) المتأهل

من أهل وادي آش يعرف ^(٢) بعمامتي

حسالة

من التاج : ناظم أبيات ، وموضح غرر وشيآت ، وصاحب توقيعات

(١) هكذا وردت في أواخر الجزء الأول من مخطوط الزيتونة . ووردت في الإسكوريال

(عبد الرحيم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (المعروف) .

رفيعات ، وإشارات ذوات شارات : وكان شاعراً مكثرًا ، وجواداً لا يخاف^(١)
 عياراً . أدخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه ، بعد انتشار^(٢) سيلكه ، وخروج
 الحضرة عن ملكه ، واستقراره بوادي آش ، مروع^(٣) البال ، معاً بالأمال ،
 وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته ، فأنشده من ساعته :

خَنَمَا إِلَيْكَ طَبْرِنشَا شَفَعُ بِهَا وَادِي الْأَشَا
 وَالْأَمُّ تَتَّبِعُ بِتَهْمَا وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَا

ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحسبة :

أَنْلِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خُطَّةً تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتَكْسِبُنِي عِزًّا
 فَأَعْتِزُّ فِي أَهْلِ كَمَا اعْتَزَّ بَيْدَقُ عَلَى سَفْرَةِ الشُّطْرَنْجِ لَمَّا انْتَهَى فِرْزَا

فوقع الأمر بظهر وقعته ، ما ثبت في حرف النون عند ذكره ، والاحتجاج

،

بفضله .

وفاته

كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمائة . وفد على الحضرة مرات كثيرة .

محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي

من أهل وادي آش ، يكنى أبا بكر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (يخلف) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (استنار) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (موروع) .

حِـالِه (١)

كان عالماً ، صدراً ، حكماً ، فيلسوفاً ، عارفاً بالمقالات والآراء ، كلفاً بالحكمة
المشرقية ، محققاً ، متصوفاً ، طبيباً ماهراً ، فقيهاً بارع الأدب ، ناظماً ، ناثراً ،
مشاركاً في جملة من الفنون .

مَشِيخَتِه

روى عن أبي محمد الرُّشاشي ، وعبد الحق بن عطية وغيرها .

حُظُوتِه ودخوله غرناطة

اختصَّ بالريسّ أبي جعفر ، وأبي الحسن بن مَلْحان . قال ابن الأبار في تُحَفَّتِه ،
وكتب لوالى غرناطة وقتاً .

توَالِيْفِه

رسالة حىّ بن يقظان ، والأرجوزة الطَّبِيَّة المجهولة ، وغير ذلك .

شِعْرُه

قال ، وهو القايل من قصيدة في فتح قفصة سنة [ست وتسعين]^(٢) وأُنْفِذت
إلى البلاد :

ولما انقضى الفتح الذى كان يُرتجى وأصبح حزب الله أغلبَ غالب
وانجزنا وعدّ من الله صادق كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بينت مقاصدنا مشروحة بالعواقب

(١) واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال و«الزيتونة» . وهو تحريف ، وصحته (ست وسبعين) أعنى
عام ٥٧٦ هـ وهو العام الذى افتتح فيه الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة ، التى خرجت
على طاعته ، وكان فى ركابه طبيبه الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له . وقد أنفذت قصيدة ابن طفيل
مع رسالة الفتح التى بشت إلى البلاد .

وأذعن من عليا هلال بن عامر
وهبوا إذا هب النسيم كما سرى
يغص بهم عرض الفلا وهو واسع^(١)
كان بسيط الأرض حلقة خاتم
ومد على حكم الصغار لسلمنا
يُصرح بالرويا وبين ضلوعه
وعى من لسان الحال أفصح خطبة
وأبصر متن الأرض كفة حامل
أشرنا بأعناق الجياد إليكم
إلى بقعة قد بين الله فضلها
على الصفوة الأذنين مناتحية
وله أيضا :

ألمت وقد نام الرقيب^(٢) وهو ما
وراح إلى تجميد فرحت منجدا
وجرت على تراب المخصب ذيلها
تناقله أيدي التجار لطيمة
ولما رأت أن لا ظلام يجنبا
سرت^(٤) عذبات الربط عن حر وجهها فأبدت شعاعا يرفع اليوم مظالم^(٥)

(١) وفي بعض النصوص تروى هذه الشطرة كالاتي (يغص بهم عرض الفيافي وطولها).
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب لعبد الواحد المراكشي (الشيخ) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (إلى الوانق) .
(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي المعجب (نفت) .
(٥) وردت هذه الشطرة في المعجب كالاتي (فأبدت محيا يدهش المتوربا) .

أبي ولي الأمر كل بجانب
ولم يتركوا بالشرق علقة آيب
وقد زاحموا الآفاق من كل جانب
بهم وخضم البحر بعض المذانب
يديه عظيم الروم في حال راغب
نفس منعدور ونقرة راهب
ما وضحت عنه فصاح القواضب
عليه وإصراه في كف حالب
وعجبا عليكم من صدور الركائب
بن حل فيها من ولي وصاحب
توافيهم بين الصبا والجنايب

فكان تجليها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلما
ولم رأت زهر الكواكب أنها هي النير الأسمى وإن كان باسما
بكت أسفاً أن لم تفز بجوارها وأستعدّها صوب الغمام فأسجما
فجأت يمج القطر ريان بردها فتنفضه كالدر فذاً وتوأما
يضم علينا الماء فضل زكاتها كل بل سقط العلى نوراً مكمما
ويفتق نضح الغيث طيب عرفها نسيم الصبا بين العرار مذمما
جأت عن ثناياها وأومض برقها^(١) فلم أدر من شق الدجنة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر وجداً^(٢) أينما كان أسجما
ونظم سيمى ثغرها ووشاحها فأبصرت دُر الثغرا حلى وأنظما
تقول وقد ألمت أطراف كهاً يدي وقد أنعت أنخصها الفها
نشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً يسهل صعباً أو يرخص مائماً
فأقصرت لا مستغنياً عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرماً^(٣)
وقال:

أتذكر إذ مسحتُ بفيك عيني وقد حلّ البكا فيها عقوده
ذكرتُ بأن ريقك ماء وورد فقابلتُ الحرارة بالبروده
وقال:

سألتُ من المليحة بُرء داي برشف برودها العنب المزاج
فما زالت تقبل في جفوني وتبهرني بأصناف الحجاج
وقالت إن طرفك أصلاً لدايك فليقدم في العلاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (بارق) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (دعما) .

(٣) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتون» .

توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وحضر السلطان^(١) جنازته .

محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبید اللہ

ابن عیاش التُّجیبی البُرْشانی

من أهل حصن برشانة^(٢) المحسوب في هذه العمالة ، يكنى أبا عبد الله ،
كاتب الخلافة .

حاله

قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك^(٣) ، كان كاتباً بارعاً ، نصيحاً ،
مُشرفاً على علوم اللسان ، حافظاً للغات الآداب ، جزلاً ، سرى المهمة ، كبير المقدار ،
حسن الخلق ، كريم الضياع ، نفاعاً بجاهه وماله ، كثير الاعتناء بطلبه العلم ،
والسعي الجميل لهم ، وإفاضة المعروف على قُصاده ، مستعِيناً على ذلك بما نال من
الثروة والحظوة والجاه ، عند الأمراء من بني عبد المزمين ، إذ كان صاحب
القلم الأعلى ، على عهد المنصور وابنه ، وبيع المنزلة والمسكنة لديهم ، قاصداً
الإعراب في كلامه ، لا يخاطب أحداً في كلامه من الناس ، على تفاريق أحوالهم ،
إلا بكلام مُعَرَّب ، وربما استعمل في مخاطبته قديمته وأتمته ، من حوشى الألفاظ ، لا يكاد
يستعمله ، ولا يفهمه إلا حفاظ اللغة من أهل العلم ، عادة ألفتها واستمرت
حاله عليها .

(١) المتصور سلطان هنا . هو الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، وكان ابن طفيل طبيبه

الخاص ، وصديقه الأثير المدة .

(٢) برشانة وبإسبانية Purchina بلدة تقع على نهر المنصورة شمال المريجة وقد سبق التعريف بها .

(٣) هو القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب «الذيل والتكملة» . وقد سبق التعريف به .

روى عن أبي عبد الله بن حميد ، وابن أبي القاسم [الشَّيْبَلِي] (١) ، وابن حَبَيْش ، [وروى عنه بنوه أبو جعفر ، وأبو القاسم ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر ابن عثمان ، وأبو القاسم البلوى] (١) .

تو اليفه

له اختصارٌ حسن في إصلاح المنطق ، ورسائل مشهورة ، تناقلها الناس ، وشعرٌ يُحَسِّن في بعضه .

جاهاه

حدث الشيخ أبو القاسم البلوى ، قال كنت أخِفُّ إليه ، وأنفع عنده في كبار المسائل ، فيسرع في قضايها . ولقد عرَّضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مُهمَّةً كبيرة ، وجب على السعي فيها ، والتماس قضايها وفاء لربِّها ، ولم يكن لها إلا ما قدَّرتُ من حسن نظره فيها ، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها ، وكان قد أصابه حينئذ التَّيِّبُ لَزِم من أجله داره ، ودخلت عليه عابداً ، فأطال السؤال عن حاله ، وتبسَّط معي في الكلام ، مبالغة في تأنيسي ، فأجلت ذكر الحاجة ، وورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها ، وكان مضطجعا ، فاستوى جالسا ، وقال لي ، جهل الناس قدرى ، وكرَّرها ثلاثا ، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين ، هات الدواء والقرطاس ، فناولته إياها ، فكتب برغبتي ، ورفعها إلى السلطان ، فصُرِف في الحين معلِّما ، فاستدعاني ، ودفعه إليّ ، وقال يا أبا القاسم ، لا أرضى منك أن تُججم عني في التماس قضاء حاجة تعرَّضت لك خاصة ، وإن كانت لأحد من معارفك عامة ، كبرت أو صغرت ، فألترِّم قضاءها ،

(١) ما بين الحاصرتين وورد في «الزيتونة» وساقط في الإسكوريال .

وعلى الوفا ، فإن لكل مكسب زكاة ، وزكاة الجاه بذله .
 وحدثنى شيخى أبو الحسن بن الجيَّاب ، عن حدثه من أشياخه ، قال ، عرض
 أبو عبد الله بن عيَّاش والكاتب ابن القالى^(١) على المنصور كتابين ، وهوى بعض
 الغزوات ، فى كسب البرد ، وبين يديه كانون جحر . وكان ابن عيَّاش بارع الخط ،
 وابن القالى ركيكه ، ويفضله فى البلاغة ، أو بالعكس الشك منى . وقال المنصور
 أى كتب لو كان بهذا الخط ، وأى خط لو كان بهذا الكسب ، فرضى ابن
 القالى ، وسخط ابن عيَّاش . فانتزع الكتاب من يد المنصور ، وطرحه فى النار
 وانصرف . قال ، فتغير وجه المنصور ، وابتدر أحد الأشياخ ؛ فقال يا أمير
 المؤمنين ، طعنتم له فى الوسيلة التى عرفته بيا بكم ، فعظمت غيرته لمعرفة بقدر السبب
 الموصل إليكم . فسرى عن المنصور ، وقال لأحد خدامه ، اذهب إلى السبي ،
 فاختر أجمل نساء الأبقار ؛ وأت ابن عيَّاش ، فقل له هذه تطفى من خلقتك .
 قال ابن عيَّاش يخاطب ولده ، وقد حدث الحديث : هى أمك يا محمد
 أو فلان .

بعض أخباره مع المنصور

ومحاورته الدالة على جلالته قدره

قال ابن خميس ؛ حدثنى خالى أبو عبد الله ابن عسكر ، أن الكاتب
 أبا عبد الله بن عيَّاش ، كتب يوماً كتاباً ليهودى ، فكتب فيه ، ويحمل على
 البر والكرامة . فقال له المنصور^(٢) ، من أين لك أن تقول فى كافر ، ويحمل
 على البر والكرامة . فقال ففكرت ساعة . وقد علمت أن الاعتراض يلزمنى ،
 فقلت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذا أتاكم كريم قوم ، فأكرموه ؛

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (ابن القالى) .

(٢) وردت بعد هذه الكلمة فى الإسكوريال الكلمات الآتية (ففكرت ساعة وقد علمت) . وهى

مكررة وقد جاء مكانها بعد .

وهذا عام في الكافر ، وغيره . فقال نعم هذه الكرامة ، فلمبرة أين أخذتها ، قال فسكت ولم أجد جوابا ، قال فقرأ المنصور ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا ينهاكم الله عن الدين ، لم يقانلونكم في الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . قال فشهدت بذلك ، وشكرته .

شعره

من شعره :

بأنسية بيدي عن العلياء سلوة^١ فإنك روض لا أحن لزهرك
وكيف يجب المرء داراً تقسمت على صارمى جندع^(١) وفتنة مشرك

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في « زاد المسافر » عند اسم ابن عيَّاش ؛ قال ، اجتمعنا في ليلة بمرآكش ، فقال أبو عبد الله ابن عيَّاش :

وليلة من ليالى الصّفح قد جمعت إخوان صدق ووصل للدهر غير مختلس
كانوا على سنة الأيام قد بعدوا فآلفت بينهم لو ساعد الغلس
وقال من قصيدة :

أشفارها^(٢) أم صارم الحجاج وجفونها أم فتنة الحلاج
فإذا نظرت لأرضها وسمائها لم تلف غير أسنة وزجاج

وقال في المصحف الإمام ، المنسوب إلى عثمان بن عفان . لما أمر المنصور بتحلته بنفيس الدر من قصيده :

(١) وردت في الإسكوريال (جوع) والتصويب من «الزيتونة» .

كذلك الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (بأشفارها) .

وَنَقَلْتِ مِنْ كُلِّ مَلِكٍ ذَخِيرَةً كَتَابَهُمْ كَانُوا بِرَسْمٍ مَكْسُوبَةٍ
فَإِنْ وَرَثَ الْأَمْلَاقَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَكَمْ قَدْ أَذَلُّوا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهِ
وَالْبَسْتَهُ الثُّرَى وَالْيَاقُوتَ حَلِيَّةً وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهِ

كتابه

قال ابن سعيد^(١) في المُرَقَّصَاتِ وَالْمُطْرَبَاتِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ ،
كاتب الناصر وغيره ، من بني عبد المؤمن ، ووَاسِطَةُ عِقْدِ تَرْمِيزِهِ ، قوله
في رسالة كتبها في نزول الناصر على المهديَّة بِحَرًّا وَبِرًّا . واسترجاعها من
أَيْدِي الْمُلْتَمِينِ^(٢) :

وَمَا حَلَلْنَا عُرَى السَّفْرِ ، بَأْنَ حَلَلْنَا حِمَى الْمَهْدِيَّةِ . تَنَاوَلْنَا بَأْنَ تَكُونُ لِمَنْ
حَلَّ بِسَاحَتِهَا هَدِيَّةٌ ، فَأَحْدَقْنَا بِهَا إِحْدَاقَ الْهَدْبِ بِالْعَيْنِ ، وَأَطْرَقْنَا لِمَخْتَلَسِ
وَصَالِهَا غَرْبَانَ الْبَيْنِ ، فَبَانَتْ بِلَيْلَةٍ بِأَسْنِدِيَّةٍ^(٣) ، وَصَاحَبَ يَوْمًا صَاحْتَهُ فِيهِ يَدُ الْمَنِيَّةِ .
وَمَا اجْتَلَيْنَا مِنْهَا عَرُوسًا ، قَدْ مَدَّ بَيْنَ يَدَيْهَا بِسَاطِ الْمَاءِ ، وَتَوَجَّهَتْ بِالذَّلَالِ ، وَقَرَّطَنَهُ
بِالثُّرَيَّا ، وَوَشَّجَتْ بِنَجُومِ السَّمَاءِ ، وَالشُّحْبَ تَسْحَبَ عَلَيْهَا أَرْدَانِهَا ، فَتَرْتَدِّيهِ تَارَةً
مُتَأَثِّمَةً ، وَطُورًا سَافِرَةً ، وَكَأَنَّمَا شُرْفَاتُهَا الْمُشْرِفَةُ أَنْامِلُ مُخْضَبَةٌ بِالذَّيَاجِسِ ،

(١) هو علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي ، وأصله من سادة قلعة
يخصب من أعمال غرناطة . وهو سليل أميرة من الأدباء تعاقبت في تصنيف مؤلف أدبي وتاريخي ضمن
أتمه علي بن موسى آخر من نبع من الأسرة ، وهو يضم كتابين كبيرين هما «المشرق في حلى المشرق»
«المغرب في حلى المغرب» وموضوعهما الحديث عن فضائل مدن المشرق والمغرب . ولابن سعيد
كتب أخرى منها «المرقص والمطرب» ، و«تطالع السعيد في تاريخ بني سعيد» ، و«ملوك الشعر» ، وغيرها .
مولده سنة ٦١٠ هـ وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٢ هـ . وسورة حم لسان الخليل ، فيما بعد .

(٢) يقصد بالملتَمِين هنا بنو خثية ، سادة ميوقفة ، وأولياء المرابطين (الملمشين) . وكانوا
قد غزوا إفريقية ، في أوائل القرن الحادي عشر . واستولوا على معظم قواعدها ومنها ثور المهديَّة ،
الذي استرده الموحدون من يحيى بن غانية الميورقي في سنة ٦٠٢ هـ ، في عهد الخليفة الناصر بن يمتوب
المنصور .

(٣) هكذا وردت هذه الكلمة في «الريثونة» . وفي الإسكوريال كلمة محرفة رسمها (داغية) .

مُخْتَمَةً بالسكواكب الزاهرة، تُضْحَى عن شَذْبٍ لا تَزَالُ تُقَبِّلُهُ أفواه المجانيق،
 وَنَسِي بِاسْمَةٍ عن لعسٍ، لا تَبْرَحُ تَرَشِّفُهُ شِفَاهُ سِهَامِ الحريقِ . خَطَبْنَاهَا،
 فَأَرَادَتِ التَّنْبِيهَ على قَدْرِهَا، والتَوْفِيرَ في إعلاء مَهْرِهَا، ومن خَطَبَ الحسناء،
 لم يُغْلِه المَهْرُ، فتمنعت تمنع المقصورات في الخيام، وأطالت أعمال العامل
 في خِدْمَتِهَا، وتجريد الحسام، إلى أن تحققت عِظَمَ مَوْقِعِهَا في النفوس، وورأت^(١)
 كثرة ما ألقى لها من نِشَارِ الرُّؤُوسِ، جَنَحَتْ إلى الإحصان بعد النُشُوزِ، وورأت
 اللُّجَاجَ في الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز، فأمكنَّت زمامها من يدِ خَاطِبِهَا،
 بعد مطاولة خَطْبِهَا وخِطَابِهَا، وأمتعت على رِغْمِ رُقِيهَا بعناقها، ورَشَفِ رُضَائِهَا،
 فبانت مُعْرَسًا، حيث لا حِجَالُ إلا من البُنُودِ، ولا خُلُوقُ إلا من | دماء |^(٢)
 أبطال الجنود، فأصبح وقد تَلَأَّتْ بهذه البشائر وجوه الأفكار، وطارت بمسارها
 سوايحُ البراري، وسوايحُ البحار . فالحمد لله الذي أقرَّ الحقَّ في نصابه،
 واسترجعه من أيدي غُصَّابِهِ، حمداً يجمع شمل النعم، ويُلَقِّحُهَا كما تُلَقِّحُ الرِّيحُ
 الدَّيْمَ، فشَنَّفُوا الأسماع بهذه البشائر، واملأوا الصدور بما يرويه لكم من أحاديثها
 كل وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء | وعم الخير واليمن
 به |^(٣) بِسَبَبِ الشَّرْقِ والماء، فشكر الله عليه فرضاً، في كل قطرٍ من
 أقطار الأرض .

دخل غرناطة، مرتاداً، ومُتعلماً، ومُجتازاً .

مولده: بُبرشانة بلده، عام خمسين وخمس مائة .

وفاته: توفي بمراكش في شهر رجب الفرد من عام ثمانية عشرة وستماية،

رحمه الله .

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (وزادت) وهو تحريف .

(٢) واردة في الإسكوريال، وماقطة في «الزيتونة» .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وماقطة في «الزيتونة» .

محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني^(١)

من أهل وادي آش ، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان محدثاً حافظاً ، واويةً مكثراً ، ثقةً ضابطاً ، شهرٌ
بم حفظ كتب كثيرة ، من الحديث ، وغيره ، ذا نظر صالح في الطلب ، أديباً
بارعاً ، كاتباً بليغاً ، مكثراً لجيده ، سريع البديهة في النظم والنثر ، والأدب
أغلبٌ عليه . قال أبو القاسم بن المواعيني ، ما رأيت في عباد الله ، أسرع
ارتجالاً منه .

مشيخته

روى عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ، وأبي بكر بن زرقون ،
وابن قيد . وابن إبراهيم بن المل . وابن النعمة وصحبه^(٢) ، ولقيه بهراً كش .
ووليد بن موفق ، وأبي عبد الله بن يوسف بن سماعة . ولازمه أزيد من ست
سنين ، وأكثر عنه ، وابن العُمريسي ، وأبي العباس بن إدريس . وانخرطوا ،
وتلا عليه بالسبع ، وأكثر عنه ، وعرض عليه من حفظه كثيراً . وابن
مضاء . وأبي علي بن عرب . وأبي القاسم بن حبيش ، وابن عبد الجبار .
وأبي محمد بن سهل الضرير . وعاشر وقاسم بن دحمان ، وأبي يوسف بن طلحة .
وأجاز له أبو بكر بن العربي . وابن خير . وابن مندلة . وابن تمارة ،

(١) هذه الترجمة واردة في الإسكوريال فقط ، وساقطة في «الزيتونة» و«ج» .

(٢) وردت في الإسكوريال (ونجيد) ، وهو فيما يبدو تحريف اقتضى التصويب .

وأبو الحسن شريح، وابن هذيل، ويونس بن مغيث، وأبو الجليل مفرج بن سلامة،
وأبو عبد الله حفيد مكي . وأبو عبد الرحمن بن مساعد ، وأبو عامر محمد بن
أحمد السالمي ، وأبو القاسم بن بشكوال ، وأبو محمد بن عبيد الله وأبو مروان
البياض ، وابن قزمان ، وأبو الوليد بن حجاج .

من روى عنه

روى عنه ابنه أبو القاسم ، وأبو الحسن بن محمد بن بقى الغساني ، وأبو
عبد الله محمد بن يحيى الشكري ، وأبو العباس النبائي ، وأبو عمرو بن عبيد ،
وهو أسن منه وأبو الكرم جودي .

توالياه

صنّف في الأدب مصنّفات منها « بهجة الأفكار » وفرصة التذكار ،
في مختار الأشعار ، ومباشرة ليلة السّفح . ومقاله في الإخوان . خرّجها من شواهد
الحكم ، ومصنّف في أخبار معاوية . والدّر المنظم في الإحسار العظيم . ومجموع في
الألغاز ، وورضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ، مجموع نظمه ونثره ، وملقى
السبل في فضل رمضان ، وقصيدته في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطرات
الواجد في رثاء الواحد . ورجوم الإنذار بهجوم العذار ، إلى غير ذلك .

مختمه

غرّبه الأمير ابن سعد^(١) من وطنه . وألزمه سكنى مرسية ، ثم بلنسية .
ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع وستين وخمس مائة ، عاد إلى وطنه
واستقر به يفيدته الديّة ، إلى آخر عمره .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنّيش الجذامي أمير بلنسية ومرسية ، وقد سبق أن ترجم له
ابن الخطيب فيما تقدم (من ١٢٠ - ١٢٧) .

شعره

وشعره كثير . فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر صحابته :

بالمضرب هَضْبِ زُرُودٍ أَوْ تَلْعَامَتِهَا
مصَدُورَةٌ تَقْتَنُ فِي جِيعِهَا
إِنْ رَاغِبًا وَادِ الضَّحَى أَوْ رَاعِهَا
هَذَا يُمْتَعُّهَا وَذَلِكَ يَشُوقُهَا
وَلَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالكَرَى يَنْتَابُهَا
لَكِنْ بَيْنَ جُفُونِهَا وَهِنَامِهَا
وَأَنْ نَزَعْتُ لَهَا بِهِ فَتَقُولَ مَنْ
مَطْلُوعَةُ الْفَرْعَيْنِ يُلْحَقُهَا الرَّهْبِي
وَتُسَيِّفُهَا مَاءَ النَّخِيلَةِ جُرْعَةً
مِنْهَا :

يَا مَنْ تَبْلُجُ نَوْرَهُ عَنِ صَادِعِ
يَا شَارِعًا فِي أُمَّةٍ جَعَلَتْ بِهِ
فِي دَارِ خَالِدٍ لَا يَشِيبُ وَلِيَدُهَا
وَتَذْهَبُ الرُّضْوَانِ فِي أَكْنَافِهَا
يَا مُصْطَفَاهَا مُرْفِعِ قَدْرَهَا
يَا مُنْتَقَاهَا مِنْ أَرْوَمَةِ هَاشِمِ
يَا خَاضِدًا لِلشَّرْكِ شَوْكَةَ حَزْبِهِ
قلت ، نقل الشيخ أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه . إلى أن قال ، وهي طويلة ، قلت وثقيلة الروح . ولقد صدق في قوله .

ومن شعره :

يا بَدْرُ تَمِّ طالِعاً في الحَشِيِّ
حُظُّكَ من قَلْبِي تَعْدِيْبُهُ
فَمَنْ يَكُنْ يُزْهِى بِابْسِ الْمُنَى
فِي سَاعَةِ قَصْرِ أَنْيَابِهَا
لَعَلَّ مِنْ بَاعِدِ مَا بَيْنَنَا
[وقال] (١) :

رَبُّوا الْقِيَابَ بِأَدْمَعِ مَفْضُوضَةٍ
فَللنَّفْسِ فِي تِلْكَ الرَّبُوعِ حَبِيْبَةٌ
هَلْ لِي بِهَيَاتِكَ الظُّبَا الْمَسَاعِدُ
حَقًّا فَفَقَدْتُ الذَّاتَ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ
ذَوِي الْفِرَاقِ وَأَكْبِدِ تَتَصَرَّمُ
وَالْقَلْبِ فِي إِثْرِ الْإِدَاعِ مَقْسَمُ
أَمْ هَلْ لَذَاكَ السَّرْبِ كَمَثَلُ يُنْظَمُ
فَالشَّخْصَ يُوجِدُ وَالْحَقِيْقَةَ تَعْدَمُ

وفاته

توفي ببغداد لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمس مائة . قال أبو القاسم
المواعيني ، عثر في مشيه فسقط ، فكان سبب منيته ، ودخل غرناطة ، في غير
ما رجحة منها ، راويا عن أبي القاسم بن الفرس . ومع ذلك فهو من أحوازاها
وبنياتها .

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري (٢)
من أهل المرية ، يكنى أبا عبد الله .

حاله

من كتاب الإكمال ما نصه : ممن شكته البراعة ، وفقدته البراعة ، تأدب

(١) وضعنا هذه الكامة لاختلاف الشعر .

(٢) وردت لمحمد بن خاتمة الأنصاري أيضا في «الزيتونة» ترجمة موزة لا تعدو أربعة عشر سطرا .

بأخيه (١) ، وتهذب ، وأراه في النظم المذهب ، وكساه من التفهم والتعليم البرد
المذهب ، فافتنى واقتدى ، وراح في الخلبة واغتدى ، حتى نبى وشدا . ولو أمهله
الدهر لمبلغ المدا . وأما خطه فقيد الأَبصار ، وطُرْفَة من طُرْف الأَمصار ، واعتبط
يانع الشبيبة ، مُخَضَّر الكتيبة .

شعره

كفوا الملام فلا أصنى إلى العذل ععلى وسمعى عن العذل فى شغل

[يقول فى هذه القصيدة :

هزلُ المحبة جدُّ والهوان هوى
من مُسعدٍ وفؤادى لا يساعدى
أعللُ النفس بالأمال أطعمها
لئن كنت تجهل ما فى الحب من محن
أنا الذى قد حَلَبْتُ الحبَّ أشطره
لا أشرب الزَّاحكى أحلو براحتها
ولا أجول بطرفى فى الرياض سوى
أنا العهدُ مضى ما كان أعذبه
كم فدَيْتُك يا قلبى وأنت على
فاخترُ لنفسك إما أن تُصاحبنى
فقد تبعتك حتى سرت من شغفى

ومن شعره :

ومضَ البرقُ فثار القلقُ ومضى النِّرم وحلَّ الأرق

(١) وردت ترجمة أخيه أحمد بن خاتمة فى الجلد الأول من الإجابة (١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٥٩ .

وَيَتَعَانِي مِنْ غَرَامِي قَدْ شَكَا
 وَدَلِيلِي فِي غَلِيْبِي لِي زَفَرَاتِي
 وَحَسُودِي مِنْ وَقُودِي رَقَّ لِي
 وَعِشِّيَّاتٌ تَقَضَّتْ بِاللَّوِي
 إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَابِي جُمَعَا
 شَتَّ يَوْمَ البَيْنِ شَمَلِي
 آه مِنْ يَوْمِ قَضَى لِي فِرْقَةَ
 وَمِنْ ذَلِكَ :

أَيَا جِيرَةَ الحَيِّ المُنْتَعِجِ جَارُهُ
 مَتَى غِيبْتُمْ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِمَخَاطِرِي
 عَذَابِكُمْ قُرْبٌ وَبِخُلُوكُمْ نَدَى
 وَأَنْتُمْ نَعِيمِي لَا نَعِيمَتُ بِغَيْرِكُمْ
 وَمِنْ ظَرِيفِ نَزَعَاتِهِ قَوْلُهُ :

الرَّفْعُ نَعْتِكُمْ لَا خَابِكُمْ أَمَلُ
 هَلْ مِنْكُمْ لِي عِظْفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ
 وَالتَّخْفِضُ شِيمَةُ شَانِي وَالهَوَى دُولُ
 إِذَا بَسَّ لِي مِنْكُمْ يَا سَادَتِي بَدَلُ

وفاته

اعتُبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمائة . وَرَدَّ إِلَى
 المحضرة غير ما مرة

(١) كل ما ورد من الشعر بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » ، ووارد في الإسكوريال

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى (١)

من أهل قرطبة يكنى أبا بكر

حاله

نسيجٌ وحده ، أدباً وظرفاً ولو ذعيرةً وشهرة . قال ابن عبد الملك ، كان أديباً
بارعاً ، محسنًا ، شاعرًا حلوا الكلام ، مليح التندير ، مبرزًا في نظم الطريقة الهزلية ،
بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل . قلتُ وهذه الطريقة بديمةٌ يتعمق فيها
ألقاب البديع ، وتنفسيخ لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر
مبلغاً حجرة الله عن سواه . فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العلم ،
والمبتدى فيها والمتمم ، رحمه الله . وقال الفتح (٢) فيه : « مبرز في البيان ، ومحرز
السبق عند تسابق الأعيان ، اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالاً رقباه إلى
مجالس ، وكساء ملابس ، واقتطع أسمى الرثب وتبواؤها ، ونال أسنى الخطط
وما تمالأها » .

شعره

قال الفتح ، وقد أثبت له ما يعلم به رفيع قدره ، ويعرف كيف أسا الزمن
بفدوره ، قوله :

ركبوا السيول (٣) من الخيول وركبوا فوق العوالي السمر زرق قطاف
وتجلاوا الغدران من ماذيهم مرتجة إلا على الأكتاف (٤)

(١) لنا في خاتمة هذا المجلد تعليق على هذه الترجمة .

(٢) هو الفتح بن خاقان صاحب كتاب «قلائد العقيان» المتوفى سنة ٥٣٥ هـ .

(٣) وردت في الإسكوريال (الخيول) والتصويب من القلائد .

(٤) وردت هذه الشطرة في الإسكوريال كالاتي : (مرتجة إلا على الأكتاف) . والتصويب

من « القلائد » .

وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال يستدعيه إلى
مجلس أنس :

أني أهلك هز الصارم الخدم
ذاك شك من قطع أنس أنت واصله
وشت شمل كرام أنت ناظمه
ولو دُعيت إلى أمثالها لسمت
وإن نشطت لتعريفى صرفت له
وما أريد سوى عفو تجود به
أنت المقدم في فخر وفي أدب
فأجابه رحمه الله :

أنى من المجد أمر لا مرّد له
لبيك لبيك أضعافاً مضاعفة
لى همة ولأهل العز مطمّحها
وإن حقك معروف وملتمزم
زفن^(١) ورقص وما أحببت من ملح
حتى يكون كلام الحاضرين بها
يا ليلة السفح هلاً عدت تانية
وقال فى غرض النسيب :

ياربّ يوم زادنى فيه
ذوشقة لمياء معسولة
من أطلع من غربه كوكبا
يذشع من خديه ماء الصبا

(١) زفن أى طرب ورقص .

(٢) الشعر الذى بين الحاضرتين كله ساقطه فى «الزيتونة» .

قلت له وهب لي بها قبلة
فذقت شيئاً لم أذق مثله
أسمدني الله بإسماده
فقال لي مبيتها مرحباً
لله ما أحلى وما أعذبا
يا شقوتي يا شقوتي لو أبا

وقال :

جئت لتوديعه وقد ذرفت
في موكب البين باكين ولا
معانقاً جيدته على حذر
نغص توديعه لعاشقه
عيناي من حسرة وعيناه
أصعب من موقف وقفتاه
فمن رأني مقبلاً فاه
ما كان من قبل قد تمناه

وقال يعتذروا تجالاً وأحسن ما أراد :

يا أهل ذا المجلس السامي سراوتة
وإن أكن مظهرنا مصباح بيتكم
ما ملت لكنني مالت بي الراح
فكل من فيكم في البيت مصباح

وقال يهني بعرس :

صرفت إليك وجوهها الأفراح
فأفض للمآرب في زمان صالح
إن كان كالشمس المنيرة حسنها
لا فرق بينكما لرأي فاستوى
هل يؤقد المصباح عند كما مهجاً
أحرزت يا عبد العزيز محاسنا
يا من له كف تجود وأضلع
ما ألت الحاجات دوني قفها
في كل ما تنحو إليه ملاحه
وتسكنفنيك سعادة ونجاح
لا سد عنك من الزمان صلاح
فالبدر أنت وما عليك جناح
زى النساء قلادة ووشاح
وكلا كما يبهاه مصباح
كثرت فلم تستوفها الأمداح
مطوي على حفظ الوداد شجاج
إلا ويمن يمينك للفتاح
وكذاك أفعال الملبح ملاح^(١)

(١) الشعر الذي بين الحاصرتين ساقط في الزيتونة .

ومن حكاه قوله :

كثير المال تَبَدُّله فيبقى
ومن غرست يداه ثمار جودٍ
ولا يبقى مع البخل التليل
ففي ظلِّ الثناء له مقيل
وقال رحمه الله :

وعهدى بالشباب وحسن قدي
فصرت اليوم مُنْحِنياً كأتى
حكى ألف ابن مقلة في الكتاب
أفتش في التراب على الشباب
وقال رحمه الله :

يُمسك الفارس رُحماً
وكلانا بئال في حربته
وأنا أمسك فيها قَصَبَةً (١)
إن الأقلام رِماح الكَتَبَةِ

قال ابن عبد الملك : أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعَيْنِي ، قال ، أخبرنا
الراوية أبو القاسم بن الطَّيْلَسَان ، قال سألته ، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا ،
أن ينشد شيئاً من شعر أبيه المُرَبِّ (٢) ، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده . وقال
أنشدني أبي رحمه الله لنفسه :

أحسن ما نبيط في الدعا لمن
خلصك الله من عوايقها
مُقرَّباً منك ما تُسرُّ به
الكلُّ بالعدل منك مُغتبط
رُتِّب في خُطَّةٍ من الخُطط
ودُمَّت في عِصْمَةٍ من الغلط
وكل مكروهة على شحط
وليس في الناس غيرُ مُغتبط
من عملٍ بالنَّجاة مُرتبط
وايس يخليك من أنا لكها (٣)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (القصبة) .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (المعرب) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي «الزيتونة» (أما لكها) .

فانفذ بعون الله مجتهدا
يا صاحب الأمر والذي^(٢) يده
رفعتم يا بني رفاة ما كان
ومنبر الحق من سواه بكم
وانضبط الأمر واستقام لكم
أتيت في كل ما أتيت به
جملت عن ميواك منزلة
أنت من المجد والعلا طرف
بقاب|صفي بالضمير|^(١) مرتبط
نايلها للعفاة غير بط
من المعلوات| في هبط|^(٣)
فها هو الآن غير مختلط
ولم يكن من قبل ذا بتضبط
فالغيث بعد الرجا والقنط
فلمت عن ميواك منزلة
وأنت من المجد والعلا طرف

كتابه

وقفت من ذلك على أفانين . منها في استهلال شهر رمضان قوله :
سلام على أنس المجتهدين ، وراحة المتجهدين ، وقرّة أعين المهتدين ، والذي
زين الله به الدنيا ، وأعز به الدين . شرف الله به الإسلام ، وجعل أيامه رقوما
في عواتق الأيام . وشهوره غرراً في جباه الأعلام ، وحل به عن رقاب الأمة
قلايد الآثام ، ونزه فيه الأسماع عن المكاره ، وصان الأفواه من رفث الكلام .
أشهد أن الله أتى عليك ، وأدخل من شاء الجنة على يدك ، وخصك من
الفضائل بما يمشى فيه التفسير حتى يكل ويسام ، ذلك اللسان ويمثل ، وأبادت ذنوب
الأمة بمثل ما أبادت الشمس الظل ، ذلك الذي يتهلل للسماء هلاله ، ويهتز العرش
جلاله ، وترجع الملائكة في حين إقباله ، وتدخل الحور العين في زينتها تكريماً ، وتلتزم
إجلاله وتعظيماً ، ويهتدى فيه الناس إلى دينهم صراطاً مستقيماً ، وتغل الشياطين على ما

(١) هكذا وردت هاتان الحمتان في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (صاف الضمير) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (التي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (منبط) .

خِيَلَتْ . وتذوق وبال ما كادت به وتخيَّلت ، ويشعر التقى لعبادة ربه ذليلاً ،
وتهبط الملائكة إلى سماء^(١) الدنيا ليلاً ، وينتظم المنتظمون في ديوانه انتظام السلك .
ويكون خلوف فَم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، وتفتح الجنة أبواباً ،
ويُغفر لمن صامه إيماناً واحتساباً ، جزاءً من ربك عطاء حساباً ، وبما فضلك الله
على سائر الشهور ، وقضى لك بالشرف والفضل المشهور . فرَضَك في كتابه . ومدحك
في خطابه ، حيث قال ، شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هُدًى للناس ،
وبيِّنات من الهدى والفرقان ، يعني تكبيرُ الناس عليك . وتقليبُ أحوالهم
بالنظر إليك ، حين لُثِمَت بالسحاب ، ونظرت من تحت ذلك النقاب ، وقد يمتاز
الشَّيْب وأن استتر بالخضاب ، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصحيح . وصرَّحوا
برؤيتك كل التصريح ، نظرت كل جماعة في اجتماعها ، وتأهبت القراءة لإشفاقها ،
واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها ، وتضرعت^(٢) الأبواب ، وطلبت المواقف
أواخر الأعمار والأحزاب ، وابتدیت آلم^(٣) ذلك الكتاب ، عندما أوقدت قناديل
كأنما قد بدت من الصباح ، ورقصت رقص النواهد عند هبوب الرياح ، والله
نور السموات والأرض ، مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح ، فأملأ المساهون في سرِّ
وجهر ، وحطت أُنقال السيئات عن كل ظهْر ، والتمست الليلة التي هي خير من
ألف شهر ، فنشط الصالحون بك صوماً ، وهجر المتهاجدون في ليالك نوماً ،
وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوماً . فيما أيها الذي رحل ، رحل^(٤) بعد مقامة ، وقام
للسفر من مقامه ، ورأى من قضى حقه ، ومن قصر في صيامه . فشئ الناس إلى
تشييعه . وبكوا لفراقه وتوديعه ، وندم المضيع على ما كان من تضييعه ، ولم يثق

(١) وردت في الإسكوريال (السماء) والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (واضطربت) .

(٣) هكذا وردت في «الزيتونة» والإسكوريال (أ.ل.م) .

(٤) هكذا وردت هذه الكلمة مكررة في الإسكوريال . ولم تكرر في الزيتونة .

بدوام العيش إلى وقت رجوعه ، فعرض على كفه دماً ، وبكت عينه ماء وكبده
دماً . رويدا حتى أخرج في ميدان فرائك ، وأتضرع إلى حنانك وإشفاتك ،
وأنتفي من تقبيلك وعندك : وأسألُ منك حاجة إن أراد الله قضاها ، وشاء نفوذها
وإمضاها ، إذا أنت وقفت لرب العالمين ، فقَبيلك من قوم ، وردك في وجوه آخرين .
إن تُنتي جميلاً ، فعسى يصفح لعمده وإن أسأ ، فعلم الله أني نويت التوبة أولاً
وآخرًا ، وأملت الأداء باطنا وظاهرا ، وكنت على ذلك لو هدى الله قادراً ،
وإنما علم ، من تقصير الإنسان ما علم ، والمرء ما قضى عليه به وحكم ، وإن النفس
لأمانة بالشوء إلا من رحم ، فإن غفر فبطوله وإحسانه ، وإن عاقب فيما قدمت
يد العبد من عصيانه ، فياوحشه هذه الفرقة ، وياأسفا على بعد الشقة ، وياشدا^(١)
ماخلفته لنا بفرائك من الجهد والمشقة ، ولطالما هجر الإنسان بك ذنبه ، وراقب
إعظاما لكربه ، وشرحت إلى أعمال البر قابه . ومع هذا أترك ترجع وتري ،
أم تُضم علينا دونك أطباق الثرى . فياويلتنا لمن حل الأجل ، ولم أقض دينك ،
ورجعت وقد حال الموت بيني وبينك . فأغرب : لا جعله الله آخر التوديع ، وأى
قالب يستذيع .

وقال في استهلال شوال :

ولكل مقام مقال . الله أكبر هذا هلال شوال قد طاع ، وكر في منازل
وقطع ، وغاب أحد عشر شهراً ، ثم رجع . مالي أراه رقيق الاستهلال ، خفي
الهلل ، وروحاً ترد في مثل انلال ، ما باله أمسى الله رشمه ، وصحح جسمه ، ورفع
في شهور العام اسمه ، في وجهه صفة بيئة ، ونار إشراقه لينة ، وأرى السحاب اعتمده
وتقف ، وتغشاه سوية وتنصرف ، ما أراه إلا يطول ذلك المقام ، وتوالي الأحوال
العظام . أصابه مرض في فصل من فصول العام ، فعادته كما يعاد المريض ، وبكته

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وياسر) والأولى أرجح .

الأيام الغر والليالي البيض ، وقلن كلاك الله وكفاك ، وحاطك وشفاك ، وقل
 كيف نجدك ، لأفض فاك ، هذا على الظن لا على التحقيق ، ومجاز لا يحكم
 التصديق . وإنه ليجمع مثل هذا المقدار ، أن يقدح فيه طول الغيب ، وتواتر
 الأسفار . أليس هو قد ألف مجالي الرياح ، وصحب برد الصباح ، وشاهد الأهوية
 مع الغدو والرواح ، وطواها بتجربته طي الوشاح . ما ذاك إلا أنه رأى الشمس
 في بعض الأيام ماشية . والحسن يأخذ منها وسطاً وحاشية ، ودلائل شبابه ظاهرة
 فاشية ، فوقع منها في نفسه ما وقع ، وثبتت على قلبه من النظر ما زرع ، ووقع في
 شر كها ، وحق له أن يقع . فرئت هي لحاله وأشفقت ، ونهجت بوصالها وتأنقت ،
 وقطعت من معدن نيلها وأنفقت ، وراأت أنها له شاكلة يبلغ أملها ، وتبلغ
 مأمه . ولذلك ما مدت لذيد السباح ، فتعرضت بالعشي ، وارتصدها في الصباح .
 مع ما أيقنا به من الانقطاع ، ويمسنا من الاجتماع . كما نفذ القدر ، وصدر الخبر .
 وقال تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، فوجد ذلك وجداً شديداً .
 وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً ، وأصبح بها دنفاً ، وأمسى عميداً ، حتى سلب
 ذلك بهاء ، وأذهب سناه . وردّه النحول كما شاه . ولقي منها مثل ما لقي غيلان
 من بيته ، وجميل من بئنته . وحن إليها حنين عروة إلى عفرا ، وموعده
 يوم وهب ناقة الصفراء . على رسلك أني واهمت ، وحسبت ذلك حقاً وتوهمت .
 والآن وقد فطنت ، وأصبت الفص فيما ظننت . إنه لقي رمضان في إقباله .
 وضمه نقصان هلاله . وصامه فجأة ولم يك في باله . فأثر ذلك في وجهه الطلق ،
 وأضعفه كما فعل بسائر الخلق ، وها هو قد أقبل من سفره البعيد ، فقل هو هلال
 الفطر أو قل هو هلال العيد ، فلقه صباح مشي الناس فيه مشي الحباب . ولبسوا
 أفضل الثياب ، وبرزوا إلى مصلاهم من كل باب ، فارتفعت همة الإسلام .
 وشرفت أمة محمد عليه السلام ، وخطب بالناس ودعا للإمام ، عندما طلعت

الشمس بوجه كدورِ المرأة ، ولون كصفا المهرأة . وخرج لا يُنسيها ريمُ الفلاة .
وقضوا السنّة . وبذلوا الجهد في ذلك والمنّة . وسألوا من الله أن يُدخلهم الجنة ،
ثم خطبوا حمداً لله وشكراً ، وذكروه كذكرهم آبائهم أو أشدّ ذكراً ، ثم انصرفوا
راشدين . وافترقوا حامدين ، وشبك الشيخ بيديه ، ونظر الشاب في كفيه .
ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه . فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين .
وتذكر العاشق موقف البين . وشقّ المتنزّه بين الصّفين . فنقل عينيه من الوشي
إلى الدّيباج ، ووجوه كضوء السّراج ، وعيون أُقتل من سيف الحجاج ،
ونظرات لا يُدفع داؤها بالعلاج ، وقد زُيئت العيون بالتكحيل . والشعور
بالترجيل ، وكرّر السّواك على مواضع التّقبيل ، وطوّقت الأعناق بالعقود ،
وضرب الفكر في صفحات الخدود . ومُدّ بالفالية على مواضع السجود ، وأقبلت
صنعا بأوشيتها ، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها ، ورقت الكفوف
بالحناء ، وأثني على الحسن وهو أحقّ بالثناء ، وطلّقت التوبة ثلاثاً بعد البناء ،
وغصّ الذراع بالسّوار ، وتختّم في اليمن واليسار . وأمسكت الثياب بأيدي
الأبكار ، ومشت الأمام أمام الأحرار ، وتقدمت الدّايات بالأطفال الصّغار ،
وامتلأت الدنيا سروراً ، وانقلب الكلُّ إلى أهله مسروراً . وبينما كانت الحال
كما نصّصت ، والحكاية كما قصّصت ، إذ لآلت الدنيا برقاً ، وامتدّ مع الأفق
غرباً وشرقاً ، وردّ لمعانه عيون الناظرين زرقاً ، ولولا أنه جرب حتى يدّوا ،
لقيل قد طلعت مع الشمس شمسٌ أخرى ، حتى أقبل من شرفت العرب بنسبه ،
وفخر الإسلام بسببه ، من انتسب إلى زهرة وقصي ، وازدانت به آل غالب
وآل لؤي ، من إذا ذكر المجد فهو ممسك بئده ، أو الفضل فهو لابس برده .
أو الفخر فهو واسطة عقده . أو الحسن فهو نسيج وحده . الذي رفع لواء العلياء ،
وعارضت مكارمه صوب^(١) الحبا ، وحكّت محامنه زهرة الحياة الدنيا . فأما

(١) أول الكلمة في المخطوط مخف تحت الخبر وترجع هذه القراءة .

وجبه فلكا شرقت الشمس وأشرقت ، وغربت كواكب سمايها وشرقت ،
 وتفتحت أطواق الليل عن غروب مجده وانشقت . ولولا حياء يغلب عليه . وخفراً
 يصحبه إذا نظرت إليه . لاستحال النهار ، وغارت لنوره كواكب الأسحار ،
 ولكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، لا يحفل بالصبح إذا انفلق ، ولا بالفجر إذا
 عم آفاق الدُّجَا وطبق ، ولو بدا للمسافر في ليله لطرق ، قد عجم الأبنوس على
 العاج ، وأدار جفنًا كما عطف على أطفالها النعاج ، يضرب بها ضرب السيف ،
 ويلم بالفؤاد إمام الطيف ، ويتلقاها السحر تلقى الكريم للضيف ، لو جردها
 على الرِّيم لوقف ، أو على فرعون ما صرف من سحره ما صرف ، أو على بنظام
 ابن قيس لألقى سلاحه وانصرف . وأما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها ،
 وأخنت زخرفها في إنباتها ، ونفخ عَرَفَ النسيم في جنباتها . يتفنن أفانين
 الزهر ، ويتقلب تقلب الدهر ، وتطلع له نوادر كالنجوم الزهر . لو أبصره
 مطرف ما شهر بخيله ، ولا جرَّ من العُجب ذيل مرطبه ، ولا كان المخبر معه من
 شرطه . وأما أنه لو قرى على سبحان كتابه . وانحدر على نهره عبابه ، وملاّت
 مسامه أطنابه وأسبابه ، ما قام في بيانه ولا قعد ، ولنزل عن مقامه الذي إليه
 صعد ، ولا خلف من بلاغته ما وعد . لعمرُك ما كان بشر بن المعتمر يتفنن
 للبلاغة فنونًا ، ولا يتبيلها بطونًا ومُتونًا . ولا أبو العتاهية ليشرطها كلامًا
 موزونًا ، ولا نمق الحسن بن سهل الألفاظ ، ولا رَفَعَ قس بن ساعدة صوتَه
 بعسكاظ ، ولا أظاظ زيد بن علي . هشامًا بما أظاظ . وأما مكارمه فكما
 انسكب الغيث عن خلاله وخرج الودق من غلاله ، فتدارك النعمة عن فوتها ،
 وأحيا الأرض بعد موتها . ذلك الشريف الأجل . الوزير الأفضل ، أبو طالب
 ابن القرشي الأهرى ، أدام الله اعتزازه ، كما رَقَمَ في حُلل الفخر طرازه ، فاجتمعت
 به السيادة بعد افتراقها . وأشرق وجه الأرض لإشراقها . والنفت الشاب

بالثياب ، وضم الرُّكاب بالركاب ، ولا عهدٌ كأيام الشباب ، فوصل القريب
 البعيد ، وهنوه كما جرت العادة بالعيد ، فوقت مع ركابه وسلّمت ، وجرت كلاماً
 وبه تكلمت ، فقلت تقبل الله معيكم ، وزكى عملك ، وبلغك فيما توده أملاك ،
 ولا تأملت وجهاً من الشرور إلا تأمّلك ، ونفّعت بما أوليت ، وأجزل حظك
 على ما صمت وصلّيت ، ووافقتك لعلّ وساعدتك ليّت ، وهناك عيد الفطر
 وهنّاته ، وبيدك بالمسرات وبدأته ، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأته . وهكذا
 بحول الله أعيادٌ واعتياد ، وعمرٌ في دوام ، وعزٌّ في ازدياد ، والسنة تفصح
 بفضلك إفصاح الخطباء من إيد ، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحا ، ودام
 الفِتر والأضحى (١) .

دخوله غرناطة

دخل غرناطة ، وتردّد إليها غير ما مرة ، وأقام بها ؛ وامتدح ابن أضحى (٢)
 وابن هاني ، وابن سعيد وغيرهم من أهلها . قال ابن سعيد في «طالع» (٣) ، وقد
 وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة ، واجتماعه بجنّته بقرية الزاوية (٤) من خارجها ،
 بترهون القليعية الأدبية ، وما جرى بينهما ، وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع ،
 وكان لبس غفارة صفراء ، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسرّ
 الناظرين : فقال لها إن لم أسر الناظرين . فأنا أسر السامعين ، وإنما يطلب سرور

(١) وردت هذه الرسالة التي قبلت في شوال ، في مخطوط الإسكوريال فقط ، (لوحه ٥٧-٥٩)

ولم ترد في «الزيتونة» .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى ، وهو أحد ثوار الأندلس ، في أواخر عهد
 المرابطين . وقد ثار بغرناطة في سنة ٥٣٩ هـ ولكنه لم يستطع التمدد فقدم ، فاعتصم بالقصبة وتوفى
 سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) .

(٣) سبق التعريف بابن سعيد ، و«طالع» أي كتابه (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) .

(٤) الزاوية هي قرية صغيرة تقع على مقربة من غرناطة . وبالإسبانية La Zubia

الناظرين منك، يا فاعلة يا صانعة . وتمكن السكر من ابن قزمان، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلا واثيابه تقطر، وقد شرب كثيراً من الماء، فقال إسمع يا وزير ثم أنشد:

إيه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال
وذات جرحٍ واسع دافق بالماء يحكى حال أذيال
غرقتني في الماء يا سيدي كغفزه بالتغريق في المال

فأمر بتجريده، وخلع عليه ما يليق به [ولم يمر]^(١) لهم بعد عهدهم بمثله . ولم ينتقل ابن قزمان من غرناطة، إلا بعد ما أجزأ له من الإحسان، ومدحه بما هو في ديوان أزداله .

محتبه

جرت عليه بابن حمدين^(٢) محنة كبيرة، عظم لها نكاله، بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها، وحادثة شقي بسببها. وقد ألم الفتح في قلايده بذلك. واختلت حاله بأخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدمه الذي نوه به. توفي بقرطبة ليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة. رحمه الله.

محمد بن غالب الرضاقي

يكنى أبا عبد الله . بلنسي الأصل . سكن غرناطة مدة، ثم مالقة

(١) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (ومر) والأولى أرحح وبها يستقيم المعنى .
(٢) هو القاضي أبو جعفر بن حمدين قاضي قرطبة . ثار بقرطبة عندما ضعف أمر المرابطين في سنة ٥٣٩ هـ . وأعلن نفسه أميراً عليها واستمرت رياسته بها نحو عام . ثم تغلب عليه ابن غانمة قائد المرابطين . وحررت له بعد ذلك خطوط لم يتمكن خلالها من استرداد رياسته . وتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

حاله

قال الأستاذ^(١) ، كان فحلا من فحول الشعراء ، ورئيسا في الأدباء ، عفيفا ، ساكنا ، وقورا ، ذا سمات وعقل . وقال القاضي^(٢) ، كان شاعرا مجيدا ، رقيق الغزل ، سلس الطبع ، باوع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ، دينياً ، وقورا ، عفيفاً ، متفقها ، على الهمة ، حسن الخلق والخلق كاتباً ، تام العقل ، متبلا على ما يعنيه من التعيش بصناعة الرفي^(٣) التي كان يعالجها بيده ، لم يبتذل نفسه في خدمة ، ولا تعرض لانتجاع بقافية ، خلا وقت مسكنه بفرناطة . فإنه امتدح واليها حينئذ ، ثم نزع عن ذلك ، راضيا بالحمول حالاً ، والقناعة مالا ، على شدة الرغبة فيه ، واغتنام ما يصد عنه .

أخبار عقله ومسكونه

قال الفقيه أبو الحسن شاكركر بن الفخار المالقي ، وكان خبيراً بأحواله : ما رأيت عمري رجلاً أحسن سمّاً ، وأطول صمّاً ، من أبي عبد الله الرصافي . وقال غيره من أصحابه . كان رفاء ، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد . وقال أبو عمرو ابن سالم ، كان صاحباً لأبي ، ولقبيته غير ماهرة ، وكان له موضع يخرج إليه في فصل العصير . فكنت أجتاز عليه مع أبي فأنتم يده . فربما قبل رأسي . ودعالي ، وكان أبي يسأله الدعاء فيخجل ، ويقول أنا والله أصغر من ذلك . قال ، وكان بإرايه أبو جعفر البلنسي . وكان متوقفاً الخاطر . فربما تكلم مع أحد التجار ، فكان منه هفوة . فيقول له جلساؤه : شتان والله بينك وبين أبي عميد الله في العقل والصمت ، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها . فما يزيد على التيسر .

(١) الأستاذ هذا ، يعني الأستاذ أبو جعفر بن شاكركر صاحب كتاب (تكملة) .

(٢) القاضي يقصد بها هنا ، القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب «السنن والتكملة» .

(٣) هكذا وردت في «الترتوتة» . وفي الإسكوريال (الرفو) .

فلما كان أحد الأيام، جاء البانسي ليفتح دكانه. فتعمد إلقاء الغلق من يده، فوقع على رأس أبي عبد الله. وهو مقبل على شغله، فسال دمه، فإزاد على أن قام ومسح الدم. ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر تراسى عليه، وجعل يقبل يديه. ويقول، والله ما سمعت برجل أصبر منك، ولا أعقل.

شعره

وشعره لا نهاية فوفه رونقا ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقة ديباجة، وتمكن ألفاظ، وتأصل معنى. وكان رحمه الله. قد خرج صغيرا من وطنه، فكان أبدأ بكر الحنين إليه، ويقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فمن ذلك قوله:

خليلي ما ليد قد عجمت نشرا	ومالرؤوس الركب قد وجعت سكرًا
هل المسك مفتوتا بدرجة الصبا	أم القوم أجروا من بانسية ذكرا
خليلي عوجا بي قليلا فإنه حديث	كبرد الباء في الكبد الحمرًا
قفا غير مأمورين ولتصديا	على ثقة للمزن فاستسقى النظرا
بجسر معان والرصافة إنه على القطر	ر أن يسقى الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويد متى بها	فربنا وأورثتني قراوتها وكرا
فبادي أنيق العيش في ريق الصبا	أبي الله أن أنسى اغتراري بها غرا
لبسنا بها ثوب الشباب لباسها	ولكن عرينا من حلاه ولم تعرا
أمزلنا عصر الشبيبة ما الذي	طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا
محل أغره العهد لم نبد ذكره	على كبد إلا أمترى أدما حمرًا
أكل مكان كان في الأرض مسقطا	لرأس الفتى يهواه ما عاش مضرا
ولا مثل مدحو من المسك تربة	تلى الصبا فيه حنيتها عمارا

نباتٌ كان أخذٌ يحمل نوره
 وما كتر صيغ المجرّة جلّت
 أنيقٌ كريان الحياة التي خلّت
 وقالوا هل الفردوس ما قد وصفته
 بلنسية تلك الزمردة التي
 كان عروساً أبدع الله حسنها
 يويد منها شمسانية الضحى
 تراجم أنفاس الرياح بزهرها
 وإن كان قد مدت يدُ البين بيننا
 هي الدرّة البيضاء من حيث جدتها
 خليلي أن أصدر لها فإنها
 ولم أطوعها الخياو هجرًا لها إذا
 ولكن إجلالاً لتربتها التي
 أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم
 هجوعٌ ببطن وأرضٌ قد ضرب الردى
 تقضوا فمن نجم سالك ساقط
 ومن سابق هذا إذا شا غايةً شا
 أناسٌ إذا لا قبت من شيت منهم
 وقد درجت أعمارهم فتظلموا
 ثلاثة أمجاد من النفر الألى
 نكلتهم نكلًا دهي العين والخشى
 كفى حزنا أنى تباعدت عنهم

تخال لجينًا في أعاليه أو تبرا
 نواصيه الأزهار واشتبتك زهرا
 طليقٌ كريعان الشباب الذي مرّا
 فقلت وما الفردوس في الجنة الأخرى
 تسيل عليها كل لؤلؤة نهرًا
 فصير من شرح الشباب لها عمرا
 مضاحكة الشمس البحيرة والبحرا
 نجومًا فلا شيطان يُغربها ذعرا
 من الأرض ما يهوى المجدبة شهرًا
 أضاعت ومن للدر أن يشبه الدرًا
 هي الوطن المحبوب أو كلكه الصدرًا
 غلا لثمت نعلي مساكنها الخضرًا
 تضم فتاها الندب أو كهلها الحرًا
 فبادت لياليهم فهل أشتكى الدهرا
 عليهم قبيبات فويق الثرى غبرًا
 أبي الله أن يرعى السماء أو الذنرا
 وغير محمود جواد العلى خضرًا
 تلقوك لاغث الحديث ولا غمرًا
 هلال ثلاث لو شفا رق أو بدوا
 زكوا خبراً بين الوردى وزكوا خبرًا
 فعجر ذا أمًا وسجر ذا جمرًا
 فلم ألق من سرى منها ولا سرا

لِيُظَهَّرَ لِي خَيْرًا تَأْبِطُ لِي شِرَا
فَيْسَبِي بِمَا يَقَعِمُ الظُّهْرُ—
وسا كنُ قصرٍ أضرَّ مسكنه القبرا
سناء كما يستقبل الأرق الفجر را
ولم يتناس الجود أصرم أم أثرا
أنامله لا بل هو اطله الغرا
تخطى به في البرد خطية سمرا
خلائق هن الخمر أو تشبه الحمرا
محياه في وجه الأصيل لما اصفرا
لمن بل في شفرى ضريح له شفرا
طوين عنى التجدد والصبرا
تري مبسم النوار عنبر معترا
إذا ما جعلت البعد عن قربه عذرا^(١)

وإلى متى أسلُ بهم كل واكب
أباحته عن صالحات عهديها هناك
محيًا خليلٍ غاض ماء حياته
وأزهر كالإصباح قد كنت أجتلي
قى لم يكن خلوة الصفات من الندى
يصرِّف ما بين البراعة والقننا
طويلٌ نجادِ السيف لان كاتمنا
سقتة على ما فيك من أرمحية
ونشرُ محيا للمكارم لو سرت
| هل السعد إلا حيث حظ صعيده
طوين الليلي طيهن وإنما
فلا حرمت سقيه أدمع مزنة
وما دعوتى للمزن عذرا لدعوتى

وقال برنى أبو محمد بن أبي العباس بمالقة :

هبها عكاظ فإين قسُ أياد
فيكم بفنكته الحمام العاد
من بعد ذلك الشهاب انقاد
لألى ذاك الكوكب الوقاد
نثرت كعوب قنناكم المناد
إيه فدى لك غابر الأجداد
إن لم يصِرْ بُرداً إلى الأباد

أبني البلاغة فيم حفلُ النادى
أما البيان فقد أجرَّ لسانه
عرشت سما علايكم ما أنتم
حطوا على عمد الطريق فقد خبت
ما فال ذرمة الصقيل وإنما
إيه عميد الحى غير مُدافع
ما عذر سالك كنت عقد نظامه

(١) الأبيات المحصورة بين الخاصرتين ، واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حيث الزمان عليك شيكلاً أن يرى
 يَوْمِي بِأَنْجُمِهِ لَمَّا قَلَدْتَهُ
 كَثُفُ الْحِجَابِ فَمَا تَرَى مُتَفَضِّلاً
 أَلَمِ بِرَبِّكَ غَيْرَ مَأْمُورٍ فَقَدْ
 خَبِراً يُبَلِّغُهُ إِلَيْكَ وَدُونَهُ
 قَدْ طَاطَأَ الْجَبَلُ الْمَنِيْفُ قِدَالَهُ
 أَعِدِ التَّفَاتِكَ نَحُونَا وَأَخَذْنَهُ
 وَامْسَحْ لِنَاعِنِ مُقَلَّتِيكَ مِنَ السَّكْرَى
 هَذَا الصَّبَاحُ وَلَا تَهَبْ إِلَى
 وَكَأَنَّمَا قَالَ الرَّدَى نَمَّ وَادْعَاً
 أُمُوسُداً تَلِكِ الرَّخَامِ بِمِرْقَدِ
 خَصِيْبَتِ بَقْدَرِكِ حَفْرَةٌ فَكَأَنَّهَا
 وَثَّرَ لَجَنِبِكَ مِنْ أَثَاثِ مُخَيِّمِ
 يَاظَاعِنَا رِكَبَ السُّرَى فِي لَيْلَةٍ
 أَعَزَزَ عَايِنَا أَنْ حَطَطْتَ بِمَنْزَلِ
 جَارِ الْأَفْرَادِ هُنَاكَ جِيْرَةٌ
 السَّاكِنِينَ إِلَى الْمَعَادِ قِيَابَهُمْ
 مِنْ كُلِّ مُلْقِيَةِ الْجِرَابِ بِمَضْرِبِ
 بِمَرَسِ السَّفْرِ الْأَلَى رَكَبُوا
 سِيَّانِ فِيهِمْ لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا
 لِحَقِّ الْبِطُونِ مِنَ اللَّعْبِ عَلَى الطَّوَى
 اللَّهُ هُمْ فَلشَدَّ مَا نَفَضُوا مِنْ

من طول ليل في قيص جِداد
 من درُّ ألفاظ وبيض أباد
 في ساعة تُصْفَى بِهِ وَتُنَادِ
 غُصَّ الْفَنَّا بِأَرْجُلِ الْقَصَادِ
 أَمِنَ الْعُدَاةَ وَرَاحَةَ الْحَمَادِ
 لِلجَارِ بِعَدِكَ وَاقشَعْرُ الْوَادِ
 مِثْلَ الْحَدِيثِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَعَادِ
 نَوْمًا تَسْكَابِدُ مِنْ بُسْكَى وَمُصْهَادِ
 مَتَى طَالَ الرَّقَادُ وَلَاتِ حِينَ رِقَادِ
 سَبَقْتَ إِلَى الْبُشْرَى بِحُسْنِ مَعَادِ
 أَخْشِينَ بِهِ مِنْ مِرْقَدِ وَوَسَادِ
 مِنْ جَوْفِهَا فِي مِثْلِ حَرْفِ الصَّادِ
 تُرْبُ نَدَى وَصَفَائِحِ أَنْضَادِ
 طَارَ الدَّلِيلُ بِهَا وَحَادَ الْحَادِ
 تَجَلَّى عَنْ الزُّوَارِ وَالْعُوَادِ
 سُقِيًّا لَتَلِكِ الْجِيْرَةِ الْأَفْرَادِ
 مَنشُورَةُ الْأَطْنَابِ وَالْأَعْمَادِ
 نَابِ الْجِيْلَى فِيهِ عَنِ الْأَوْتَادِ
 السُّرَى مَجْهُولَةَ الْغَايَاتِ وَالْأَمَادِ
 مَا أَشْبَهَ التَّأْوِيْبِ بِالْإِسْتَادِ
 وَعَلَى الرَّوَاحِلِ عُنْفُوَانِ الزَّادِ
 أَمْتَعَةَ الْحَيَاةِ فِي حَقَائِبِ الْأَجْسَادِ

ياليت شعري والمنة لك جنة
 هل للملابك بعدتها من نهضة
 بأبي وقد ساروا بنعمتك صارم
 ذلت عوانق حامليك فإنهم
 نعم الذما البر ما قد غوروا
 عليا خص بها الضريح وإنما
 أبنى العباس أي حلاحل
 هل كان إلا العين وافق سهمها
 أخلل جد لا يسد مكانه
 ولكم يرى بك من مضاب لم يكن
 ما زلت تنعشها بسبيك قابضاً
 حتى أراك أبا محمد الردي
 يا حرها من ججرة مشبوبة
 كيف العزاء وإنها لرزية
 صدع النعاة بها فقلت لمدمعي
 لك من دمي ما شئت غير منهنة
 بقصير مجتهد وحسبك غاية
 أما الدموع فهي أضعف ناصر
 ثم السلام ولا أغب قراره
 تسقيك ما سفتحت عليك يراعة

ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة:

عاد الحديث إلى ماجر أطيبه والشبيبي يبعث ذكر الشبيبي عن سبب

إيه عن الكذبة البيضاء إن لها
 راوح بها السهل من أكنافها
 وانضح نواحيها من مقلتيك ومثل
 وقل لسرحته يا سرحة كرمتم
 يا عذبة الماء والظل انغمي
 ما ذا على ظلك الألى وقد قلصت
 أهكنا تنقضي نفسى لديك ظها
 لولاك يا سرح لم يبق الفلا عطلا
 ولم نبت نقاضى من مدامنا
 إنا إذا ما تصدى من هوى طلل
 مستعطفين مخيبات الشئون له
 سلى خميلتك الربا بأية ما
 عن فتية نزلوا على سراجها
 محافظين على العليا وربما
 حتى إذا ما قضا من كأسها وطرا
 راحوا رواحاً وقد ريدت عما بهم
 لا يظهر الشكر حاله في ذوايهم
 المتزلين القوافى من معاقلها
 ومن مقطوعاته قوله :

دعاك خليل والأصيل كأنه
 إلى شط منساب كأنك ماؤه

عليل يقضى مدة الزمن الباق
 صفا ضميراً وعنوبة أخلاق

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال ، وساقطة في «الزيتونة» .

حوي الخوافي والقوادم خفاق
على النأي من شتى بروج وآفاق
ظباه ودمع المزن في جفنه راق
حبست بها كأسى قليلا عن الساق
يميل بأعناق ويرنو بأحداق
شمايل مشغوف بمراك مشتاق
وقد خضت قطراً محاجر عشاق

ومهوى جناح للصبا يسح الربا
وفتيان صدق كالنجوم تألفوا
على حين راح البرق في الجوم مغمداً
وجالت بعيني في الرياض التفاتة
على سطر خيري ذكرك فانتني
وقف وقفة المحبوب منه فإنها
وصل زهرات منه صفر كأنها
وقال وكلفها في حايك [وهو بديع]^(١)

لو لم نهم بمزال القدر مبتدل
لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك
والحسن ملك حيث جل ول
دري لون الحيا أحور المقل
ما شيت من لحظات الشادن الوجل
أخرى الليالي وهل في الغير من بدل
بنانه جولان الفكر في الغزل
على السدى لعب الأيام بالأمل
أفديه من تعب الأطراف مشتغل
تخبط الظبي في أشراك محتبل

قالوا وقد أكثروا في جبه عدل
فقلت لو ان أمرى في الصباية لي
في كل قلب عزيزات مذلة للحسن
علقته حبيبي الشغرا طوره
إذا تأملته أعطاك ملتفتاً
هيئات أبغى به من غيره بدلا
غزير لم تزل في الغزل جايلة
جدلان تلعب بالمحرك أنمله
ما أن يني تعب الأطراف مشتغلا
ضرباً بكفيه أو فحماً بأخصه
وقال :

سلب التثني النوم عن أنياه
عرقاً فقات الورد رش بمياه

ومهفئ كالصن إلا أنه
أضحى ينسام وقد تحدد^(٢) خده

(١) هاتان الكنتاد ورددان في الإسكوريال ، وساقطتان في «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (تجب) .

وقال :

أدِرُّهَا فَالْغَمَامَةُ قَدْ أَجَالَتْ سيوف البرق في لَمِّ البطاح
وراق الروض طاووساً بهياً تهبُّ عليه أنفاس الرياح
تقول وقد ثنى قزحٌ عليه ثياب الغيم مُعلّمة النواح
خذوا للصحو أهبتكم فإني أعرتُ المزن قادمتي جناح

وقال :

أدِرُّهَا عَلَى أَمْرِ مَا نَمُّ مِنْ بَأْسٍ وإن جدت آذانها ورقُ الآس
وما هي إلا ضاحكات غمام لواعبُ من وهض البروق بتمياس
ووفد رياح زعزع النهر مدة كما وطيت درعاً سنايك أفراس
وقال في وصف مغنٍ مُحسن :

ومُضَارِحٍ مِمَّا تَحْسُ بِنَسَانِهِ صوتاً أفاض عليه ماء وقاره
يُثْنِي الْحَمَامُ فَلَا يَرُوحُ لُوكرِهِ طرباً وورق بنيه في منقاره
وقال يصف جدول ماء عليه سرحة ، ولها حكاية معروفة :

ومَهْدَلُ الشُّطَيْنِ نَحْسَبُ أَنَّهُ مُتَسَيِّلٌ^(١) مِنْ دَرَّةٍ لَصْفَايِهِ
فَاعَتَ عَلَيْهِ مَعَ الْعَشِيَّةِ^(٢) سَرْحَةٌ صدئت لفيئتها صفيحة ما به
فتراه أزرق في غلالة مُثْمَرَةٍ كالذارع استلقى بظلِّ لوابه^(٣)

نثره

قال من مقامة يصف القلم :

قصير كالأنابيب لكنه يطول مضاً طوال الرماح
إذا عبَّ للنفس في دامسٍ ودبَّ من العُطرس فوق الصفاح
تجلت به مُشكلات الأمور ولان له الصعب بعد الجراح

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (متسائل) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي المعجب (المجيرة) .

(٣) هذا البيت ساقط في الزيتونة .

فلولا هو^(١) لعدت أغصان الا كتساب ذاوية^(٢)، وبيوت الأموال خاوية،
 وأسرعت إليها البوم، وأصبحت كفضاد أم موسى، فهو لا محالة تجرُّها الأربع،
 وميزانها الأرجح. به تدبرُّ البانها، وتثمر أفنانها، وتستمر أفضالها وإحسانها،
 وهو رأس مالها، وقطبُ عملها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها،
 وتمحَّم في طيِّها ونشرها، وهو قطب مدارها، وجهينة أخبارها، وسرُّ اختيارها
 واختبارها، ومظهر مجدها وفخارها، يعقد الرايات لكل وال، ويمنحهم من
 المبرة كل صافية المقيبل، ضافية السربال، يُطفي جَمرة [الحرب] العوان^(٣).
 ويكايد العدو بلا صارم ولا سنان، يقُدُّ المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعائل.
 ويقمع الحواسد والعواذل.

وفاته : توفي بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقية من رمضان سنة اثنين
 وسبعين وخمسة. وقبره مشهور بها.

محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، ومكن غرناطة وتردد إليها

حاله

كان ليبيالودعيا. جامعاً لخصال، من خطِّ بارع وكتابة، ونظم، وشطرنج،
 إلى نادو حار، وخاطر ذكي، وجُرأة. توجه إلى العدو، وارتسم بها طيبيا،
 وتولى النظر على المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمائة

شعره

أنشدني بمدينة فاس عام ستة وخمسين، في وُجْهتي رسولا إلى المغرب، قوله
 في رجل يقطع في الكاغد :

(١) هكذا في الإسكوريال «الزيتونة». وهي مقابل الرسم الحديث (فلولاه).

(٢) هكذا وردت في «الزيتونة». وفي الإسكوريال، (خاوية) وهو تحريف.

(٣) هذه الكلمة واردة في «الزيتونة» وساقطة في الإسكوريال.

أبا على حَسِينِسا
قد بين الدمعَ وجدى
بَلَّتْ لحاظك قَلْبِي
قط المِصْبُ لهذا
أين الوفا منك أينما
وأنت تزدادُ بَيْنَمَا
تا لله ما قلتُ مينا
سبب الصُّب مينا
ودمتَ نَزْدَادُ زَيْنَا
بقيت تفتُر حُسْنَا

وقال أيضاً :

فَصَلُّ التجارات باد في الصناعات
لولا الذى هو فيها هاجر عات
حاز الجمال فأعيانى وأعجزنى
وإن دعيت بوصاف ونعات
وكان شديد المغالطة ، ذاهباً أقصى مذاهب القحة ، يحرك من لا يتحرك ، ويفضرب
من لا يفضرب . عتب يوماً جدته على طعام طبخته له ، ولم يستطبه ، وكان بين يديه
[القِط] يصدعه بصياح طابه ، فقال له ضجراً ، خمسمائة سوط ، فقالت له جدته
لم تعط هذه السياط للقط ، إنما عنيتنى بها ، وأعطيتها باسم القط ، فقال لها حاش
لله يا مولاتى ، وبهذا البخل تدرينى أو الزحام عليها ، بل ذلك للقط حللاً طيباً ،
ولك أنت ألف من طيبة قلب ، فأرسلها مثلاً ، ومازلنا نتفكك بذلك ، وكان
في هذا الباب لا يشق غباره .

مولده : بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة .

وفاته : بعث إلى الفقيه أبو عبد الله الشَّديد ، يعرفنى أنه توفى فى أواسط عام

صبيحة وخمسين وصبعمائة .

محمد بن سليمان بن القصير

أبو بكر ، كاتب الدولة الأتونية ، وعلمُ وقته .

حاله

قال ابن الصيرفي^(١) الوزير الكاتب، الناظم، الناثر، القايم بعمود الكتابة، والحامل للواء البلاغة، والسابق الذي لا يُشَقُّ غباره، ولا تخمد أبداً أنواره. اجتمع له براعة النثر، وجزالة النظم، رقيق النسيج، حَصيف المتن، رُفَعته ماشيت في العين واليد. قال ابن عبد الملك: وكان كاتباً مجيداً، بارع الخط، كتب عن يوسف بن تاشفين.

مشيخته

روى عن أبي الحجاج الأعمى، وأبي الحسن بن شريح، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم، لقيه بمرآكش.

شعره

وهو عندي في نمط دون ما وُصف به. فمن ذلك قوله من قصيدة أنمى فيها على ابن ذي النون، ومدح ابن عباد، عند خلع ابن جهور، أبي الوليد، وتصيير قرطبة إليه:

فَسَلَّ عَنْهُ أَحْشَاءُ ابْنِ ذِي النُّونِ هَلْ	سَرَى إِلَيْهَا سَكُونٌ مَنذُ زَلْزَلِهَا الذُّعْرُ
وَهَلْ قَدَّرْتَ مَذَاوِعَ حَشْتِهِ طَلَابِعُ	الظُّهُورِ عَلَيْهِ أَنْ تُؤَنَسَ الحَمْرُ
أَلَمْ يَجْنِ يَجِي مِنْ تَعَاطِيكَ ظَلَّةً	سَجَا لَكَ هَيْهَاتَ السُّهْبِ مِنْكَ يَا بَدْرُ
لِجَارَاكَ وَاسْتَوْفَيْتَ أَبَدَ غَايَةَ	وَأَخْرَهَ عَنِ شَأْوِكَ الكِفِّ وَالعَثْرُ
فَأَحْرَزْتَ فَضْلَ السَّبْتِ عَفْوًا	وَكَفَّهُ عَلَى رَغْمِهِ مَا تَوَهَّمَهُ صَفْرُ
وَيَأْتِدُّ مَا أَغْرَتَهُ قَرْطَبَةُ وَقَدْ	أَبْشُرَتْهَا خَيْلُنَا فَمَا كَانَ لَكَ الدَّرُّ ^(٢)

(١) ابن الصيرفي، مؤرخ الدولة المرابطية. سبق التعريف به.

(٢) الأبيات الأربعة التي بين الحاصه بين ساقطة في «الزيتونة».

ومنها :

[أنتك وقد أزرى ببهجة حسنها
فألبستها من سابغ العدل حلة
وجاءتك متفالا فضخ حبيها
وأجريت ماء الجود في عرصاتها
وطاب هوا أفقها فكأنها تهب
وما أدر كنههم في هواك هوادة
وما قلدوك لأمر إلا لواجب
وبوأمم في ذروة المجد معقلا
وأوردتهم من فضل سيبك موردا
فلولاك لم تفصل عرى الإصر عنهم
أعدت نهار ليلهم ولطالما
ولا زلت تؤويهم إلى ظل دوحه
ولا لأنها من جور مالسها طمر
زهاها بها تيه وغازها كبر
وازدانها من ذكرك المعتلى عطر
فروض حتى كاد أن يورق الصخر
تهب نسيما فيه أخلاقك الزهر
وما أثمروا إلا لما أمر البر
جنته فيه المجرب والغمر
حرام على الأيام إمامه حجر
على كثرة الوارد مشرعه غمر
ولا انفك من ربك الأذى لم أسر
أراهم نجوم الليل في أفقه الظهر
من العز في أرحابها النعم الخضر^(١)

كتابه

وهي من قلة التصنع والإخشوشان ، بحيث لا يخفى غرضها . ولكل زمان
رجاله . وهي مع ذلك تزينها السداجة ، وتشفع لها الفضاضة . كتب عن الأمير
يوسف بن تاشفين ولاية عهده لولده :

« هذا كتاب تولية عظيم جسيم ، وتوصية جسيم كريم ، مهتد^(٢) على
الرضا قواعده ، وأكثت بيد^(٣) التقوى [مواعده]^(٤) ومعاقده ، وسددت

(١) هذه القصيدة واردة في الإسكوريال . وساقطة في « الزيتونة » .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنيت) وفي نص آخر (صدرت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (عل) .

(٤) الزيادة من « الزيتونة » .

إلى الحسنى مقاصده ، وأبعدت عن [الهوادة والهووى] ^(١) ، صادرة وموارده .
أنفذه أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين ، أدام الله
أمره ، وأعز نصره ، وأطال فيما يرضيه منه ، ويرضى به عند عمره ، غير مُحَابٍ ،
ولا تارك في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين ، مَوْضِعُ اِرْتِيَابٍ لارتاب ، الأمير
الأجل أبي الحسن عليّ ابنه ، المتَّجَبِّلُ هَمِيمَةً وشِيَمَةً ، المتأثِّلُ حِلْمَهُ وتَحْلَمَهُ ، الناشئُ
في حِجْرٍ تَقْوِيَةً وتَأْدِيبَهُ ، المتصرف بين يدي تخريبه وتدريبه ، أدام الله عزّه
وتوفيقه ، ونهج إلى كل صالح من الأعمال طريقه ، وقد تهتمَّ بمن تحت عصاه من
المسلمين ، وهدى في انتقاء من يخلفه هدى [المتقين] ، ولم ير أن يتركهم بعد
سُئِي غير مدينين ^(٢) واعتماد في النُّصَابِ الرفيع ، واختار واستنصح أولى
الرأى والدين ، واستشار فلم يوقع ^(٣) بعد طول تأمل ، وتراخي مدة ، وتمثل
اختياره ، واختبار من فوضه في ذلك من أولى التقوى ^(٤) والحسنة واستشارة
الأعلية ، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلا إليه ، ولا التقى رُوَادُ الرأى
والتشاور إلا لديه . فوَلَّاهُ عن استحكام بصيرة ، وبعد طول مشورة ، عهده ، وأفقى
إليه الأمر والنهى ، والتبضُّ والبسط [عنده] ^(٥) بعده ، وجعله خليفته السَّادِ
في رعاياه مسدّه ، وأوطأ عقبه جماهير الرجال ، وناط به مهمات الأمور والأعمال ،
وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع ، ولا يعدل عن سمّت العدل وحُكْمِ الكتاب
والسُّنة ، في أحد عصا أو أطاع ، ولا ينام عن حمّاه ^(٦) الحيف والخوف بلا ضابطات ،
ولا يتلّين دون معان شكوى ، ولا يتصام عن مُستصرخ لذى بلوى ، وأن ينظم

(١) وردت هكذا في الإسكوريال . ومكانهما في « الزيتونة » (الهوادة) .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في « الزيتونة » .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (بوافق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (التقى) .

(٥) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي « الزيتونة » (جماد) .

أقصى البلاد وأدناها في سبيلك تدبيره ، ولا يكون بين القريب والبعيد بونٌ في إحصائه^(۱) وتقديره . ثم دعا أدام الله تأييده ، لمبايعته ، أدام الله عزه ونصره ، من حضر ودنا من المسلمين ، فلبوا مسرعين ، وأتوا مهطعين ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرعين متطوعين ، وبايعوه على السمع والطاعة ، والتزام سنن^(۲) الجماعة ، وبذل المصيحة جهد^(۳) الاستطاعة ، ومناصفة من ناصفه . ومُحاربة من حاربه ، ومكايده من كايده ، ومُعاندة من عانده ، لا يدخرون في ذلك على حال المنشط مقدرة ، ولا يحتجون^(۴) في حالي الرضا والسخط إلى معذرة . ثم أمر بمخاطبة ساير أهل^(۵) البلاد لمبايعته ، كل طائفة منهم في بلدها^(۶) ، وتمطيه كما أعطاه من حضر ، صفقة يدها ، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد ، ويجتمع على الاعتصام بجبل دعوته ، الغائب والشهيد ، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة ، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذائها موروقة^(۷) ، ويشمن الناس كافة السرور والاستبشار ، وتتمكن لديهم الدعوة ، ويشهد القرار ، وتنشأ لهم في الصلاح آمال ، ويستقبلهم جث صالح وإقبال . والله يبارك لهم بيعة رضوان ، وصفقة رُجحان ، ودعوة يُمن وأمان ، إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو ، نعم المولى ونعم النصير . شهد على إشهد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته ، ولقيه حملة^(۸) عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل ، وأعطى صفقته طامعاً منبرعاً

(۱) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (أحكامه) .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (سنة) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (قدر) .

(۴) هكذا في «الزيتونة» . وفي الإسكوريال (يحجون) والأولى أرجح .

(۵) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(۶) هكذا في الإسكوريال . وفي «الزيتونة» (وطنها) .

(۷) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال . وساقطة في «الزيتونة» .

(۸) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حملة) .

بها . وبالله التوفيق . وكتب بحضرة قرطبة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

دخل غرناطة غير ما مرّة ، وحدثه ، وفي ركاب أميره .
توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة^(١) .

محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني
من أهل سرقسطة ، ودخل غرناطة ، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها ،
يكنى أبا الطاهر . وله المقامات اللزوميات المعروفة .

حاله

كان كاتباً لغوياً شاعراً ، مُتَمَدِّداً في الأدب ، فرداً ، متقدماً في ذلك في وقته ،
وله المقامات المعروفة ، وشعره كثير مُدَوَّن .

مشيخته

روى عن أبي علي الصّديقي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر ،
وأبي عبد الله بن سليمان المعروف بابن أخت غانم ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبي
الحسن بن الباذش ، وأبي محمد عبد الله بن محمد التّجيبّي الدّكلي ، وأبي القاسم
ابن صوابه^(٢) ، وأبي عمران بن أبي تليد ، وغيرهم . أخذ عنه القاضي أبو العباس
ابن مضاء ، أخذ عنه الكامل المبرد ، قال . وعليه اعتمد في تقييده . وروى
عنه المقرئ المّسن ، الخطيب أبو جعفر بن يحيى الكتّاني . وذكره هو
وابن مضاء .

(١) وردت في الإسكوريال (وربعائة) . وهو تحريف . والتصويب من «الزيتونة» .

(٢) هكذا في الإسكوريال . في «الزيتونة» (مصرف) .

توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بزمانة لازمته نحواً من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره

أيا قمر أتطلع من وشاح على غض فخر من كل راح
أدار السحر من عينيه خمرًا معتقة فأسكر كل صاح
وأهدى إذ تهادى كل طيب كخوط البان في أيدي الرياح
وأحيا حين حيا نفس صب غدت في قبضة الحب المتاح
وسوغ منه عتبي بعد عتب وعلاي براح فوق راح
وأجناني الأمانى في أمان وجنح الليل مسدول الجناح

وقال أيضاً :

ومنهم الأعفان معسول اللما ماشيت من بدع المحاسن فيه
لما ظفرت بليلة من وصله والصب غير الوصل لا يشفيه
أنضحت وردة خده بنفسى وظلت أشرب ماءها من فيه

وقال أيضاً :

حكّت السلاف صفاته بحبابها من نغره ومناقها من رشفه
رتوردت حكّت شقايق خده وتأرجت فيسيميها من عرفه
وصفت فوق^(١) أديمها فكأنها من حُسن رونق وجنتيه ولطفه
لعبت بالباب الرجال وغادرت أجسامهم صرعى كفيعة طرفه

(١) هكذا في «الزيتونة». وفي الإسكوريال (فرق) وهو تحريف.

« ومن الغرباء في هذا الحرف »

محمد بن حسن العمراني الشريف

من أهل فاس

حاله

كان جهويًا ساذجًا ، خشن البزة ، غير مُرهف التَّجند ، ينظم الشعر ، ويذكر كثيراً من مسائل الفروع ، ومعاناة الفرائض ، يُجمع بها في مجالس الدروس ، تشقى به المدرسون ، على وتيرة من صحة السُّجية ، وحسن العهد ، وقلة التصنع .
وجرى ذكره في الإكليل : كريم الانتاء ، مستظل^(١) بأغصان الشجرة الشَّماء ، من رجل ، سليم الضمير ، ذي باطن أضفى من الماء النَّمير ، له في الشعر طبع يشهد بعروبية أصوله ، ومضاه نصوله .

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين ، وقد أمر له بكسوة :

مَنْحَتٌ مِّنْحَتِ النُّصْرِ وَالْعِزِّ وَالرِّضَا	وَلَا زِلْتُ بِالْإِحْسَانِ لَهُ مُقْرَضًا
وَلَا زِلْتُ لِلْعَلِيَّاءِ جَنِّي مُكَلِّمًا	وَلِلْأَمْرِ لِلْمَلِكِ الْعَزِيزِ مُقِيضًا
وَلَا زِلْتُ الْأَمْلَاقَ بِاسْمِكَ تُتَّقِي	وَجَيْشِكَ وَفِرَايِلَ الْأَرْضِ وَالْفِضَا
وَلَا زِلْتُ مِيمُونَ النَّقِيبَةِ ظَافِرًا	مُهَيَّبًا وَوَهَابًا وَسَيْفِكَ مُنْتَضًا
تَقَرُّ بِهِ الدِّينُ الْخَنِيفُ وَأَهْلُهُ	وَتَقَمُّعُ جَبَّارًا وَتُهْلِكُ مُبَغِضًا
وَصَلَّتْ شَرِيفَ الْبَيْتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	وَخَوْلَتُهُ أُسْنَى مَرَادٍ وَمَقْتَضًا
وَجُدَّتْ بِإِعْطَاءِ اللَّجِينِ وَكُنُوءَةٍ	مُسْتَكْسَى ثَوْبًا مِنَ النُّورِ أَيْضًا
وَمَا زِلْتُ الْأَنْصَارَ تَفْعَلُ هَكَذَا	زَالِ عَلِيٌّ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ ، متظلل .

هم نصرُوا الهادى وآووا وجدُّوا
نُفِذَ ذَا أبا الحجاج من خير مَادِح
وقد كان قبل اليوم غاض قريضة
ونظَّمُ القى يسمو على قدر ما يرى
ومن حِكْمِ القولِ اللهُمَّ مَتَّحِ اللهُمَّ
فلا زال يهديك الشريف قصائدا
وقال يخاطب من أخلفته بوارق الأمل فيه ، وخابت لديه وسائل قوافيه :
الشعر أسنى كلام خُصَّ بالعرب
وأفضل الشعر أبيات يقدمها
فما يُوفى كريمٌ حقَّ مادحه
المال يَفنى إذا طال الثواء به
وقد مدحت لأقوام ذى حسب
مدحتهم بكلام لو مدحت به
فما مدحى لهم هجواً يصدقه
فكان ما قلت من مدحهم كذباً
وقال فى غرض يظهر من الأبيات ، يخاطب السلطان :
مالي أرى تاج الملوك وحواله
فكأنه البازى الصيود وحواله
يا أيها الملك السكرام جدوده
أبدلها من بالبيض من صفئها
عبدان لا حلم ولا آداب
نقرُّ قلب ريشه وغراب
أسنى المحافل غيرها أتراب
إن العبيد محلها الأبواب

وفاته

توفى فى حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب
قرطبي الأصل ، تولى الولادة والمنشأ ، ابن نعمة وغذى جاه وحرمة

حاله

كان حبيباً فاضلاً كريماً ، سخياً . ورد على الأندلس . مُفاناً من نسكة أبيه ،
وقد عرَّ كته عرَّك الرِّحى لثقالها ، على مَن من الوقار والديانة والجماء ، يقوم على
بعض الأعمال النبوية .

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : جواد لا يتعاطى طلقه ، وصبح
فضل لا يُماثل فلقه . كانت لوالده رحمه الله ، من الدول الحفصية منزلة لذيقة
المحل ، ومفاوضة في العقد والحل ، ولم يزل يسمو^(١) به قدم النجابة ، من العمل
إلى الحجابة . ونشأ ابنه هذا ، مفضي الديون ، مُفدى بالأنفس والعيون . والدهر ذو
ألوان ، ومارق حرب عوان ، والأيام كرات تُتلقف ، وأهوال^(٢) لا تتوقف ،
فالوى بهم الدهر وأنحى ، وأغام جوهم^(٣) بعقب ما أضحى ، فشملهم الاعتقال :
وتعاورتهم النوب الثقال ، واستقرت بالشرق ركابه ، وحطت به أقتابه ؛ فخبج
واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر ، وعكف على كتاب الله فجود الحروف ،
[وأحكم الخلف المعروف]^(٤) وقيد وأسند ، وتكرَّر إلى دور الحديث وتردد .
وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البابل على كبد العليل . ولما استقر به^(٥)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تسو) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أحوال) .

(٣) وردت في الإسكوريال (جوه) . والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النسخ (وقرأ المعروف) .

(٥) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (بها) .

قراره ، واشتمل علی جَفْنِه غِراره . باهوتُ إلى مؤانسته ، وثابرت علی مجالسته .
فاجتليت للسر و شخصاً ، وطالمت ديوان الوفا مُسْتَقْصَا .

شعره

وشعره ايس بحايد عن الإحسان ، ولا غفلي من النكت الحسان . فمن ذلك
ما خاطبني به :

بِئْسَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ يُمَنُّ	هَدَا الْقَطْرُ وَأَنْجَمَ الْقَطْرُ
أَفْضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَايِهِ	بِحُورِ الدُّيَمِ الْمَادِّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَنْسَانَا عَدِمْنَا مَفَانِيَا	إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا عِبْرُ
هِنِيَاً بِمِيدِ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَاجِدِ	كَرِيمٍ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدَمْتُ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْتَوُّ لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال :

لَعَلَّ عَفْوِكَ بَعْدَ السُّخْطِ يَفْشَانِي	يَوْمًا فَيُنْعَشُ قَلْبُ الْوَالِدِ الْعَانِ
مَوْلَايَ رَحْمَاكَ إِنِّي قَدْ عَهَدْتُكَ	ذَا حِلْمٍ وَعَفْوٍ وَإِشْفَاقٍ وَتَحَنُّانِ
فَأَصْرَفَ حَنَانِكَ وَأَعْدَفَ عَلَيَّ	وَجُدَّ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تَحِيَّ جَسْمِي الْفَانِ
فَقَدْ تَنَاهَى الْأَسَى عِنْدِي وَعَدَّبَنِي	وَشَرَّدَ النَّوْمُ عَنِ عَيْنِي وَأَعْيَانِ
وَحَنُّهُ أَلَايِكَ الْحُسْنَى وَمَالِكَ مِنْ	طَوْلٍ وَفَضْلِ وَإِنْعَامٍ وَإِحْسَانِ
إِنِّي وَلَوْ حَلَّتْ الْبَلْوَى عَلَيَّ كَيْدِي	وَأَسْبَكْتَ فَوْقَ خَدِّ دَمْعِي الْفَانِ
لَوَأْتَقُ بِحَنْبَانٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي	عَمَّا قَرِيبٍ وَعَفْوٍ عَاجِلٍ دَانَ
دَامَتْ سَعُودُكَ فِي الدُّنْيَا مِضَاعِفَةٌ	تَذَلُّ طَوْعًا كُلُّ سُلْطَانِ

محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد

ابن سعيد الأنصاري الأوسي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك، من أهل مراکش، وسكن
غرناطة.

حاله

من عايد الصلاة : كان رحمه الله غريب المنزَع ، شديد الانقباض ، محبوب
المحاسن ، تذبو العين عنه جهامة ، و غرابة شكل ، و وحشة ظاهر ، في طي ذلك
أدبٌ غضبي ، و نفسٌ حرّة ، و حديثٌ ممتع ، و أبوةٌ كريمة ، أحد الصابرين
على الجهد ، المتمسكين بأسباب الحشمة ، الراضين بالخصاصة . و أبوه قاضي القضاة ،
نسيجٌ وحده ، الإمام العالم ، التاريخي ، المتبحر في الأدب ^(١) ، تقلبت به أيدي
الدهر بعد وفاته لتبعية سلطت على نسبه ، فاستقر بمالقة ، متحارفا مقدورا عليه ،
لا يهتدى لمكان فضله ، إلا من عثر عليه جزافا .

شعره

من لم يَصُنْ في أمل وجهه عنك فصن وجهك عن ودّه
واعرف له الفضل وعرّف به حيث أحلّ النفس من قصده
ومما خاطبني به قوله :

وليت ولاية أحسنت فيها ليعلم أنها شرفت بقدرك
وكم وال أساء فقيل فيه ذن القدر ليس لها بقدرك
وأنشدني في ذلك أيضاً رحمه الله عليه :

وليت فقيل أحسن خير وال فعاق مدى مداركها بفضله

(١) الإشارة هنا إلى أبيه القاضي ابن عبد الملك المراكشي صاحب « الذيل والتكملة » .

وكم والِ أساء قبيـل دنا فحما نحاسنها بفـله
 وما خاطب به السلطان يستعديه على من مَظله من العمال ، وعذر عليه واجبه
 من الطعام والمال :

مولاي نصيراً فكم إضام من ماله غيرك اعتصام
 أمرت لي بالخلاص فمر لي عنده المال والطعام
 فقال ما اعتاده جواباً وحسبي الله والإسلام
 هذا مقام ولا فعال بغير مولاي والسلام

وفاته

فقد في وقية على المسلمين من جيش مالقة بأحواز إستبة^(١) في ذي قعدة من
 عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة .

محمد [بن خميس]^(٢) بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد

ابن خميس الحجري حَجْرُ ذِي رُعين التَّمساني

يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس

حاله

من عايد الصلة : كان رحمه الله نسيجاً وحده زهداً وانقباضاً ، وأدباً وهمة ،
 حسن الشئبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيداً عن الريا

(١) يبدو أن هناك لبساً في إيراد هذا الاسم . لأن إستبة تقع جنوب شرق مدينة إستبة
 على مقربة من قرطبة . والظاهر أن المقصود هنا ، هو شرابستبونة *Estepona* الصغير الواقع على
 شاطئ البحر المتوسط بين مريلة وجبل طارق ، على مقربة من ثغر مالقة .
 (٢) هذه الزيادة في النسبة من الزيتونة . (ج ٢ لوحة ٢٣٩)

والحوادة^(١) عاملا على الياحة والعزنة ، علما بالعارف القديمة . مضطاما بتفان في التحل .
 قائما على صناعة العربية والأصليين ، طبقة الوقت في الشعر . وفحل الأواز في النظم
 المطول . أقدر الناس على اجتلاب الغريب ، ومزج الجزالة بالسلاسة ، ووضع
 الألفاظ البيانية مواضعها . شديد الانتقا وإلارجا . خامد ناز الروية ، منافسا
 في الطريقة منافسة كبيرة . كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان . ثم فر
 عنهم ، وقد أوجس منهم خيفة . لبعض ما يجري بأبواب الملوك . وبعد ذلك
 بمدة ، قدم غرناطة . فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه ، ومت إليه بالوسيلة
 العلمية ، واجتدبه بخطبة^(٢) التلميد ، واستفزد^(٣) بتأنيده وبره ، وأقعد الإقراء
 بجواره . وكان يروم الرحلة ، وينوى السفر ، والقضاء يُشبطه . حدثني شيخنا
 الرئيس أبو الحسن بن الجياب . قال بلغ الوزير أبا عبد الله الحكيم أنه يروم السفر
 فشق ذلك عليه ، وكلفنا تحريك الحديث بمحضرتة . وجرى ذلك . فقال الشيخ
 أنا كالدَّم بطبعي . أتحرك في كل ربيع .

شعره

وشعره بديع . فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر ، ويذكر الوحشة الواقعة
 بينه وبين أبي بكر بن خطاب :

مشوق زار ربك يا إماما	محا آثار دمنتها التماما
تتبع ربه الطل ارتشافا	فما نفعت ولا نفعت أواما
وقبل خد وردتها جهارا	وماراعى لضرتهما ذماما
وما لحريم بينك أن يداني	ولا لئلا قد دوك أن يساما
ولكن عاش في رسم معنى	تجشمه سلاما واستلاما

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي أزهار الرناض (الهوى) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بمخطفة) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال ربما قرئت (واستفسره) .

نَفْسُ رَوْضَةِ الْمَطْلُولِ وَهَذَا نَفْسٌ رَوْضَةُ الْمَطْلُولِ وَهَذَا
 تَلَقَى طَيْبٌ بِ... تَهْ (١) حَدِيثًا تَلَقَى طَيْبٌ بِ... تَهْ (١) حَدِيثًا
 فَيَا نَفْسَ الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاخًا فَيَا نَفْسَ الصَّبَا إِنْ جِيتِ سَاخًا
 وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِمَاهَا وَأَخْطَأْتَ الطَّرِيقَ إِلَى حِمَاهَا
 فَلَا تُبْعَثِ بِسَرْحَتِهَا قَضِيبًا فَلَا تُبْعَثِ بِسَرْحَتِهَا قَضِيبًا
 وَعَانِقِ قُرْبَانَتِهَا أَوْتِبَاطًا وَعَانِقِ قُرْبَانَتِهَا أَوْتِبَاطًا
 وَزَافِحِ عَرَفِ زَهْرَتِهَا كَيْبًا وَزَافِحِ عَرَفِ زَهْرَتِهَا كَيْبًا
 وَيَا بَرَقًا أَضَاءَ (٢) عَلَى أَوَالِ وَيَا بَرَقًا أَضَاءَ (٢) عَلَى أَوَالِ
 أَفْرَ إِمَامَةٍ أَنْتِ ابْنَسَامًا أَفْرَ إِمَامَةٍ أَنْتِ ابْنَسَامًا
 خَفَقَتْ بِبَعْضِ وَادِيهَا لَوْأً خَفَقَتْ بِبَعْضِ وَادِيهَا لَوْأً
 أَمْشِبُهُ قَلْبِي الْمُضْنَى احْتِدَامًا أَمْشِبُهُ قَلْبِي الْمُضْنَى احْتِدَامًا
 وَلَمْ | أَسْكِرْتِي وَطَرَدْتِ | (٣) عَنِي وَلَمْ | أَسْكِرْتِي وَطَرَدْتِ | (٣) عَنِي
 وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجْفَى وَأَبْلَغُ مِنْهُ تَأْرِيقًا لَجْفَى
 تَعَرَّضْ لِي فَأَيْقِظْتِ (٤) الْفَوَافِي تَعَرَّضْ لِي فَأَيْقِظْتِ (٤) الْفَوَافِي
 وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَمَا مَسَى وَقِيلَ وَمَا أَرَى يَوْمِي كَمَا مَسَى
 وَجَرَّعْتَ الْعَدُوَّ سَمًّا زُعَافًا وَجَرَّعْتَ الْعَدُوَّ سَمًّا زُعَافًا
 دَعَوْتَ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَا سَا دَعَوْتَ زَعِيمَهُمْ ذَاكَ ابْتِيَا سَا
 نَزَعْتَ شَوَاهِ كَبِشْتَهُمْ نَطَاحًا نَزَعْتَ شَوَاهِ كَبِشْتَهُمْ نَطَاحًا
 أَضَامُ وَفِي يَدِي قَلْبِي نَاذَا أَضَامُ وَفِي يَدِي قَلْبِي نَاذَا

(١) هكذا في الإسكوريال حرفان بينهما باض .

(٢) وفي نص (أخر) .

(٣) وفي نص (أسكرتني وصددت) .

(٤) وردت في الإسكوريال (فأنبطت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي نص آخر (بغير جرم) .

به وبعبأ أدلق من لسانى
وغراء الوزير أبى سعيد
به وبنجله البر انتصارى
أشمن بن عامر لا تكفى (١)
وردت فلم أريد إلا سرايا
قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً
وجا جاني على كرم نداهم
وذلت المذامع من إبابي
ومن أدبي نصبت لهم حبالا
فلم أومثل ربى دار أنس
ولا كآبيه أو كنى أبيه
كفانى بآبن عامر خفض عيش
وإنى من ولايك فى يفاع

ومن شعره رحمه الله قوله :

تراجع من دنياك ما أنت تارك
تؤمل بعد الترك رجوع وداها
حلاك منها ما خلا (٤) لك فى الصبا
تظاهر بالشوان عنها تجملا
وتسألها (٢) العتي وهامى فارك (٣)
وشر وداد ما تود الترائك
فأنت على حلوايه متهاك
فتأبك محزون وشرك ضاحك

(١) وردت هذه الشطرة فى نص آخر كالاتى (خلىل بن فدرت فلا تكفى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (تسأل) .

(٣) ورد فى نسخة الإسكوريال (اللوحة ٦٨ فى أسفل الصفحة) ما يلقى : الفرك بغير

المرأة زوجها . وقد فركته ففركه فهى فارك .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (حلا) والأولى أرجح .

تنزهتُ عنها نَحْوَةٌ لا زهادة
 ليالى تُغرى بي وإن هي أعرَضت
 غصون قُدودٍ في حِفافِ روادِفِ
 تطاعِني منهن في كل ملعب
 ومِ كَلِةٍ فيها هتكتُ ودونها
 ولا خِدْنٌ إلا ما أعدت رَدِينه
 تُضِلُّ فواد المرء عن قصد وشده
 وفي كل سِنٍّ لابن آدم وإن تطل
 وإلا فسالى بعد ما شاب مَفْرِقِ
 أجوب إليها كلَّ بِيداءٍ مَمْلُوقِ
 واسترشد الشهب الشوابك جار
 نُهازِرِ أمثال الجياد تُوودةً
 ظمًا وما غير السماوة مورد
 ذو أهل عن عض الرجال ظهورها
 إذا ما نباعن سُنْبُك الأرض سُنْبُك
 تَقْدُّ بنا في كل قاع وفدْفَدِ
 فأمامها رى كالسحاب مَوَالِعِ
 قِلاصٍ بأطواف الجديل بَوَالِعِ
 ترامى بها اليد النوق كل مُرْتَمِي
 وم منزل خَلِيته لظلالها

وشعر عِذارى أسودُ اللون حالك
 زناذب من ضَوَّاتها وعَوَاتِكِ
 تَمَائِلٌ من ثِقَلِ بين الأوايكِ
 تُدِي كَأَسنان الرماح فواتِكِ
 صدور العوالى والشيوف البواتِكِ
 لظالمها أو ما تحير هالك
 فواترُ الحاظ للظبها الفواتِكِ
 سنوه طِباعِ جَمَّةٍ وعوايكِ
 وأعجز رأى عجز من الرِّكَّارِكِ
 تراقى فيها الرجال الحواتِكِ (١)
 إذا اشتبهت فيها نى المسالك
 أعوارِبِ أمثال المضاب توامِكِ
 وينحى وما دون الصَّوأة مبارك
 إذا ما اشنتك عض السروج الموارِكِ
 هَلَعن فلانت تحتن السناك
 بوايكها والمنغيات الدَراهِكِ
 وأمامها رَكا كالرِّباح بواشك
 وجردُ لأوساط الشكيم عوالِكِ
 فهن نواح للردى أو هواك
 تُعَفِّيه تعدى السافيات السواهِكِ

(١) الحواتك من حتك أى أسرع فى السير .

يمرُّ به زُوَّارُه وعَفَاتُه
 وآتَارَتُنَا تُقَادِمُ عَهْدَهُم
 لِوَارِبِ أَفْرَاسٍ وَنَزَى حَذَاةَ
 تَمْرُهُ عَلَيْهِ نَسْمَةُ الْفَجْرِ مِثْلَمَا
 وَأَرْكَبُ كَالشَّهْدِ يَنْفِجُ بُرْدَهُ
 يَطْلُبُهَا مِنِّي غَرِيمٌ مُمَاحِكُ
 أَحَاوِلُ مِنْهَا لَمَّا تَعَذَّرَ فِي الصَّبَا
 يَسْأَلُ الْفَتَى مِنْهَا وَإِنْ رَاقَ حُسْنُهَا
 فَمِنْهَا مَلَالٌ دَائِمٌ لَا تَمَلُّهُ
 تُبْهَوْنَ بِالْإِفْكِ الرِّجَالُ جِهَالَةً
 تَزِنُ طَوْلَ تَسْهَادِي وَقَدْرِي تَمَلُّمِي
 تَغْيِيرُ عَلَى الدَّهْرِ مِنْهُ جَحَافِلُ
 فَلَيْتَ الَّذِي سَوَّدَتْ فِيهَا مَعْوِضُ
 أَلَا لَأَنْدُكَرُنِي تَلْسَانَ وَالْهَوَى
 فَإِنَّ أَدْكَرَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهَا
 وَلَا تَصَيَّنَّ أُمُوَاهِبَا لِي فَإِنَّهَا
 وَمَنْ حَالَ عَنِ عَهْدٍ أَوْ أَخْفَرَ ذِمَّةً
 سَقَى مَنزَلِي فِيهَا وَإِنْ نَحَّ رَمْمُهُ
 وَجَادَتْ تَرَى قَبْرِي بِمَسْجِدِ صَالِحِ
 وَلَا أَقْلَمْتُ عَنِ دَارِ يُوَسُّ مَرْبَتَهُ

وَمَا أَنْ بِهِ إِلَّا الصُّوُوقَ الْحَبَائِكُ
 وَهَنْ عَلَيْهِ جَائِيَاتُ بَوَارِكِ
 ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْحَمَامِ سَوَادِكِ
 تَمْرُهُ عَلَى طَيْبِ الْعُرُوسِ الْمَدَاوِكِ
 لِمَجْهُولٍ حَسْبِي مَا لَهُ لِلدَّهْرِ مُبَانِكِ
 وَيَمْطَلُنِي مِنْهَا عَدِيمٌ مُمَاعِكِ (١)
 وَمَنْ دُونَهُ وَقَعَ الْحَمَامُ الْمُوَاتِكِ
 حَسَائِفُ لَا تُحْمِي وَمَبَارِكِ
 وَتُرُورِ إِفْكِ عَنِ رِضَى الْحَقِّ آفِكِ
 وَمَا أَهْلَكَ الْأَحْيَاءُ إِلَّا الْأَفَايِكِ
 طَوَالَ اللَّيَالِي وَالنَّجُومِ النَّوَابِكِ
 كَأَنَّ مُدَوِّمَ الرَّجْمِ فِيهَا نِيَاذِكِ
 بِمَا بَيَّصَتْ مِنِّي دُجَاهَا الْحَوَالِكِ
 وَمَا دَهَكَتْ مِنَّا الْخَطُوبُ الدَّوَاهِكِ
 لِجَسْمِي وَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ لِنَاهِكِ
 لِنَغِيرَانِ أَشْوَاقِي إِلَيْهَا مُحَارِكِ
 فَإِنِّي عَلَى تِلْكَ الْعَهْدِ لِرَامِكِ
 عَمَّادِ الْغُرَادِي وَالشُّعُوبِ السُّوَابِكِ
 رَوَاعِدُهَا وَالْمُدْخِرَاتِ الْحَبَائِكِ
 رَيْبِي حِدَاهُ أَقْطَرُهَا الْمَتْدَارِكِ

(١) ورد في هامش المخطوط : مماعك (المعاصر) والمعك (الهاج) . وفي التماموس معك ،

إلى ان يروق النصارين رواؤها
 ويصبح من حول الحيا في عراصها
 ولا برحت منه ملايكة الرضى
 وطوبى لمن روى منزله الحيا
 ألا ليت شعري هل تقضى لباتي
 وهل تمكن الطيف المغيب زيارة
 وهل تغفل الأيام عنها بقدر ما
 وباليت شعراى أرض تقلنى إذا
 وأى غرار من صفاها يحثنى
 إذا جهل الناس الزمان فإننى
 تثبت إذا ما قتت تعمل خطوة
 ولا تبدل وجهاً لصاحب نعمة
 تجشم ما استطعت واحذر أذام
 فكل على ما أنعم الله حاسد
 ولا تأنس ويبة الزمان فإنه
 تمنى مصاب بربر وأعاره
 وبدرت الليالى الجون حوضى بالاجها
 فما أذعنت إلا إلى عشار
 ولا قصدت إلا فنابي وقودها
 به شرفت أذواوها وملوكها
 فلا تدعون غيرى لدفع ملامة
 ويرضى الرشاوى نبتها المتلاك
 زرق تحكى بسنها ودرانك^(١)
 تصلى على ذاك الصدى وتبارك
 وبشرى لمن صلت عليه الملائك
 إذا ما انقضت عشر عليها دكادك
 فيرقب أو تلقى إليه الروامك
 تودى إليها بالعتاب الخالك
 كل عن وحلى الجلال اللالك
 إذا فقدتني مسها والدكادك
 بدونهم دون الأنام لحانك
 فإن بقاع الأرض طراً شوائك
 فما مثل بذل الوجه للترهاتك
 ولا تلقهم إلا وهرشك شانك
 وكل إذا لم يعظم الله حاسك
 بمن فات منا لا محالة فانك
 وترضى ذكامى فارس والهنادك
 وتعرف إقدامى عليها الموالك
 ولا أصفقت إلا على الشكاك
 ولن أملت إلا قنابى الضرارك
 كما شرفت بالنوهار البرامك
 إذا ما دهمى من حادث الدهر داهك^(٢)

(١) فى هامش المخطوط : الدرانك ضرب من البسند .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (داعك) .

وما إن لبیت المجد بعمدی سامک
 بما أوردتني حمير والسكانک
 وطيب ثنای^(۳) لاصق بی صایک
 وقد سحطت منا اللها والأفانک^(۴)
 إذا عاد للذیبا عقیل ومالک

فما إن لذلک الصوت غیری^(۱) سام
 یغصر ویشجی نهشل ومجاشع
 تذاقنی روحی^(۲) التي است غیرها
 وماذا عسی ترجر لداتی وأرتجی
 یعود لنا شرح الشباب الذی مضی
 ومن شعره أيضاً قوله :

وتصمرمت سفاً علیک الأضلع
 جاوی مؤملک الغیوث الهمع
 قد کنت أعلم أنها لا ترجع
 بذیم أنفاس البدیع تشعشع
 مرعی لأفکار الندام^(۵) ومشرع
 أجدی بیدان الکلام وأسرع
 بجنابها وهو الجناب الأمتع
 والنفت فی عقد الثری لا يمنع
 وكسا ربها وشیه المتنوع
 بدعاً تفرق تارة وتجمع
 إذ بت منها ما تفرق مصقع

سحت بساحک یا محل الأدمع
 ولطالما جادت ثری الآمال من
 لله أيام بها قضیتها
 فلقد رشفت بهارضاب مدامة
 فی روضة یرضیک منها انها
 تجری بها فقر سکت^(۶) وهانها
 فقر کریمان الشباب وعمدنا
 نفاة الأنواء فی عقد الثری
 حتی إذا حاک الربیع برودها
 بدأت کایم زهرها تبندی بها
 قد ضم منها ما تجمع مغلق

(۱) وردت فی الإصحاح (۱۰) . وینصوب من السام .

(۲) هكذا فی الإسکوریال . وفي النسخ (۱۰۰۰) .

(۳) هكذا فی الإسکوریال . وفي النسخ (ثنای) .

(۴) هكذا فی الإسکوریال . وفي النسخ (الأفانک) .

(۵) وفي نص (الندامی) .

(۶) وفي نص (کیت) .

وكلاهما مهبأ أردت مُسالم
كل له شرع البيان مُحَلَل
حيث ازدهت أنوار كل حديقة
فمرجل من رقبها ومهلل
أبدى البديع بها بدائع صنعه
وموشح ومرشح ومصدر
كل بروق بها بحسن^(١) روابه
ولقد غدوت بها وفي وكناتها
بظهم الفكر الذي ما إن له
قيد المسالب لا يزال نجبه
أرمى به الأمد البعيد وإنه
من بعد ما عفت الأوارى سباه
لكنتى جدت دائر رسمه
أوضحت فهم حدوده وضروبه
حتى وردت من السماء مواردأ
مع كل مصقول الذكاء فخدسه
يرتاد من نجع العناصر نجمة
لا شيء أبدع من تجاورها وما
فإذا تشعشع مزجها أورى بها

ومحارب ومؤمن ومروع
المنكر في مثل هذا مدفع
أدباً يُنظم تارة ويسجع
ومسقط من نظمها ومصرع
فجسس ومبدل ومرصع
ومكرر ومفرع ومتبع
وإذا تزين به كلامك تبرع
طير لها فوق الغصون ترجع
إلا بمستن الأدلة مرتع^(٢)
بين الجياد لعنقه أو يوضع
حمل يضل به الدليل الأصم
وتحت معاله الرياح الأربع
فطريقه من بعد ذلك مهيج
والكل في كل المسالك ينفع^(٣)
فيها لظمان المباحث مكرع
لذكاء أسرار الطبايع مطلق
فيها مصيف للعقول ومرع
يتبدي بها ذاك التجاور أبدع
نار الجباحب مزجها المتشعشع

(١) وردت في الإسكوريال (حسن) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (مصرع) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يدفع) .

فَكَيْفُ سِرِّ حَيَاتِهِ بِجَبَابِهَا
وهنا تُفَاضُ عَلَيْهِ صُورَتَهُ الَّتِي
مِنْ وَاهِبِ الصُّورِ | الَّتِي قَدْ خَلَقَهَا
رَبُّهُ لَنْ كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ
وَحَلَّتْ مِنْ أَرْضِ الرِّيَاضَةِ أَرْبَعًا
قَامَتْ زَوَابِهَا فَمَا أوتَاهَا
وَتَنَاسَبَ أَقْدَارُهَا نَسَبًا لَهَا
فَأَجَلٌ مَا تَدْرُسُهُ بِحُلُولِهَا
لَا تَكُنْ أَنْ وَرَاءَهُ مَدْرَأٌ لَهُ
بِحُرِّ رَوِيٍّ مُتَرَعٍّ مَلَّاحُهُ
لَمْ لَا أَضِيعُ بِهَا عِبَادَ مَدَامِي
خَلِيٍّ لَوْ لَمْ تَسْعِدَانِي فِي الْبُكَاءِ
أَرَأَيْتَا نَفْسًا تَفَارِقُ جَسْمَهَا
عَظُمَتْ رَزِيئَتُهَا وَأَيُّ رِزِيَّةٍ
هَذِي حَمَامُكَ يَا عَلِيٌّ سَوَاجِعُ
إِنْ طَارَ حَتَّى وَرَقَهَا فَبِأَضَامِي
أَدَّ عَلَى جَسْمِي الَّذِي فَارَقْتُهُ
وَهُ الْعُجَابُ رَجُوعٌ مَا أودَى^(٤) بِهِ

من بعد قَدَحِ زَنَادِهَا مُسْتَوْدِعٍ
لِبَهَائِهَا شَمُّ الطَّبَائِعِ تَخَضُّعٍ
بِبَدِيعِ حِكْمَتِهِ الْحَكِيمِ الْمُبْدِعِ^(١)
يَقْضِي بِهَا الْبَدْعِي وَالْمُتَشَرِّعِ
نَفْسِي الْفَدَاءَ لَهَا وَهَذِي الْأَرْبَعِ
إِلَّا تَقُومُ مَا تَقِيمُ الْأَضْلَعِ
لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُهَا فِرْعُوعُ فِرْعِ
مِنْ بَارِقِ كُجُنَابِ رُشْدِي يَلْمَعِ
فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِيَادِي مَوْقِعِ
مَنْ فِيضُهُ هَذَا الرُّوِي الْمَتَرَعِ
إِنِّي إِذَا لَعُوهَا لَمْضِيعِ
لَقَطَعْتُ مِنْ جَبَلِيكَا^(٢) مَا يَقْطَعِ
وَبِهِ تَنْعَمُهَا وَلَا تَتَوَجَّعِ
ظَلَّتْ لَهَا أَلْبَادَانَا تَتَصَدَّعِ^(٣)
وَأَخَالَهَا أَسْفَا عَلَيْهِا تُسْجَعِ
شَوْقٌ يَطَارِحُهُ إِذَا كَارُ مَوْجِعِ
لَا كُنْتُ مِمَّنْ جَسْمُهُ لَا يَرْجِعِ
دَهْرٌ بِنَشْتِ^(٥) الْأَجِيَّةِ مَوْلِعِ

(١) وردت في الإسكوريال (نور بد خصه).

(٢) وردت في الإسكوريال (بيلكا) والتصويب أرجح لورثاء سابق.

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (تنقطع).

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (أردى).

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بتشتت).

الحورُ منه إذا استمر طبيعتهُ
 هذى عقوبة زلة سلفت بها
 قد كنتُ أمتنع رَمخِ نفسى قبلها
 لم لا وقد أصبحتُ بعد محلة
 دار يدُرُّ الرزق من أخلاقها
 وكان مجلسها البهى بصرها

وكان مجمر عنبر بفنائها
 وكانها المتوكلية بهجة
 فى حجر ضب خافض بجواره
 يا نفثة المصدور كم لك قبلها
 وعساك تنقع غلة بك إنها
 لله أنت مداعة أودعتها
 بدوية فى لفظها ونظامها
 لم لا تشفع فى الذى أشكوبها
 كملت وما افترت فأى خريدة
 بارت على فأصبحت لحياها

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، وهى من

مشاهير أمداحه :

(۱) وردت فى الإسكوريال (دستها) . والتصويب أرجح .

(۲) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (ضاع) .

(۳) وردت فى الإسكوريال (تشفع) والتصويب أرجح .

سَلَّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السَّفْنَ أَنْوَاءَ
 وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ
 تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
 وَإِنِّي لِأَصْبُو لِأَصْبَا كَمَا سَرَّتْ
 وَأُهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ^(١) تَحِيَّةً
 وَاسْتَجْلِبُ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِعِي
 لَعَلَّ خَيْالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي
 وَكَيْفَ خُلُوصِ التَّيْفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا ^(٢)
 وَإِنِّي لِمُسْتَأَقٍ إِلَيْهَا وَمُنْبِيءٍ
 وَكَمْ قَائِلٍ تَفَنَّى غَرَامًا بِحَبِيبِهَا
 لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ
 يَطْبُ فِيهَا عَابَثُونَ ^(٣) وَحَزْبٌ
 كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ لِمُلْكِهَا
 فَلَا تَبْغِينَ فِيهَا مَنَاخًا لِرَاكِبٍ
 وَمِنْ عَجْبِي ^(٤) أَنْ طَالَ سَقَمِي وَنَزَعَهَا
 وَكَمْ أَرْجَفُوا غَيْظًا بِهَا ثُمَّ أَرْجَوْا
 يَرُدُّهَا عِيًّا بِهَا الدَّهْرُ مَنَامًا
 فَيَا مَنزِلًا نَالَ الرَّدَى مِنْهُمَا اشْتَهَى تَرَى
 وَهَلْ لِعُمُرِ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْ سَاءَ

فَعِنْدَ سَبَابِهَا مِنْ تِلْمِزَانِ أَنْبَاءِ
 إِلَيْكَ بِمَا تُسَمِّي إِلَيْهَا وَإِعْيَاءِ
 وَلِلْأَذْنِ إِصْفَاءُ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءُ
 وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ أَصْبَاءِ
 وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءِ
 قَتَادُ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسُلَاءِ
 فِي مَرَّةٍ بِي مِنْ جَوَى الشُّرُقِ إِبْرَاءِ
 عِيُونَُهَا فِي كُلِّ طَالِمَةِ رَاءِ
 بِيَعُضُ اشْتِيَاقِي لَوْ تَمَكَّنَ إِنْبَاءِ
 وَقَدْ أَخْلَقْتَ مِنْهَا مِلَاءَ وَإِمْلَاءِ
 إِذَا مَضَى قَيْظُهَا جَاءَ إِهْرَاءِ
 وَيَرْحَلُ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَأَحْيَاءِ ^(٤)
 قِدَاحِ وَأَمْوَالِ الْمَنَازِلِ أَبْدَاءِ
 فَقَدْ قَلَصَتْ مِنْهَا ظِلَالُ وَأَفْيَاءِ
 وَقَسَمَ إِضْنَاءِ عَلَيْنَا وَإِطْنَاءِ
 فَيَكْذِبُ إِرْجَافٌ وَيَصْدُقُ إِرْجَاءِ
 يَرُدُّدُ حَرْفُ الْفَنَاءِ فِي النُّطْقِ فَأَفَاءِ
 وَهَلْ لِعُمُرِ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْ سَاءَ

(١) هكذا في الإسناء . وفي النسخ (١٠٠٠) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ودون) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عاشون) .

(٤) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (وشاء) والأول، أرجح .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (عجب) .

وهل للظن الحرب التي فيك تلتظي
 وهل لي زمانٌ أرتجى فيه عودة
 فواسيئي حالي^(۱) إن هلكت ولم أقل
 ولم أطرق الدير الذي كنت طارقاً
 أطيّف به حتى تهـرّ كلابه
 ولا صاحب الأحسام ولهنم
 وأسحمت قارى كشمري حُلْكَةً
 فما لشرابي في سواك مرارة
 وباداري الأولى بدرب [حلاوة]^(۲)
 أما [آن] أن يحمي حماك كهده
 أما آن أن يمشو لنارك طارق
 يرجي نوالاً أو يؤمل دعوة
 أحسن لها ما أطت النيب حولها
 فما فاتها مني نزع على النوى
 كذلك جدّي في صحابي وأمرتي
 وإيلاً جوار ابن الحكيم محمد
 حماني فلم تنتب محلي نوايب
 وأكفاه بيتي في كفاة جاهه

إذا ما انقضت أيام بؤسك إطفاء
 إليك ووجه البشر أزهر وضاء
 لصحبي بها الغر الكرام الأهاؤا
 كعادى^(۳) وبدوا لأفق أسلغ مسناء
 وقد نام عساس وهوم سباء
 وطرف نلحداً الليل مذ كان وطاء
 تلالاً فيه من سنى الصبح أضواء
 ولا لطعامي دون بابك إمراء
 وقد جدّ عيث في بلاها وأرداء
 وتجتاز أحماش^(۴) عليك وأحماه
 جنيب له رفع إليك ودأء
 فما زال قارى في ذراك وقرأء
 وما عاقبا عن مورد الماء إظاء
 ولا فاتني منها على القرب إجشاء
 ومن لي به من^(۵) أهل ودى إن فاؤوا
 لما فات نفسي من بنى الدهر إقماء
 بسوء ولم ترزاً فؤادى أرزاء
 فصاروا عبيداً لي وهم لي أكفاء

(۱) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (فواجرديك) .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي نص آخر (بايل) .

(۳) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (اصحاب) .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (في) .

يَوْمُونَ قَصْدِي طَائِفًا وَحَبِيئًا
دَعَانِي إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي كُنْتُ آمَلًا
وَبَوَّأَنِي مِنْ هَضْبَةِ الْعَزِيزِ تَعَمَّةً
إِشَاعِي فِيهَا^(١) إِذَا سَرْتُ حَافِظًا
وَلَا مِثْلُ نَوْمِي فِي كِفَالَةِ غَيْرِهِ
بَغِيضَةٌ لَيْثٍ أَوْ بِمَرْقَبِ خَلْبٍ
إِذَا كَانَ لِي مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ كِافِلُ
وَأَخْوَانُ صَدَقٍ مِنْ صَنَائِعِ جَاهِهِ
سُرَاعٌ لِمَا يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُمْ
إِلَيْكَ أَيَا عَبْدِ الْآلَاءِ صَنَعْتَهَا
مُبَرَّأَةً مِمَّا يَعْيبُ نَزْوَمَهَا
أَدْعَتْ بِهَا السَّرَّ الَّذِي كَانَ قَبْلَهَا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ الَّذِي كُنْتُ^(٢) آمَلًا
وَمَنْ يَتَكَلَّفُ مَفْحَمًا شُكْرٍ مِنْهُ
إِذَا مُنْشِدٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ وَمُنْشِيٌّ
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ .

أَطَارُ فِزَادِي بَرَقَ الْأَحَا قِيمٌ ضَمُّ بَعْدَ لَوْ كَرَّ جَنَاحَا

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شعور) .
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منها) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يشعري منها) .
(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تبر) .
(٥) وردت في الإسكوريال (أنت) . والتصويب من النسخ .

كَانَ تَالِقَهُ فِي الدُّجَا
 أَضَاءَ وَللْعَيْنِ إِغْفَاءَةً
 كَعَنَى خَفِيًّا بَدَأَ بَعْضُهُ
 كَانَ النُّجُومَ وَقَدْ غَرُبَتْ
 لَوَاغِبٌ (١) بَاتَتْ تُجِدُّ الدُّرَى
 وَقَدْ لَبَسَ اللَّيْلَ أَمْسَالَهُ
 وَأَيْقَظَ رَوْضَ الرَّبَا زَهْرَهُ
 كَانَ النَّهَارَ وَقَدْ غَالَمَا
 أَمَى يَسْتَفِيضُ دَمُوعِي امْتِيَا
 فَلَمْ يَلْقَ دَجْنَ انْتِحَابِي شَحِيحَا
 وَلَوْلَا تَوَقُّدُ نَارِ الْخَثِي
 وَمَا يُشْرِدُ عَنَى الْكُرَى
 يَنْوَحُ عَلَيَّ وَأَبْكِي لَهُ
 أَعْيُنَ أَرْيَحِي أَطَلَّتِ الْأَسَى
 دَعَيْتِي أَرْدُهُ مَاءَ دَمِي (٢) فَلَمْ
 أَحْنُ إِلَيْكَ إِذَا سَفَتْ رِيحَا
 وَأَفْنَى النَّيَاحَا إِلَيْكَ وَمِ
 وَلَوْلَا سَخَايِمَ قَوْمِ أَبْوَا
 أَبَا حَوَا حِمَايَ وَمِ مَرَّة

حُسَامُ جَبَانَ يَهَابُ الْكَفَا
 تَلَدُّ إِذَا مَا سَنَى الْفَجْرَ لَاحَا
 وَزَيْدٌ بَيَانَا فَرَادَ اتُّضَا
 نَوَاهِلُ مَاءِ صَدْرِي قَاحَا (١)
 فَأَدْرَكَهَا الصَّبْحَ رَوْحِي دِلَا
 فَجَعَّتْ (١) عَلَيْهِ بَلَاءً وَانصِيَا (١)
 فَحَيًّا نَسِيمُ صَبَا الصَّبَا
 مَبِيَّتِ مَالِ حَوَا اجْتِيَا
 وَيُلْهَبُ نَارَ ضَلُوعِي اقْتِدَا
 وَلَمْ يَلْفَ زَنْدَ اشْتِيَا شَحَا
 لِانْفَعْتُ مَاءَ جَفُونِي امْتِيَا
 هَدَيْتُ حَمَامَ إِذَا نَمْتُ صَا
 فَأَقَطَعَ لَيْلِي بَكَأَ أَوْ نِيَا
 عَلَيْكَ وَمَا زِدْتُ إِلَّا انْتِرَا
 أُرْدُ بَعْدَ مَا يَكُ مَاءَ قَرَا
 وَأَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا ذُفْتُ رَا
 أَشَحْتُ بِوَجْهِ عَنكَ انْتِشَا
 إِيَابِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ الرِّيَا
 كَحَمِيَّتِي حَمِيَّ عَرَضَهُمْ أَنْ يُبَا

(١) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : قمع البعير إذا رفع رأسه وامتنع من الشراب ربا -
 لواغب روي طلاحا : كل ذلك بمعنى أعيا - مع الثوب إذا بل ، وانصاح التوب إذا انشق .
 (٢) وفي نص : عيني .

ودافعتُ عنهم بشعري انتصرا
 أباعوا ودادي بخسا فسلُّ
 وأغروا بنفسى طلابها
 وآو يمينا على أن ما
 فشاورتُ نفسى فى ذا فما
 فبتُ أناغى نجوم الدُّجا
 أجوب الدياتير وحدى ولا
 وإلا الثمالب تحتس فى
 أجوز الأفاحيص فيحاً قفارا
 فأعي شوارد هدى عداء
 وجراب بدو إذا استنبجوا
 يرون قتالى فى الحجر حلاً
 قصدتُ هناهم^(٤) فلم أخطهم
 فسلَّ كيف كان خلاصى من
 ولا مثلُ بيتِ تيممته فلم
 عيابا ملاء ونيداً سمانا
 وإلا أعاريب شم الأنوف
 وإلا يعافير سودُ العيون
 يرذدن فينا لحاظاً مراضا
 فكان الجزء جلاى المتاحا
 أكان سماحهم بى رباحا
 سراراً فجاموا لقتلى صراحا
 توهمت لم يك إلا مزاحا
 رأت لى بغير الفلاة فلاحا
 نجاه فلم ألق^(١) إلا نباحا
 مؤانس إلا القطا والسراحا^(٢)
 مبيتى فتملاً سمى ضباحا^(٣)
 وأعرو الأداهى غربا فساها
 وأعلو لوانغى تلك صياحا
 أجابوا عوا وأموا النباحا
 وإذهب نفدى فيه مباحا
 أعاجم شوس العيون قباحا
 أسارهم أسرى أم سراحا
 ألف إلا الغنا والسماحا
 وغيداً خدالاً^(٥) وعوداً أقاحا
 كرام الجدود فصاحاً صباحا
 برين فساد الحب صلاحا
 يمرضن منا القلوب الصحاحا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (ألف) .

(٢) فى الهامش : جمع سرحان . وهو مذنب . (٣) الفصح هو صوت الثغاب .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (سناهم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (حسانا) .

وتمت الوجاج طلاً ربّ
 أراني محاسن منه فلم
 حياً وصياً وفرعاً أثينا
 وأبدى لعيني بدائع لم
 إذا لم يرد غير سفك دمي
 وما زلت ممحاً بنفسى كذا
 وبابن رشيد تعوذت من
 وقد ضاق صدري عن كتمه
 وبابن رشيد تعوذت من
 ألح الزمان بأحداثه
 أعاد شبابي مَشِيْباً كما
 وفرق بيني وبين الأهل
 أخي وسمي أصبح مسعداً (۲)
 فقد جبّ ظهري على ضعفه
 وطوح بي عن تيامسان ما
 وأعجل سيري عنه ولم
 نأى بصديقك عن ربّيه
 وكان عزيزاً على قومه
 فها هو إن قال لم ياتفت
 عجبت لدهري هذا وما

لو أن القيان رفعت الوجاج
 أطق عن حماه بقلبي براحا
 وقدّأ قويمًا وردفًا رداحا
 يدع لي عقلاً بها حين راحا
 فحلّ وبل له ما استباحا
 متى ما رأيت الوجوه الملاحا
 هواه فقد زدت فيه افتضاحا
 وأودعته جفن عيني فباحا
 خطوب أجلن على القداحا
 فالقيت طوعاً إليه السلاحا
 سمعت وصير نسكي طلاحا (۱)
 ولم ير ذا عليه جناحا
 لشجو حزين إليك استراحا
 كدماً وأدهى شواتي نطاحا
 ظننت فراق لها أن يتاحا
 يدعني أودع تلك البطاحا
 فكان له النأي موتاً صراحا
 إذا هاج خاضوا إليه الرماحا
 إليه امتهاناً له واطراحا
 ألقى مساءً به وصباحا

(۱) مكذافي الإسكوريال . وفي نص (صلاحا) . والأولى أرجح .

(۲) مكذافي الإسكوريال . وفي نص (مسعداً) .

لقد هدّ مني ركناً شديداً
وقيت الردي من آخر مخلص
وإني على فيح ما بيننا
أحن إليه حنين الفحول^(١)
وأسأل عنه هبوب النسيم
وإن شئت عرفان حالي وما
فقلبٌ يذوب إليك اشتياقا
وغرس وداد أصاب فضاء
كراسخ مجد تأثله
وعلياء بوئتها لو بغى
مكارمُ بجمت أفذاها
ودرسُ علومٍ تهيم بها
نشأت عن الخير واعتدته
وقمت^(٢) لها أيما رحلة
بهرت رجال الحديث اقتداء
فما [إن جليس]^(٤) إذا قلت قال
ولو لم نمجج بها مكة
وأما أنا بعد نهى النهى

وذلك مني حياء لقاحا
لو استطعت طرت إليه ارتياحا
لأتبع ذاك الشدا حيث فاحا
ونوح الحمام إذا هو ناحا
وخفق الوميض إذا ما الأما
يعانيه جسمي ضنى أو سخا
وصدرٌ يفاح إليك انشراحا
ندياً وصادف أرضاً براحا
فلم تخش بعد عليه امتصاحا
سواءً إليها السماك اطماحا
فكانت لعطف^(٢) علاك وشاحا
عمرت الغدو به والرواحا
فلم تدري إلا التقي والصلاحا
كسحت المعارف فيها كفساحا
وفت رجال الكمال اقتراحا
أو أن الخطيب إذا حلت لاجا
لحج الملايك عنك دراحا
فما زادني^(٥) الطبع إلا جماحا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المجول) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (المضب) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (رحلت) .

(٤) وردت محرفة في الإسكوريال (ابن حبيش) .

(٥) وردت في الإسكوريال (زاد) والتصويب لازم لاستقامة الوزن والسياق .

أدير كؤوسَ هواي اغتِباقا
وأشرب ماء دموعي اصطباحتا
فبرد جواي بردٌ جواب
تو بچ فيه مَشِي الوُقاحا
وهنّ بنّيات فكري وقد
أتينك فاختفض لمنّ الجناحا

ومن شعره رحمه الله قوله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره ، ويذكر غفارة
وجّهها له مع هديه :

كَبَتَ العِدَى إِنْعامَكَ البَغْتِ
فَلِی الهنا واللعدي الكبتِ
یا من إلی جَدوى أنامله
يُرْجى (١) للسفين وتُزجر البُختِ
لولاك لم يُوصل بناحية
وخذ ولم يُقطع بها دشت (٢)
لولاك لم يُطلع بها نشر
منه ولم يهبط بها خبتِ
خولتني مالم تسعه يدي
فأصابني من كثره غمتُ
شئني أبادي كلما عظمت
عندي تلكا خاطري الهتِ
يَعِي لسانی عن إذاعتها
وطلت لي الدنيا فلا عوجُ
أمكنتني منها فما ليدي
بانت في برى ولا نسبُ
لكن حسي إن منت به
بوركت من وجل برؤيته
لوسار في بهماء مقفرة
لنفجر الماء النير بها
في حيث لا ماء ولا نبتُ
ولأعشت أربطوها (٣) المرثُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (برجى) .

(٢) الدشت هنا بمعنى الصحراء .

(٣) مكانها بياض بالمخطوط . والإضافة من (المتخب النفيس) .

لا تحسبن البعث نيل عني
 آلت جلالته وحق لها
 أظهرت دين الله في زمن
 شيدته وهددت ممتعضاً
 أمنت أرض المسلمين فلا
 وحفظتها من كل نايبة
 ونهجت سبيل المكرمات فما
 لم تبق غفلاً من متالعها
 هادين طغاة الكفر ما هدأت
 دعتها تودع في معاقلها
 كم ذذنتها عنا وقد هبرت
 بوقوف طرفك عند شدته
 ويشكر ما أظهرت من كرم
 لك من ممالكها وإن رنمت
 ولكل أصيد من بطارقها
 لولا لباك البيض ما أركت
 عنده لمن ينتابه مقة
 ولو أن بيضك لم تسئل لما
 يا ابن الحكيم أمنت صرف ردي
 وبئمنه أنت من أملى
 نيل الرضا منه هو البعث
 أن لا يحيط بكنهها نعت
 ما زال يغلب حقه البهت
 لضياعه ما شيد الجبت
 ذئب يخاف بها ولا لست
 تخشى فانت حفيظها الثبت
 لمؤمل عن غايه ألت
 إلا وفيه لحاير برت
 حتى يجيء نهارها المحت
 ما لم تعد جفاتها العفت
 لمراشنا أشداقها الهرت
 يبنأي ويفخر ملكها الرت
 في ذاك تفصح عجمها المرت
 ما جال فيد جوادك المحت
 في كل أرى له دعت
 للقايها أفراسنا الكمت
 ولمن ينيب لغيره ممت (١)
 ذلت أنوف طغاتها السلت
 أبداً له في أثلي نحت
 ما لم يكن يوماً له عرت

(١) هذا بيت مدون هامش المخطوط . وفي نص (المقت) .

مَشْنِي الْوَزَارَةَ مَسْوئِي وَلِه
وَبِيَّاسِه أَطْنِي شَرَارَةَ مِنْ
عَمِّ الْوَرَى جَوْدًا وَفَضْلَ غِنَى
وَهَمِّي عَلَى عَالٍ وَمُنْخَفِضِ
ظَلِّ إِذَا نَصِطَافُ مَعْتَدِلُ
يَتَضَاعَلُ الصَّبْحُ الْمُنِيرُ إِذَا
حَتَّى كَانَ شَمْسُ الضَّحَى قَرًا
وَعَرِيَّةٌ فِي لُطْفِ صَنْعَتِهَا
يَنْبَأُ النَّدَى بِهَا إِذَا لَبِسَتْ
زَنْجِيَّةٌ لَكِنْ لَمَحْتِهَا
مِثْلُ الْعُرُوسِ عَلَى مِئْصَتِهَا
لَا كُونَ أَنْحَلُ مَا أكون هُدَى
وَبِمِثْلِ شَيْبِي فَوْقَ حُلَاكَتِهَا
تُظْهِرُنِي بِلِبَاسِهَا وَبِه
لَا زِلْتَ تُؤَثِّرُنِي بِهَا أَبَدًا
وَبَقِيْتَ تُدْرِكُ مَا تُرِيدُ وَمَا

مَادَمْتَ أَمَّاكَ قَدْرَتِي أَقْتُ
يَعْتُو وَأَقْدَحُ أَنْفٍ مِنْ يَعْتُ
حَتَّى تَسَاوَى الْعَدُوَّ وَالغَلَّتْ
لَمْ يَبْقَ فَوْقُ لَا وَلَا تَحْتُ
عَطْرِ الشَّدَا وَحَيًّا إِذَا نَشْتُ
لَاقَى مَنَاهُ جَيْبِنِكَ الصَّلْتُ
وَكَانَ ضَوْءُ شَمَاعِهَا نَخْتُ
يَمْغِي الزَّمَانَ وَمَا لَهَا أُخْتُ
وَبَيْتِيهِ إِنْ طُوِيَتْ بِهَا التَّخْتُ
فِي الرَّؤْمِ يَعْنُو النَّسُّ وَالشَّنْتُ (١)
مِنْ شَأْنِهَا التَّرْبِينِ وَالزُّنْتُ
فِيهَا فَيَعْبَلُ جَسَى الشَّنْتُ
يُبْدُو الْوَقَارُ وَيَحْفَظُ السَّمْتُ
عِنْدِي لَهَا الْإِيثَارُ مَا عِشْتُ
وَلَا تَفٍ مِنْ يَشْقَى (٢) بَذَا السَّلْتُ
تَهْوَى بَقَاءَ مَالِهِ فَتُ

ومن شعره أيضاً في المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت في ديوان مجموع
من أمداحه منها قوله :

طَرَقَتْكَ وَهِنًا أُخْتُ آلِ عِلَاجِ وَالرَّكْبُ بَيْنَ دَكَاكِ وَحِرَاجِ
فِي لَيْلَةِ لَيْلَاءِ لَمْ يَنْبِجْ بِهَا كَلْبٌ وَلَمْ يَعْصِرْخْ أُذَيْنُ دِجَاجِ

(١) يرمز بها هنا إلى القداسة - مثل شنت ياقب ، وشنت مريه . وبالإسبانية Santo

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (يشجى) .

منها لهتك دياجر ودياج
 فيه قِداح في رماية ساج
 لمخارم مجهولة وفجاج
 أخوين^(١) من هيج ومن هيجاج
 كسوار تاج أو كدملج عاج
 ورق وأسمج دائم التشجاج
 يبكي صدها بدمعه النججاج
 خضر الظلال ذكية الأراج
 حلالا ثبور صنعة الدياج
 بردت حرارة قلبي المهتاج
 وقضيت منها في شبابي حاج
 غيري وغير منادمي وسراج
 كأس الهوى صيرفاً بغير مزاج
 بمرازي من فضتها^(٢) وأحاج
 بمدارج النسات من دراج
 كسلاف راح في صفاء زجاج
 أعبي مراسي أهله وعسلاج
 وتركت كل مُمَازق مرّاج
 غيباً وداهن من أردت وداج

أني اهتدت لمضالين توهنوا
 متسربلي برد الظلام كأنهم
 وثقوا بحمود الشرى وتسلموا
 ومنازل دُرسُ الرسوم بلاقع
 تحت معلمين غير مثلهم
 وموائل مثل الحمام جوائم
 ومُشجج مازال منهل الحيا
 حتى أعاد لعوده أوراقه
 وكسا عراة عراضه من وشيه
 لا مثل ليلات [مضين سريعة]^(٣)
 أدركت منها في صباي مطالبي
 كم ليلة مرت ولم يشمر بها
 بتنا ندير إلى انبلاج صباحها
 وتدير أعيننا حديث غرامنا
 بنارج^(٤) النفحات من دارين أو
 وخلوص ود في نقاء سريرة
 أمحضنه حظي من الزمن الذي
 واخترت قرب جواره مخلوصه
 ما في زمانك غيره فاخلص له

(١) وردت في الإسكوريال (أقوين) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنعب سويقة) . والتصويب من (المتخب) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص (فضة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (بمورج) .

لا تَحْمِلُنَّ بغيره واستغفنين
 أتُركُ بنى الدنيا وأعرض عنهم
 نزهت نفسى عنهم بنوالة
 أصبحتُ من آلايه وولايه
 ولو أنى عجت الركبَ مُنمما
 طَلَقْتُ إذا احتلك الزمان أنار فى
 طُودُ الرِّصانة والرِّزانة والحِجَا
 وغمامه الهامى على آماله
 وهزبرُ آجام القى الصَّارى إذا
 ضَمَّنَ الإله له على أعدايه
 أبى أبو عبد الإله محمدُ
 وبنى أبو إسحق قبل وِصنوه
 وجرى على آثار^(٤) أسلاف لهم
 ما منهم إلا أعزُّ مباركُ
 بيتُ بنوه من سراوة حَمير
 كم كان فى الماضين من أسلافهم
 أساسُ كل رِيامةٍ ورؤسُ
 أُعِيَّتْ نجوم الليل من سهر وما

بوقاره عن كل غمر ماج
 فمساك^(١) تُطعم لذة الإلاح
 وحفظتها من جاهه بسياج
 فى عزة ضحيا وعز داج
 أحداً سواه ما تحدث معاج
 ظلما كالكوكب الوهاج
 بحرُ الندى المتلاطم الأمواج
 من غير إرعاد ولا إزعاج
 سقطت عواتمها^(٢) على الأزجاج
 ما شاء من ظفرٍ ومن إفلاج
 ما شاد والده أبو الحجاج
 رءكنا الضعيف ومعدنا^(٣) المحتاج
 دَرَجُوا وكلمهم على منهاج
 مصباح ليل أو صباح عجاج
 فى الذروة العلياء من صنهاج
 من ربِّ إكليل وصاحب تاج
 كل سياسةٍ وليوث كل هياج
 أعبا أبو موسى من الإدلاج

(١) وردت فى الإسكوريال (أسا) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (عواملها) . والتصويب من المتخف

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى نص (٥٠٠) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (أسال) .

حتى أصارته لرحمة ربه
 وأقيم نَجْلُ أخيه بعد مقامه
 فردا يَلْفُ كَتَابًا بكتائب
 حتى تجلَّى دجنُ كلِّ سَجَاجَةٍ
 من مثلِ يوسف في قراع^(١) كَتَابِ
 أو من يشقُّ من الأنام غُبَارَهُ
 إن خاض يوماً في بيان حقيقة
 وإذا تكلم في الغريب وضبطه
 أنت قصايد جرول^(٢) أشعاره
 جمع الفصاحة والصباحة والتقا
 تخشاه أسدُ الغاب في أجماتها
 إنا بني قحطان لم نُخْلَقْ لـ
 نُبْرِى طَلا الأعراب في الهيجا وفي
 بسيوفنا البيض اليمانية التي
 تأتي لنا الإحجام عن أعدائنا
 أنصارُ [خير العالمين]^(٣) وحزبه
 وفداته بنفوسهم ونفيسهم
 هم صفوة الخلق التي اختيرت له
 يوم العقاب وقيعة الأعلاج
 فيهم يطاعن مثله ويواج
 ويكبُّ أفواجا على أفواج
 عنهم وأمسك رعد كل ضجاج
 ولقاء أعداء وخوض لجاج
 في ردِّ آراء وتقص حُجاج
 [أنهى عن]^(٤) الثورى والحلاج^(٥)
 لم يعبأ بالعُتبي والزجاج
 وأراز المعجلى^(٦) والمعجاج
 والجود في وجد وفي إخراج
 والرثوم في الأسوار والأبراج
 ير غياثٍ ملهوفٍ ومنعة لاج
 اللأواء سوف نمارى الأعراج
 طبعت كحزِّ غلاصم ووداج
 يوم اللقاء طهارة الأشجاج
 وحماته في الجحفل الرجراج
 من غدرٍ مُفتالٍ وسببة حاج
 وسواهم همجٌ من الأهاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (نزال) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي نص (أرى على) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (الحجاج) . والأولى أرجح .

(٤) ورد في هامش المخطوط ما يأتي : جرول هو الخطيئة . والمعجل هو أبو النجم .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي نص (دين الهاشمي) .

إِلَّا الْأَلَى سَبَقُوا بِيَاهِرِ فَضْلِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَصْحَابِ وَالْأَزْوَاجِ
 وَكُنِيَ بِحِكْمَتِنَا إِقَامَةُ حُجَّةٍ وَبِرُّ كُنِينِنَا مِنْ كَعْبَةِ الْحَبَّاجِ
 وَلَنَا مَفَاخِرٌ فِي الْقَدِيمِ شَهِيرَةٌ كَالصُّبْحِ فِي وَضْحٍ وَفِي إِبْلَاجِ
 مَنَّا التَّبَاعَةَ الَّذِينَ بِيَابِهِمْ كَانَتْ تُنْيِخُ جُبَاةَ كُلِّ خِرَاجِ
 وَلَا مَرْمٍ كَانَتْ تُدِينُ مَمَالِكُ الْدُنْيَا بِلَا قَهْرٍ وَلَا إِحْرَاجِ
 مَنْ يَمْتَدِحُ زَنْدًا فَإِنْ زِنَادَهُمْ فِي الْجُودِ وَارِيَةٌ بِلَا إِخْرَاجِ
 أَبْوَابُهُمْ مَفْتُوحَةٌ لَضِيُوفِهِمْ أَبَدًا بِلَا قُفْلٍ وَلَا مِزْلَاجِ

ومما اشتهر من شعره قوله :

أَرَّقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أُنَالِ كَأَنَّهُ فِي جُنْحِ لَيْلِي ذُبَالِ
 أُنَارِ شَوْقًا فِي ضَمِيرِ الْحَشَى (١) وَعَبَّرَنِي فِي صَحْنِ خَدْيِ أُسَالِ
 حَكِي فَوَادِي قَلْقًا وَاشْتِعَالِ وَجَفَّنَ عَيْنِي أَرَقًا وَانْهَمَالِ
 [جَوَانِحُ تَلْفَحُ نِيرَانُهَا وَأَدْمَعُ تَهْلُ مِثْلَ الْعَزَالِ] (٢)
 قَوْلُوا وَشَاةَ الْحَبِّ مَا شَتَمَ مَالِدَّةَ الْحَبِّ سَوَى أَنْ يُقَالَ
 عُذْرًا لِلْوَامِي وَلَا عُنْرًا لِي فَزَلَّةَ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالَ
 قَمِ نَطْرِدِ الْهَمَّ بِمَشْمُولَةٍ تَقْصُرُ اللَّيْلُ إِذَا اللَّيْلُ طَالَ
 وَعَاطِطِهَا صَفْرَاءَ ذَمِّيَّةٍ تَمْنَعُهَا الذَّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَالَ
 كَالْمِسْكِ رِيحًا وَالْأَمَّا مَطْعَمًا وَالتَّبْرِ لُونًا وَالْهَوَا فِي اعْتِدَالِ
 عَنَّتْهَا فِي الدَّنِّ خَمَارُهَا وَالبِسْكَرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ
 لَا تُثْقِبُ الْمَصْبَاحَ لَا وَاسِقِنِي عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وَضَوْءِ الْهَلَالِ
 فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ وَالْمَرَّةُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الحشا) .

(٢) هذا البيت وارد في النسخ . وساقط في الإسكوريال .

خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمٍ مِسْطَارِهَا
 فِي رَوْضَةِ بَاكِرٍ وَنَمِيمِهَا^(۱)
 كَأَنَّ فَاةَ الْمِسْكَ مَغْبُوقَةٌ^(۲)
 مِنْ كُلِّ^(۳) سَاجِي الطَّرْفِ الْحَاظِهِ
 مَنْ عَازَرِي وَالْكَوْثَى لِي عَازِلٍ^(۴)
 مِنْ خُلِيِّ الْوَعْدِ كَذَابِهِ
 كَأَنَّهُ الدَّهْرُ وَأَيُّ أَمْرٍ
 أَمَا تَرَانِي أَخْذًا نَاقِضًا
 وَلَمْ أَكُنْ قَطُّ لَهُ عَائِبًا
 يَا بِي تَرَاءَ الْمَالِ عِلْمِي وَهَلْ
 وَتَأَنَّفُ الْأَرْضُ مُقَامِي بِهَا
 لَوْلَا بَنُو زِيَّانَ مَا لَدَى الْعَيْشِ
 وَلَا هَانَتْ عَلَى اللَّيَالِ
 هُمْ خَوْفُوا الدَّهْرَ وَهُمْ خَفَّفُوا
 وَرِثَتْ^(۷) مِنْ عَامِرِهِمْ سَيِّدًا
 وَكَبَّةٌ لِلْجُودِ مَنْصُوبَةٌ
 بَيْنَ خَوَابِهَا وَبَيْنَ الدُّوَالِ
 أُخْلِ دَارِينَ وَأَنْسَى أُوَالِ
 فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شِمَالِ
 مَفُوقَاتٍ أَبَدًا لِلنُّضَالِ
 مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ
 لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمَطَالِ
 يَبْقَى عَلَى حَالٍ إِذَا الدَّهْرُ حَالِ
 عَلَيْهِ مَا سَوَّغَنِي^(۵) مِنْ مَحَالِ
 كَمَلْ مَا عَابَتَهُ قَبْلِي رِجَالِ
 يَجْتَمِعُ الضُّدَّانَ عِلْمٌ وَمَالِ
 حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورَ الرِّجَالِ
 عَلَى بَنِي الدَّهْرِ^(۶) خُطَاهُ الثَّقَالِ
 غَمْرَ رِدَاءِ الْخَمْدِ عَمْرٍ^(۸) النَّوَالِ
 يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ حَالِ^(۹)

(۱) وردت في الإسكوريال (وسميته) . والتصويب من النفع .

(۲) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (مفتوحة) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (كف) .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (عازر) .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سوفى) .

(۶) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الدنيا) .

(۷) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (لقيت) .

(۸) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جم) .

(۹) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بال) .

خُذَهَا أَبَازِيَانِ مِنْ شَاعِرٍ مُسْتَمَلِحِ الثَّرْعَةِ عَذْبِ الْمَقَالِ
يَلْتَفِظُ الْأَلْفَاطَ لَفْظَ النَّوَى وَيَنْظِمُ الْأَلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ
بُجَارِيًّا مَهْيَارًا فِي قَوْلِهِ مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمَعِي فِي الْخِيَالِ^(١)
ومما قال أيضاً ، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره . وهذا الرجل مغربُ
الترعة ، في شغوف نظمه على نثره :

عَجِبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَعْمٍ وَصَالِحَا مِنْ لَيْسٍ يَطْمَعُ^(٢) أَنْ يَمُرَّ بِبَالِهَا
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّمِ سَاعَةِ مِنْهَا وَتَمْنَعِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
كَمْ [ذَا وَعَنْ] ^(٣) عَيْنِي الْكَرَى مُتَأَنِّفٌ^(٤) يَبْدُو وَيَخْفَى فِي خَفَى مَطَالِهَا
يَسْمُو لَهَا بَدْرُ الدُّجَا مُتَضَايِلًا كَتَضَائِلِ الْحُسْنَاءِ فِي أَسْمَالِهَا
وَابْنُ السَّبِيلِ يَجِيءُ يَقْبَسُ نَارَهَا لَيْلًا فَتَمْنَحُهُ عَقِيلَةَ مَالِهَا
يَعْتَادُنِي فِي النَّوْمِ طَيْفُ خِيَالِهَا فَتَصِيْبُنِي الْحَاطِظُهَا بِذَبَالِهَا
كَمْ لَيْلَةٍ جَادَتْ بِهِ فَكَأَنَّمَا رُفَّتْ عَلَى ذِكَاةٍ وَقْتِ زَوَالِهَا
أُسْرِي فَعِطْرُهَا^(٥) وَعُطْلُ شُهْبِهَا يَأْبِي شَذَا الْمِعْطَارِ مِنْ مِعْطَالِهَا
وَسَوَادُ طُرَّتِهِ كَجَنَحِ ظَلَامِهَا وَبِيَاضُ غُرَّتِهِ كَضَوْءِ هَلَالِهَا
دَعْنِي أُشْمُ بِالْوَهْمِ أَدْنَى لِحْمَةِ^(٦) مِنْ ثَغْرِهَا وَأُشْمُ مِسْكَةِ خَالِهَا
مَا رَادَ طَرْفِي فِي حَدِيقَةِ خُدَّهَا إِلَّا لِفِتْنَتِهِ بِحُسْنِ دَلَالِهَا

(١) وقصيدة مهيار مطلقها : ما كنت لولا طمعي في الخيال أنشد ليل بن طول الليال
(النفح ج ٣ ص ١٨٧) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (يأمل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (كم زاد عن) والتصويب من النفح .

(٤) وردت في الإسكوريال (متألق) . والتصويب من النفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (فمطلقها) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (لمعة) .

أنسبُ شعري رِقٌّ مثل نسيمها فشمول راحك مثل ربح شمالها
 وانقل أحاديث الهوى وشرح غمها ريب لغاتها وأذكر ثقات رجالها
 وإذا مروت برامة فتوق من أطلاياها وتمش في أطالها
 وانصب لمغزلهما حباله قانص ودع الكرى شرًا كالصيد غزالها
 وأمل جداولها بفيض دموعها وانضح جوانحها بفضل سجالها
 أنا من بقية معشر عرّكتهم هدى النوى عرك الرّحى بيقالها
 أكرم بها فئة أريق نعيمها بنيا فراق العين حسن جمالها (۱)
 حلت مدامة وصلها وحلت لهم فإن انتشوا فبطوها وحلالها
 بلغت بهر ميس غاية مانالها أحد وناء بها لبعدها منالها
 وعدت على سقراط صورة (۲) كأسها فهريق ما في الدن من جريالها
 وسرت إلى قاراب منها نفحة قدسية جاءت بنخبة آلهالها
 ليصوغ من الحانه في حانها ما سوغ القيس من أرمالها
 وتعلقت (۳) في سهر ورد فاسهرت عيناً يورقها طروق خيالها
 فخبأ شهاب الدين لما أشرقت وخبأ (۴) فلم يثبت لنور جلالها
 ما جن مثل جنونه أحد ولا ممحت يد بيضا بمثل نوالها
 وبدت على الشوذى منها نفحة (۵) ملاح منها غير لمعة آلهالها
 بطلت حقيقته وحالت حاله فيما يعبر عن حقيقته حالها
 هدى صبايتهم ترق صباية فيروق شاربها صفاء زلالها

(۱) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مالها) .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سورة) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وتنقلت)

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وخوى) .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نشوة)

إعلم أبا الفضل بن يحيى أنى
 فإذا رأيت مؤلهاً مثلى فخذ
 لا تعجبين لما ترى من شأنها
 فصلاحها بفسادها ونعيمها
 ومن العجائب أن أقيم بيـلدة
 شغلوا بدنيهم أما شغلهم
 حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم
 وإن انتسبت فإنى من دوحية
 من حمير^(٣) من ذى رعين من ذرى
 وإذا رجعت لطينتى معنى فما
 لله درك أى نجل كريمه
 ولأنت لاعدمتك والد فخرها
 أغلظ على من عاث من أنذالها^(٦)
 والبس بها^(٨) أوليتها من نعمة
 خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة
 ما جال فى مضارها شعر ولا

من بعدها أجرى على آسائها
 فى عدله إن كنت من عذالها
 فى حيلها إن كان أو ترحالها
 بعذابها ورشادها بضلالها
 يوماً وأسلم من أذى جهالها
 عنى فكم ضيعت من أشغالها
 شمس الهدى عشوا^(١) بضوء ذبالها
 تنقيل الأقبال برد^(٢) ظلها
 حجب من العطاء من أقبالها
 ميسلم بأرق من صلصالها
 ولدتها فاس^(٤) منك بعد جبالها^(٥)
 ويهاك مؤددها وبدركها
 واخشع لمن تلقاه من أبدالها^(٧)
 حلل الثناء وجراً من أذيالها
 جاءتك لم ينسج على منوالها
 سمحت^(٩) قريحة شاعر بمثالها

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى أزهار الرياض (عشوا) .

(٢) فى الإسكوريال (أرد) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة .

(٤) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (فلس) .

(٥) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أبدالها) .

(٧) وردت فى الإسكوريال (أبداتها) . التصويب من الزيتونة .

(٨) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لما) .

(٩) هكذا فى الإسكوريال ، وفى الزيتونة (سحت) .

واتلُّ أبا البركات من برّكاتها وادفع محال شكوكه بمحالمها
 هذه أمتع الله ببقاياك، وأسعد ببقاياك. وأراها بما تؤمله من شريف اعتنايك،
 وترجوه من جميل احتفايك، ما تعرفُ به من احتذايك، وتعترفُ له ببركة
 اعتفايك، كريمة الأحياء، وعقيلة الأموات والأحياء. بنت الأذواء والأقيال،
 ومقصورة الأسيرة والحجال؛ بل أسيره الأساوير والأحجال. على أنها حليفة
 آلام وأوصاب، وأليفة أشجان وأطراب، صباية أغراب من صياحة أعراب،
 جاورت سيفَ بن ذى يزن في رأس عُمدان، وجاوزت مسلمة بن مخلد يوم
 جابية الجولان، وذلقت لسان ابن أخته حسان، فتضاءلت لركة حده جسموم
 بنى عبد المدان، وقربه وماشيم من غمده قيد ابن الإطنابة بين يدي النعمان،
 قربت ببني جفنة مزار جلق، وسعرت لبني تميم نار محاق، ومرّت على مُعناد
 غالب، فما أنست ناره، وطافت بيت عبد الله بن دارم، فلم ترض جواره،
 ولو حلت بقناية، واستحلت ما أحل لها من مبدول حبيائه، لاغتفر لها ما جنته
 ببطن أواره، وكَلَّت لها حبوتها مجاشع وزرارة، مزقت نلى مزيقيا حلالاً، وأذهبت
 يوم حليلة مثلاً، وأركبت عنزاً شر يوماً يجمدع^(١) جحلاً، وناطت بأذن
 مارية^(٢) قرطها، وجرت على أثر الكندي مرطها، وقفها بين الدخول فحوّل
 فوقفت، وأنفها يومَ دارة جملجل فأنفت منه وما ألفت، عقر ناقته وانتمس
 عبيطها، ودخل خدر عنيزة وأمال غبيطها. أغرت أبا قابوس بزياد، وأسرجت
 للزبيدي فرس أبي داود^(٣)، ونافرت بجاتم طي كعب إياد، وساورت للمساور

(١) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (يحدج).

(٢) وردت في الإسكوريال (ريه) والتصويب من (المتخب).

(٣) هكذا في الإسكوريال. وفي نص (أدواد).

بمثل جوده السّائر. ولئن بدت الجعفرى لبيدا ، فلقد استعبدت الأسدى عبيداً ،
وقطعت به فى أثر سلّيماء الأمدية^(١) بيدا ، أرتة المنية على حربة هندها الملاحوب ،
وما حال [قريضه]^(٢) دون جريضه ، وأقفر من أهله ملاحوب ، وما زالت تخبط
فى شعاب الأنساب ، فترشيد ، وتُنشد خالتها اليمانية ، فتنشد :

إن كنت من سيف بن ذى يزن فأنزل بسيف البحر من عدن

وذر الشام وما بناه به السرومى من قصر ومن قدن^(٣)

تعلق سبيل العرم ، وترد غسان ، وتمهد لها أهضام تباله ، فتقول مرعى ولا كالمدان ،
تساجل عن سميحة بابن خرام ، وتناضل بسير يوم خزام ، وتكسى قاتل ستة آلاف ،
وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف ، فلو ما جلت بنبيها أبا كرب ، وأوته ضراعة
خدها الترب ، لسا جلت به أخضر الجلدة فى بيت العرب ، ماجداً يلا الدلو إلى عقد
الكرب ، بل لو حطت بفناء بيتها الحجري رحلها^(٤) ، وما جلت بفناء جدّها ذى
رعين ، لاستوفت سجلها . كم عادت بسيفها الزنى ، فأدركت ذحلها ، ولادت
بركنها اليمنى فأجزل محلها . ولو استسقت بأوديتها ، لأذهبت محلها . كاشفت عن
دينها الحنيفة ، فما كهم حسامها ، وناقحت عن نبيها الأمى ، فأيدت بروح القدس
مهامها . مدت باب الدرب دون بنى الأصفر ، وشدت لموته ثوب موتٍ أحر ،
وما شغلها كسر تاج كسرى عن قرع هامة قيصر . ولقد حلت من سنام نسبها
اليعرى باسمك ذروة ، وتعلقت من ذمام نبيها العربى بأوثق عروة . تفرّد صاحب
تيام بأبلقه الفرد فعز ، وتمرد ربّ دومة الجندل لما كان من مارد فى حِرز ، فما

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (الأمهرية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى الإسكوريال . وواردة فى المنتخب .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى رواية (مدن) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى نص (رجلها) .

ظنك ، أعزك الله ، بمن حل من قُدسي عقله ، بِمَعْقِلِ قُدس ، يُطار إليه فلا يُطار ،
وراد من فردوس أدبه ، في جنّة لا يُضام رايدها ولا يُضار . زها بمجاورة الملك
فازدهى رؤساء الممالك ، وشُعِف بمجاورة الملك ، فاشتغل عن مطالعة المسالك ، أَيْشَقُّ
غُبّاره ، وعلى جبين المرزم مشاره ، أو يُنْتَمِك ذماره ، وقاب الأسد بيته ، ودار
أخيه أسامة زاره . ولما قَضت من أنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف
منازعها الأدبية أطوارها ، وعطرت بنوافح أنفاسها الذّكية آثارها ، وأطاعت
في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عضفت على معقلتها الشاذلية
فحلت عقالها ، وأمر لها فراق الوطن . فلما استمر [لها] (١) حلالها ، استودعت بطنان
تباله آله ، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها . أطلت على دارات العرب فحيت
أطلالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية ، أدواء خبير وأقبالها . أطمعتها بدمية المعيتها
الأعجمية ، ومثلها يُطمع ، وجاء بها من قُدماء الحكماء كل أوحدى الأحودية ،
فباتت تخب إليه وتوضع ، باحثة عن مركز دارتهم (٢) الفيشاغورية ؛ آخذة
في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية (٣) ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا
علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نوابيسهم
الكلدانية ، من ماثور تأثير لا هوتية قوام السياموية ، راغبة فيما يُفاض على
على مادتها الجثمانية ، ويظراً على عاقلبيستها الهيلولانية ، من علويات آثار مواهبها
الربانية ، موافقة لمنلهم المفارقة أفضل موافقة ، موافقة لما وافق من شوارِد آواهم
المؤفّقة أحسن موافقة . وتمت هذه الأستار مُحذرات أسرار أضرّ بها الإسرار ،
وظالما نكر معارفها الإنكار ، ونقلت من صدور أولئك الصدور ، إلى بطون

(١) هذه الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي نص (دائرتهم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي نص (الإنكسارية) .

هذه الأوراق ، في ظهور فوق دفاتر فلسفيات معاني علومهم الرقاق . وفي تلك
المغاني ، أبكار معاني ، سكن الجوانح والصدور ، بدل الأرايك والحدور ، ولكن
في دياجى ظلم هذه الأحاجى ، كأقمار في أطمار ، بهرن وما ظهرن ، وسطن
وما لمعن ، فمشقن وما رمقن ، واستملحن وما لمحن . أدرن خور أجفانن على
ماخوريات الحاتن ، فهيجت البلابل نغم هذه البلابل ، واستفرغته الأكياس ،
مترعات تلك الأكواس . ماسحر بابل ، كخمر بابل ، ولا [منتقى] (١) أغانيهن
الأوايل ، كحمايكم الهوادل ، إن وصلت هديلبها بحفيف ، وصالن ثقيلبن بخفيف .
إيه أيها الشمري المشعل ، دعنا من حديثك المضمحل ، سيربنا أيها الفارس الندس ،
من حظيرة النفس ، إلى حضرة القدس ، صرح بإطلاق الجمال ، وجل من
عالميتك الملكوتية في أفسح مجال ، تمش بين مقاصر قصورها ، ومعاصر
خورها ، رخي البال ، رخي السربال ، فما ينسج لك على منوال ، نادم عليها من
شغف دن سقراط ، إن استحسننت لها حسان ، فما يصلح لك ، صالح بن علاط .
بت صريع حياها ، فقد أوصت بمعالجة عقير معاقرة هقارها بقراط ، لا تخش
صاحب شرطها ، فلا شرط له عليك ولا اشتراط ، مالك غير مبدك الأول ،
من قال امثل الأمر ، وما عليك من أمر وال . على رسلك ما هذا العجل ،
لا خطأ تتوقعه ولا خطل ، أمكره أنت في هذه الكريهة ، أم بطل . لو علم أنك
ضباوية هذا الخميس ، وخبيثة (٢) ذلك الخميس ، لما عانى اليم رسيس ، شوقاً إليك
نحمد بن خميس ، على أن لا غالب اليوم لآتي غالب ، ولا طالب يدرك شأو هذا
الصالب ، فقه بلا تفهيق ، وحذق في تحذلق . أقسم أبا الفضل بمالك على أبي
البركات [من الفضل] ، ذلك العراقي الأرومة ، لا هذا الفارسي الجرثومة ،

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مشكلات) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنعته) .

وإن يك ذلك . إسرائيلى الأصل ، وهذا إسماعيلي الجنس ، عاوى الفضل . فلتلك
الذات ، شرفُ تلك الأدوات . قدّم لي غالبنا المذكور ، من بأسه الغرُّ لاُرفع .
وأسمى من مقعد ، وقوطيهم المشهور ، من إغرناطة الحمراء ، ومن متبواً
أبى أميتهم المرحوم ، من جنات جزيرتهم الخضراء ، فيما لنت أبا الفضل
من هذه العريجة^(١) ، وألوك^(٢) . أوأيت في عمرك ، مثل هذا الصعلوك ، لا والله
ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة في بنى غبراء . فأى شيء
هذا المترع إيش ، لآحال لنا معك ولا عيش ، من يضحك على هذا العايش . ما هذا
الخليل ، أخمار بك أم نمل ، إرجع إلى ما كنت بصددّه ، وقيت الزلل ، خذ
في الجدّ فما يليق بك الهزل . وق عن ذلك فحك لنا منه أرقّ غزل ، ماذا أقول ،
وأى عقل يطاوعنى على هذا المعقول . أفحمتنى والله عن مكالتكم هذه
المحن ، ومنعتنى من طلب مسالتكم ، مالكم علىّ في دنياكم هذه من
الإحن . إن تكلمت كُلمت ، وإذا استعجبت عُجبت . أما لهذه العاة
آس ، أم على هذه الفيلة مواس : ما حيلتى في طبع بلدكم الجاسى . إما يلين
لضعفى [أما يرق]^(٣) قلبُ زمانكم القاسى . ما هذه الدّمَن يا بنى حضراوات
الدمن ، اظهرتم المَحن ، فقلب لكم ظهر المِجَن . إن مرّ بكم الولي حَقَّتْموه ،
وإن زَجَرَكُم العالم فَجَرْتُم عليه فَسَقْتُموه ، وإذا نَجَمَ فيكم الحكيم ، غَصِصم
به ، فكفرتُموه وزندَقْتُموه ، كونوا فوضى ، فما لكم اليوم [مسراً سيواه]^(٤)
واذهبوا من مراعيكم المستوبلة ، حيث شتم ، فقد أهلكم الرعاة . ضيَعْتُم النص

(١) مكذافى الإسكوريال وى الزيتونة (العجرة) .

(٢) مكذافى الإسكوريال وى الزيتونة (والتك) .

(٣) وردت فى الإسكوريال ، (أما يلين) مرة أخرى والتعديل من كذب (المتخب

نفيس) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (مسراه) والتصويب من الزيتونة .

والشرائع ، وأظهرتم في يدِ عِيسِكم العجايب والبدايع . نَفُتُّمُ التُّفَاقَ ، وأقمتُم سوقَ
 الفسوق على ساق . استصغرتُم الكباير ، وأبجثتُم الصغائر . أين غَنِيَّتِكم الشاكر ،
 يتفقد فقيركم الصابر ، أين عالمكم الماهر ، يرشد متعلمكم الحابر . مات العلمُ
 بؤت العلماء ، وحكم الجهل بقطع دابر الحكماء . جرُّد لنا شريعَتك يا أفضل
 الشاوعين . أتمُّ فيها وعظمتك يا أفصح التابعين . لا والله [ما يوقظكم]^(١)
 من هذا الوَسَن ، وعظ الحَسَن ، ولا يُنقذكم من فِتْنِ هذا الزمن ، إلا سَيْفُ مُعلِّمِهِ
 أبي الحسن والسلام .

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعمائة . وتوفي في يوم مقتل صاحبه الوزير
 أبي عبد الله بن الحكيم ، فرَّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام ، بعد أن
 نُهبَت ثيابه ، حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول ، هكذا تقوم
 الساعة بغنة . ولقيه بعض قرابة السلطان ، ممن كان الوزير قد وُتِرَهُ ، فشرع الرُّمُحُ
 إليه ، فتوسل إليه برسول الله ، فلم يقبل منه ، فوطعنه ، فقتله يوم عيد الفطر عام
 ثمانية وسبعمائة ، وآخر العهدُ به ، مطرَحاً بالعراء ، خارج باب الفخارين ، لا يُعلم
 قبره^(٢) ، لمكان الهرج في تلك الأيام . نَسَلُ الله جميل سنره . وساء بأثر قتله إياه
 حال [ذلك الرجل]^(٣) وفسد فكره ، وشرَّد نومه وأصابته علة رديَّة ، فكان
 يثب المرة بعد الأخرى ، يقول ابن خميس يقتاني ، حتى مات لأيام من مقتل
 المذكور^(٤) .

(١) هذه الزيادة من الزيتونة ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وردت في الإسكوريال (مكانه) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (قائله) .

(٤) نود أن نشير هنا إلى أننا قد اتفقنا بمراجعة شعر ابن خميس ونثره ، على ما ورد بهما في

كتاب (المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس - تلمسان سنة ١٩٦٥) لصديقت العلامة الأستاذ
 عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية .

محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي

يكنى أبا عبد الله .

حاله

كان فاضلاً ، متخلفاً ، أديباً ، شاعراً ، صوفياً ، جميلَ العشرة ، حسنَ الخلق كريمَ العهد ، طيبَ النفس . كتب عن الأمراء بإفريقية ، ونال حظوة ، ثم شَرِّق وحجَّ ، ولقي جلةً ، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة ، فلقى بفرناطة حفايةً ، وانسحبت بها عليه جراية ، ثم انصرف إلى وطنه ، وناله به اعتقال ، ثم تخلص من النسكة ، وأقام به ، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » : كاتبُ الخلافة ، ومُشعشعُ الأدب المزوى بالسلافة ، كان يرحمه الله ، بدل مجال ، وروى وارتجال ، قدم على هذه البلاد ، وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عَمَانُهُ ، فتلوم بها تلوم النسيم بين الجمائل ، وحلَّ بها محل الطيف من الوشاح الجليل ، ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة ، ومبرة يانعة . ثم آثر قطره ، فوَلَّى وجهه شطره ، واستقبله دهره بالإنبابة ، وقلده خُطَّةَ الكتابة ، واستقامت حاله ، وحطت رحاله ، وله شعر أنيق ، وتصوفٌ وتحقيق ، ورحلته إلى الحجاز ، سببها في الخبر وثيق ، ونسبها في الصالحات^(١) عريق .

شعره

نقلت من خطِّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزاتين ، مما قيّد عنه ، وكان خبيراً بحاله :

(١) وردت في الإسكوريال (الصاحمت) . والتصويب من النفع .

رضی نلت من کل ما یرى
 وصفحاً عن الجنى المسیء لنفسه
 فلاتوقنى موقف الذل والشکوى
 کفاه الذى یلقاه من شدة البلوى
 بما بیننا من خلوة معنویة أرقش من النجوى وأحلى من السلوى
 قفى أنشکى لوعة البین ساعة^(۱) ولا ینک هذا آخر العهد بالنجوى
 قفى [ساعة فى] ^(۲) عرصة الدار وانظرى إلى عاشق لا یستفیک من البلوى
 وکم قد سألت الريح شوقاً إلیکم
 فما حن مسراها إلى ولا أوى
 فیاریح حتى أنت من یغار فی
 ویأبجد حتى أنت تهوى الذى أهوى
 خلقت ولی قلب جلید على النوى
 ولا کن على فقد الأحبة لا یقوى

وحدثت بعض من عنى بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره ، أنه لقي ليلة بیاب
 الملعب فى أبوابها ظمیة من ظبیات الأوس ، [وفتنة من فتن] ^(۳) هذا الجنس ،
 فخطب وصلها ، واتق بفؤاده نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف
 الغصن المیاد ، فأبقى على نفسه ، وأمسك ، وأنف من خلع العذار ،
 بعد ما أتسك ، وقال :

لم أنس وقفتنا بیاب الملعب
 وعدت فکنت مراقباً لحدیثها
 بین الرجا والیأس من متجنب
 یاذل وقفة خایف مترقب
 وتذلت فذلت بعد تعزیر
 بدویة أبدى الجمال بوجهها
 یأتى الغرام بكل أمر معجب
 تدنو وتبعد نفرة وتجنباً
 ما شیت من خد شریق مذهب
 ورنت بلحظ فآر لك فآتن
 فتکاد تحسبها مهارة الرب
 أنضى وأمضى من حسام المضرب

(۱) وردت فى الإسکوریال (یاغوا) . والتصویب من النفع .

(۲) هكذا فى الإسکوریال . وفى النفع (ساعدينى) .

(۳) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسکوریال ، وفى النفع (قینه من قينات) .

وأرتك^(١) بابل سحرها بجفونها
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها
بمنظم في عقد ستمطى جوهر
وتمايلت كالغصن أخضله الندى
تذنيه أرواح^(٢) الصبابة والصبأ
أبت الروادف أن تميل بميله
مستوجاً بهلال وجه لاح في
يامن رأى فيها محباً مفرماً
ما زال منذولى بمحاول حيلة
فأجال ناراً الفكر حتى أوقدت
فتلاقت الأرواح قبل جسومها

ومن مقطوعاته البديعة ، مما سمع منه بفرناطة ، حرسها الله ، أيام مقامه
بها قوله :

أرى لك يا قلبي قلبي محبةً
فقابله بالبشر واقبل عشيةً
ولا تعذر بالقطر أو بلل الندى
وتقلت من خط الفقيه القاضي أبي جعفر الرُّعيني ، مما أملاه عليّ بمنزله بفرناطة .
قال وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعماية ، يوم إحرام الكعبة العلية ، وذلك

(١) وردت في الإسكوريال (وأناك) . والتصويب من النسخ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لمعان) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرواح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (السحاب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مسك) .

في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك ، وصِفْتُهُ أَنْ يَتَزَيَّنَ سَدَنَةَ الْبَيْتِ مِنْ شَيْبَةِ
بِأَحْسَنِ زِيٍّ ، وَيَعْمَدُوا إِلَى كُرْسِيٍّ ، يَصِلُ فِيهِ صَاعِدُهُ ، إِلَى ثَلَاثِ الْكِسْوَةِ ،
وَيَقْطَعُهَا مِنْ هُنَاكَ ، وَيَبْقَى الثَّلَاثَانِ إِلَى الْمَوْسِمِ ، وَهُوَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ عِنْدَ مَسْكَانِ الْحَرَمِ ،
يَحْتَفِلُ لَهُ ، وَيَقُومُ الْمُنْشِدُونَ أَدْوَاجَ الْكُتُبَةِ يَنْشُدُونَ . فَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

ألم ترها قد ثمرت تطلب الجدا	وتخبر أن الأمر قد بلغ الحددا
فجد كما جدت إليها وثمر عن	الساعد الأقوى تنل عندها سعدا
طوت بردها على السجل كناية	لأمر خفي سره طوت البردا
وأندت محياها فحيا جماله	وقبل على صون المقلة ذلك الحددا
فكم سترت سود البرود جالما	وغطته لا كن عن سنها الرمدا
وكم خال ذاك الخال عما مقصر	عن العلم بالأنسب لا يعرف الحددا
لقد سفرت عن وجهها الكعبة التي	لها المسني في حُسْنِهَا المبدأ
وقالت ألا أين مكلى ، قصدوا إلى	جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبدا
فأبت لها العشاق من كل جانب	يومونها يستقربون لها البعدا
فمن ندب أشقى على تلف ومن	محب على قرب بهم بها وجددا
ومن ساهر على النجوم ولم يدق	بعينه طعم النور أو يبلغ القصددا
يسأل عن بدرٍ وبدرٍ تجاهه	كذلك اشتراك اللفظ قد ينغص الحددا
ومن مستهام لا يقره قراره	كأن به من حرٍ أشواقه وقددا
يقلب قلباً بين جنبه موريا	أوار الأسي فيه فتحبه زندا
إذا ما حدى حدى الركب ركابه	كأن قلوب الراكبين له نجددا
أحاديها إن أنت جنت بها مني	ونلت المنى والأمن فانزل وردا
ولا خوف هذا الخيف والتربة التي	سرت قد عين المصطفى عدا
وفي عرفات فاعترف وانصرف إلى	شاعر فيها يرحم المالك العبدا

وإن كنت من أوفى العبيد جرايما
 لين صدقت فيك الوعيد جرايم
 وعد مفضياً للبيت طُف واستلم وقم
 ورد في الثنا والحمد والشكر واجتهد
 وعُجْ نحو فرض الحب وأقض حقوقه
 فحسن نبيل العقد من ربك العَقْدَا
 فعفواً الجميل الصفح يصدقك الوعدَا
 به بالمقام الرحب واسجدو كن عبدا
 فمن عرف الإحسان زادت له حمدا
 وزوق قبر من أولاك من هديهِ رشداً

قال ، وكنت في زمن الحداثة ، أفضل الأصيل على السَّحَر ، وأقول فيه رِقَّة
 المودع ورقة المعتذر . فلما كان أوان الأسفار ، واتصت ليالى السير ، إلى أوْطت
 الأسفار ، وأيت أفق الشرق أشرق ، ووجدت القابل بفضل السَّحَر أُصدق ،
 فابتدأت راكباً ، فلما جيت لذكر الجناب العليّ النبوي ، أتممت ماشياً ، وأنا
 في رملة بين مصر وعقبة إليه ، وقلت :

ما أحسن الأفق الشرقى إسفارا
 إذا بدا سارت الأظعان هاديةً
 يجلو غياهب ليل طالما سدت
 ونمّ منه نسيم ثمّ ذا بعد على
 مَرّت سحيراً فبرّت سرّذي سحر
 سرت بيانات أكناف الأوى
 طابت بعافية أرواح معطرة
 كأنما فلق الإصباح حين بدا
 حتى بدت وتبدت حسن صورتها
 كأنه دعوة المختار حين بدت
 من نوره كل نور أنت تبصره
 فكم هدا في دُجى الإدلاج أسفارا
 له وصارت به الظلماء أنوارا
 على المحبين في الظلماء أمتارا
 أحاديث كانت ثمّ أسرارا
 أهدت له ريح من بهواه معطارا
 فعدت كاز دارين قد أصبحت دارا
 بها فأصبح أفق الشوق عطّارا
 خدر بهجة حسن الشمس قد وارا
 فعنته الأرض أنجاداً وأغوارا
 دانت لها الخلق إعلاناً وإصرارا
 ونور زاد الأبصار إبصارا

هدا به الله أقواماً به سهداء
هو الشفيع الذي قالت شفاعته
هو العفو عن الجاني وإن عظمت
هو الكريم الذي مارد سائله
هو الحبيب الذي ألقى محبته
أحبه كل مخلوق وهام به
وانشق بدر الدجاء من نور غرته

ومن مقطوعاته ، قال ، ومما نظمته في ليل السرى ، وتخييل طيف الكرى ،
أقصيد قصده أي معنى أردته ، أشغل عنه ما بي منه :

منع الهجر من سلبى هجوعا
فانثني طبعها يريد الرجوعا
بعثته ليلا يعلل قلبا
مستهماً بها محباً ولوعا
لم يجد غير طرف جفن قريح
شأخصا يحوها يذره الدموعا

وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بجاية ، وهو معتقل بقصبتها ،
وقد امتحنه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس :

شرح حالي لمن يريد سؤالي
مطلق الحمد والثناء عليه
لا أرى للولاء في احتكاما
أرتجى بالمصاب تكفير ذنبي
لا تدوم الدنيا ولا الخير فيها
فاغتم ساعة الوصال وكم
فإذا غبت عنك فاحضر
إنني في اعتقال مولى الموال
وهو للعطف والجميل موال
وولي مال على كل وال
حسبها جاء في الصّحاح العوال
وكذا الشر ذا وذا للزوال
من محنة وهي منحة من نوال
تجدها للجواب المفيد عن السؤال

فهي نورٌ للنهار والنور منها وهي الانس في الليالي الطوال
 فاستدبرتها تدُّم ولا تضحج منها وأدبرها على اليمين ووال
 فإن الكأس مجراها على اليمين ، ومسراها لفي الصبح المبين ، تغنى عن
 الإصباح والمصباح ، وتدثني لهم معنى النور المشرق في الوجوه الصُّباح ، وتجرى
 في الأشباح ، فتسرى في الأرواح . وهذه الرسالة طويلة ، فيها كل بديع من
 نظم ونثر .

فأجابه رحمه الله :

أرغمنُ هذه القيود الثقال ربُّ وُدِّ مصيره للتغال
 طال صبرى على الجديدين حتى كدت مما لقيت أن يُشقال
 إن بعض الرضا لديه فسيح أى مدد به وأى ابتقال
 حاش لله أن أكون لشيء شاده الصانع القديم بفال
 إن عندى من الثناء عليه لأمانى لم يملن القال
 يا إمامو الذى بودى لو أمكن نهى إليه أوار قال
 أوجُ دنياك وارج مولاك واعلم أن راجى سواه غير مُقال
 وابتغاء الثواب من ربك اعمل فهو يُجزى الأعمال بالمثقال
 واغتم غيبة الرقيب فيها لقلوب الرجال أى صفقال
 وأحل في الوجود فكر غنى عن ضروب الإنعام والأحقال
 وإذا الوقت ضاق وسعه بالصبر ولا تنس من شهير المقال
 ربنا تكره النفوس من الأمر له فرحة كحل العقبال

لا غرور أن وقع توازن . أو تلوم دهر ذو ألوان ، فالأمر بين الكاف والتون ،
 ومن صبره لم ينوء بصفقة المغبون . وللسعداء تخصيص ، ومع التقريب تمحيص ،

وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير معتوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادى أطاب الله محضه، وسدد إلى المرامي العلية نظره، ناطقا بلسان التفويض، سارحا من الرضا في القضاء المريض، لا يذأ بالانقياد والتسليم، قائما على أسكفة باب الأدب، لمثابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقايح عافا كم الله وعاظ ونحن هُجود. وفي الحى إيقاظ، وما كل المعاني تؤديها الألفاظ. وهذا القنا الذى نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هى إلا فتون، وজনون فنون، وحديث كاه مجنون. وقد يجمع الله الشئتين، ولن يغلب عسرٌ يسرين ولا باس، وياخطب لا مساس، وأبعد الله اليأس، وإنما يوفى الأجر الصابرون، ولا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهى طوياله بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها، وارتسم فى جملة الكتاب بها، وحدث عن رضى الدين أبى أحمد إبراهيم الطهرى، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمى، بسماعه من أبى الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبى حفص عمر بن طراد المعرى القاضى بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخيرى عن أبى العاهر السلفى، وعن جماعة غيرهم. وكان وروده على الأندلس فى أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقى من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها فى أوائل عام ثمانية عشر، وأحلّ بسبته، فأكرم ويسمها أبو عمر يحيى بن أبى طالب العزفى قدومه، وأنزله بدار جلياة، كان بها علو مطلق على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأمر اقتضى ذلك، فكتب إليه:

يا صاحب البلد المليح المشرق ما مثله فى مغرب أو مشرق

منها :

وخفضت عيشي فيه فارفع منزلي حتى أرى الدنيا بطرفٍ مُطرق
وتجول في البلاد ، ولقي من بها . واتصل بالأمير أبي علي بسجداسة . ومدحه
بقصيدة حفظ له منها :

فيا يوسف الحسن والصفح والرضا تصدق على الدنيا بسلمائك العدل
ثم اتصل بوطنه .

وفاته

تقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور : وفي عام أربعين وسبعماية ، توفي
بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف ، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي
المليكني الشهير بابن عمر ، صدوق في الطلبة والكتاب ، شهير ذو تواضع
وإيثار ، وقبول حسن ، رحمه الله .

محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني

من أهل تونس يكنى أبا عبد الله .

حاله

هذا الرجل الفاضل ، صاحب زواجر وأهبة . نظيف البزّة ، فاره المرّكب ،
صدوق عن الملة ، مقيم للرسم ، مطلق في مكيال الإطراء . جموح في إيجاب الحقوق ،
متراحم إلى أقصى إمامة التوغل ، سخى اللسان بالثناء برثائه ، فكه مطبوع ، حسن الخلق ،

عنب الفكاهة ، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأثرية ، وممن دونهم بالمداخلة والصحبة ، ينظم الشعر ، ويحاضر بالأبيات ، ويتقدّم في باب التحسين والتّجبيح ، ويقوم على تاريخ بلده ، ويثابر على لقاء أهل المعرفة ، والأخذ عن أولى الرواية . قدّم على الأندلس في إحدى جمادين ، عام خمسين وسبعماية ، مُقلّناً من الوقعة بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية ، بأيدي بني زيّان وأحلافهم^(١) ، فمهد له سلطانها ، رحمه الله ، كنف برّه ، وأواه إلى سعة رعيه ، وتأكّدت بيني وبينه صحبة .

شعره

كُتبتُ إليه لأول قدومه بما نصه ؛ أحنو حنو أبيات ، ذكر أن شيخنا
أبا محمد الحضرمي خاطبه بها :

أمن جانب الغربي نفعة بارخ	سرت منه أرواح الجوى في الجوانح ^(٢)
قدحت بها زند الغرام وإنما	تجاقت في دين السلو لقادح
وما هي إلا نسمة حاجرية	رعى الشوق منها كل قلب بقادح
وجحنا لها من غير شك ^(٣) كأنها	شمايل أخلاق الشريف ابن راجح

(١) الوقعة التي يشير إليها ابن الخطيب ، وقعت بين السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب وبني زيّان ، على أثر عودته من حملته إلى تونس بعد فقدانها ، وبعد غرق أسطوله في مياهها ، مرتداً بفلول قواته عبر الجزائر في طريقه إلى المغرب الأقصى . وكان بنو زيّان ملوك تلمسان السابقين ، قد استطاعوا استردادها ، وقت سير السلطان أبي الحسن إلى تونس . فحاول السلطان أبو الحسن عند عودته مهاجمتها لاستعادتها ، فتصدى له بنو زيّان في قواتهم بقيادة أبي ثابت بن زيّان ، أخى سلطان تلمسان عثمان ابن عبد الرحمن ، فهزم السلطان أبو الحسن ، ونهب معسكره ، وقتل ولده الناصر . وارتد في فلوله ميمماً صوب المغرب من طريق الجنوب ، وكان ذلك في أواخر سنة ٧٥٠ هـ . ويلوح لنا أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر السنة التي قدم فيها المترجم إلى الأندلس وأنها سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الحوارج) .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (مكرر) والأولى أرجح .

وصبراً مُعار الحبل^(١) في كل فادح
 طراز نضار في بُرود المدايح
 حبا الله منه كل صدرٍ بشارح
 صحيفه أنست مضاء الصفايح
 وجزلٌ كما راعتك صولة جارح
 وخيض خضم القول منه بسابح
 أسنة حربٍ للعيون اللوامح
 ولا ذهبت منه بحكمة ناصح
 وقد غص بالشم الأنوف الجحاجح
 علا خواتمها موصولة بالفوامح
 لمراك من فوق الرُبي والأباطح

فتى هاشمٌ سبتاً إلى كل علية
 أصيلُ العلاجم السيادة ذكره
 وفرقان مجدٍ يصدع الشك نوره
 وفارسٌ ميدان البيان إذا انتضى
 رقيقٌ كما راقنك نعمة ساجع
 إذا ما احتبى مستحفظاً في بلاغة
 وقد شرعت في مجمع الحفل نحوه
 فما ضعضعت منه لصولة صادح
 تذكرت قساً قائماً في عكاظه
 ليهنك شمس الدين ما حزت من
 رعى الله ركباً أطلع الصبح مسفراً
 ومنها:

وساعدها السعدان وسط المسارح
 بمعرض سوءٍ فهي ناقة صالح
 بطوع القوافي وانبعث القرايح
 وموردٌ ظمان وكعبة مادح
 أرحمت السرى من كل غاد ورايح

أقول لقومي عندما حط كورها
 ذروها وأرض الله لا تعرضوا لها
 إذا ما أردنا القول فيها فمن لنا
 بقيت مني نفسٌ ونخبة رايد
 ولا زلت تلتقي الرحب والبرحينما
 فأجاني بما نصه:

[تعار لفقود^(٢)] عن الحى نازح
 غليلٌ غليلٌ للتواصل جانح

أمن مطاع لأنوار لمحبة لائح
 وهل بالمئي من مورد الوصل يرتوى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (مغار الفتل) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ كالاتي (تعاد لفقود) .

فيأفئضَ عينِ الدمعِ مالِكِ والحِمْي
 مرَّابعِ آرامِيٍّ ومـورِدُ ناقَتِي
 سَتَى اللهُ ذاكِ الحِمْيِّ وَذَقَا فَإِنَّهُ
 وَأَبْدَى أَنَا حورُ الخِيَامِ تُزَفُّ فِي
 تَرَى حَى تِلْكَ الحورِ للحورِ مَهْبِيعِ
 وَيَا دَوْحَةَ الرُّؤْيُحَانِ هَلْ لِي عودَةٌ
 وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا طَلَّةٌ^(٣) حَاتِمِيَّةٌ
 أَقَامَ بِهَا الفَخْرُ ابنَ الخَطِيبِ مَنَابِرًا
 وَشَفَّعَ بِالإِنجِيلِ حَمْدَ مَدِينِهِ
 وَفَرَّقَ بِالْفُرْقَانِ كُلَّ فَرِيقَةٍ
 وَهَلْ هُوَ إِلَّا لِلْبَرِيَّةِ مُرْشِدٌ
 [فُبَشِّرَاكَ شَمْسَ الدِّينِ]^(٥) سَادِيكَ الوردِيَّ وَأورَى الُهدى للرشْدِ أَوْضَحَ وَاضِحِ
 مَتَى قُلْتَ لَمْ تَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلِ
 فَمَنْ حَامَ بِالْحِمْيِّ الَّذِي أَنْتِ أَهْلُهُ^(٧)
 يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ الحَمْدَ بِأَثْنَانَا
 وَيَا فَوْزَ مَلِكِ دُمْتَ صَدْرَ صَدُورِهِ
 بَارَايِكَ التِّي تَدُلُّ عَلَى الُهدى
 وَرُنْدَ الحِمْيِّ وَالشَّيخِ شَيْخِ المَشَايِحِ^(١)
 فَسَقِيَا لَهَا مَقِيًّا لِنَاقَةِ صَالِحِ
 حِمْيِّ كَلِمَاتِ العَيْنِ عَنِ لَمَحِ سَامِحِ^(٢)
 حَلَى الحَسَنِ وَالْحُسْنَى وَحَلَى المَلَاخِ
 يَدُلُّ وَهَلْ حَسَمٌ لِدَاءِ التَّبَارِحِ
 لَمَعَرُ عُقَارِ الأُنْسِ بَيْنَ الأَبَاطِحِ
 تَغْصُّ نَوَادِيهَا بِغَادِ وَرَايِحِ
 لِنَرْتِيلِ آيَاتِ اللُّذَى وَالْمَنَاجِحِ
 وَأَوْتَرِ بِالتُّورَةِ^(٤) شَفَّعَ المَدَايِحِ
 نَاتٍ عَنِ رَشَادِ فِيهِ مَعْنَى النِّصَابِحِ
 لِكُلِّ هَدَى هَادٍ لِأَرْجِحِ رَاجِحِ
 فَمَنْ لَمْ تَقُلْ لَمْ يَنْحَدِ^(٦) لِمَادِحِ
 وَعَامَ بِيحْرِ مَنَ عَطَائِكَ طَافِحِ
 وَيَغْدُو بِذَاكَ البَحْرِ أُسْبِحَ سَابِحِ
 وَبُشْرَى لَهُ قَدْ رَاحَ أَوْجِ رَاجِحِ
 وَتُبْدَى لِمَنْ خَمَّصَتْ سَبِيلَ المَنَاجِحِ

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفع (الأشايح) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لامح) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (حلة) .

(٤) وردت في الإسكوريال (التورية) . والتصويب من النفع .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (فبشرى لسان الدين) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مدح) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (رهب) .

مَلَكَتْ خِصَالَ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ وَمَلَكَتْ مَنْ مَلَكَتْ يَا ابْنَ الْجَحَاجِ
 مَتَامِحُ آمَالٍ لِأَشْرَفِ هِمَّةٍ أَقْلُ مَرَامِيهَا أَجَلُ الْمَطَامِحِ
 فِدُونَكُمَا يَا مُهْدِي الْمَدْحِ مَدْحَةً أَجَبْتُ^(١) بِهَا عَنِ مَدْحِ أَشْرَفِ مَادِحِ
 يُهْنِيكَ بِالْعَامِ الَّذِي عَمَّ تَحْمَدُهُ مَوَاهِبُ هَاتِيكَ الْبِحَارِ الطَّوَافِحِ
 فَخَذَهَا مَيِّمِي الْفَخْرِ يَا خَيْرَ مُسْبِلِ عَلَى الْخَلْقِ أَنْغَضَا سِتُورِ التَّسَامِحِ
 وَدَمِ خَاطِبِ الْعَالِيَا لَهَا خَيْرَ خَاطِبِ وَأَثَوَقَ تَوَاقٍ وَأَطْمَحَ طَامِحِ

وتلقاني بمالقة عند قدومي من الرسالة إلى المغرب، في محرم عام ستة وخمسين

وسبعماية، ونظم لي هذه الأبيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

قَدُومُكَ ذَا أَبْدَى لَدَى الرَّايَةِ الْحَمْرَا تَغُورُ الرِّضَا تَعْبِرُ عَنِ شَذْبِ الْبُشْرَا
 وَأَيْعُ فَجْرُ الرُّشْدِ مِنْ فَلَقِ الْهُدَى وَكَوْنُهُ نَهْمٌ — رَا وَفَجْرُهُ نَجْرَا
 مَرِينَا لَهُ كِي يُحْمَدُ السَّيْرُ وَالسُّرَى وَتَرْقُبُ شَمْسَ الدِّينِ مِنْ فِرْعَاكِ الْفَجْرَا
 وَنَصْبِحُ فِي أَحْيَانِ الْمُنِّ نَسْتَلِمُ مَوَاطِنَكُمْ شَفْعًا وَأَثَارَكُمْ وَتَرَا
 وَنَخْطُبُ مَا يَا ابْنَ الْخَطِيبِ تَشَا مِنْ كِرَائِمِ ذَاكَ الْحَى إِذْ نَهَزَ الشُّعْرَا
 فَجَابِلَتْ بِالْإِقْبَالِ وَالْبِرِّ وَالرِّضَا وَأَقْرَبْتِ مَنْ يَقْرَا وَأَقْرَدْتِ مَنْ قَرَا
 فَابْنَا قُدْسَ الْحَمْدِ حَضْرَةَ قُدْسِنَا وَأَقْدَامُنَا تَمَلَّا وَأَمْدَا حُكْمِ تَقْرَا
 هُنِيَا لَنَا نَلْنَا وَنَلْنَا وَلَمْ نَزَلْ نَمَالُ وَلَا كُنْ هُنَا الْمُنَّةُ الْكُبْرَا
 دَأَيْنَا وَزَيْرَ الْمَلْدِ وَالْمَلِكِ وَاللُّوَى وَحَزْبِ اللَّوَى كُلُّ يَشْدُ بِهِ أُرَا
 مَسْجِدُنَا وَكَبَّرْنَا وَقَلْنَا رَسْوَانَا آتَى بِالَّذِي يُرْضَى بَشْرَى لَنَا بَشْرَا
 وَيُهْنِي الْوَدَى هَذَا الْإِيَابِ فَإِنَّ فِي تَأْيِجِهِ لِلدَّهْرِ مَا يُسْهِرُ الدَّهْرَا
 أَرَانَا سَنَا ذَا الْيَوْمِ أَجْمَلِ مُنْظَرِ وَجَلَى لَنَا مِنْ وَجْهِكَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرَا
 أَمَا وَالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ نِعْمَةٍ غَدَّتْ تَعَلَّمْنَا لِلنُّعْمِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرَا

(١) وردت في الإسكوريبا، (أصبحت). والتصويب من النسخ.

لَأَنْتَ لِسَانُ الدِّينِ لِلدِّينِ حُجَّةٌ
بَقِيَتْ لَنَا كِتِفًا مَنِيعًا مُشْرِفًا
وَدُمْنَا بِكُمْ فِي كُلِّ أَمِينٍ وَمِنَّةٍ
تُؤْبِدُهُ سِرًّا وَتَمُضُّهُ جَهْرًا
وَدُمْتَ لَهُ عَضُدًا وَدُمْتَ لَهُ نَصْرًا
نُدِيرُ الْمُنَاخِرًا أَوْ نُصَلِّي الْعِدَا جَمْرًا

ومن أمثل ما مدح به السلطان لأول قدومه بالنسبة إلى غير ذلك من شعره :

أَمَا وَالْعُيُونُ النَّجَلُ تَرْمِقُ عَنْ سِحْرِ
وَرَبِحَانُهُ وَالرَّاحُ وَالطَّلُّ وَالطَّلَا
وَنُورُ جَبِينِ الشَّمْسِ فِي رَوْنِقِ الضُّحَا
لَقَدْ قَلَّدْتَ آوَاهُ يُوسُفُ مُلْكُهُ
وَقَدْ أَيْدَهُ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِنَاصِرٍ
هَمُّ الْقَوْمِ أَنْصَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَجِيحٍ

وَحَسْبُكَ مِنْ قَوْمِ جَمُوحِ السَّيِّدِ الْوَرَى
سَقَى شِرْعَةَ الْإِسْلَامِ وَذُقُّ سَيُوفِهِمْ
فَأَصْبَحَ رَوْضُ الرُّشْدِ يَعْبِقُ طَيْبُهُ
فِي سَائِلِي عَنْهُ وَعَنْ سَطَوَاتِهِ إِذَا
وَجُرَّ مَعَ الْأَقْدَامِ جَيْشًا عَرْمَرَمَا
نَخْلِيلِيَّةً تَنْبِيكَ عَمَا وَرَاءَهَا
فِي فَوْزٍ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْغَنَمِ وَالْغِنَا
هَيْنًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَحْرَزَتْ
لَقَدْ أَصْعَدَتْ بَجْدِي مَدَائِكُكَ الَّتِي
وَحَقُّ لِمَثَلِي يُشْفَعُ الْحَمْدُ بِالشَّنَا
فَاحْنِي نِجَارَ الْأَنْسِ مِنْ رَوْضَةِ الْمُنَا
وَأَشْرَبْ مَاءَ الْفَوْزِ عَذْبًا خِتَامَهُ

وَوَرْدُ دُورِيَاضِ الْخَلْدِ وَالسَّكَّاسِ وَالْحَمْرِ
وَنَرَجِسُهُ وَالزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنَّهْرُ
وَهَالَةُ بَدْرِ التَّمِّ مُنْتَصِفِ الشَّهْرِ
قَلَايِدَ نَصْرِ بْنِ تَبِيدٍ مَعَ الدَّهْرِ
نَصِيرٍ وَخَيْرِ النُّصْرِ نَصْرِ بْنِ نَصْرِ
زَبِيهِ وَعَصْبِيَةِ الْأَعْلَامِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ

وَقَامُوا بِنَصْرِ الْحَقِّ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
رَحِيْقُ الْأُمَانِي طَيْبُ الْعَرْفِ وَالنُّشْرِ
وَدَوْحُ الْهُدَى بِالزَّهْرِ أَزْهَارُهُ تُزْرَى
لَا حَ مَحْفُوفًا بِرَايَاتِهِ الْخُمْرِ
وَشَرَّدَ بِالتَّأْيِيدِ شِرْدَمَةَ الْكُفْرِ
وَلَا غَرَّوْ فَالْإِفْصَاحُ يَعْرِفُ بِالْعَجْزِ
وَيَا وَيْلَ مَنْ أَقْصَاهُ لِلْقَفْرِ وَالْفَقْرِ
مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّنْهِي وَالْأَمْرِ
وَمَجْدُكَ وَالْعَلْيَا مَدَحَتْ بِهَا شَعْرِي
وَيَتَلَوُ مَعَانِيَهُ مَعَ الشُّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَأَقْطَفَ زَهْرَ الْحَمْدِ مِنْ نَجْرِ الشُّكْرِ
رَحِيْقُ بَرَاكِ السَّمْحِ فِي أَكُوسِ الْبَشْرِ

ولا بَرِحْتَ أَمْدًا حُكْمَ تَعَجُّزِ النَّهْيِ وَإِلَّا فَكُم تَنْجِيٌّ مِنَ الْعُسْرِ لِلْيَسْرِ
ولا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَخْدِمُ وَأَيْكُم وَوَايَاتِكُمْ مَا دَامَ نَجْمٌ لِلسُّرَى يَسِيرُ
وكتب إلى في غرض يظهر منه نصّ المراجعة ، وحسبنا الله :

أما والذي لي في حُلاك من الحمد ومالك ملاكي على من الرّفد
لقد أشعرتني النفس أنك معرض عن المسرف اللابي لفظارك يستجد
فإن زلةً بدت لك جهرة فصفحا فما والله إذ كنت عن عمد
فراجعته بقولي :

أجلك عن عتبٍ يفضُّ من الودِّ وأكرم وجه العذر منك عن الردِّ
ولا كنى أهدى إليك نصيحتي وإن كنت قد أهديتها لم تجد
إذا مقول الإنسان جاوز حده تمحّلت الأغراض منه إلى الضدِّ
فأصبح منه الجُدُّ هزلاً مذمّماً وأصبح منه الهزل في معرض الجُدِّ
فما استطعت فيضاً للعنان فإنه أحقُّ السجايا بالعلماء والمجدِّ

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعمائة، وقد ناهز السبعين سنة، ودفن بروضتنا بباب البيرة، وأعفى شارب الشر من نأبي مقصده. وغير هذه الدعوى قرارها تجاوز القضية.

محمد بن علي بن عمر العبدي

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله

كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاق العافية، وتلى أبوه الحجابة بتونس عن

سلطانها برهة ، ثم عدا عليه الدهر ، واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالشرق ،
فاتصل به سُكناه وحجج ، وآب إلى هذه البلاد . ظريف التزعة ، حلو الضريبة ،
كثير الانطباع ، يكتب ويُشعر ، ويكلف بالأدب ، ثم انصرف إلى وطنه .
وخاطبني إلى هذا العهد ، يُعزفني بتقلده خُطاة العلامة ، والحمد لله .

وجرى ذكره في كتاب « الإكليل » بما نصه : غنى نعمة هامية ، وقريع
رتبة سامية ، مُرقت إلى سلفه الوجوه ، ولم يبق بإفريقية إلا من يخافه ويرجوه ،
وبلغ هو مدة ذلك الشرف ، الغاية من الثرف . ثم قلب الدهر له ظهر الجحش ،
واشند به ^(١) الحمار عند فراغ الذن ، ولحق صاحبنا هذا بالشرق ، بعد خطوب
مديرة : وشدة كبيرة ، فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينله في أوطانه ،
واكتسب الشمايل العذاب ، وكان كابن الجهم ، بُعث إلى الرصافة ، ليرق فذاب ،
ثم حرم على وطنه تحويم الطائر ، وألم بهنه المدينة ^(٢) إمام الخيال الزاير ، فاعتنمت
صفقة وُدّه ، لحين وروده ، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده ، فحصلت
منه على درة تفتني ، وحديقة طيبة الجنى .

شعره

أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا بيرة :
لكل أناس منذهب وسجية
ومذهب أولاد النظام المكلام
إذا كنت فيهم ثاويًا كنت سيّدًا
وإن غبت عنهم لم تنالك المظالم
أولئك صحبي لا عدت حياتهم
ولا عدوا السعد الذي هو دايم
أغنى بذكراهم وطيب حديثهم
كما غرّدت فوق الفصون الحمام

(١) وردت في الإسكوريال (بهم) . والتصويب من النسخ

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البلاد)

ومن شعره يتشوق إلى تلك الديار ، ويتعلل بالتذكار ، قوله :

أَحْبَبْتَنِيَا بِمِصْرَ لَوْ رَأَيْتُمْ
بَكَئِي عِنْدَ أَطْرَافِ النَّهَارِ
لَكُنْتُمْ تُشْفِقُونَ لِفِرْطِ وَجْدِي
وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَزَارِ^(١)

ومن شعره :

تَقَنِّي حَمَامَ الْأَيْكِ يَوْمًا بِذِكْرِهِمْ
فَأَطْرَبْتُ حَتَّى كَدْتُ مِنْ ذِكْرِهِمْ أَفْنَا
فَقُلْتُ حَمَامَ الْأَيْكِ لَا تُبِكْ جِيرَةً
نَاهُوا وَانْقَضَتْ وَصَلُهُمْ عَنَّا
فَقَالَ وَلَمْ يُرِدْ جَوَابًا لَسَائِلِ
أَلَا لَيْتَنَّا كُنَّا جَمِيعًا بِذَا الْحَقْنَا

ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته ، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة :

تَقْرَمُلُوكَ الْأَرْضَ أَنْكَ مَوْلَاهَا
وَأَنْ الدُّنَا وَقَفَ عَلَيْكَ قَضَائِيهَا
وَمِنْهَا :

طَلَعَتْ بِأَفْقِ الْأَرْضِ شَمْسًا مَنِيرَةً
أُنَارَ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ مُحْيَاهَا
حَكَيْتَ لَنَا لِلْفَارُوقِ حَتَّى كَأَنَّهَا
بَعِينٌ لَا نُسْكَذِّبُ رُؤْيَاهَا
وَسَرَتْ عَلَى آثَارِهِ خَيْرَ سِيرَةٍ
قَطَعْنَا بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّكَ يَرْضَاهَا
إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ الْمُلُوكِ بِمَحْفَلِ
وَنَادَى بِهَا النَّادِي وَحَسَنَ دُنْيَاهَا
فَجُودُكَ رُؤْيَاهَا وَمَا كُنْتَ زَانِهَا
وَأَنْتَ لَهَا كَهْفٌ حَصِينٌ وَمَعْقَلِ
وَعَدْلَاكَ زَاهَا وَذَكَرَكَ حَلَامَاهَا
وَمِنْهَا بَعْدَ كَثِيرٍ :

وَمِنْكُمْ ذُووُ التَّيْجَانِ وَالْمَحْمُومِ التِّي
أَنْفَ عَلَى أَعْلَى السَّمَاءِ كَيْنِ أَدْنَاهَا
إِذَا غَابَ مِنْهُمْ مَالِكٌ قَامَ مَالِكٌ
مَجْدُدٌ لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ عَلَيْهَا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ديار)

بناها على التقوى وأسس بينها
وأورشها عنمن خيراً خليفة
وقام على بعده خير مالك
على بن عمر بن يعقوب ذو العلا
أدام الله وأعطى الخلافة وقتها
أبو يوسف الزاكي وسير مبناها
وأحلم من ساس الأنام وأنداهها
وخير إمام في الورى راقب الله
مذيق الأعدى حينما سار بلواها
ونور أحلاك الخطوب وجلاها

ووصلنى كتاب منه مؤرخ فى التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام
أربعة وستين وسبعمائة جدد عهدى من شعره بما نصه :

رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا
فيا أدمى منهلة إثر بينهم
فيا معهداً قد بنت عنه مكلفا
سقتك غوادى المزن كرّ عشيّة
فإن تكن الأيام لم تقض بيننا
يعزّ علينا أن نفارق ربكم
ولو بلغتني العير عنكم رسالة
لكنا على ما تملون من الهوى
ففاضت لروعات الفراق عيون
كأن جفونى بالدموع عيون
بدبلى منه أنه وحنين
ودادك محلول النطاق هتون
بومحل فما يقضى فدوف يكون
وأنا على أيدى الخطوب نهون
وساعد دهر باللقاء ضنين
ولا كن لأحداث الزمان فنون

تم المجلد الثانى

من كتاب « الإحاةة »

ملحق

في التعليق على ترجمة

محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهرى ، أبو بكر
(الواردة في صفحة ٤٩٤ - ٥٠٥)

نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ، ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشى في قوله : « كان أديباً ، بارعاً ، محسناً ، شاعراً ، حلو الكلام ، مليح التندير ، مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية ، بلسان عوام الأندلس ، الملقب بالزجل » . ثم علق على ذلك بقوله : « وهذه الطريقة بديعة ، يتحكم فيها ألقاب البديع ، وتنفسح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر . وبلغ فيها أبو بكر مبلغاً ، حججه الله عن سواه ، فهو آيتها المعجزة ، وحجتها البالغة ، وفارسها العليم . والمبتدى فيها والمتمم » .

وهذا كلام لا غبار عليه ، إذا ذكرنا أن اسم صاحب الترجمة ، هو بالفعل اسم ابن قزمان ، أمير الزجل الأندلسي المشهور ، وأن تاريخ وفاته الذي يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح . ولكن ابن الخطيب ، يورد لنا بعد ذلك في وصفه ، فقرة من كلام صاحب « القلائد » ، وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس ، وحظى لديه . وهنا يتغير الاتجاه ويبدأ الخطأ ، ويغدو ابن الخطيب ، فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره - وهو مالا يحتوى على أية مقطوعة من الزجل - وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بني قزمان ، هو عم إمام الزجل ، واسمه الحتمي هو أبو بكر ، محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان التمرطي . وقد أورد لنا ابن بشكوال في « الصلة » ترجمة المذكور في أسطر قلائل ، ووصفه بأنه كان « من أهل العلم والذكاء والفهم ، وكانت عنده دراية ورواية ولغة ، وأدب وافر » . ثم قال إنه توفي في سنة ٥٠٨ هـ (كتاب الصلة - القاهرة . ج ١ ص ٥٤٠) .

وذكره الفتح في كتاب « القلائد » ، ووصفه بالوزير الكاتب ، وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس . أمير بطليوس . المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وحظى لديه .

وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمد بن المتغاب على قرطبة، وخدمه، ثم لقي بعد ذلك على يده شر الموان والأذى. لحدثة كانت في طبعه. وهذه الفقرة الأخيرة. لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمد بن لم يحكم قرطبة إلا في سنة ٥٣٩ هـ، على أثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس. وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر. وهو أمير الزجل (قلائد العقيان - القاهرة - ص ١٨٧).

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر (العم) ، وابن أخيه ابن قزمان الأصغر (أمير الزجل) ابن سعيد الأندلسي، في كتابه «المغرب في حلى المغرب». فيمن ذكره من بيت بني قزمان. فترجم لنا أولاً لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي، وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في «الدخيرة» من خدمته للمتوكل صاحب بطليوس، ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في «القلائد» من ذكر اتصاله بابن حمد بن (المغرب في حلى المغرب - القاهرة - ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠).

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر (ج ١ ص ١٠٠). ثم عاد فترجمه مرة أخرى (ج ١ ص ١٦٧ - ١٧١). ووصفه في الترجمة بأنه «إمام الزجالين بالأندلس». وأورد له في الترجمة اثمانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة.

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد، وقد كتب كتابه «المغرب» حول منتصف القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٧٣ هـ. وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك وابن الخطيب، هي أقرب إلى التحقيق والثقة.

وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته، في الفصل الذي عقده عن «الموشحات والأزجال بالأندلس» إلى ابن قزمان. ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق، وذكر أنه كان لعهد الملتمين، أي المرابطين (المقدمة بولاق - ص ٥٢٤). وهذا تأكيد آخر لرواية ابن سعيد، لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي ٤٨٤ و ٥٥٠ هـ، وقد توفي ابن قزمان، أمير الزجل حسباً تقدم في سنة ٥٥٥ هـ.

فهارس المجلد الثاني

من كتاب «الإحاطة»

صفحة

- ١ - فهرست التراجم..... ٥٨٤
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٥٨٩
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء ٥٩١
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب ٥٩٨
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٠١
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٠٢
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٠٧

فهرست التراجم

صفحة	
٣	مقدمة
١٣	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزر جى
١٨	الملوك على عهده
٢٣	الأحداث فى أيامه
٢٦	الحادثة التى جرت عليه
٣١	ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور
٣٩	الملوك على عهده
٤٨	بعض مناقب الدولة لهذا العهد
٦٥	الأحداث
٧٨	الجهاد فى شعبان من عام سبعة وستين وسبعائة
٨٢	الغزاة إلى حصن أشر
٨٢	الغزاة المعملة إلى أطربيرة
٨٣	الغزاة إلى فتح جيان
٨٤	الغزاة إلى مدينة أبدة
٨٨	الحركة إلى الجزيرة الخضراء
٩٢	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزر جى الأنصارى
٩٧	الملوك على عهده
٩٨	لمع من أخباره

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن عبد الملك
 ١٠١ المعافري ، المنصور بن أبي عامر
- محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أسلم
 ١٠٨ ابن عمرو بن عطاء بن نعيم
- محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الحذامي
 ١٢١
- محمد بن يوسف بن هود الحذامي
 ١٢٨
- محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن منخل الغافقي
 ١٣٣
- محمد بن أحمد بن محمد الأشعري
 ١٣٦
- محمد بن فتح بن علي الأنصاري
 ١٣٨
- محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي
 ١٣٨
- محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج
 ١٣٩
- محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم النخيري
 ١٤١
- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر
 ١٤٣ ابن سعد الخير بن عياش (ابن الحاج البلقيني)
- محمد بن عبد الله بن منظور القيسي
 ١٧٠
- محمد بن علي بن الحضرمي بن هارون الغساني (ابن عسكر)
 ١٧٢
- محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالقي
 ١٧٦
- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ... بن ناصر بن حميون بن
 القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 ١٨١
- محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
 ١٨٧
- محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر
 ١٩١ ابن علي القرشي المقرئ
- محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
 ٢٢٦
- محمد بن عياض بن موسى بن عياض ... بن موسى بن عياض اليحصبي
 ٢٢٩
- محمد بن أحمد بن جبير ... بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني
 ٢٣٠

صفحة	
٢٣٩	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ... بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين ...
٢٥٠	محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٣	محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٣	محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي
٢٥٤	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٥	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي
٢٥٦	محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكابي
٢٦٦	محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي (أبو القاسم)
٢٦٩	محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ... بن محمد اللوشي اليحصبي
٢٧٢	محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي (أبو بكر)
٢٨١	محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
٢٨٢	محمد بن مالك المري الطغفري
٢٨٤	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي (العقرب)
٢٨٦	محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي
٢٨٧	محمد بن علي بن العابد الأنصاري
٢٨٨	محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي
٢٩٣	محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني الرجبي الغرناطي
٣٠٠	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريخي (ابن زورك)
	مخطوط الإسكوريال المفتوح بالسفر السابع
٣١٥	محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبائي

صفحة

٣١٥	...	محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستنجي الحميري
٣٣٠	...	محمد بن أحمد بن علي الهواري
٣٣٣	...	محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي
٣٣٧	...	محمد بن إبراهيم بن خيرة (ابن المواعيني)
٣٣٨	...	محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٣٤١	...	محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٣٤٣	...	محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم (ابن مرج الكحل)
٣٤٨	...	محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ابن الحنان)
٣٦٠	...	محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٣٦٤	...	محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي
٣٦٧	...	محمد بن محمد بن حزب الله
٣٧١	...	محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري
٣٧٩	...	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل
٣٨١	...	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي
٣٨٢	...	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد الباوي
٣٨٦	...	محمد بن محمد بن الشديد
٣٨٨	...	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي
٤١٨	...	محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي
٤٢٦	...	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي
٤٣٣	...	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي
٤٤٢	...	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة
٤٤٣	...	محمد بن عبد الله بن فطيس
٤٤٤	...	محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين)
٤٧٦	...	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

صفحة

٤٧٧	...	محمد بن عبد الرحمن المتأهل
٤٧٨	...	محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي
٤٨٢	...	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عياش التجيبي البرشاني
٤٨٨	...	محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الحمداني
٤٩١	...	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري
٤٩٤	...	محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري
٥٠٥	...	محمد بن غالب الرصافي
٥١٥	...	محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي الملقى
٥١٦	...	محمد بن سليمان بن القصيرة
٥٢١	...	محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التيمي المازني
٥٢٣	...	محمد بن حسن العمراني الشريف
٥٢٥	...	محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي، ابن العشاب
٥٢٧	...	محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوبى
٥٢٨	...	محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس الحجري التلمساني
٥٦٣	...	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي
٥٧١	...	محمد بن علي بن الحسن بن راجع الحسني
٥٧٧	...	محمد بن علي بن عمر العبدري

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- ٤٨ رسالة في مناقب الحالم والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب ...
رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان
الغنى بالله ، بقلم ابن الخطيب ، وهي المعروفة « بحمل الجمهور على السنن
المشهور »
٥٤ رسالة أخرى عن السلطان الغنى بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث
الثورة التي أطاحت بملك الغنى بالله ، وتمكنه بعد ذلك من استرداد
ملكه
٦٦ رسالة أخرى بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد لمناسبة محاولة استرداد
ثغر الخزيرة الحضراء
٨٨ ما نقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير (محمد بن يوسف بن نصر)
نثراً ونظماً
١٠٠ رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة
١١٤ رسالة أبي البركات ابن الحاج إلى ابن الخطيب عن كتبه وأحواله
١٤٨ رسالته إلى ابن الخطيب عن تقلده رياسة ديوان الإنشاء
١٦٨ رسالة من ابن الخطيب إلى قاضي الجماعة محمد الفشتالي
١٨٨ رسالة الفشتالي في الرد على ابن الخطيب
١٨٩ رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طاب الشفاعة في شأن قاضي
الجماعة أبي عبد الله المقرئ الكبير
١٩٧ قطعة في الحكم لابن جبير
٢٣٧ رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها
٢٤٦ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم
٢٧٥ رد ابن الحكيم على ابن الخطيب
٢٧٩

صفحة

- رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب ٣١٠
- رسالة أخرى منه إلى ابن الخطيب ٣١٣
- رسالة من محمد بن أحمد الإستنجي الحميري إلى أبي الوليد اسماعيل بن قنبري
الإيادي يمنحه فيها إجازته العلمية ٣١٩
- رسالة ابن الجنان في الرد على أبي المطرف بن عميرة حين عتب عليه أن
جعل الحاء المهمل قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالوائق بن هود ٣٥٣
- رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميري تتخللها بعض مقطوعات شعرية ... ٣٧٢
- رسالة طويلة لأبي عبد الله بن أبي الخصال موجهة إلى أبي بكر بن عبد العزيز
وإلى بلنسية ٤٠٤
- نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالخرابات اللازمة لابن
مهيب اللخمي ٤٢٠
- رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافقي يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية
النصرانية إلى صديقين من مرسية ٤٣٢
- رسالة لأبي عبد الله بن الحكيم اللخمي عن لسان السلطان محمد بن محمد
ابن الأحمر (الفقيه) عن منازلة قيجاطة وفتحها سنة ٦٩٥ هـ ٤٦٦
- قطعة من رسالة أبي عبد الله بن عياش التجيبي البرشاني في وصف نزول
الخليفة الناصر الموحدى على ثغر المهدي واسترجاعه من أيدي المثلثين ٤٨٦
- مقامة لابن قزمان الزهرى الكبير في استهلال رمضان ٤٩٨
- مقامة له في استهلال شوال ٥٠٠
- نص كتاب البيعة بولاية العهد الذى أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
لولده على بن يوسف من إنشاء كاتبه أبي بكر بن القصيرة ٥١٨
- مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجري ملحقة بقصيدته «عجبا أيدوق
طعم وصالها» أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس
يشف على نثره ٥٥٧

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة

وشادن تيمنى حبه ... ٢٦٣	
نهار وجهه وليل شعر ... ٢٦٤	
زارت ليلا وأطلعت فجرها ... ٢٦٤	
أبح لي في رياض المحاسن نظرة ... ٢٦٤	
وصديق شكى بما حموه ... ٢٦٥	
تلك الذؤابة ذبت من شوق لها ... ٢٦٥	
ابن الجنان (محمد بن محمد الانصارى)	
مضى رمضان وكان بك قد مضى ... ٣٥٠	
تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا ... ٣٥١	
ابن الجياب (ابو الحسن على)	
لامرجباً بالناشر الفارك ... ١٨٣	
يا قادم عمى الدنيا بشائره ... ٤٥٣	
ابن الحاج البلغقي (ابو البركات)	
تأسفت لاكن حين عز التأسف ... ١٥١	
يأبى شئون حديثي الإفصاح ... ١٥٥	
خذها على رغم الفقيه سلافة ... ١٥٧	
إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتي ... ١٥٨	
يلومونني بعد العذار على الهوى ... ١٥٨	
ومصفرة الخدين مطوية الحشا ... ١٥٨	
لا تبذلن نصيحة إلا لمن ... ١٥٨	
ما رأيت الهوم تدخل إلا ... ١٥٩	
حزنت عليك العين يا معنى الهوى ... ١٥٩	
أبحث فيما أنا حصلته ... ١٥٩	
تطالبني نفسي بما ليس لي ... ١٥٩	
ما رأيت النساء يصلحن إلا ... ١٦٠	
قد هجرت النساء دهرأ فلم ... ١٦٠	
رعى الله إخوان الحياة لهم ... ١٦٠	

صفحة

ابن ابى الحصال الغافقى (ابو عبد الله)	
هبى النسيم هبوب ذى إشفاق ... ٣٩٠	
وليلة عنبرية الأفق ... ٣٩١	
ياحبذا ليلة لنا سلفت ... ٣٩٢	
واقى وقد عظمت على ذنوبه ... ٣٩٢	
ألم تعلموا والقلب رهن لديكم ... ٣٩٢	
الله أعطاك فتحاً غير مشترك ... ٣٩٣	
الدهر ليس على حر بمؤتمن ... ٣٩٤	
بدت لهم بالغور والشمل جامع ... ٣٩٦	
(قصيدة قرطبة الحماوية الكبرى)	
عيشنا كله خداع ... ٤١٤	
أنى أهزك هز الصارم الخدم ... ٤٩٥	
ابن باق الاموى (محمد بن ابراهيم)	
أحرز الحصل من بنى سلمة ... ٣٣٩	
ابن جبير الكنانى (محمد بن احمد)	
أقول وآنست بالليل ناراً ... ٢٣٥	
هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... ٢٣٧	
إذا بلغ المرء أرض الحجاز ... ٢٣٧	
لا يستوى شرق البلاد وغربها ... ٢٣٧	
عليك بكمان المصائب واصطبر ... ٢٣٧	
وصانع المعروف فلتة عاقل ... ٢٣٧	
ابن جزى الكلبي (محمد بن محمد بن احمد)	
منى يتلاقى شايق ومشوق ... ٢٥٨	
ومورد الوجنان معسول اللى ... ٢٥٩	
ذهبت حشاشة قلبى المصدوع ... ٢٦٠	
وقالوا عدلك البخت والحزم عندما ... ٢٦٢	
لا تعد ضيفك إن ذهبت لصاحب ... ٢٦٣	

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة الأولى

من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

- ابن الحكيم اللخمي (محمد بن عبد الرحمن
ابو عبد الله)
- هل إلى رد عشيائ اوصال ... ٤٥٨
- حي حتى بالله ياريح نجد ... ٤٦٠
- ذكر اللوى شوقا إلى أقباره ... ٤٦١
- ألا واصل ، واصاة العقار ... ٤٦٢
- ولما رأينا من ربوع حبيبا ... ٤٦٣
- ما أحسن العقل وآثاره ... ٤٦٣
- إني لأعسر أحيانا فيلحقني ... ٤٦٣
- فقدت حياقي بالفراق ومن غدا ... ٤٦٤
- أنا عدة للدين في يد من غدا ... ٤٦٤
- إن أفرطت بابن حسان غوائله ... ٤٦٥

- ابن خاتمة الانصاري (محمد بن علي)
- كفوا الملام فلا أصفى إلى العذل ... ٤٩٢
- ومض البرق فثار القلق ... ٤٩٢
- أيا جيرة الحى الممتع جازه ... ٤٩٣
- الرفع نعتكم لا خابكم أمل ... ٤٩٣

- ابن الخطيب السلجاني (لسان الدين)
- خليفة الله ساعد التقدر ... ١٩
- أنعام أرضك تنهر الآسادا ... ٢٠
- طدثك إلى السقا الأباطح والرنا ... ١١٦
- من ذا يعد فضائل الفشال ... ١٨٨
- جوانحنا نحو اللقاء جوانح ... ٢٥٢
- الأم على أخذ القليل وإنما ... ٢٧٥
- بعثت بشيء كالجفاء وإنما ... ٢٧٨
- أمن جانب الغربي نفة بارح ... ٥٧٢
- أجلك عن عتب يغض من الود ... ٥٧٧

- ابن عيسى الحجري التلمساني (محمد بن عيسى)
- مشوق زار ، نعتك يا إماما ... ٥٢٩
- تراجع من دنياك ما أدت تارك ... ٥٣١
- سحت بساحك يا نخل الأدمع ... ٥٣٥
- سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء ... ٥٣٩
- أطار فزادى برق الأحاسا ... ٥٤١
- كبت العدى أنعامك البيت ... ٥٤٦
- طرقتك وهنا أخت آل علاج ... ٥٤٨
- أرق عيني بارق من أثال ... ٥٥٢
- عجبا لها أيذرق طم وصالها ... ٥٥٤

صفحة

- قالوا أبو البركات جرم ماؤه ... ١٦١
- قد كنت معذورا بعلمي وما ... ١٦١
- زعم الذين عقولهم قدرها ... ١٦١
- من منصف من جارق جارت على ... ١٦٢
- رحلت وقطير كلابي رفيع ... ١٦٢
- لقد ذم بعض الحمر قوم لأنها ... ١٦٤
- زعموا أن في الجبال قوما ... ١٦٥
- جزى الله بالخبر أعداءنا ... ١٦٥
- خلدنا ليلة من كنف دهر ... ١٦٧

- ابن الحاج البضيعة (محمد بن عبد الله)
- رجاى فى المولى العظيم عظيم ... ٤٤٣
- يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤

- ابن الحداد الوائى آسى
- شقيقك غيب فى لحده ... ٣٣٤
- حديثك ما أحلى فزيدى وحدثى ... ٣٣٥
- لملك بالوادى المقدس شاطىء ... ٣٣٥
- بجاملة السلوان ميمث حسنه ... ٣٣٦
- أقبلن فى الحبرات يقصرن الخطا ... ٣٣٧
- يا وافدى شرق البلاد وغربها ... ٣٣٧

- ابن حزب الله (محمد بن محمد)
- سراى يا قلبى المشوق وناظرى ... ٣٦٩
- تألق برق العلا واستنارا ... ٣٧٠
- حللت لبرق لاح من سرحتى نجد ... ٣٧٠

- ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد ابو القاسم)
- وعبت فهزت عندما رأت به ... ٢٦٧
- شربنا وزنجى الدياتجى موقد ... ٢٦٧
- لاح فى الدر العقيق فحيا ... ٢٦٧
- ويوم أنس صليل الجو ذى نظره ... ٢٦٨
- بنفسى حبيب صال عامل قده ... ٢٦٨
- بأبى وغير أبى غزال نافر ... ٢٦٨
- ليل الشباب انخب أول وهلة ... ٢٦٩

- ابن الحكيم اللخمي (محمد بن محمد ابو بكر)
- أيا من له الحكم فى خلقه ... ٢٨٠
- تصبر إذا ما أدركتكم ملة ... ٢٨٠

قد كان عيني من قبل في غيب ... ٢٤٥ ...
 قفا نفسا فالخطب فيها يهون ... ٢٤٥ ...
 سقى الله أشلاء كرم من على البلى ... ٤٧٤ ...
 أرغمن هذه القيود الثقال ... ٥٦٩ ...
ابن الشديد (محمد بن محمد)

لنا في كل مكرمة مقال ... ٣٨٦ ...
ابن سلبطور الهاسمي

أثرك أم سمط من الدر ينظم ... ٣٦١ ...
 نامت جفونك يا سؤلى ولم أتم ... ٣٦٢ ...
 قف بي وناد بين تلك الطلول ... ٣٦٢ ...
 تالله ما أورى زناد القلق ... ٣٦٢ ...

ابن صفوان القيسي

بدر تجلى على غصن من الآس ... ٣٨١ ...
 يا عالما بالسر والجهر ... ٣٨١ ...

ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك)
 ولما انقضى الفتح الذى كان يرتجى ... ٤٧٩ ...
 ألمت وقد نام الرقيب وهو ما ... ٤٨٠ ...
 أتذكر إذ مسحت بفيك عيني ... ٤٨١ ...
 سألت من المليحة براء داي ... ٤٨١ ...

ابن عبد الصمد

ملك الملوك أسامع فأنادى ... ١٢٠ ...
ابن عسكر (محمد بن علي بن الحضر)
 ولما انقضى إحاي وخسوف حجة ... ١٧٥ ...
 وأحذب تحسب في ظهره ... ١٧٥ ...
 أجبتك لأنى لما رمته أهل ... ١٧٥ ...

ابن العشاب (محمد بن ابراهيم)

بيمن أبى عبد الله محمد يمن ... ٥٢٦ ...
 لعل عفوك بعد السخط يفشانى ... ٥٢٦ ...
ابن عياش التجيبى البرشاني (محمد بن عبد العزيز)

بلنسية بينى عن العليا سلوة ... ٤٨٥ ...
 وليلة من ليالى الصفح قد جمعت ... ٤٨٥ ...
 أشفارها أم صارم الحجاج ... ٤٨٥ ...

ابن داود الحميرى (محمد بن ابراهيم)
 يا ذازحين ولم أفارق منهم ... ٣٧٢ ...
 كذلك تركته ملق بأرض ... ٣٧٣ ...
 يوم يداوى زماناقى من أزمانى ... ٣٧٣ ...
 ذكر الديار فهاجه تذكاره ... ٣٧٤ ...
 الأبرق ييدو تسطير الجوانح ... ٣٧٧ ...

ابن راجح الحسنى (محمد بن علي)

أمن جانب الغربى نفحة بارح ... ٥٧٢ ...
 أمن مطلع الأنوار لمحّة لامح ... ٥٧٣ ...
 قدومك ذا أبدي لذى الراية الحمراء ... ٥٧٥ ...
 أما والعيون النجل ترمق عن سحر ... ٥٧٦ ...
 أما والذى لى فى حلاك من الحمد ... ٥٧٧ ...

ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي)

رضيت بما تقضى على وتحكم ... ٣٠٣ ...
 مماذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا ... ٣٠٥ ...
 لولا تالق بارق التذكار ... ٣٠٦ ...
 تأمل أطلال الهوى فتألم ... ٣٠٧ ...
 حياك يا دار الهوى من دار ... ٣٠٧ ...
 لقد زادنى وجدا وأغرى بى الجوى ... ٣٠٧ ...
 أزور بقلبي معهد الأوس والهوى ... ٣٠٨ ...
 قيادى وقد تملكه الغرام ... ٣٠٨ ...
 وهشمتل بالحسن أحوى مهفهف ... ٣٠٩ ...
 بالايمنى فى الجود والجود شيمتى ... ٣٠٩ ...
 لقد علم الله أنى امرؤ ... ٣٠٩ ...
 ومسرى ركاب لأصبا قد ونت ... ٣١٠ ...
 مالى بحمل الهوى يدان ... ٣١٠ ...

ابن شبرين ، ابو بكر

أخذت بكظم الروح ياساعة النوى ... ٢٤٣ ...
 بانوا فن كان باكيا بيك ... ٢٤٣ ...
 يا أيها المعرض اللاهى ... ٢٤٣ ...
 يا من أعاد صباحى ففده حلكا ... ٢٤٤ ...
 أشكو إلى الله فرط بلبالى ... ٢٤٤ ...
 لى همة كلما حاولت مسكها ... ٢٤٤ ...

صفحة

- ابن قطبة الدوسي (محمد بن احمد)
 دعيني ومطاولو الرياض فاني ... ٢٥١
 وليل أدرناها سلافا كأنها ... ٢٥١
 يومنا يوم سرور فلتقم ... ٢٥١
 وبئ منك ما لو كان للشرب ما حبا ... ٢٥٢
 كم قلت للبدر المنير إذا بدا ... ٢٥٢
 لمرك ما يومى إذا كنت حاضرا ... ٢٥٢
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)
 إذا شمت من نحو الحى فى الدجا برقا ... ٢٥٤
- ابن قطبة الدوسي (محمد بن محمد بن محمد)
 ابن احمد)
 حلفت بمن زاد عنى الكرى ... ٢٥٥
- ابن كسرى المورى (ابو على)
 أمعثر أهل الأرض بالطول والعرض ... ٣٢٨
- ابن لب الأمل (محمد بن عبد الله)
 بعد المزار ولوعته أشواق ... ٤٣٤
 أمليك أم بدر الدجا الوضاح ... ٤٣٨
 عجوادى لقد حملت ما ليس لقواه ... ٤٤٠
- ابن مالك الطغزرى
 بينا نحن فى الأصل نساك ... ٢٨٣
 صب على قابى دوى لاعج ... ٢٨٣
 خليل عرج على قبرى تجد ... ٢٨٤
- ابن مرج الكحل
 عرج بمنعرج الكتيب الأعفر ... ٣٤٤
 أرات جفونك مثله من منظر ... ٣٤٥
 وعشية كانت قنبصة فتية ... ٣٤٥
 وعندى من مرافقها حديث ... ٣٤٦
 عذيرى من الآمال خابت قصودها ... ٣٤٦
 أبا عمرو متى تقضى الليالى ... ٣٤٦
 طفل المساء وللنسيم تفرح ... ٣٤٦
 ألا بشروا بالصبح منى باكيا ... ٣٤٧
 مثل الرزق الذى تطلبه ... ٣٤٧
 دخلتم فأفسدتم قلوبا بملككم ... ٣٤٧

صفحة

- ونقلت من كل ملك ذخيرة ... ٤٨٦
- ابن غالب الرصافى (ابو عبد الله)
 خليلى ما لليد قد عبتت نثرا ... ٥٠٧
 أبى البلاغة فى حفل النادى ... ٥٠٩
 عاد الحديث إلى ما جر أظييه ... ٥١١
 دعاك خليل والأصيل كأنه ... ٥١٢
 قالوا وقد أكثروا فى حبه عدل ... ٥١٣
 ومهتف كالغصن إلا أنه ... ٥١٣
 أدرها فالغامة قد أجمالت ... ٥١٤
 أدرها على أمر فاشم من بأس ... ٥١٤
 ومطارح مما تحس بنانه ... ٥١٤
 ومهدل الشطين تحسب أنه ... ٥١٤
 قصير كالأنابيب لكنه ... ٥١٤
- ابن فضيلة المعافرى (محمد بن ابراهيم)
 سرت ريع نجد من ربي أرض بابل ... ٣٤١
 بهرت كشمس فى غلالة عسجد ... ٣٤٢
- ابن فطيس (محمد بن عبد الله)
 يا حاملا من علاه تاجا ... ٤٤٤
- ابن قزمان الزهرى (محمد بن عيسى)
 ركبوا السيول من الحيول وركبوا ... ٤٩٤
 أرى من المجد أمر لا مرد له ... ٤٩٥
 يارب يوم زادنى فيه ... ٤٩٥
 جنت لوديعه وقد ذرفت ... ٤٩٦
 يا أهل ذا المجلس السامى سراوته ... ٤٩٦
 صرفت اليك وجوهها الأفرح ... ٤٩٦
 كثير المال تبدله فىبقى ... ٤٩٧
 وعهدى بالشباب وحن قدى ... ٤٩٧
 يمك الفارس رحما ... ٤٩٧
 أحسن ما نيط فى الدعاء لمن ... ٤٩٧
 إيه أبا بكر ولا حول لى ... ٥٠٥
- ابن القصيرة (محمد بن سليمان)
 فسل عنه أحشاء ابن ذى النون هل ... ٥١٧

صفحة

٢٢٢ نهاية إقدام العقول عقلا

محمد بن احمد بن عبد الله الاستجى

٣١٦ حتى التميم إذا أم بأرضهم

٣١٧ قضا في ربي نجد في القلب مرساه

٣١٨ سرت من ربي نجد معطرة الريا..

٣١٩ محياك أم نور الصباح تبسما

٣٢٠ فاعلى الحبيب من اعتراض

٣٢٢ فلو كان رحما واحدا لاتفقته

٣٢٢ كانت جواهرنا أو ايل قبل دان

٣٢٤ معان لبسن ثياب الجهال

٣٢٥ كتبت ولو أنى أستطيع

محمد بن احمد بن علي الهوارى

٣٣٠ سلوا مسر ذاك الحال في صفحة الخد

٣٣١ عرج على بان العذيب وناد

٣٣١ على لكل ذى كرم ذمام

محمد بن احمد الفشتالى

١٨٩ وافق يجر الفضل فضلا بردها

محمد بن احمد بن منغل الغافقى

١٣٦ يا أيها المرتجى لطف خالقه

محمد بن حسان

١٠٢ وكل عدو أنت تهزم عرشه

محمد بن حسن العمرانى الشريف

٥٢٣ منحت منحت النصر والعز والرضا

٥٢٤ الشعر أسنى كلام خص بالعرب

٥٢٤ مالى أرى تاج الملوك وحوله

محمد بن سعيد الأشعرى المالىقى

١٧٨ هام الفؤاد في بنت النبع والنشم

محمد بن عبد الله بن داود الغافقى

٤٢٨ أقنع بما أوتيته تمل الغنا

٤٢٨ يا دعوة شك ما قد

٤٢٩ نعم المراد لمن غدى يرتاد

٤٣٠ رب أنت الحكيم فاغفر ذنوبى

صفحة

٣٤٨ يا قائلا إذا رأى مرجى وحرته

ابن مشتمل الاسلمى

٣٦٥ هفابى من بين المغانى عقيها

٣٦٦ من عادى ومن فاصرى ومنصى

٣٦٦ ما للأحبة في أحكامهم جاروا

ابن مقاتل ، ابو بكر

٣٨٠ ومهفهب هاى المعاطف أحور

٣٨٠ أيا لبنى الرفاء تنضى ظباؤهم

ابن منظور القيسى

١٧٢ ما للعطاس ولا للفأل من أثر

ابن مهيب اللخمي (ابو بكر)

٤٢٢ أيل النوى هل من سبيل إلى فجر

٤٢٢ للصالحين إلى الصلاح طريق

٤٢٤ جفوت ومازال الجفاء سجية

٤٢٥ أملى من الدنيا المباحة كسرة

٤٢٥ ترحل صبرى والولوع مقيم

ابن هانى الأزدي الألبيرى الفرناطى

٢٩٠ أحب بتيك القباب قبابا

٢٩٠ أيلتنا إذ أرسلت واردا وجفا

ابو بكر بن عبادة المرى

١١١ وقالوا كفه جرحت فقلنا

ابو العباس بن الغماز

٢٢٣ لبس البرنس الفقيه فباهى

ابو عبد الله العقب (محمد بن علي الأوسى)

٢٨٥ لله حى يا أميم حواك

السالى الكاتب

١٢٣ أدر كؤوس المدام والرز

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمى

٤٤٨ يا مطلبيا ليس لى في غيره أرب

عبد المهيمن الحضرمى (ابو محمد)

٤٥٥ تراهى سحيرا والنسيم عليل

فخر الدين (الامام)

صفحة

محمد بن محمد بن عبد الله الانصارى	
من لم يصن في أمل وجهه	٥٢٧ ...
وليت ولاية أحسنت فيها	٥٢٧ ...
وليت فقيل أحسن خير وال	٥٢٧ ...
مولاي نصيرا فكم يضام	٥٢٨ ...

محمد بن محمد بن عبد الله اللوى

راونى وقد أغرقت في عبراتى...	٢٧١ ...
سيخطب قس الغزم في منبر السرى	٢٧١ ...

محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوى

لا عذر لى عن خدمة الإعدار	٣٨٣ ...
تبسم ثغر الدهر في القضب الملد	٣٨٤ ...
عللوني ولو بوعد محال	٣٨٥ ...

محمد بن يحيى الفسانى البرجى

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه	٢٩٥ ...
صحا القلب عما تعلمين فأقلما	٢٩٩ ...
نهأه انتهى بعد طول التجارب	٣٠٠ ...

محمد بن يوسف التميمى المازنى

أيا قمر أتطلع من وشاح	٥٢٢ ...
ومنعم الأعطاف معسول اللها	٥٢٢ ...
حكمت السلاف صفاته بجباها	٥٢٢ ...

المعتد بن عباد

إن يسلم القوم العدا	١١٢ ...
قل لمن جمع العلم	١١٣ ...
كذبت مناكم صرحوا أو حجموا	١١٣ ...
وكواكب لم أدر قبل وجوهها	١١٥ ...
قبر الغريب سقاك الرائح الغادى	١١٩ ...

شعر مرفوع إليه

أيها الملك الأغر الأعظم	١١٣ ...
-------------------------	---------

المقرى ابو بكر (محمد بن محمد القرشى)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما	٢٠٤
------------------------------	-----

صفحة

محمد بن عبد الرحمن المعلى	
رحلوا الرذيب موهنا	٤٧٧ ...
أيا ملكا يسمو بسعد مساعد	٤٧٧ ...
محمد بن عبد الرحمن المتاهل	
خذها إليك طبرنشا	٤٧٨ ...
أنلى يا خير البرية خطة	٤٧٨ ...

محمد بن على بن عمر العبدرى

لكل أناس مذهب وسجية	٥٧٨ ...
أحبتنا بمصر لو رأيتم	٥٧٩ ...
تغنى حمام الأيك يوما بذكرهم	٥٧٩ ...
تقر ملوك الأرض أنك مولاهما	٤٧٩ ...
ومنكم ذوو التيجان والهمم التى	٤٧٩ ...
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا	٥٨٠ ...

محمد بن على بن محمد الهمدانى

بالهضب هضب زرود أو تلعاتها	٤٩٠ ...
يا بدر تم طالعا في الحشى	٤٩١ ...
رثوا القباب بأدمع مفضوضة	٤٩١ ...

محمد بن عمر بن على المليكى

رضى نلت من كل ما يهوى	٥٦٤ ...
لم أنس وقتنا بباب الملعب	٥٦٤ ...
أرى لك ياقلبي بقلبي محبة	٥٦٥ ...
ألم ترها قد شموت تطلب الجدا	٥٦٦ ...
ما أحسن الأفق الشرقى إسفارا	٥٦٧ ...
منع الهجر من سليمى هجوعا	٥٦٨ ...
شرح حالى لمن يريد سؤالى	٥٦٨ ...
يا صاحب البلد المليح المشرق	٥٧٠ ...
فيا يوسف الحسن والصفح والرضا	٥٧١ ...

محمد بن قاسم بن ابى بكر المالقى

أبا على حسينا	٥١٦ ...
فضل التجارات باد في الصناعات	٥١٦ ...

محمد بن محمد بن جهود

يا مرج الكحل ومن هذى المروج له	٣٤٨
--------------------------------	-----

	النصور بن ابى عامر
۱۰۵	رمىت بنفسى هول كل عظمة
	ما كتب على قبره
۱۰۸	آثاره تنبيك عن اخباره
	شعر فى وصف المتوكل ابن هود
۱۳۲	همام به زاد الزمان طلاقه
	ما نقش على قبر محمد بن الأحمر الكبير
۱۰۴	هذا محل العلى والمجد والكرم

۲۰۶	وكم وقف لى فى الهوى خضت دونه
۲۰۷	تبدت لعيى من جالك لمحمة
۲۰۹	أزور اعتمارا أرضها بتنسك
۲۱۰	سرت بفؤادى إذ سرت فيه نظرتى
۲۱۲	إليك بسطت الكف أستازل الفضلا
۲۱۳	وجد تسعره الضلوع
۲۱۳	نحن إن تسأل بناس معشر
۱۴	أنبت عودا بنمء بدأت بها

فہرست الکتب والرسائل

التي ورد ذكرها خلال الكتاب

۲۶۶ ، ۲۷۰ ، ۲۷۳ ، ۳۲۸ ، ۳۳۹ ، ۴۲۴
تاریخ المرية ؛ ۱۴۸
تاریخ غرناطة ؛ ۲۵۷
تبصرة الضمري ؛ ۳۲۶
تحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة ؛ ۱۷۲
تخايس الذهب في اختيار عيون الكتب ؛ ۲۹۰
تحفة القادم لابن الأبار ؛ ۴۷۹
كتاب التسهيل لأبي عبد الله بن مالك ؛ ۱۸۵
التصوير والتصديق في التوطية لعلم التحقيق ؛ ۳۲۶
تفسير الزمخشري ؛ ۲۸۶
ثورة المریدین ؛ ۱۲۲

ج - خ

حركة الدخولية في المسألة المالقية ؛ ۱۴۸
كتاب الحقايق والرقايق ، للمقرئ الحد ؛ ۲۰۳
حل الجمهور على السنن المشهور ؛ ۶۵
حي بن يقظان ، رسالة ابن طفيل ؛ ۴۷۹
الخبر المختصر في السلوى عن ذهاب البصر ؛ ۱۷۴
خطر فبطر ، ونظر فحظن ؛ ۱۴۸
خطرات الواجد في رثاء الواحد ؛ ۴۸۹
خطرة المجلس في شعراستنصر به أهل الأندلس ؛ ۱۴۸

د - ز

الدر المنظم في الإحسان المعظم ؛ ۴۸۹
درر الشحط في خبر السبط ؛ ۱۸۵
الدرر المنظومة الموسومة في حروف الهجاء المرسومة ؛
۳۴۲

ديوان ابن جبير ؛ ۲۳۴
ديوان ابن الحداد الوادي آشي ؛ ۳۳۴
ديوان ابن شبرين ؛ ۲۴۰
الذخيرة لابن بسام ؛ ۵۸۲
الذيل والتكملة لكتايب الموصول والصلة ؛ ۱۷۲

ا -

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ۳ ، ۴ ، ۵ ، ۷ ، ۶
الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال ؛ ۱۴۲
كتاب الأحكام ، لعبد الحق الإشبيلي ؛ ۲۸۷
أخبار معاوية ؛ ۴۸۹
الأخبار المذهبة ؛ ۲۷۵
الأرجوزة الطيبة المجهولة ، لابن طفيل ؛ ۴۷۹
كتاب الاستيعاب للرازي ؛ ۱۳۳
الإشارة الصوفية ، والكتب الأدبية ؛ ۲۷۵
إصلاح المنطق لابن عياش ؛ ۴۸۳
إصلاح النية في المسئلة الطاعونية ؛ ۳۶۵
الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح ؛ ۱۴۸
إقامة المرید لأبي عبد الله المقرئ الحد ؛ ۲۰۳
إقتراح المتعلمين في إصلاح المتكلمين ؛ ۳۲۶
الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر ؛
۳۳۰ ، ۳۴۱ ، ۳۶۰ ، ۳۶۷ ، ۳۷۱ ،
۳۸۰ - ۳۸۲ ، ۳۸۶ ، ۴۴۲ ، ۴۹۱ ،
۵۲۵ ، ۵۶۳ ، ۵۷۸
ألفية ابن الفارض ؛ ۲۰۳
كتاب الأمثال السائرة ؛ ۳۳۸
أنشدت على أهل الردة ؛ ۶۵
إيضاح الفارسي ؛ ۲۳۸

ب - ث

البرهان والدليل في خواص سور التنزيل ؛ ۱۷۱
بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب ؛ ۲۷۵
بهجة الأفكار وفرصة التذكار في مختار الأشعار ؛ ۴۸۹
البيان المغرب لابن عذارى ؛ ۹۸
التاج المحلى في القدر المعلى ؛ ۲۴۱ ، ۲۵۰ ، ۲۵۷

صلة الصلة لابن الزبير ؛ ۲۸۲ ، ۳۵۹ ، ۴۲۵ ، ۴۲۶

الصيب الهتان الواكف بغايات الإحسان... من

الأحاديث النبوية والقرآن ؛ ۱۷۳

الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ؛ ۵۰۴

طرفة العصر في أخبار بني نصر ؛ ۱۴۶ ، ۲۶۹ .

۲۸۱

ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز ؛ ۳۲۵

ع - غ

عائد الصلة ؛ ۱۳۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۶ ، ۲۴۹ ،

۲۶۶ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲ ، ۲۸۰ ، ۳۳۹

۴۴۵ ، ۵۲۷ ، ۵۲۸

العذب والأجاج في شمر أبي البركات ابن الحاج ؛

۱۴۸

عرايس بنات الخواطر المجلوة على منصات المناير ؛

۱۴۸

الغلسيات لابن الحاج ؛ ۱۴۹

الغيرة على أهل الحيرة ؛ ۶۵

ف - ك

الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنى من الشيوخ

والأتباع والأصحاب ؛ ۱۴۹

الفعل المبرور والسعى المشكور... من نوازل

القاضي أبي عمر بن منظور ؛ ۱۷۲

كتاب في الفقه والأصول لابن الحاج ؛ ۳۰۳

الفوايد المنتخبة والموارد المستنبذة ؛ ۲۷۴

قدر جم في نظم الجمل ؛ ۱۴۸

قد يكبو الجواد في أربعين غلطة ؛ ۱۴۸

قلائد العقيان ؛ ۱۰۹ ، ۳۸۹ ، ۵۰۵ ، ۵۸۱ ،

۵۸۲

كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ؛ ۳۲۶

الكمال والإتمام في صلة الأعلام... من أهل مالقة

الكرام ؛ ۱۷۴

رجز في ألفاظ فصيح ثعلب ؛ ۳۶۵

رجز في علم الكلام ؛ ۳۶۵

رجوم الإنذار بهجوم العذار ؛ ۴۸۹

رحلة ابن جبير ؛ ۲۳۱

رحلة المثبت للمقرى الجدي ؛ ۲۰۳

رسالة في ادخار الصبر وافتخار القصر والفقير ؛

۱۷۴

رسالة في الأسطرلاب الخطي ؛ ۱۴۳

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ؛ ۱۸۵

رقم الحلل في نظم الجمل ؛ ۳۲۶

روضة الجنان ؛ ۳۴۲

روضة الحدائق في تأليف الكلام الرائق ؛ ۴۸۹

الروض المحظور في أوصاف بني منظور ؛ ۱۷۰

رياضة الأبى في قصيدة الخزرجي ؛ ۱۸۵

ريحان الآداب وريحان الشباب ؛ ۳۳۸

زاد المسافر لصفوان بن إدريس ؛ ۴۸۵

زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغرى ؛ ۲۸۲

الزهرة الفايحة في الزهرة اللايحة ؛ ۳۲۶

س - ظ

السحب الواكفة والظلال الوارفة... من اعتقاد

الفلاسفة ؛ ۱۷۱

سلوة خاطر فيما أشكل من نسبة النسب المرتب إلى

الذاكر ؛ ۱۴۸

سطح الجمان ؛ ۳۸۹

كتاب سيويوه ؛ ۳۲۸

شجرة أنساب العرب ؛ ۱۴۳

شرح غريب البخارى ؛ ۳۱۵

كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ؛ ۳۱۰

شمس البيان في لمس البيان ؛ ۳۲۶

صحيح البخارى ؛ ۳۱۶

صحيح مسلم ؛ ۱۴۹ ، ۱۷۹

كتاب الصلة لابن بشكوال ؛ ۲۳۰ ، ۵۸۱

الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن ؛ ١٤٨ ، ٤٣٣
كناسة الدكان بعد انتقال السكان ؛ ١٩٧

ل - م

اللؤلؤ والمرجان من العذب والأجاج يستخرجان ؛
١٤٨

ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات ؛ ١٤٩
ما رأيت وما روى لي من المقامات ؛ ١٤٩
ما كثر وروده في مجلس القضاء ؛ ١٤٩
مختصر الإحاطة ؛ ٦

المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك ؛ ١٤٩
المرقصات والمطربات لابن سعيد ؛ ٤٨٦
مساجلة البيان ؛ ٢٩٤

مشبهات اصطلاح العلوم ؛ ١٤٩
المشرع الروى في الزيادة على المروى ؛ ١٧٤
مطلع الأنوار ونزهة الأبصار ... من الرؤساء
والأعلام والأخبار ؛ ١٧٤
المغرب في حل المغرب ؛ ٤٨٢
مفتاح الإحسان في إصلاح البيان ؛ ٣٢٦

مقالة الإخوان ؛ ٤٨٩

مقامات التبيح ؛ ٣٢٦ ، ٥٢١

المقامات الحريرية ؛ ٢٥٣

مقدمة ابن خلدون ؛ ٥٨٢

ملق السبل في فضل رمضان ؛ ٤٨٩

ملء العيبة ؛ ٤٦٢

الموارد المستعذبة والمقاصد المنتخبة ؛ ٢٧٤ ، ٤٦٤

ميزان العمل لابن رشيق ؛ ٢٧٥

ن - ي

نتيجة وجد الجوازح في تأيين القرين الصالح ؛ ٢٣٤

نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر ؛ ١٧٤

نظم الجمان في التشكى من إخوان الزمان ؛ ٢٣٤

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٢٩٥

نفح الكلامات في شرح المقامات ؛ ٣٢٦

نفحات المسوك وعيون التبر المسبوك في أشعار

الخلفاء والوزراء والملوك ؛ ١٧١

الوشاح المنفصل ؛ ٣٣٨

فهرست القبائل والطوائف والدول

دولة اللثام ؛ ٤١٨	الإسلام ؛ ١٥ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ،
الدولة اللتونية ؛ ٥١٦	٨٩ ، ٢٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠
الدولة النصرية ؛ ١٧ ، ٢٧٠ ، ٤٥٢	بنو إسرائيل ؛ ٥٠٤
الروم ؛ ٢٢ ، ١٤٠ ، ٤٣٧	بنو بطرون ؛ ٦٥
الصحابة ؛ ٤٩٠	بنو تميم ؛ ٥٥٣
الصوفية ؛ ١٩٤ ، ٣٠١	بنو جفنة ؛ ٥٥٣
الطوائف ؛ ١١٦	بنو حجاج ؛ ٤٤٤
العرب ؛ ٤٣ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ٤١٦ ، ٥٥٨	بنو حسون ؛ ٤٤٤
الفرنج ؛ ٤٦	بنو زيان ؛ ٥٧٢ ، ٥٢٩
اللتونيون ؛ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦	بنو هباد ؛ ٤٤٤
المرابطون ؛ ١١٠ ، ١١١ ، ٥٨٢	بنو العباس ؛ ٣٢٤
المسلمون ؛ ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٥٣	بنو عبد المؤمن ؛ ٤٨٢ ، ٤٨٦
٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ - ٨٧ ، ٩٠	بنو غانية ؛ أنظر الملتشون
١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ،	بنو غرون ؛ ٦٥ ، ٧٤
٤٧٢	بنو مرين ؛ ٦٤
المصامدة ؛ ٤١٨	بنو نصر ؛ ١٨٢ ، ٢٤٥
الملتشون (بنو غانية) ؛ ٤٨٦	حمير ، ٥٥٩
الموحدون ؛ ١٢٧ ، ١٢٨	الخرزج ؛ ٩٢
النصارى ؛ ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٤١٦ ،	اللدجن - المدجنون ؛ ٣٢ ، ١٤٠
٤٧٠ ، ٤٧١	اندولة الحكمية ؛ ٣٤٩
النصرانية ؛ ٣٣ ، ١٠٥	الدولة العامرية ؛ ١٠٣ ، ١٠٥

فهرست البلدان والأماكن

المرية ؛ ٤٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ -
 ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ٣٣٠ ،
 ، ٣٣١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
 ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،
 ٤٩١

انتقيرة ؛ ٢٨

الانتكيرة ؛ ٤٣ ، ٤٦

أندرش ؛ ١٩٥

الأندلس ؛ ٧ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٩ - ٣١ ،

، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ،

، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،

، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ - ١٤٥ ،

، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ -

، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٢٩ ،

، ٤١٧ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ،

أوريولة ؛ ٣٤٩

أى ولاتن ؛ ١٩٢

ب - ت

باب البيرة ؛ ٢٤٩ ، ٢٦٩

باب البنود ؛ ٦٥ ، ٧٥

باب الربض ؛ ٧٦

باب عبد الجبار ؛ ٤١٦

باب الفخارين ، ٥٦١

باب الفرغ ؛ ١١١

باب القنطرة ؛ ١٢٥

باجة ؛ ١١٩ ، ٢٣٩

باغة ؛ ٧٩

بجانة ؛ ١٦٢

بجاية ؛ ٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٢ ،

، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

- ١ -

أبدة ؛ ٤٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٦

أبينة ؛ ٩٠

أجدونية ؛ ٤٤

أرجدونة ؛ ٥٢

أرجونة ؛ ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٧١

الأرض الكبيرة ؛ ٤٤

الأرك ؛ ٩٩

إستبة ؛ ٥٢٨

إستجة ؛ ١٢٦ ، ٣١٥

الإسكندرية ؛ ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩

الإسكوريال ؛ أنظر مكتبة الإسكوريال

أشونة ؛ ٨٦ ، ٨٧

إشبيلية ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ،

، ٩٨ ، ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،

، ١٤٠ ، ١٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

، ٤٣١ ، ٤٣١ .

أشتبونة ؛ ٢٤ ، ١٤٥ ، ٥٢٨

أشونة ؛ ٩٠

إصبهان ؛ ٢٢٨ ، ٢٣٣

إطرابلس ؛ ١٠٣

أطرية ؛ ٨١

أغوات وريكة ؛ ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩

إفراغة ؛ ١٢١

إفرنسية ؛ ٨٥ ، ٨٦

إفريقية ؛ ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٩ ، ٤٥١ ، ٥٦٣ ،

أكاديمية التاريخ بمدريد ؛ ٣

البنول ؛ ١٤٥

إلبيرة ؛ ١٠٥ ، ١٣٠ ، ٢٩٣ ، ٣٤٤

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٠ ،
٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٧

ج - خ

جامع الزيتونة ؛ ٣ - ٦ ، ١٣ ، ٢٢٢

جبال المرية ؛ ١٦٥

جبال غمارة ؛ ٢١

جبل الفتح ؛ ٢٣ - ٢٥ ، ٥١ ، ٨٧ ، ٨٨

الجزيرة الخضراء ؛ ٨٨ ، ١٠٢ ، ١١٨ ،

١٣١ ، ١٧١ ، ٢٢٨ ، ٥٦١

جزيرة شقر ؛ ٣٤٣

جنة العريف ؛ ٢٧

جيان (وكورة) ؛ ٣٨ ، ٤٧ ، ٨٣ ، ٩٣ ،

٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،

٢٧١ ، ٣٨٨

جيرة ؛ ٧٩

الحجاز ؛ ٤٤٦ ، ٥٦٣

الحجر الأسود ؛ ٣٣

حران ؛ ٢٣٣

حصن أشر ؛ ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٢

حصن إقليج ؛ ١٢٦

حصن برج الحكيم ؛ ٨٥

حصن برشانة ؛ ٤٨٢

حصن برغة ؛ ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١

حصن بليش ؛ ٩٩

حصن جلال ؛ ١٢١

حصن الحويز ؛ ٨٧

حصن زمرة ؛ ٨٧

حصن السهلة ؛ ٧٨

حصن شرانية ؛ ١٢٦

حصن شلب ؛ ٢٣٩

حصن القشور ؛ ٨٥

حصن اللقوة ؛ ٤٦٩

حصن مسقوط ؛ ١٢٥

٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٨

برجلونة (برشلونة) ؛ ٣٣ ، ٤٢ ، ٨٥ ،

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٣

برجة ؛ ١٤٥ ، ١٥٩ ، ٣٤٤ ،

برشانة ؛ ١٤٢ ، ٤٨٧ ،

برغش ؛ ٤٨

برقة ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،

برطغال (البرتغال) ؛ ٤٣ ، ٨٧ ،

بسطة ؛ ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ،

بطليوس ؛ ٥٨١

بغداد ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٣ ،

٤٤٨

بلاد الريف ؛ ١٥١

بلاد القبلة ؛ ١٠٥

بلاد الهند ؛ ١٦٠

البلد الجديد ؛ ٢١ ، ٢٨ ، ٤٠ ،

بلد العناب ؛ ١٣٥

البلد القديم ؛ ٤٠

بلش ؛ ١٣٨

بلنسية ؛ ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٩ ،

٤٨٥ ، ٥٠٧

بنبلونة ؛ ٤٤

البيت الحرام ؛ ٥٥٨

بياسة ؛ ١٢٦

بيت المقدس ؛ ٢٣٢ ، ٤٥٠ ،

بيرة ؛ ١٤٦

بيونة ؛ ٤٣

تاكرونا ؛ ٩٢

تدمير ؛ ١٠٦

تكرنت ؛ ١٣٥

التكرور ؛ ١٩٢

تلمسان ؛ ٢١ ، ٢٢ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ،

٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٢٩ ،

توانس ؛ ٣ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ١٣٥ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
 ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
 ٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،
 السبيكة ؛ ١٠٠
 سجلماسة ؛ ٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٧٩ ، ٥٧١
 سقر سطونة ؛ ٩٢
 سكون ؛ ٢٨٨
 سلا ؛ ٢٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٧١
 شاطبة ؛ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 الشام ؛ ١٠٨
 شذونة ، كورة ؛ ٢٣٠
 شرق الأندلس ؛ ١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ٣٠٠
 شقورة ؛ ٣٨٨
 شلب ؛ ٤١٨
 الصخور ؛ ١٢٨ ، ١٢٩
 طبرنش ؛ ٤٧٨
 طيرة ؛ ٤٢٥
 طرطوشة ؛ ١٢٦
 طريانة ؛ ٤٣٢
 طريف ؛ ١٨٠
 طشانة ؛ ١٠٨
 طليطلة ؛ ٤٧ ، ١٣٣ ، ٤١٦
 طنجة ؛ ٢١ ، ١١٢ ، ١١٧
 طيبة (المدينة) ؛ ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢

ع - غ

العدوة ؛ ٩٥٣ ، ١٠٩ ، ١٤١ ، ١٩١ ، ٢٩٤
 ٣٧١ ، ٤٢٦
 العريش ؛ ١٠٨
 عقبة إيلة ؛ ٥٦٧
 غرناطة ؛ ٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ،
 ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ،

حصن مطرنيش ؛ ١٢٦
 حصن منتيل ؛ ٨٥ ، ٨٧
 حصن وحر ؛ ٨١
 الحمراء (قصر وقلعة) ؛ ٢٦ ، ٥٢ ، ٨٠ ،
 ١٤٦ ، ١٩٨
 حص ؛ أنظر إشبيلية
 الحمة ؛ ١٦٢
 حمة مرشانة ؛ ٣٦٤
 حومة الدرب ؛ ٤١٦
 خراسان ؛ ١٦٠
 الخزانة الملكية بالرباط ؛ ٣

د - ز

دار الحديث الكاملة ؛ ٤٥١
 دانية ؛ ١٢٦
 درب الفرعوني ؛ ٤١٦
 دلالية ؛ ١٤٥
 دمشق ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠
 دومة الجندل ؛ ٥٥٨
 ذكوان ؛ ٢٨
 رابطة العقاب ؛ ١٥٥
 رباط آسني ؛ ١٢٩
 ربض البيازين ؛ ١٢٧ ، ٣٠٠
 الربض الشرق ؛ ٤١٦
 رجة أبان ؛ ٤١٦
 رغون ؛ ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٨
 رندة ؛ ٣٠ - ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٧ ،
 ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ ،
 ٣٦٨ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤
 روطه ؛ ٨٧
 ريه ، كورة ؛ ٢٧٥
 الزاوية ؛ ٥٠٤

س - ط

صبتة ؛ ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١١٦ ،

التنقب ؛ ٤٣١

قيجاطة ؛ ٤٦٧

كدية مردزيش ؛ ١٢٧

الكعبة ؛ ٥٦٦، ٥٦٥

ل - م

لوشة ؛ ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٢٤٣

ماردة ؛ ١٣٠

المارستان الأعظم ؛ ٥١٥، ٥٠٠

مارستان مصر ؛ ٥٠

مالقة ؛ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٧

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٢

١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢

٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٩

٤٤٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥١٦

٥٢٨ ، ٥٦٤ ، ٥٧٥

المدينة ؛ أنظر طيبة

مدينة سالم ؛ ١٠٧

مراكش ؛ ٤١ ، ١٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٦٤

٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٧

مربلة ؛ ٢٨ ، ١٤٥

مرج الرقاد ؛ ١٢٧

مرسى تلهي ؛ ١٦١

مرسية ؛ ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ - ١٣١

٣٤٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣١

مرشانة ؛ ٩٠ ، ٤١٩

المشرق ؛ ٢١٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢

٢٧٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٥٢٥

مشهد الحسين ؛ ٤٤٨

مصر ؛ ١٠٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠

المغرب ؛ ١٥ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٣

٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ٨٤

١٠٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤

٢٨٩ ، ٣٧٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٥

٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٣

٣٥٩ ، ٣٨٨ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ - ٥٠٦

٥١٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٦١ - ٥٦٣ ، ٥٦٥

٥٧٠

غليسية ؛ ٤٣

غمدان ؛ ٥٥٧

ف . ق . ك

فاس ؛ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٤٠

١٤١ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٥١٥

٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٣

فحصر الفنت ؛ ٢٨

فرغليط ؛ ٣٨٨

الفسطاط ؛ ٢٢٩

فنيانة ؛ ١٤٥

القاهرة ؛ ٤٣٤ ، ٤٥١

قرطبة ؛ ٤٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٢

١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

٣٣٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤١٦ ، ٤٩٤

٥٠٥ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢

قرطمة ، معقل ؛ ٢٧٥

قرونة ؛ ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٢٦٠

قرية الخزرج ؛ ٩٣

قشتالة ؛ ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ -

٤٦ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٣٠٠

قصة المرية ؛ ٦٥ ، ٤١٩

قصة قيجاطة ؛ ٤٧١ ، ٤٧٢

قنصة ؛ ٤٧٩

قنالش ، غزوة ؛ ١٠٧ ، ١٤٥

نجد ؛ ٣١٧ ، ٣١٨
 الذبر الأعظم (الوادى الكبير) ؛ ١٠٨
 نهر الغنداق ؛ ٣٤٣
 هنين ؛ ١٦١
 وادى آس ؛ ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٩ ؛
 ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤١ ؛
 ١٨٧ ، ٣٦٧
 وادى الحجارة ؛ ١٠٧
 وادى الغيران ؛ ٣٦٠
 وادى لئو ؛ ١٥١
 ادى هدارة ؛ ٣٦
 وادى يانة ؛ ٤٦٩
 يومين ؛ ١٠٨

مقبرة ابن عباس ؛ ١٦ ؛
 المقرمدة ؛ ١٤١
 مكتبة الإسكوريال ؛ ٣ - ٦
 المكتبة الزيدانية ؛ ٥
 مكة ؛ ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٤٦ ؛
 المنكب ؛ ١٣٥ ، ٣١٠ ، ٣٦٤
 منورقة ؛ ٢٤٩
 المهديّة ؛ ٤٨٦
 موقعة بكركى ؛ ٢٩٣
 موقعة الزلاقة ؛ ١١٤
 موقعة طريف ؛ ٣٦٨
 موقعة العقاب ؛ ٣٢٩

ن - ي

ليارة ؛ ٤٤

فہرست الأعلام

ابن بشکوال ؛ ٢٣٠ ، ٣٩٠ ، ٤١٦ ، ٤٨٩ ، ٥٨١
 ابن بطرون ؛ ٧٤
 ابن بقی (أبو الحسن بن محمد) ؛ ٣٣٨ ، ٤٨٩
 ابن تافراقین ، أبو محمد ؛ ٢٢
 ابن تیمیة ؛ ٢٠٣
 ابن جابر (محمد بن أحمد الهواری) ؛ ٣٣٠
 ابن جبیر ، عبد السلام ؛ ٢٣٠
 ابن جبیر ، محمد بن أحمد ؛ ٧ ، ٢٣٠
 ابن جزى الکلبی ، أبو عبد الله (محمد بن محمد
 ابن أحمد) ؛ ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ابن جزى الکلبی (محمد بن عبد الله بن یحیی) ؛
 ٤٥٢
 ابن جهور ، أبو الولید ؛ ٥١٧
 ابن الجنان (محمد بن محمد بن أحمد الأنصارى) ؛
 ٦ ، ٣٤٨
 ابن الحیاب ، أبو الحسن علی ؛ ١٨٣ ، ٢٢٧ ،
 ٢٨٢ ، ٤٥٣
 ابن الحاج البافیقی ، أبو یرکات ؛ ١٨ ، ١٤٣ ،
 ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ،
 ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ،
 ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤
 ابن الحاج البضیعة (محمد بن عبد الله) ؛ ٤٤٢
 ابن الحاج (محمد بن علی) ؛ ١٣٩
 ابن الحاجب ؛ ٢٠٣ ، ٢٢٣
 ابن حیثش ، أبو القاسم ؛ ٣٩٠ ، ٤٨٣ ،
 ٤٨٨
 ابن الحداد الوادی آشی ؛ ٦ ، ٣٣٣
 ابن حزب الله (محمد بن محمد) ؛ ٣٦٧
 ابن حزم ، أبو محمد ؛ ١٧٦
 ابن حسون ، أبو مروان ؛ ٤٤٤

- ١ -

إبراهیم بن أبی بکر الحفصی ، السلطان ؛ ٢٢
 إبراهیم بن أبی الفتح ؛ ٢٦
 إبراهیم بن أبی الولید ؛ ٣٢٥
 إبراهیم بن أبی یحیی الحفصی ، السلطان ؛ ٤٢
 إبراهیم بن إسحاق الغسانی ؛ ٢٣٢
 إبراهیم بن الحکیم ، أبو إسحاق ؛ ٤٦١
 إبراهیم بن حکیم الکنانی ؛ ٢٠١
 إبراهیم بن المل ؛ ٤٨٨
 ابن الأبار القضاعی ، أبو عبد الله ؛ ١٤٤ ،
 ٤٧٩
 ابن أبی البقاء ؛ ٣٤٣
 ابن أبی خاند ؛ ٩٨
 ابن أبی الخصال (محمد بن مسعود بن خالصة) ؛
 ٦ ، ٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٦ ، ٤٩٥
 ابن أبی خيشمة الجبانی ؛ ٣١٥
 ابن أبی زید ؛ ٢١٧
 ابن أبی السداد الباهلی ، أبو محمد ؛ ١٣٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٩
 ابن أبی العیش ، أبو الحسن محمد ؛ ٢٢٣
 ابن أبی القاسم السبیلی ؛ ٤٨٣
 ابن أرقم النیری ؛ ١٤١
 ابن الأزرق ؛ ١٢٢
 ابن أضحی (أبو الحسن علی بن عمر) ؛ ٥٠٤
 ابن الأفتس ، عمر المتوکل ؛ ١١٨ ، ١١٩ ،
 ٤٩٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٢
 ابن الباذش ، أبو الحسن ؛ ٣١٥ ، ٥٢١
 ابن باق الأموی ؛ ٣٣٨
 ابن برطلة ، أبو محمد عبد الرحمن ؛ ٣٤٣
 ابن بسام ؛ ٣٢٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

ابن حكيم ، أبو عثمان ؛ ٢١٩ - ٢٢١ ، ٢٤٩
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو بكر ؛ ٢٧٢ ، ٤٦١
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو عبد الله (ذو الوزارتين)
 ٤٦٢ ، ٤٤٤ ، ٢٤١ ، ١٣٦ ، ٧ ، ٦
 ابن الحكيم اللخمي ، أبو القاسم ؛ ٢٦٦
 ابن حمزة (محمد بن أيوب بن غالب) ؛ ١٢٢
 ابن حدين ، أبو جعفر ؛ ٥٨٢ ، ٥٠٥
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٧
 ابن حوط الله ، أبو محمد ؛ ٣٢٧
 ابن الخطيب ، لسان الدين ؛ ٤ - ٧ ، ١٧ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ١٨٩ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٧
 ابن خفاجة ، أبو إسحاق ؛ ٣٩٠
 ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين ؛ ٢٩٩ ، ٥٨٢
 ابن خميس الحجري ؛ ٦ ، ٧ ، ١٧٤ ، ٥٢٨
 ابن خير ؛ ٤٨٧
 ابن خيرة المواعيني ؛ ٣٣٧
 ابن دراج القسطلي ؛ ١٠٧
 ابن ذي النون ، يحيى ؛ ٥١٧
 ابن رزمير ؛ ١٢١
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله ؛ ١٣٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٤٥ ،
 ٤٦٢ ، ٤٥٣
 ابن الزبير ، أبو جعفر ؛ ٣٧ ، ١٣٩ ،
 ١٤٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،
 ٣٤٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ،
 ٥٠٦ ، ٤٧٧
 ابن رزيق ، أبو الحسن محمد ؛ ٣٤٩
 ابن زرك (محمد بن يوسف الصريحى) ؛ ٤ ،
 ٧ ، ٣٠٠ ،
 ابن الزيات الكلاعى ؛ ١٣٨
 ابن زيدون ؛ ١٠٩ ، ١١٣
 ابن سعيد الأندلسي (عل بن موسى) ؛ ٦ ، ٥٨٢

ابن سيد الناس اليعمرى (محمد بن محمد) ؛ ١٨٠
 ابن شبرين ، أبو بكر ؛ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٣٧٩ ، ٤٧٤
 ابن الشديد (محمد بن محمد) ؛ ٣٨٦ ، ٥١٦
 ابن شرف ؛ ٢٩٠
 ابن شلبطور الهاشمي ؛ ٣٦٠ ، ٣٦٤
 ابن شهيد (أحمد بن عبد الملك) ؛ ١٠٧
 ابن صاحب الصلاة ؛ ١٠٧ ، ١٤٤
 ابن صفوان القيسي ؛ ٣٨١
 ابن الصيرفي ؛ ١١٨ ، ١٢٠ ، ٥١٧
 ابن طفيل القيسي (محمد بن عبد الملك) ؛ ٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨٢
 ابن طلحة ؛ ١٤٤
 ابن عبد الصمد ؛ ١٢٠
 ابن عبد الملك المراكشي ؛ ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 ٣٤٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
 ٥٨١ ، ٥١٧
 ابن عبد الواحد البلوي (محمد بن محمد) ؛ ٣٨٢
 ابن عذاري المراكشي ؛ ٩٨
 ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسين) ؛ ٢٣٣
 ابن عسكر (محمد بن علي بن الخضر) ؛ ١٧٢ ،
 ٣٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٤
 ابن عماد الحراتي ؛ ٤٤٩
 ابن عمار ؛ ١٠٩
 ابن عمر القدوي ؛ ٢١٤
 ابن عميرة ، أبو المطرف ؛ ١٤٧ ، ٣٥٣
 ابن عياش التجيبي البرشاني ؛ ٦ ، ٤٨٢ ،
 ٤٨٤ ، ٤٨٧
 ابن عياض (والى بلنسية) ؛ ١٢١
 ابن غالب الرصافي ؛ ٧ ، ٥٠٥ - ٥٠٧
 ابن غانية المسوفي ، يحيى ؛ ١٢١ ، ٤١٨
 ابن الفهاز البلنسي ، أبو العباس ؛ ٢٢٣ ، ٤٥٢
 ابن فرتون ؛ ١٤٤
 ابن الفرص ، أبو القاسم ؛ ٤٩١

أبو بكر بن هشام ؛ ١٧٤
 أبو بكر بن هود ، الوائق بالله ؛ ١٣١
 أبو تمام (حبيب بن أوس) ؛ ٢٣٤ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٤
 أبو جعفر الإلبيري ؛ ٣٣٠
 أبو جعفر البلنسي ؛ ٥٠٦ ، ٥٠٧
 أبو جعفر التيزولي ؛ ٩٨
 أبو جعفر بن أحمد بن جزى ؛ ٣٧
 أبو جعفر الحريري ؛ ٢٧٤
 أبو جعفر بن حسان ؛ ٢٣١
 أبو جعفر بن الخطيب ؛ ١٣٩
 أبو جعفر بن داود ؛ ٤٦٥
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤
 أبو جعفر الشقوري ؛ ١٧٨
 أبو جعفر بن عثمان ؛ ٣٤٣ ، ٤٨٣
 أبو جعفر بن غصن ؛ ٤٣٤
 أبو جعفر بن مسعدة ؛ ٢٨٧
 أبو جعفر الوقشي ؛ ١٢٤
 أبو جعفر بن يحيى الكناني ؛ ٥٢١
 أبو الحجاج الأعمى ؛ ٥١٧
 أبو الحجاج الشتمري ؛ ١١٥
 أبو الحجاج الطرطوشي ؛ ٢٢٥
 أبو الحجاج المنتشافري ؛ ٣٦٧
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ٣٢٩
 أبو الحجاج بن مفرور ؛ ٢٢٨
 أبو الحجاج بن يسمون ؛ ٢٣٢
 أبو الحسن بن أبي الموالى ؛ ٢٨٨
 أبو الحسن بن الأخضر ؛ ٥٢١
 أبو الحسن بن بربى ؛ ٢٢٥
 أبو الحسن بن التلمساني ؛ ٣٠٣
 أبو الحسن بن الحسن ؛ ١٣٥ ، ١٧٧
 أبو الحسن الرعيبي ؛ ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٧
 أبو الحسن بن زرقون ؛ ٤٢١
 أبو الحسن بن سراج ؛ ٣١٥

أبو الحسن بن سهل ؛ ٣١٥ ، ٣٤٩
 أبو الحسن بن شريح ؛ ٣٢٨ ، ٤٨٩ ، ٥١٧
 أبو الحسن بن شعيب ؛ ٤٤٠
 أبو حسن الشقوري ؛ ١٧٣
 أبو الحسن بن عبده ؛ ٢٤٦
 أبو الحسن عضد الدولة ؛ ١٣١
 أبو الحسن بن عقيل الرندي ؛ ١٧١
 أبو الحسن بن علي الشادي ؛ ٢٣٤
 أبو الحسن بن فرحون ؛ ٢١٩ ، ٢٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ؛ ١٧٩
 أبو الحسن القيحايطي ؛ ٢٧٤ ، ٤٣٤
 أبو الحسن المريني ، السلطان ؛ ٤١
 أبو الحسن بن مستقور ؛ ٢٤٢
 أبو الحسن بن ملحان ؛ ٤٧٩
 أبو الحسن بن موسى ؛ ٢٢٦
 أبو حفص بن عبد المؤمن الموحدى ؛ ٣٣٨
 أبو حو (موسى بن يوسف) ؛ ٢٢ ، ٤١ ،
 ١٩٣
 أبو الخطاب بن واجب ؛ ١٧٣
 أبو الربيع بن سالم ؛ ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
 ٤٢٦
 أبو زكريا بن أبي سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو زكريا الإصبهاني ؛ ١٧٣
 أبو زيان (محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن) ؛
 ٤٠
 أبو زيد بن الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،
 ٢١٨
 أبو زيد السهيلي ؛ ٣٢٨
 أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) السلطان ؛ ٢١ ،
 ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤١ - ٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦
 أبو سعيد الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧ ، ٣٣٨
 أبو سعيد بن لب ؛ ٣٠٣
 أبو طالب بن القرشي الزهري ؛ ٥٠٣

أبو عبد الله بن النجار ؛ ٢٢٣
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن هارون ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن هاني ؛ ١٥٠ ، ١٨٣
 أبو عبد الله بن هشام الشواش ؛ ٢١٤
 أبو عبد الله الآبلي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ٢٢٨
 أبو عبد الله الترجالي ؛ ٢٢٥
 أبو عبد الله الدباغ المالتى ؛ ٢٢٤
 أبو عبد الله السلال ؛ ١٧١
 أبو عبد الله الشطى ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله الطرسوفى ؛ ١٣٤
 أبو عبد الله الطنجالى ؛ ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٤٢ ،
 ٢٧٤ ، ٣٤٠
 أبو عبد الله المقرب (محمد بن على الاوسى) ؛
 ٢٨٥ ، ٢٨٤
 أبو عبد الله العلوى التلمسانى ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله الفهارى ؛ ١٨٤
 أبو عبد الله الفاسى ؛ ٢٢١
 أبو عبد الله اللوشى اليحصبى ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٣
 أبو عبد الله الميرقى ؛ ٤٣٤ ، ٤٨٩
 أبو عبد المجيد المالتى ؛ ١٤٤
 أبو عبيد بن يوسف بن سعادة ؛ ٤٨٨
 أبو عبيد الله بن أبى القاسم الأنصارى ؛ ١٧٩
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٣٤٠
 أبو على بن أبى الشرف ؛ ٢٤٢
 أبو على بن حمدون ؛ ٢٨٩
 أبو على بن خلاص ؛ ٣٤٩
 أبو على بن طاهر بن ربيع ؛ ١٧٩
 أبو على بن علوان ؛ ٢٤٢
 أبو على بن كسرى المورى ؛ ٣٢٨
 أبو على الحداد ؛ ٢٢٨
 أبو على الراندحى ؛ ٣٦٤
 أبو على الشلوين ؛ ٣٤٩
 أبو على الصدى ؛ ٥٢١

أبو الطاهر السلقى ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٨
 أبو العباس بن إدريس ؛ ٤٨٨
 أبو العباس بن الأشقر ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن غالب ؛ ٣٢٧
 أبو العباس الرندى ؛ ٢٢٢
 أبو العباس بن عبد المؤمن البنائى ؛ ٢٣٤
 أبو العباس الغبرينى ؛ ٢٤٢
 أبو العباس الغربى ؛ ٢٢٨
 أبو العباس النبائى ؛ ٤٨٩
 أبو العباس الوزعى ؛ ٣١٦
 أبو عبد الرحمن بن مساعد ؛ ٤٨٩
 أبو عبد الله بن الأبار ؛ ١٧٤ ، ٣٤٢
 أبو عبد الله بن أبى سلطان ، الرئيس ؛ ١٣٠
 أبو عبد الله بن أحمد بن عروس ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن أضحي ؛ ٩٧
 أبو عبد الله بن بكر الإلبيرى ؛ ١٧٤
 أبو عبد الله بن برطال ؛ ٢٤٢
 أبو عبد الله بن بيش ؛ ٣٠٣
 أبو عبد الله بن حريث ؛ ١٨٤ ، ٢٤٢
 أبو عبد الله بن الحسن ؛ ١٧٣
 أبو عبد الله بن حسن بن مجير ؛ ٢٣٤
 أبو عبد الله بن الحصار ؛ ١٧٩
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ٤٨٣
 أبو عبد الله بن الرميمى ؛ ٩٦ ، ١٢٩ ،
 ٤١٩ ، ١٣٢
 أبو عبد الله بن الزبير ؛ ١٧١
 أبو عبد بن زنون ؛ ١٢٩
 أبو عبد الله بن سلمة ؛ ٣٣٩
 أبو عبد الله بن سلمان ؛ ٥٢١
 أبو عبد الله بن عيسى التميمى ؛ ٢٣٢
 أبو عبد الله بن الفخار ؛ ١٣٤ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله بن محمد الكرسونى ؛ ٢٠٠
 أبو عبد الله بن مسلمة ؛ ٣٣٩

- أبو محمد الرشاطلي ؛ ٤٧٩
 أبو محمد بن سهل الضرير ؛ ٤٨٨
 أبو محمد بن السيد ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن الصايغ ؛ ١٤٦
 أبو محمد بن عتاب ؛ ٥٢١
 أبو محمد بن عطية ؛ ١٧
 أبو محمد بن المؤذن ؛ ٢٤٢
 أبو محمد البسطي ؛ ٩٩
 أبو محمد الدلاصي ؛ ٢٢٢
 أبو محمد القرطبي ؛ ٣٢٨
 أبو مدين ، شعيب بن الحسين ؛ ١٩١ - ١٩٣
 أبو مروان البياضي ؛ ٤٨٩
 أبو مروان بن مسرة ؛ ٣٢٧
 أبو النجاة سالم ، عماد الدولة ؛ ١٣٠ ، ١٣١
 أبو الوليد بن حجاج ؛ ٤٨٩
 أبو الوليد بن شبكة ؛ ٢٣٢
 أبو الوايد بن يحيى بن سعد ؛ ٣٢٥
 أبو يحيى بن عبد الحق ؛ ٩٧
 أبو يحيى بن الكاتب ؛ ٩٦
 أبو يعقوب الموحدى ، السيد ؛ ١٢٧
 أبو يوسف بن طلحة ؛ ٤٨٧
 أبي بن كعب ؛ ٣٢٠
 أحمد بن إبراهيم بن أحمد الحراساني ؛ ٤٤٩
 أحمد بن أبي الوليد (أبو القاسم) ؛ ٣٢٥
 أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي ؛ ٤٥٠
 أحمد بن إسحاق ، أبو المعالي ؛ ١٨٠
 أحمد بن زيد بن الحسن ؛ ١٣٣
 أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ؛ ٤٤٨
 أحمد بن أبي غالب الرصاصي ؛ ١٠٧
 أحمد بن قاسم الأصولي ؛ ٢٨٨
 أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٨٠
 أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري ؛ ٣٢٦
 إدريس المأمون ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧ ، ١٣٠
- أبو علي الفسافي ؛ ٣١٥
 أبو عمر الطنجي ؛ ١٧١
 أبو عمر اللوثي ؛ ٢٧٠
 أبو عمران بن أبي تذبذ ؛ ٥٢١
 أبو عمرو بن أحمد النفزي ؛ ٢٢٩
 أبو عمرو بن سالم ؛ ٥٠٦
 أبو عمرو بن عباد ؛ ٤٨٩
 أبو عمرو بن العلاء ؛ ٢١٧
 أبو عثمان فارس ، السلطان ؛ ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٤
 أبو عيسى بن أبي السداد ؛ ٣٤٩
 أبو الفتح بن زيان بن مسعدة ؛ ٢٢٦
 أبو الفرج بن الجوزي ؛ ٢٣٣
 أبو القاسم البلوي ؛ ٤٨٣
 أبو القاسم بن بق بن نافحة ؛ ٢٢٨
 أبو القاسم بن حزب الله ؛ ١٥٠
 أبو القاسم بن حسان ؛ ٤٦٥
 أبو القاسم بن الشاطي ؛ ١٨٤
 أبو القاسم بن صوابة ؛ ٥٢١
 أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ٤٩٧
 أبو القاسم بن عباد ؛ ١٠٨
 أبو القاسم بن عمران ؛ ١٧٤
 أبو القاسم بن نبيل ؛ ٣٤٩
 أبو القاسم بن يسر ؛ ٤٤٨
 أبو القاسم الحسيني ؛ ١٥٠ ، ١٩٧
 أبو القاسم السهلي ؛ ٣٢٨
 أبو القاسم الملاحي (محمد بن عبد الواحد الغافق) ؛
 ١٣٣ ، ٣٨٩
 أبو القاسم المواعيني ؛ ٤٨٧ ، ٤٩١
 أبو القمر هلال ؛ ١٢٧
 أبو الهجد بن الأحوص ؛ ١٧١
 أبو محمد بن أبي الأحوص ؛ ١٧٤
 أبو محمد بن أبي العباس ؛ ٥٠٩
 أبو محمد بن حسن اللواتي ؛ ٢٣٤

جوهر الصقلي ؛ ٢٨٩
الحاج اللباس ؛ ٤٩
الحارث بن أسد ؛ ٣٢٢
حارثة بن العباس بن مرداس ؛ ٤٣
حازم القرطاجني ، أبو الحسن ؛ ١٨٥
حسان بن مالك بن هاني ؛ ١٠٧
الحسن بن أيوب بن زيد ؛ ١٧٣
الحسن بن قاسم الهلال ؛ ٢٧٥
حسين بن حسين ؛ ٢١٨
الحسين بن هبة الله الربيعي ؛ ٢٣٣
حسين بن يوسف الحسني ؛ ٢٢٦
الحصري القيرواني ؛ ١١٢
الحكم المستنصر ؛ ١٠٣
همزة بن يوسف السهمي ؛ ٢٢٦
حيان بن عبد العزيز ؛ ٢٣٣
خليل بن أبي بكر المرادي ؛ ٤٤٨
الخليل النحوي ؛ ٣٢٢
الخوانساري ؛ ٢١٧

د - ز

الدارقطني ؛ ١٤٨ ، ٣٥١
داود بن الملك المعظم عيسى ؛ ٤٥٠
الدليل البركي ؛ ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣
الدليل الموروري ؛ ٢٦
الدك (الدوق) ؛ ٤٤
دنطية ؛ ٤٥
ديرنبور ، هارتفج ؛ ٣
الرازي ، أحمد بن محمد بن موسى ؛ ١٣٣
الرشيد بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٧
رشيد الدين العطار ؛ ٢٣٤
الرشيد ، الخليفة الموحد ؛ ٩٧
رضوان النصري ، أبو النعم ؛ ١٥ ، ٢٦
رضي الدين القسطنطيني ؛ ٤٤٨
رميك بن حجاج ؛ ١١٠

إدريس الواثق ، أبو دبوس ، الخليفة الموحد ؛
٩٧

إدفونش بن فردلاندي ؛ ١١٠ ، ١١٤
إسحاق بن أبي العاص ؛ ٢٧٤
إسماعيل بن قبر الأيادي ؛ ٣١٩
إسماعيل بن قريش بن عباد ؛ ١٠٨
إسماعيل بن موسى ؛ ٢٢٩
إعتماد الرميكية ؛ ١١٠ ، ١١٩
إمروء القيس ؛ ٢٢٠
أندريق (الكونت) ؛ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦
أنس بن مالك ؛ ٢٢٩
أيوب بن عبد الله الفهري ؛ ٢٢٨

ب - ث

باديس بن حبوس ؛ ١١٨
برقسين ؛ ٤٣
بركات الخشوعي ، أبو الطاهر ؛ ٢٢٩ ، ٢٣٣
البرنس ؛ ٤٤ - ٤٦
بطره بن أدفنش بن هرانده ؛ ٨١
بطره بن الهنشه بن هرانده ؛ ٢٢ ، ٤٢
بلج بن بشر القشيري ؛ ١٠٨ ، ٢٣٠
بلج بن يحيى بن أبي بردة ؛ ١٧٦
بوريل ، الكونت ؛ ١٠٦
تاج الدين الآمدي ؛ ٢٢٢
الترمذي ، أبو إسماعيل ؛ ٢٢٦ ، ٢٢٩
قاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٣
ثابت بن علي بن عبد العزيز ؛ ٤٥١

ج - خ

جار الله بن عساكر ، أبو اليمن ؛ ٤٤٨
جايمش بن بطره (خايمي الفاتح) ؛ ٩٨
جاينجوس ، المستشرق ؛ ٣ ، ٤
جرور ، القائد ؛ ١١٦
جعفر بن علي بن فلاح ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٠
جودي بن عبد الرحمن ؛ ١٤١

زيان بن مردنیش ، أبو جیل ؛ ٩٨
زینب بنت عبد اللطیف البغدادی ؛ ٤٤٨

من - ظ

السالمی الکاتب ؛ ١٢٣

سعد بن عبادة ؛ ٩٢

سعد بن الغنی بالله ؛ ٣٦

سعد بن إبراهيم الخياط ؛ ٢٠١

سعید بن عبد الله الشترینی ؛ ١٠٧

سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ؛ ٤٥٠

سماجة الوزیر ؛ ٢٨٢ ، ٢٨٣

سهل بن مالك ، أبو الحسن ؛ ٣٢٩ ، ٣٥٩

سيبويه ؛ ٢١٥

الشافعي ، الإمام ؛ ٢١٧ ، ٢٢٦

شاكر بن الفخار الملقب ؛ ٥٠٦

شرف الدين بن التلمساني ؛ ٢١٥

شرف الدين الدمياطي ؛ ٢٢٢

شمس الدين بن قيم الجوزية ؛ ٢٠٣

شيخ الغزاة ؛ ١٦

صاعد بن الحسن اللغوي ؛ ١٠٦

صدر الدين الغماري ؛ ٢٠٣

صفوان بن إدريس ؛ ٤٨٥

ضمرة بن كنانة بن بكر ؛ ٢٣٠

طارق بن زياد ؛ ١٠٢

طاهر بن محمد (المهند) ؛ ١٠٧

ع - غ

عاتكة ، أم المجد ؛ ٢٣٢ ، ٢٣٤

العادل ، الملك ؛ ٢٢٢

عباس بن عطية ، أبو عمرو ؛ ٤٢٠

عبد الحق بن ربيع ؛ ٢٢٣

عبد الرحمن بن أبي حمو ، أبو تاشفين ؛ ٢١٤

عبد الرحمن الصنهاجي ؛ ٢٢٤

عبد الرحمن بن علي بن عمر ، الأمير ؛ ٣٩

عبد الرحمن بن قاسم ؛ ٢٢٨

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ؛ ٢٠١

عبد الرحيم بن عبد المنعم التدميري ؛ ٤٤٩

عبد العزيز بن سلطان الداني ؛ ٤٤٥

عبد العزيز الجزيري ؛ ٢٤٢

عبد العزيز المريني ، السلطان ؛ ٤١

عبد الكبير الإشبيلي ، أبو محمد ؛ ٤٢١

عبد الكريم بن عطاء الله ، أبو محمد ؛ ٢٣٤

عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي ؛ ٤٥١

عبد اللطيف الحجري ، أبو محمد ؛ ٢٣٣

عبد الله بن أحمد بن الملجوم ؛ ٢٢١

عبد الله بن بلقين ؛ ١١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

عبد الله بن عباد ، أبو بكر ؛ ١١٠

عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود ؛ ٤١٨

عبد الله بن قيس ؛ ١٧٦

عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ؛ ٤٥١

عبد الله بن محمد التجيبي الدكلي ؛ ٥٢١

عبد الملك بن إدريس الجزيري ، ١٠٧

عبد الملك بن سهل ؛ ١٠٧

عبد الملك بن صناديد ، أبو مروان ؛ ٩٦

عبد الملك المعافري ؛ ١٠٥

عبد الملك بن مفضل الواسطي ؛ ٤٥١

عبد المنعم بن سماك ، أبو محمد ؛ ٣١٦ ، ٣٢٩

عبد المنعم بن محمد بن يوسف الخيمي ؛ ٤٤٨

عبد المنعم بن يحيى القرشي الزهري ؛ ٤٥٠

عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٤٥٣

عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ؛ ١٨٠ ، ٤٤٨

عبيد الله بن أحمد بن أبي ربيع القرشي ؛ ٤٥٢

عتبة بن يحيى الجزولي ؛ ١٢٩

عثمان بن أبي العلاء ؛ ١٣٧ ، ١٤١

عثمان بن أبي محمد بن جندرة ؛ ٤٥١

عثمان بن عبد القوي البلوي ؛ ١٨٠

عثمان بن عبد المؤمن ، السيد أبو سعيد ؛ ٢٣١ ،

الغزيري ، ميخائيل ؛ ٣

الغشقي ، المقدم ؛ ١٢٨ ، ١٢٩

ف - ك

فاطمة بنت إبراهيم البعلبكي ؛ ٤٥٠

فاطمة بنت الرسول ؛ ٥٩

الفتح بن خاقان ، أبو نصر ؛ ١٠٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥

فخر الدين الرازي ؛ ٢٠٢ ، ٢٢٢

فرج بن محمد بن نصر ، أبو سعيد ؛ ٩٦

فضل بن فضيلة المعافري ؛ ١٣٩ ، ٢٧٤

قاسم بن أحمد بن السكوت ؛ ١٧٩

القاسم بن محمد الصنهاجي ؛ ٢٢٥

قص بن ساعدة ؛ ٣٢٤

ل - م

المازري الإمام ؛ ٣٢٧

مالك بن أنس ، الإمام ؛ ٢١٤ ، ٢١٥

مالك بن عباد ؛ ١١٧

المأمون بن عباد ؛ ١٠٩ ، ١١٦

المتنبي ، أبو الطيب ؛ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

محمد بن إبراهيم الحكيم ؛ ٩٧

محمد بن إبراهيم بن داود الحميري ؛ ٣٧١

محمد بن إبراهيم بن عبد الحليل الأنصاري ؛ ٩٦

محمد بن إبراهيم بن فضيلة ؛ ٣٤١

محمد بن إبراهيم المرادي (ابن العشاب) ؛ ٥٢٥

محمد بن أبي بكر ؛ ١٧٧

محمد بن أحمد الأقرشي الفاسي ؛ ١٧١

محمد بن أحمد البغدادي ؛ ٢٢٩

محمد بن أحمد الحسني ؛ ٣٠٣

محمد بن أحمد الرازي (ابن الخطاب) ؛ ٢٢٩

محمد بن أحمد السالمي ؛ ٤٨٩

محمد بن أحمد الصندلاني ؛ ٢٢٨

محمد بن أحمد بن عبد الله الإستنجي ؛ ٥ ، ٣١٥

٣٢٩

عُمان بن علي ؛ ٩٧

عُمان بن يحيى بن عمر بن رحو ؛ ٣٨ ، ٧٦

عزيز بن خطاب ، أبو بكر ؛ ٣٤٩

عطاف بن نعيم ؛ ١٠٨

علم الدين الشيخوني ؛ ٤٥١

علي بن إبراهيم الشيباني ؛ ٩٦

علي بن أحمد الميموني القسطلاني ؛ ٤٥١

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو ؛ ٣٨

علي التللسي الجراحي ؛ ٢٠١

علي بن عبد الرحمن المقدسي ؛ ٤٥٠

علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقي ؛ ٤٤٩

علي بن عبد الله بن الحسن ؛ ٣٧

علي بن محمد بن أبي القاسم ؛ ٤٥٠

علي بن محمد بن سعيد اليحصبي ؛ ٩٦

علي بن نصر ؛ ٧٤

علي بن يوسف ، أمير المسلمين ؛ ٤٧٧ ، ٥١٩

علي بن يوسف العبدي السفاح ؛ ٤٤٧

علي بن يوسف بن كاشة ؛ ٣١

عمر بن أبي ربيعة ؛ ٢٧٦

عمر بن أبي سعيد ، الأمير ؛ ١٤١

عمر بن الخطاب ؛ ٣٢١

عمر بن شاکر ؛ ٢٢٩

عمر بن عبد الله بن علي ؛ ٢٩ ، ٣٩ - ٤١

عمر بن عبد المجيد الأزدي ؛ ٣٢٧

عمر بن عبد المجيد الميانجي ؛ ٢٣٣

عمر اللوشي ؛ ٤٥٧

عمر بن المنجم البغدادي ؛ ١٠٦

عمران بن موسى المشدالي ؛ ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٥

٢١٥

عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٢٢٣

عيسى بن الحسن بن أبي مندیل ؛ ٢٣

عيسى بن محمد بن عبد الله ؛ ٢٠١

غازي بن أبي الفضل بن الجلاوي ؛ ٥٥٠

محمد بن مالك الطغترى ؛ ٢٨٢
 محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني ؛ ٢٢٣
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزوي ؛ ٢١٣
 محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي ؛ ٩٣
 محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ؛
 ٥٢٧

محمد بن محمد القرشي ؛ ٤٢٧
 محمد بن محمد بن نصر ؛ ٩٥
 محمد بن محمد بن يوسف ... بن نصر الخزرجي ؛
 السلطان ؛ ٥

محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، السلطان ؛
 ٤٤٧ ، ٤٤٥

محمد بن مطرف بن شخيص ؛ ١٠٧
 محمد بن هارون ؛ ١٧٩

محمد بن يحيى الأشعري الملقب ؛ ١٧٦
 محمد بن يحيى الباهلي (ابن المسفر) ؛ ٢٠٢ ،
 ٢٠٣

محمد بن يحيى السكري ؛ ٤٨٩
 محمد بن يحيى الغساني البرجي ؛ ٢٩٥ ، ٢٩٣
 محمد بن يحيى بن هيرة الشيباني ؛ ٤٤٩
 محمد بن يوسف بن إسماعيل (السلطان الغني بالله) ؛
 ٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٨ ،
 ٥٤ ، ١٣٤

محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي ؛ ٥٢١
 محمد بن يوسف ... بن نصر (محمد بن الأجر
 الكبير) ؛ ٧ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ،
 ١٣٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥

المرتضى بالله ، الخليفة الموحد ؛ ٩٧
 المستنصر بالله الحفصي ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 المستنصر بالله العباسي ؛ ٩٥ ، ١٢٩ ، ١٣١
 المعتمد بن عباد ؛ ١٠٨ - ١١١ ، ١١٦ - ١٢٠ ،
 ٥١٧

محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي ؛ ٤٥١
 محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي ؛ ١٨٧
 محمد بن أحمد بن محمد الأشعري ؛ ١٣٥
 محمد بن أحمد بن محمد الحسيني ؛ ١٨
 محمد بن أحمد بن ناصر بن حيون ؛ ١٨١
 محمد بن إسماعيل الزبيدي ؛ ١٠٧
 محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأنماطي ؛ ٤٤٥
 محمد بن إسماعيل بن فرج ؛ ٢٦
 محمد بن حسان ؛ ١٧٢
 محمد بن الحسن البروني ؛ ٢٠١
 محمد بن حسن العمري الشريفي ؛ ٥٢٣
 محمد بن الحسن القرشي ؛ ١٠٧
 محمد بن سعد بن مردنيس ؛ ٧ ، ١٢١ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٥
 محمد بن صالح بن رحمة الكناني ؛ ٤٥١
 محمد بن عباس الأشعري ؛ ٤٤٩
 محمد بن عبد الرحمن العقيلي ؛ ٤٧٦
 محمد بن عبد الرحمن المتأهل ؛ ٤٧٧
 محمد بن عبد الله بن داود الغافقي ؛ ٤٢٦
 محمد بن عبد الله بن عبد النور ؛ ٢٠١
 محمد بن عبد الملك بن جهور ؛ ١٠٧
 محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ؛ ٤٩١
 محمد بن علي بن العابد الأنصاري ؛ ٢٨٧
 محمد بن علي بن عبد الله القيسي ؛ ٢٨٦
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي ؛ ٥
 محمد بن علي بن محمد الحمداني ؛ ٤٨٨
 محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٧٩
 محمد بن عياض بن موسى اليحصبي ؛ ٩٧ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩
 محمد بن غالب الطريفي ؛ ٤٦٤
 محمد بن فتح الإشبيلي (الأشبرون) ؛ ٩٧ ، ١٣٨
 محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي ؛ ٥١٥
 محمد بن قايد الكلاعي ؛ ٢٤١

وايد بن موقق ؛ ٤٨٨
 يحيى بن جاد البعلبكي ؛ ٤٤٩
 يحيى الحكيم ؛ ٤٤٤
 يحيى بن عبد الرحمن الأشعري ؛ ٩٦
 يحيى بن عبد الله القرشي ؛ ٤٤٩
 يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ؛ ٩٧
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ١٦ ، ٣٨
 يحيى بن محمد بن أبي الغصن ؛ ٢٣٤
 يحيى بن الناصر ، الخليفة الموحدى ؛ ٩٧
 يزيد بن حاتم بن قبيصة ؛ ٢٨٩
 يزيد الراضى (ابن عياد) ؛ ١١٠ ، ١١٦
 يعقوب بن عبد الحق ، أبو يوسف ، السلطان ؛
 ٩٧
 يعقوب المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٣ ، ٤٨٥
 يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين ؛ ٤٥٠
 يغمراس بن زيان ؛ ٩٧ ، ٤٢٧
 يوسف بن أحمد بن أبي عيشون ؛ ٤٨٨
 يوسف أبو الحجاج ، السلطان ؛ ١٤ ، ٩٦
 يوسف بن أبي ناصر السفاوى ؛ ٤٥٠
 يوسف بن تاشفين ؛ ١١٨ ، ٥١٧ ، ٥١٩
 يوسف بن عبد الحق ، أبو يعقوب ، الساطان ؛
 ١٩٧
 يوسف بن هارون الزيادى ؛ ١٠٦
 يونس بن مفيث ؛ ٤٨٩

المعز لدين الله الفاطمى ؛ ٢٨٩ ، ٢٩٣
 مفرج بن سلمة ؛ ٤٨٩
 المقرئ ، عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ ١٩١
 المقرئ ، محمد بن محمد بن أحمد القرشى ؛
 ١٩١ ، ١٩٨ ، ٣٠٢
 المنصور بن أبي عامر ؛ ٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥
 منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالى ؛ ٤٥٢
 منصور الزواوى ، أبو علي ؛ ٣٠٢ ، ٣٩١
 منصور بن سليمان ؛ ٢١
 المنصور بن عبد الحق ، أبو يوسف ؛ ١٤٠
 موسى بن نصير ؛ ١٠٢

ن - ي

ناصر الدين المشدالى ، أبو علي ؛ ٢٠٠ ، ٢٠٢
 ٢٤٢
 الناصر بن المنصور ، الخليفة الموحدى ؛ ٤٨٢ ،
 ٤٨٦
 نزهون القليبية ؛ ٥٠٤
 النبي العربي ؛ ٥٩ ، ٨٩
 نصر ، أبو الجيوش ، السلطان ؛ ١٤٠ ،
 ٤٤٥
 هراذنه بن الهنشه بن شانجه (فرناندو الثالث) ؛
 ٩٨
 هشام المؤيد ، الخليفة ؛ ١٠٣
 هشام بن يوسف بن الملجوم ؛ ٥١٧

كامل طبع المجلد الثاني من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة »
بمطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، بمدينة القاهرة المعزية
في اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٤ هـ الموافق لليوم
الرابع من شهر يولييه سنة ١٩٧٤ م

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRANADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN - ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades.
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y Portugal,
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib; etc.

Vol. II



Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1974